

جامع البيان

عن
تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

الجزءان

١٥-١٦

دارالمك

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ الطَّائِبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣١ هـ

الجزء الخامس عشر

دار الفكر

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ
عَنْ
تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ


تَأَلَّفَ
أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الخامس

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. : ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَيرُوت }
لَبْنَان } 
بَرقياً ، فِكْسيّ - تَلِكْس ٤١٣٩٢ فِكْر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الخامس عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

فهارس

الجزء الخامس عشر من جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الصفحة
			سورة بني إسرائيل	
١	سبعان الذي أسرى بعبد له ليلاً . . .	١	٢	وآتينا موسى الكتاب . . .
٢	وآتينا موسى الكتاب . . .	١٨	٣	ذرية من حملنا مع نوح . . .
٣	ذرية من حملنا مع نوح . . .	١٨	٤	وقضينا إلى بني إسرائيل . . .
٤	وقضينا إلى بني إسرائيل . . .	٢٠	٥	فإذا جاء وعد أولاهما . . .
٥	فإذا جاء وعد أولاهما . . .	٢٠	٦	ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . .
٦	ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . .	٣٠	٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . . .
٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . . .	٣١	٨	عسى ربكم أن يرحمكم . . .
٨	عسى ربكم أن يرحمكم . . .	٤٣	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . .
٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . .	٤٦	١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .
١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٦	١١	ويبدع الإنسان بالشر . . .
١١	ويبدع الإنسان بالشر . . .	٤٧	١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين . . .
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين . . .	٤٨	١٣	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . . .
١٣	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . . .	٥٠	١٤	اقرأ كتابك . . .
١٤	اقرأ كتابك . . .	٥٣	١٥	من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه . . .
١٥	من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه . . .	٥٣	١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية . . .
١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية . . .	٥٤	١٧	وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح . . .
١٧	وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح . . .	٥٧	١٨	من كان يريد العجلة . . .
١٨	من كان يريد العجلة . . .	٥٩	١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها . . .
١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها . . .	٥٩	٢٠	كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء . . .
٢٠	كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء . . .	٦٠	٢١	انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . . .
٢١	انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . . .	٦١	٢٢	لا تجعل مع الله إلهاً آخر . . .
٢٢	لا تجعل مع الله إلهاً آخر . . .	٦١	٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . .
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . .	٦٢		

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٧	نحن أعلم بما يستمعون به . . .	٩٥	٧٥	إذن لأذقناك ضعف الحياة . . .	١٣١
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	٩٦	٧٦	وإن كادوا ليستفزوك . . .	١٣٢
٤٩	وقالوا إذا كنا عظاما . . .	٩٧	٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك . . .	١٣٣
٥٠	قل كونوا حجارة أو حديدا . . .	٩٨	٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس . . .	١٣٤
٥١	أو خلقا مما يكبر في صدوركم . . .	٩٨	٧٩	ومن الليل فتهجد به نافلة لك . . .	١٤١
٥٢	يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده . . .	١٠١	٨٠	وقل رب أدخلني مدخل صدق . . .	١٤٨
٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن . . .	١٠١	٨١	وقل جاء الحق وزهق الباطل . . .	١٥١
٥٤	ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم . . .	١٠٢	٨٢	ونزل من القرآن ما هو شفاء . . .	١٥١
٥٥	وزبك أعلم بمن في السموات . . .	١٠٣	٨٣	وإذا أنعمنا على الإنسان . . .	١٥٣
٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه . . .	١٠٣	٨٤	قل كلُّ يعمل على شاكلته . . .	١٥٤
٥٧	أولئك الذين يدعون يبتغون . . .	١٠٤	٨٥	ويستلونك عن الروح . . .	١٥٤
٥٨	وإن من قرية إلا نحن مهلكوها . . .	١٠٦	٨٦	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا . . .	١٥٧
٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات . . .	١٠٧	٨٧	إلا رحمة من ربك . . .	١٥٨
٦٠	وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس . . .	١٠٩	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن . . .	١٥٨
٦١	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	١١٥	٨٩	ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن . . .	١٥٩
٦٢	قال أرايتك هذا الذي كرمت على . . .	١١٦	٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا . . .	١٥٩
٦٣	قال اذهب فن تبعك منهم . . .	١١٧	٩١	أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . . .	١٦٠
٦٤	واستفز من استطعت منهم . . .	١١٧	٩٢	أو تسقط السماء كما زعمت علينا . . .	١٦٠
٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . . .	١٢٢	٩٣	أو يكون لك بيت من زخرف . . .	١٦٣
٦٦	ربكم الذي يُزجي لكم الفلك في البحر . . .	١٢٢	٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا . . .	١٦٦
٦٧	وإذا مسكم الضر في البحر . . .	١٢٣	٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة . . .	١٦٦
٦٨	أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر . . .	١٢٣	٩٦	قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم . . .	١٦٧
٦٩	أم أمنتم أن يعيدكم فيه . . .	١٢٤	٩٧	ومن يهد الله فهو المهتد . . .	١٦٧
٧٠	ولقد كرمنا بني آدم . . .	١٢٥	٩٨	ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا . . .	١٦٩
٧١	يوم ندعوا كل أناس بإمامهم . . .	١٢٦	٩٩	أو لم يروا أن الله الذي خلق . . .	١٦٩
٧٢	ومن كان في هذه أعمى . . .	١٢٧	١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائن . . .	١٧٠
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك . . .	١٢٩	١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات . . .	١٧١
٧٤	ولولا أن ثبتناك . . .	١٣١	١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء . . .	١٧٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٣	فأراد أن يستفزهم من الأرض ...	١٧٦	١٨	وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ...	٢١٣
١٠٤	وقلنا من بعده لبي لإسرائيل ...	١٧٦	١٩	وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ...	٢١٥
١٠٥	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ...	١٧٧	٢٠	لأنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم ...	٢١٥
١٠٦	وقرآنا ففرقناه لتقرأه على الناس ...	١٧٧	٢١	وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا ...	٢٢٤
١٠٧	قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ...	١٨٠	٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ...	٢٢٥
١٠٨	ويقولون سبحان ربنا ...	١٨٠	٢٣	ولا تقولن لشيء إني فاعل ...	٢٢٨
١٠٩	ويخرون للأذقان يبكون ...	١٨١	٢٤	إلا أن يشاء الله ...	٢٢٨
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ...	١٨٢	٢٥	ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين ...	٢٣٠
١١١	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ...	١٨٨	٢٦	قل الله أعلم بما لبثوا ...	٢٣٠
تفسير سورة الكهف					
١	الحمد لله الذي أنزل على عبده ...	١٩٠	٢٧	واتل ما أوحى إليك ...	٢٣٣
٢	لينذر بأسا شديدا من لدنه ...	١٩٢	٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ...	٢٣٤
٣	ما كثر فيه أبدا ...	١٩٢	٢٩	وقل الحق من ربكم ...	٢٣٧
٤	وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ...	١٩٣	٣٠	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...	٢٤٢
٥	ما لهم به من علم ولا لآبائهم ...	١٩٣	٣١	أولئك لهم جنات عدن ...	٢٤٢
٦	فلعلك باخع نفسك على آثارهم ...	١٩٤	٣٢	واضرب لهم مثلا رجلين ...	٢٤٤
٧	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ...	١٩٤	٣٣	كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم ...	٢٤٤
٨	وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا ...	١٩٤	٣٤	وكان له ثمر فقال لصاحبه ...	٢٤٤
٩	أم حسبت أن أصحاب الكهف ...	١٩٧	٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ...	٢٤٦
١٠	إذ آوى الفتية إلى الكهف ...	٢٠٠	٣٦	وما أظن الساعة قائمة ...	٢٤٦
١١	فضربنا على آذانهم في الكهف ...	٢٠٥	٣٧	قال لصاحبه وهو يحاوره ...	٢٤٧
١٢	ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين ...	٢٠٥	٣٨	لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى ...	٢٤٧
١٣	نحن نقص عليك نبأهم بالحق ...	٢٠٧	٣٩	ولولا إذ دخلت جنتك ...	٢٤٨
١٤	وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ...	٢٠٧	٤٠	فسي ربى أن يؤتئين خيرا ...	٢٤٨
١٥	هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ...	٢٠٨	٤١	أو يصبح ماؤها غورا ...	٢٤٨
١٦	وإذ اعتزتموهم وما يعبدون ...	٢٠٨	٤٢	وأحيط بشمره ...	٢٥٠
١٧	وترى الشمس إذا طلعت تزاور ...	٢١٠	٤٣	ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ...	٢٥٠
			٤٤	هنالك الولاية لله الحق ...	٢٥٠
			٤٥	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ...	٢٥٢

الصفحة	الآية المفسرة	الآية	الصفحة	الآية المفسرة	الآية
٢٧٤	... فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا ...	٦٢	٢٥٣	... المال والبنون زينة الحياة الدنيا ...	٤٦
٢٧٤	... قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ...	٦٣	٢٥٧	... ويوم نسير الجبال ...	٤٧
٢٧٥	... قال ذلك ما كنا نبغ ...	٦٤	٢٥٧	... وعرضوا على ربك صغما ...	٤٨
٢٧٥	... فوجدنا عبدا من عبادنا ...	٦٥	٢٥٨	... ووضع الكتاب فترى المجرمين ...	٤٩
٢٨٣	... قال له موسى هل أتبعك ...	٦٦	٢٥٩	... وإذ قلنا للملائكة استجدوا لآدم ...	٥٠
٢٨٣	... قال إنك لن تستطيع معي صبرا ...	٦٧	٢٦٣	... ما أشهدتهم خالق السموات ...	٥١
٢٨٣	... وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا ...	٦٨	٢٦٣	... ويوم يقول نادوا شركائى ...	٥٢
٢٨٣	... قال مستجدنى إن شاء الله صابرا ...	٦٩	٢٦٣	... ورأى المجرمون النار فظنوا ...	٥٣
٢٨٣	... قال فإن اتبعتنى ...	٧٠	٢٦٦	... ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس ...	٥٤
٢٨٤	... فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة ...	٧١	٢٦٦	... وما منع الناس أن يؤمنوا ...	٥٥
٢٨٥	... قال ألم أقل لك لن تستطيع معي ...	٧٢	٢٦٧	... وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ...	٥٦
٢٨٥	... قال لا تؤاخذنى بما نسيت ...	٧٣	٢٦٨	... ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ...	٥٧
٢٨٦	... فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتاه ...	٧٤	٢٦٩	... وربك الغفور ذو الرحمة ...	٥٨
٢٨٧	... قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع ...	٧٥	٢٧٠	... وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ...	٥٩
٢٨٧	... قال إن سألتك عن شىء بعدها ...	٧٦	٢٧١	... وإذ قال موسى لفتاه ...	٦٠
٢٨٨	... فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية ...	٧٧	٢٧٢	... فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ...	٦١
٢٩١	... قال هذا فراق بينى وبينك ...	٧٨			

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٢	تأويل قوله تعالى : « وقضى ربك » الآية .
٦٤	معنى التأفيف .
٦٧	ما ورد في برّ الوالدين .
٧١	تأويل قوله تعالى « وآت ذا القربى حقه » . والمراد من القرابة .
٧٨	ما كانت العرب عليه من قتل أولادهم خشية الفاقة ، فهبهم الله عنه .
٨١	معنى السلطنة التي جعلت لولى الدم على الجاني .
٨٦	تأويل قوله تعالى « وَلَا تَقْفُ » . . . الآية . وما اشتملت عليه من النهي عن شهادة الزور وغيرها .
٩٢	ما ورد في تسبيح الأشياء ، وفضل لاإله إلا الله .
١٠٤	بيان أن بعض العرب كانوا يعبدون نفرا من الجنّ ، وأسلم المعبودون واستمرّ العابدون على عبادتهم .
١٠٩	تأويل قوله تعالى « وإذ قلنا لك إن ربك » . . . الآية .
١١٠	الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ، فصارت فتنة .
١١٨	معنى استفزاز الشيطان للعباد .
١٢٧	تأويل قوله تعالى « ومن كان في هذه أعمى » . . . الآية .
	تفسير سورة بنى إسرائيل
١	معنى التسبيح .
٢	بعض أحاديث وردت في الإسراء .
١٦	الإسراء كان بالجسد لا بالروح .
١٨	تأويل قوله تعالى « ذرية من حملنا » . . . الآية وبيان أن المراد منه جميع بنى آدم .
٢١	المراد بالفسادين اللذين قضى على بنى إسرائيل بهما . وبعض أخبار تدلّ على تاريخهم .
٣١	تأويل قوله تعالى « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » وذكر الفساد الثاني لبنى إسرائيل ، وتخريب بمختصر لبيت المقدس .
٤٤	تأويل قوله تعالى « عسى ربكم » . . . الآية . وما حصل لبنى إسرائيل من تسلط العرب عليهم وذكر الشواهد على ما فيها .
٤٧	تأويل قوله تعالى « وكان الإنسان عجولا » . وبيان أن العجلة في الإنسان طبيعة ، وكيف استعجل آدم عليه السلام .
٤٩	تأويل قوله تعالى « فمحونا آية الليل » . وما قيل في السواد الذي في القمر .
٥٠	تأويل قوله تعالى « وكلّ إنسان ألزمناه طائره » . . . الآية . وبيان أن لا عُدْوَى ولا طَيْرَة ، وأن السعد والشقاء قد قضيا .
٥٤	تأويل قوله تعالى « وإذا أردنا أن نهلك قرية » .
٥٧	معنى الدمار ، والشاهد على ذلك .
٥٨	ما قيل في مقدار القترن من السنين .

الصفحة	الصفحة
١٧٨	١٢٧
المدة التي نزل فيها القرآن .	من جهل نعم الله عليه في الدنيا فهو في
١٨٢	الآخرة أشدّ جهلاً عن معرفة هذه النعم .
تأويل « قل ادعوا الله » . . . الآية . وذكر	١٣٤
أسباب النزول .	ما هي الصلاة التي أمر الله بها عند الدُّلوك ؟
١٩٠	وبيان الساعات التي يتجلى فيها على عباده .
تفسير سورة الكهف	١٤٢
١٩٧	كان التهجيد في حقه عايه الصلاة والسلام
ذكر أصحاب الكهف . وسبب خروجهم	فرضا . وذكر المقام المحمود . وما ورد فيه .
إليه .	١٥١
٢١٠	تأويل قوله تعالى « وقل جاء الحق » . . .
مقرّ الكهف من الشمس .	الآية .
٢١٦	١٥٢
بعث أهل الكهف من نومهم .	ما في القرآن من الشفاء من الجهل .
٢٣٠	١٥٥
المدة التي لبثوها في الكهف .	ما قيل في الرُّوح .
٢٣٤	١٥٨
ما كانت تقوله عظماء العرب لرسول الله	تأويل قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس »
صلى الله عليه وسلم في شأن فقراء المؤمنين الآية . وذكر سبب النزول .
٢٣٧	١٥٩
تأويل قوله تعالى « وقل الحقّ من ربكم » .	ما اقترحته قريش من الآيات على رسول
والشواهد على السرادق .	الله صلى الله عليه وسلم .
٢٥٣	١٧١
معنى الباقيات الصالحات .	الآيات التسع التي أوتيتها موسى .
٢٥٩	١٧٧
أمر إبليس وما كان عليه ابتداء .	تأويل قوله تعالى « وبالحقّ أنزلناه » . . .
٢٧١	الآية .
مسير موسى عليه السلام إلى الخيصر .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٩٢	مُنْقَرٍ	١٣٦	بِرَاحٍ		
٩٢	مُطِيرٍ			٢٤١	الضُّحَى
٤٦	بِسْوَارٍ		د	٢٨٩	السُّرَى
٢٨	العساكرِ	٢٣٨	مَمْدُودٍ	٢٨٩	مُسْتَلَى
٢٨٤	نُكْرًا	١٤١	هَجُودٍ		
٢٨٤	إِمْرًا	١٤١	تَجُودٍ	ب	
١٣٣	حَصِيرًا	٨٩	مَزِيدٍ	٧١	لَا يَشُوبُ
٢٦١	غَائِرًا	٥٦	وَالنَّفْدِ	٢٢٤	وَأَطْيَبُ
٢٦١	جَوَائِرًا	٢٠٦	الْأَمْدِ	٢٤٤	غَالِبُهُ
٥٧	دَمَارًا	٢٤٣	الْأَنْضَادِ	٩٦	وَبِالشَّرَابِ
٥٨	مُخْبِرًا	٢٩٠	بِالْبَيْوَدِ	٦٦	أَزْيَبًا
		٢٤٤	بِزَائِدِهِ		
	ز			ت	
١٩٧	الْأَجْرَازِ		ر	١١٦	أَجْحَفَتْ
		١٠٧	قَدَرٌ	١١٦	فَأَضْعَفَتْ
	س	١٠٧	سَطَرَ	١١٦	وَجَلَّغَتْ
		١٠٧	النَّسْرَ	٢	لَيْتُ
٢١١	الْفَوَارِسِ	١٦٨	يَسِيرٌ	٢٨٨	مُسْتَصَلِتًا
٢٤٣	لِبَامِهَا	٧٩	تَوَاتِرٌ	ج	
١٠٠	الرَّأْسَا	٢١٠	أَزُورَارٌ	١٦٣	وَالعَرَجِ
	ض	١٧٥	مَشْبُورٌ	١٠٠	مُسْتَهْدِجًا
		١٩٤	المقَادِرُ		
٢٥٧	عَائِضٌ	٧٢	المُبْدَرُ	ح	
٢٥٧	القَابِضُ	٩٦	المُسْحَرُ	٢٤١	مَدُّ بُوْحٍ
٢٦٨	الدَّحِضِ	١٢٤	مَنْشُورٌ	١٣٦	رَبَاحٍ

الجزء الخامس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٤٢	الحوَاتِمُ	٨٧	عاق		
٢٦٩	ولم تكلم	١٣٨	غسقًا	ظ	
٢٨٩	وتحننهم			٢١٣	أيقاظًا
٢٧١	اللطائم	ك		٢١٣	غياظًا
٨٧	الأيام	٢٤٣	الأرائك	ع	
١٥٣	المنام			١٠١	أتقنع
٢٤٩	قيامًا	ل		١٢٤	تتبع
٢٤٧	والسنامًا	١٥٩	تنتفيل	١٦٨	ساعا
٢٢٦	مرجما	٢٦٩	ما يشل		
	ن	١٦٢	قبيلها	ف	
١٠٠	أصنأنها	٩٥	إذلال	٢٦٦	مُتَكَلِّفٍ
٢٨٩	بالإحسان	٢٠٧	باطلي	١٣٧	دَنَفًا
٤٦	بادن	٢٨٩	عقبيل	١٣٧	تَزَحَلْفًا
٢٤٩	صفونا	٧٩	كاملا		
٦٣	جافونا	١٩٣	شمالا	ق	
٦٣	تشكونا	١٢٤	شمالا	٨٨	المُخْرَقُ
٦٣	يُوصينا	١٢٤	جفالا	٢٥٢	فَزَلَّتْ
٢٩٠	حينًا	٢٩٠	نُصُولًا	٢٩١	المُطْرَقِ
	ي		م	٢٦٥	بمَوْبِقِ
٢٥٠	الكتمي	٤٥	قيام	٢٣٨	مُسْرَدَقِ
٨٧	التقافيا	١٧٠	الإعدام	٢٠٩	مَرْفِقِي
				١٧	بالعناقِ

(١٧) سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيَاتُهَا الْخَمْسُ عَشْرَةُ وَمَا نَسَبَتْهُ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

القول في تاويل قوله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَلَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٧﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : يعنى تعالى ذكره بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خاقه شريكا، وأن له صاحبة وولدا . وعاءوا له وتعظيما عما أضافوه إليه ، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم .

وقد بينت فيما مضى قبل ، أن قوله : سبحان : اسم وُضِعَ موضع المصدر ، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : نصب لأنه غير موصوف ، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها . فمنها الصلاة ، كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) : فلولا أنه كان من المصلين . ومنها الاستثناء ، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) : لولا تستثنون : وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن ، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْضُرَّ مِنْهَا مُسَبِّحِينَ وَلَا يَنْسَتَشْنُونَ) قال : (قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) فذكرهم تركهم الاستثناء . ومنها النور ، وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : «لَوْلَا ذَلِكَ لَأَحْرَقْتُ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَتْ مِنْ شَيْءٍ» أنه عني بقوله سبحات وجهه : نور وجهه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سُئِلَ عن التسبيح أن يقول الإنسان : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قال : إنزَاهُ اللَّهُ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن الحسن بن صالح ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : سبحان الله : قال : إنكاف لله . وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل . والإسراء والسرى : سير الليل . فن قال : أسرى ، قال : يسرى إسراء ؛ ومن قال : سري ، قال : يسرى سري ، كما قال الشاعر :

وَلَيْلَةَ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ وَلَمْ يَلْتِنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ

ويروى : ذات ندى سريت .

وبعنى بقوله (لَيْلًا) من الليل . وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرؤها .

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدث عنده بحديث حين أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له : لا تجيء بمثل عاصم ولا زر ، قال : قرأ حذيفة (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وكذا قرأ عبد الله . وأما قوله (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فإنه اختلف فيه وفي معناه ، فقال بعضهم : يعنى من الحرم ، وقال : الحرم كله مسجد . وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا . وقال : وقد ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان نائما في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن السائب ، عن أبي صالح بن باذام عن أم هانئ بنت أبي طالب ، في مسرى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر ، أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين .

(١) البيتان في (اللسان : ليت) شاهدا على أن لاته عن وجه يليته ويلوته ليتا : حبسه عن وجهه وصرفه قال الراجز : « ليلة ذات سري سريت » . الخ . وقيل معنى هذا : لم يلتني عن سراها أن أتندم فأقول : ليتني ما سريتها . وقيل معناه : لم يصرفني عن سراها صارف ، أي لم يلتني لانت ، فوضع المصدر موضع الاسم . وفي التهذيب : أن لم يلتني عنها نقص ولا عجز . وكذلك آلاته عن وجهه : فعل وأفعل : بمعنى . اه . و (في اللسان : سري) سير الليل : عامته ، وقيل السرى : سير الليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه . وسريت سري ومسرى ، وأسريت : بمعنى : إذا سرت ليلا . بالألف : لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعا . اه . وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت . وقال السهيلي في الروض الأنف (١ : ٢٤٢) اتفقت الرواة على تسميته إسراء ، ولم يسمه أحد منهم سري ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سري ، وأسرى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة . . إلى أن قال : لا يجوز أن يقال : سري بعبده ، بوجه من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة . اه .

وقال آخرون : بل أُسرى به من المسجد ، وفيه كان حين أُسرى به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن عدى ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، وهو رجل من قومه قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ ، قَالَ : فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فغَسَلِي بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ حَشِي إِيْمَانًا وَحِكْمَةً ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ ، « وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ يُقَالُ لَهُ السُّرَّاقُ ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَتَّقِعُ خَطْوَهُ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » . . . فذكر الحديث .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحرث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ، يعني ابن صعصعة رجل من قومه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة رجل من قومه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : ثنا عمرو بن عبد الرحمن ، عن الحسن ابن أبي الحسن ، قال : قال رسول الله : « بَيْنَنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ جَاءَنِي جَبْرِيْلُ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ، فَجَاءَنِي الثَّانِيَةَ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ، فَجَاءَنِي الثَّالِثَةَ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَخَذَ بَعْضُ دِي فَتَقَمَّتْ مَنَعَهُ ، فَخَرَجَ بِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْبَغْلِ ، لَهُ فِي فَخْذَيْهِ جَنَاحَانِ يَحْفِزُ بِهِمَا رِجْلَيْهِ ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فَحَمَلْتَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مَعِي ، لَا يَفْقُوتُنِي وَلَا أَفُوتُهُ » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ قال : أوسطهم هو خيرهم ، فقال

(١) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (المطبعة المصرية ٢ : ٢١٠) ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في صحيحه وأتى بالحديث مطولا . قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكر هذه الرواية : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة . وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ، كابن شهاب ، وثابت البناني وقتادة (يعني عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث . وانظر أيضا ما قاله الشهاب الحفاجي في (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٤) ، في نقده لرواية شريك بن أبي نمر سندا ومثنا)

أحدهم : خذوا خيبرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه ، والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ، ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام ، فشق ما بين نحره إلى لبتة ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم حتى أتى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور محشو إيماناً وحكمة ، فحشا به جوفه وصدره ولغاديدته ، ثم أطبقه ثم ركب البراق ، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ قال : هذا جبرئيل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : فرحبا به وأهلاً ، فيستبشر به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبرئيل : هذا أبوك ، فسألم عليه ، فردّ عليه ، فقال : مرحبا بك وأهلاً بابني ، فنعم الابن أنت ، ثم مضى به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قد أرسل إليه ، فقيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتّح لهما ؛ فلما صعد فيها فإذا هو بنهرين يجريان ، فقال : ما هذان النهران يا جبرئيل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصهما ؛ ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم قد بعث إليه ، قيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتّح له فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزيبرجد وياقوت ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، فذهب يشمّ ترابه ، فإذا هو مسك أذفر ، فقال : يا جبرئيل ما هذا النهر ؟ قال : هذا الكوثر الذي نبأ لك ربك في الآخرة ؛ ثم عرج به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى السادسة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى السابعة ، فقالوا له مثل ذلك ، وكلّ سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس ، فوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله ، فقال موسى : رب لم أظنّ أن يرفع عليّ أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا باب الجبار ربّ العزة ، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما شاء ، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه ، فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلىّ خمسين صلاة على أمّتي كل يوم وليلة ؛ قال : إن أمّتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك وعنهم ، فالتفت إلى جبرئيل كأنه يستشير في ذلك ، فأشار إليه أن نعم ، فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبار عزّ وجلّ وهو مكانه ، فقال : ربّ خفف عنا ، فإن أمّتي لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صاوات ؛ ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه ، فلم يزل يردّده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس

(١) في البخارى (باب التوحيد) : فحشا به صدره ولغاديدته ، يعنى عروق حلقه .

(٢) في البخارى (طبعة الحلبي ٩ : ١٨٢) : « وقد بعث » . وقد أبقينا رواية المؤلف كما هي ، لاختلاف نسخ البخارى في

(٣) كذا في البخارى أيضا .

صاوات ، ثم احتبسه عند الخمس ، فقال : يا محمد قد والله راودتُ بنى إسرائيل على أدنى من هذه الخمس . فضعفوا وتركوه ، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك ياتفت إلى جبرئيل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبرئيل ، فرفعه عند الخمس ، فقال : يا رب إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، فخفف عنا ، قال الجبار جل جلاله : يا محمد ، قال : لبيك وسعديك ، فقال : إني لا يبدل القول لدى كما كتبت عليك في أم الكتاب ، ولك بكل حسنة عشر أمثالها ، وهى خمسون فى أم الكتاب ، وهى خمس عليك ؛ فرجع إلى موسى ، فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عنى ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها ، قال : قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا ، قال : يا موسى قد والله استحيت من ربى مما أختلف إليه ، قال : فاهبط باسم الله ، فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام .

❖❖❖ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذى يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه ، وقوله (إلى المآء مجيد الأقصى) يعنى : مسجد بيت المقدس ، وقيل له : الأقصى ، لأنه أبعد المساجد التى تزار ، ويبتغى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام . فتأويل الكلام تنزيها لله ، وتبرئة له مما نجاه المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة ، وما يجلب عنه جل جلاله ، الذى سار بعبده ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى .

ثم اختلف أهل العلم فى صفة إسرائ الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فقال بعضهم : أسرى الله بجسده ، فسار به ليلا على البراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه ، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سلطانه ، فجمعت له به الأنبياء ، فصلى بهم هنالك ، وعرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع ، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته ، فصلى به صلاة الصبح .

ذكر من قال ذلك ، وذكر بعض الروايات التى رويت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بتصحيحه

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى ابن المسيب وأبوسامة بن عبد الرحمن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق ، وهى دابة إبراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام ، يقع حافرها ووضع طرفها ، قال : فمرت بعير من غيرات قريش بواد من تلك الأودية ، فنفرت العير ، وفيها بعير عليه غرارتان : سوداء ، وزرقاء ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء فأتى بقدحين : قدح خمر ، وقدح لبن ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن ، فقال له جبرئيل : هديت إلى الفطرة ، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك . قال ابن شهاب : فأخبرنى ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي هناك إبراهيم وموسى وعيسى ، فنعتمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « فأما موسى فبصرت رجلا الرأس كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى فبصرت رجلا أحمر كأنما خرج من ديماس ، فأشبهه من رأيت به عروة »

ابنُ مَسْعُودِ الشَّقَفِيِّ؛ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنَا أَشْبَهُهُ وَلَدِي بِهِ؛ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ قَرِيشًا أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَارْتَدَّ نَاسٌ كَثِيرٌ بَعْدَ مَا أَسْلَمُوا، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي صَاحِبِكَ، يَزْعَمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ رَجَعَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَشْهَدُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَفْتَشْهَدُ أَنَّهُ جَاءَ الشَّامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ: إِنِّي أَصَدَّقُهُ بِأَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، أَصَدَّقُهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ» قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمَّا كُنَّا بِنَتْنِي قَرِيشٌ قُمْتُ فَمَثَلْتُ اللَّهَ لِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَطَفَفْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: ثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّهْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَرَقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَأَنَّمَا ضَرَبَتْ بِذَنبِهَا، فَقَالَ لَهَا جِبْرِئِيلُ: مَهْ يَا بَرَقَ، فَوَاللَّهِ إِنْ رَكِبَكَ مِثْلَهُ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ نَاءٍ عَنِ الطَّرِيقِ: أَيِ عَالِي جَنْبِ الطَّرِيقِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: نَائِيَّةٌ، وَلَكِنْ أَسْقَطَ مِنْهَا التَّائِيثَ.

فَقَالَ: «مَا هَذِهِ يَا جِبْرِئِيلُ؟» قَالَ: سَرَّ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ، فَإِذَا شَيْءٌ يَدْعُوهُ مَتَنَحِيًا عَنِ الطَّرِيقِ يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ جِبْرِئِيلُ: سَرَّ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ؛ قَالَ: ثُمَّ لَقِيَهُ خَلْقٌ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آخِرَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَاشَرَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ: أَرَدَدَ السَّلَامَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ لَقِيَهُ الثَّانِي، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَةِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى أَنْهَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَاللَّبْنَ وَالْحَمْرَ، فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّبْنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ: أَصَبْتَ يَا مُحَمَّدُ الْفَطْرَةَ، وَلَوْ شَرَبْتَ الْمَاءَ لَغَرَقْتَ وَغَرَقْتَ أُمَّتَكَ، وَلَوْ شَرَبْتَ الْحَمْرَ لَغَوَيْتَ وَغَوَيْتَ أُمَّتَكَ. ثُمَّ بَعَثَ لَهُ آدَمُ فَمِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَّتْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ: أَمَا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِقَدْرِ مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِ تِلْكَ الْعَجُوزِ، وَأَمَا الَّذِي أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ إبْلِيسَ، أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ؛ وَأَمَا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ، فَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى».

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: ثَنَا حُجَّاجٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَّاحِيِّ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ أَوْ غَيْرِهِ «شَكََّ أَبُو جَعْفَرٍ» فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) قَالَ: «جَاءَ جِبْرِئِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مِيكَائِيلُ، فَقَالَ جِبْرِئِيلُ لِمِيكَائِيلَ: ائْتِنِي بِطَنْتٍ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ كَمَا أَطَهَرَ قَلْبَهُ، وَأَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، قَالَ: فَشَقَّ عَنْ

(١) نص المبرارة في الدر المنثور للسيوطي (٤: ١٣٩) ثم بقية الثانية، فقال له مثل ذلك، ثم الثالثة كذلك، ولعل في الكلام سقطا.

بطنه ، فغسله ثلاث مرّات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غلّ ، وملاه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره ، قال : فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تُضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ؛ ثم أتى على قوم ترضخ رعوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رعوسهم عن الصلاة المكتوبة ؛ ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئا ، وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ، ولحم آخر في قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النىء ، ويدعون النضيج الطيب ، فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عندها زوجها حلالا طيبا ، فتأتي رجلا خبيثا ، فتبيت معه حتى تصبح ؛ قال : ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . ثم قرأ (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ) . . . الآية . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ، وهو يزيد عليها ، ويريد أن يحملها ، فلا يستطيع ذلك ؛ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها ، ثم أتى على واد ، فوجد ريحا طيبة باردة ، وفيه ريح المسك ، وسمع صوتا ، فقال : يا جبرئيل ما هذه الرياح الطيبة الباردة وهذه الرائحة التي كريح المسك ، وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت غرني وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ، ولؤلؤي ومرجاني ، وفضتي وذهبي ، وأكوابي وصحافي وأباريتي ، وفواكهي ونخلي ورماني ، ولبنّي وخمري ، فأتني ما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحا ولم يشرك بي ، ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألتني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد

أفراح المؤمنين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيت ؛ ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ، ووجد ريحا منتنة ، فقال : ما هذه الريحُ يا جبرئيلُ وما هذا الصوتُ ؟ قال : هذا صوت جهنم ، تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلالى ، وسعيرى وجهيمى ، وضربى وغساقى ، وعذابى وعقابى ، وقد بعد قعرى واشتد حرى ، فأتني ما وعدتني ، قال : لك كلّ مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكلّ خبيث وخبيثة ، وكلّ جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت ؛ قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ؛ فلما قضيت الصلاة . قالوا : يا جبرئيل من هذا معك ؟ قال : محمد ، فقالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المحبب وجاء ؛ قال : ثم لقي أرواح الأنبياء فأنشوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتا لله يؤتم بي ، وأنقذنى من النار ، وجعلها على بردا وسلاما ؛ ثم إن موسى أتني على ربه فقال : الحمد لله الذى كاتمى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ؛ ثم إن داود عليه السلام أتني على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعامسى الزبور ، وألان لى الحديد ، وسخر لى الجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ؛ ثم إن سليمان أتني على ربه ، فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح ، وسخر لى الشياطين ، يعملون لى ما شئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلمنى منطق الطير ، وآتانى من كلّ شىء فضلا ، وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيبا ليس علىّ فيه حساب ؛ ثم إن عيسى عليه السلام أتني على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخاق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله ، وجعلنى أبرئ الأكمة والأبرص ، وأحبي الموتى باذن الله ، ورفعنى وطهرنى ، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل ؛ قال : ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم أتني على ربه ، فقال : كلُّكمُ أتني على ربِّه ، وأنا مُتَّين على ربِّى ، فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كلّ شىء ، وجعل لى أمة خيرا أمة أخرجت للناس ، وجعل لى أمتى وسطا ، وجعل لى أمتى هم الأوائون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عني وزرى ورفع لى ذكرى ، وجعل لى فاتحا خاتما ، قال إبراهيم بهذا فضلكم محمد . — قال أبو جعفر : وهو الرازى : خاتم النبوة ، وفاتح بالشفاعة يوم القيامة — ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهاها ، فأتى باناء منها فيه ماء ، فقبل : اشرب ، فشرب منه سيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقبل له : اشرب ، فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقبل له : اشرب ، فقال : لا أريده قد رويت ، فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم : أما إنها

سَتَحَرِّمَ عَلَى أُمَّتِكَ ، وَلَوْ شَرِبْتَ مِنْهَا لَمْ يَتَّبِعَكَ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا الْقَائِلُ . ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ تَامَ الْخَلْقَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، كَمَا يَنْقُصُ مَنْ خَلَقَ النَّاسَ ، عَلَى يَمِينِهِ بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، وَعَنْ شِمَالِهِ بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التَّامُ الْخَلْقَ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، وَمَا هَذَانِ الْبَابَانِ ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَالْبَابُ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرَائِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، قَالَ : فَإِذَا هُوَ بِشَابِيْنٍ ، فَقَالَ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَانِ الشَّابَّانِ ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنَا الْحَالَةِ ، قَالَ : فَصَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي الْحُسْنِ ، كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ الَّذِي فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي الْحُسْنِ ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا . ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرَائِيلُ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ ؟ قَالَ : هَذَا هَارُونَ الْحَبِيبُ فِي قَوْمِهِ ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعِمَ الْأَخُ وَنَعِمَ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعِمَ الْمَجْبِيُّ إِذَا جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ ، فَجَاوَزَهُ ، فَبَكَى الرَّجُلُ ، فَقَالَ : يَا جِبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مُوسَى ، قَالَ : فَمَا بِاللَّهِ يُبْكَى ؟ قَالَ : تَزْعَمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ بَنِي آدَمَ عَلَى اللَّهِ ، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَدْ خَلَفَنِي فِي دُنْيَا ، وَأَنَا فِي أُخْرَى ، فَلَوْ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ لَمْ أَبَالِ ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرَائِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :

جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المحيي وجاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسى . وعنده قوم جاوس بيض الوجوه ، أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه . فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبرئيلُ مَنْ هَذَا الْأَشْمَطُ ، ثُمَّ مَنْ هَؤُلَاءِ الْبَيْضُ وَجُوهُهُمْ ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَوَانِيهِمْ شَيْءٌ ، وَمَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ الَّتِي دَخَلُوا ، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَّتْ الْأَوَانِيهِمْ ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شَمِطَ على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه : فقوم لم يُؤْمِنُوا بِإِيمَانِهِمْ بِظُلْمٍ ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَوَانِيهِمْ شَيْءٌ ، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فتابوا ، فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار : فأولها رحمة الله ، وثانيها : نعمة الله ، والثالث : سقايم ربهم شرابا طهورا ، قال : ثم انتهى إلى السِّدْرَةِ ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، قال : فغشيها نور الخلاق عز وجل ، وغشيها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سل ، فقال : اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه : قد اتخذتك حبيبا وخليلا ، وهو مكتوب في التوراة : حبيب الله ؛ وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة ، حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أول النبيين خائفا ، وآخرهم بعثا ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعا من المثاني ، لم يعطها نبي قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلت فاتحا وخاتما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فضلتني ربى بسيت : أعطاني فتوح الكلم وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلتني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وقذف في قلوب عدوى الرعب من مسيرة شهر ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، قال : وفرض على خمسين صلاة ؛ فلما رجع

إلى موسى ، قال : بيم أمرت يا محمد ، قال : بِخَمْسِينَ صَلَاةً ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، ثم رجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بأربعين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه ، فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشرين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشر ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمسا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بخمس ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ فما أنا راجعٌ إليه ، فقيل له : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة ، فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا فكان موسى أشدهم عليه حين مرّ به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

حدثني محمد بن عبيد الله ، قال : أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره « شك أبو جعفر » ، عن أبي هريرة في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) . . . إلى قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) قال : جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث علي بن سهل ، عن حمّاج ، إلا أنه قال : جاء جبرئيل ومعه ميكائيل ، وقال فيه : وإذا بقوم يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون التمريخ والزقوم ، وقال في كل موضع قال علي ما هؤلاء ، من هؤلاء يا جبرئيل ، وقال في موضع تقرض السنهم تقص السنهم ، وقال أيضا في موضع قال علي فيه : ونعم الخليفة . قال في ذكر الحمر ، فقال : لا أريده قدرويت ، قال : جبرئيل : قد أصبت الفطرة يا محمد ، إنها ستحرم على أمتك ، وقال في سدرة المنتهى أيضا : هذه السدرة المنتهى ، إليها ينتهي كل أحد خلا على سبيلك من أمتك ؛ وقال أيضا في الورقة منها تظل الخلق كلهم ، تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة ، من حسب الله عز وجل وسائر الحديث مثل حديث علي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ؛ وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، قال : أخبرنا أبو هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى ، في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي

أُسرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (قَالَ : ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أُسرى به فقال نبي الله : « أُتيتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أَشْبَهُ الدَّوَابَّ بِالْبَغْلِ ، لَهُ أُذُنَانِ مُضْطَرِبَتَانِ وَهُوَ الْبُرَاقُ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ تَرْكَبُهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي ، فَرَكِبْتُهُ ، فَاِنْطَلَقَ بِي بِضَعِّ يَدَيْهِ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَمِينِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَن شِمَالِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتُ امْرَأَةً فِي الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا ، تَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَوْ قَالَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، فَانزَلْتُ عَن الدَّابَّةِ فَأَوْثَقْتُهَا بِالْحِائِطَةِ الَّتِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُ بِهَا ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، فَقَالَ لِي جِبْرِئِيلُ : مَاذَا رَأَيْتَ فِي وَجْهِكَ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَمِينِي أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِيَ الْيَهُودِ ، أَمَا لَوْ أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدْتَ أُمَّتُكَ ، قَالَ : ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَن يَسَارِي أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَي رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِيَ النَّصَارَى ، أَمَا إِنَّكَ لَو وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرْتَ أُمَّتُكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا تَقُولُ عَلَي رِسَالِكَ ، أَسْأَلُكَ ، فَضَيَّيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهَا ، قَالَ : تِلْكَ الدُّنْيَا تَزِينَتُ لَكَ ، أَمَا إِنَّكَ لَو وَقَفْتَ عَلَيْهَا لَأَخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ بَيْنَ أَحَدَهُمَا فِيهِ لَبَنٌ ، وَالْآخِرُ فِيهِ خَمْرٌ ، فَقِيلَ لِي : اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، قَالَ : أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَوْ قَالَ : أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ . »

قال معمر : وأخبرني الزهري ، عن ابن المسيب أنه قيل له : أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك . قال أبو هارون في حديث أبي سعيد : « ثُمَّ جِيءَ بِالْمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَيْتِ كَيْفَ يُجَدُّ بِبَصَرِهِ إِلَيْهِ فَعْرُجُ بِنَا فِيهِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِئِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِئِيلُ ؟ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، نَفَةٌ تَسْحُوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ وَإِذَا مَلَكَ مُوَكَّلٌ بِحُرْسِ السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكَ مَعَ كُلِّ مَلَكَ مِنْهُمْ مِئَةَ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ كَتَبْتُهُ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَإِذَا هُوَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فَإِذَا كَانَتْ رُوحَ مُؤْمِنٍ ، قَالَ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ ، اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ؛ وَإِذَا كَانَ رُوحُ كَافِرٍ قَالَ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ ، اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي سَجِيَّلٍ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلِّمْ عَلَيَّ وَرَحِّبْ لِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ وَقَالَ : مَرَحِبًا بِالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ ، وَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ ، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ يُخْرَجُ مِنْ أَصْفَلِهِمْ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ يُحْدَى مِنْ جُلُودِهِمْ وَيُرَدُّ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ يُقَالُ : كُلُّوا كَمَا أَكَلْتُمْ ، فَإِذَا أَكْرَهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، وَيَتَّقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ بِالسَّبِّ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ عَلَى مَائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوِيٌّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ مِنَ اللَّحْمِ ، وَإِذَا حَوْلَهُمْ جِيْفٌ ، فَجَعَلُوا يَمِيلُونَ عَلَى الْجِيْفِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَدْعُونَ ذَلِكَ اللَّحْمَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ عَمِدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَوْا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَهُمْ بَطُونَ كَأَنَّهَا الْبُيُوتُ وَهِيَ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثَارُوا ، فَيَمِيلُ بِأَحْدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَقَعُ ، فَيَتَوَطَّئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بِأَرْجُلِهِمْ ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوءًا وَعَشِيًّا ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبَا ، رَبَا فِي بَطُونِهِمْ ، فَشَلُّهُمْ كَشَلِّ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ؛ ثُمَّ نَظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مُعَانَقَاتٍ بِشُدِيِّهِنَّ ، وَنِسَاءٍ مُنْكَسَاتٍ بِأَرْجُلِهِنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هُنَّ اللَّاتِي يَزْنِينَ وَيَنْقُتُنَّ أَوْلَادَهُنَّ ، قُلْتُ : ثُمَّ صَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَحَوْلَهُ تَبَعٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ يَحْسِي وَعَيْسَى ، يُشْبِهُ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ ، ثِيَابَهُمَا وَشَعْرُهُمَا ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيَسَ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ؛ ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِبَهَارُونَ الْمُحَبَّبِ فِي قَوْمِهِ ، حَوْلَهُ تَبَعٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طَوِيلُ اللَّحْيَةِ تَكَادُ لِحْيَتُهُ تَمَسُّ سُرَّتَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ ؛ ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُمَا ؛ قَالَ مُوسَى : تَزَعَمُ النَّاسُ أَنَّي أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ، فَهَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنِّي ، وَلَوْ كَانَ وَحْدَهُ لَمْ أَكُنْ أَبَالِي ، وَلَكِنْ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَنْ تَبِعْتَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالِسٌ مُسْتَنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَرَّحِبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، فَتَقَبَّلَ : هَذَا مِنْكَ وَمِنْكَ أُمَّتِكَ ، ثُمَّ تَلَا (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ

أَلْفَ مَنَّاكَ لَا يَتَعُودُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِشَجَرَةٍ إِنْ كَانَتْ الْوَرَقَةُ مِنْهَا لَمُعْطِيَّةٌ هَذِهِ الْأُمَّةَ ، فَإِذَا فِي أَصْلِهَا عَيْنٌ تَجْرِي قَدْ تَشَعَّبَتْ شُعْبَتَيْنِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : أَمَّا هَذَا : فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ ، وَأَمَّا هَذَا : فَهُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ، فَاعْتَسَأْتُ فِي نَهْرِ الرَّحْمَةِ فَغَفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنِّي ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ ، ثُمَّ أَخَذْتُ عَلَى الْكَوْثَرِ حَتَّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَذَا فِيهَا مَا لَاعَيْنَ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَإِذَا فِيهَا رُمَانٌ كَأَنَّهُ جُلُودُ الْإِبِلِ الْمُقْتَبَةِ ، وَإِذَا فِيهَا طَيْرٌ كَأَنَّهَا الْبُخْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ نَلَّكَ الطَّيْرَ لِنَاعِمَةٍ ، قَالَ : أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا ، وَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا : لِمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا ؛ قَالَ : ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيَّ تَخْمِسِينَ صَلَاةً ، فَفَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمِ أَمْرِكَ رَبِّكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ تَخْمِسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهَذَا ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّي فَسَأَلْتُهُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّي إِذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى حَتَّى فَرَضَ عَلَيَّ تَخْمِسَ صَلَوَاتٍ ، فَقَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ؛ أَوْ قَالَ : قُلْتُ : مَا أَنَا بِرَاجِعٍ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ صَلَوَاتٍ تَخْمِسِينَ صَلَاةً ، الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَانْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةً .»

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : وثنى أبو جعفر ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَتَيْتُ بِالْمِعْرَاجِ ، وَلَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَيْهِ مَيْتُكُمْ عَيْنِيهِ إِذَا حَضَرَ ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى بَابٍ مِنْ الْأَبْوَابِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفِظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ (مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فِي حَدِيثِهِ قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ بِي الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا لِمَنْ أَنْتِ ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُهَا ، فَقَالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، ثُمَّ انْتَهَى حَدِيثُ ابْنِ حَمِيدٍ عَنِ سَلْمَةَ إِلَى هَهُنَا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن

المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أُسرى به إبراهيم وموسى وعيسى فقال : أمّا إبراهيم فبَلِّغْ أَرْجُلًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ . وأمّا موسى فَرَجُلٌ آدَمٌ طَوَالَ جَعْدِ أَقْتِي ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُنُوءَةٍ . وأمّا عيسى فَرَجُلٌ أَحْمَرُ بَيْنَ التَّصْصِيرِ وَالطَّوِيلِ سَبَطُ الشَّعْرِ كَثِيرٌ خَيْلَانُ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ كَأَنَّ رَأْسَهُ يُقَطَّرُ مَاءً ، وَمَا بِهِ مَاءٌ ، أَشْبَهَ مِنْ رَأْيَتِي بِهِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ولم يقل عن أبي هريرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بالبراق ليلة أُسرى به مسرجا ماجما ليركبه ، فاستصعب عليه ، فقال له جبرئيل : ما يحملك على هذا ، فوالله ما ركبك أحد قطّ أكرم على الله منه ، قال : فافرض عرقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ عِشَاءً مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَصَلَّى نَبِيَّ اللَّهِ فِيهِ ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأَمْرِهِ بِمَا شَاءَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مُحِلَّتْ عَلَيَّ دَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فَحَدَّثَ نَبِيَّ اللَّهِ بِذَلِكَ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَكَذَبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ وَأَنْكَرُوهُ وَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ تَجْرِبُنَا أَنَّكَ أَتَيْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَأَقْبَلْتَ مِنْ لَيْلَتِكَ ، ثُمَّ أَصْبَحْتَ عِنْدَنَا بِمَكَّةَ ، فَمَا كُنْتَ تَجِيئُنَا بِهِ ، وَتَأْتِي بِهِ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ مَعَ هَذَا ، فَصَدَقَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَسُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : لما كان ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابة يقال لها البراق ، دون البغل وفوق الحمار ، تضع حافرهما عند منتهى ظفرهما ؛ فلما أتى بيت المقدس أُتِيَ باناعين : إناء من لبن ، وإناء من خمر ، فشرب اللبن ، قال : فقال له جبرئيل : هديت وهديت أمتك .

وقال آخرون ممن قال : أُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أُسرى به عليه السلام ، غير أنه لم يدخل بيت المقدس ، ولم يصل فيه ، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش ، عن حذيفة بن اليمان ، أنه قال في هذه الآية (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) قال : لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه ، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر بن عياش ، ورجل يحدث عنده بحديث حين أُسرى بالنبي

صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لا تجيبىء بمثل عاصم ولا زر ؛ قال : قال حذيفة لزر بن حبيش ؛ قال : وكان زر رجلا شريفا من أشرف العرب ، قال : قرأ حذيفة (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنْ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وكذا قرأ عبد الله ، قال : وهذا كما يقولون : إنه دخل المسجد فصلى فيه ، ثم دخل فربط دابته ، قال : قلت : والله قد دخله ، قال : من أنت فأنى أعرف وجهك ولا أدرى ما اسمك ، قال : قلت : زر بن حبيش ، قال : ما عمك هذا ؟ قال : قلت : من قبل القرآن ، قال : من أخذ بالقرآن أفلح ، قال : فقلت (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) قال : فنظر إلى فقال : يا أصلع ، هل ترى دخله ؟ قال : قلت : لا والله ، قال حذيفة : أجل والله الذى لا إله إلا هو ما دخله ، ولو دخله لوجب عليكم صلاة فيه ، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار ، وما أعد الله فى الآخرة أجمع ؛ وقال : تدرى ما البراق ؟ قال : دابة دون البغل وفوق الحمار ، خطوه مد البصر .

وقال آخرون : بل أسرى بروحه ، ولم يسر بجسده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنا بعض آل أبي بكر ، أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ولقول الله فى الخبر عن إبراهيم ، إذ قال لابنه يابىء لآنى أرى فى المنام آنى أذبحك فانظر ماذا ترى) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحي يأتى بالأنبياء من الله أيقاظا ونياما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تنام عيىنى وقنابى يقظان » فالله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعابن فيه من أمر الله ما عابن على أى حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله أسرى بعبد محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله حماه على البراق حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الآيات ؛ ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من

أهل الشرك ، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكرا عندهم ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرأى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ وبعد ، فإن الله إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبد ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره . فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز ، إذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها ، كما قال قائلهم :

حَسِبْتُ بِغَامَ رَاحِلَتِي عَنَّا وَمَا هِيَ وَيَسْبَ غَيْرِكِ بِالْعَنَاقِ

يعنى : حسبت بغام راحلتى صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق ، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام . فأما فيما لادلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه ، فإنها لاتحذف ذلك ، ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله (أسرى بعبد) أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدواب لاتحمل إلا الأجسام . إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا : أسرى بروحه : رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن جبرئيل حمله على البراق ، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تتركب الدواب ، ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على قوله تحمل على البراق لاجسمه ، ولا شىء منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائم ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

وقوله (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) يقول تعالى ذكره : الذى جعلنا حوله البركة لسكانه فى معاشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم . وقوله (لِيُنزِلَهُ مِنْ آيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره : كى نرى عبدنا محمدا من آياتنا ، يقول : من عبرنا وأدلتنا وحججنا ، وذلك هو ما قد ذكرت فى الأخبار التى رويتها آتفا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه فى طريقه إلى بيت المقدس ، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُنزِلَهُ مِنْ آيَاتِنَا) ما أراه الله من الآيات والعبر فى طريق بيت المقدس .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : إن الذى أسرى بعبد هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ولغير ذلك من

(١) البيت تقدم الاستشهاد به فى (٤ : ٩٢) من هذا التفسير . واستشهد به الفراء (فى معانى القرآن ١٧٩) ولكنه لم يبين موضع الشاهد فيه كما بينه المؤلف هنا ، وهو أن العرب قد تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه ، كما فى البيت ، إذ أنه يريد : حسبت بغام راحلتى صوت عناق ،

قولهم وقول غيرهم: البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عاينه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علما، ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد، ليجزى جميعهم بما هم أهل له. وكان بعض البصريين يقول: كسرت «إن» من قوله (لأنه هو السميع البصير) لأن معنى الكلام قل يا محمد: سبحان الذي أسرى بعبده، وقل: إنه هو السميع البصير.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَيْنَمَا مَوْسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى (وَأَيْنَمَا) وقد ابتداء بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتى موسى: التوراة (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانا للحق، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه.

وقوله (أَلَا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة (أَلَا تَتَّخِذُوا) بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل (مِن دُونِي وَكَيْلًا). وقرأ ذلك بعض قراء البصرة (أَلَا يَتَّخِذُوا) بالياء على الخبر عن بني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتخذ بنو إسرائيل من دوني وكَيْلًا، وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب، غير أني أؤثر القراءة بالتاء، لأنها أشهر في القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء. ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظا لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (أَلَا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا) قال: شريكا. وكأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه شريكا منه له، ووكَيْلًا للذي أقامه مقام الله.

وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الآية، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَيْنَمَا مَوْسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتينا

موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ذرية من حملنا مع نوح : وعنى بالذرية : جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم ، عربهم وعجمهم من بنى إسرائيل وغيرهم ، وذلك أن كل من على الأرض من بنى آدم ، فهم من ذرية من حملة الله مع نوح فى السفينة .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذرية من حملنا مع نوح) والناس كلهم ذرية من أنجى الله فى تلك السفينة ؛ وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له ، وامرأته وثلاث نسوة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ؛ فأما سام : فأبوالعرب ؛ وأما حام : فأبوالحبش ؛ وأما يافث : فأبو الروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذرية من حملنا مع نوح) قال : بنوه ثلاثة ونسأؤهم ، ونوح وامرأته .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد : بنوه ونسأؤهم ونوح ، ولم تكن امرأته .

وقد بينا فى غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وقوله (إنه كان عبداً شكوراً) يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنه » إن نوحاً ، والهاء من ذكر نوح كان عبداً شكوراً لله على نعمه .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكوراً ، فقال بعضهم : سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي ، قالوا : ثنا سفيان ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان نوح إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله ، فسمى عبداً شكوراً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود قال : ما لبس نوح جديداً قط ، ولا أكل طعاماً قط إلا حمد الله فلذلك قال الله (عبداً شكوراً) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا سفيان الثوري ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، قال : إنما سمي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا لبس ثوباً حمد الله ، وإذا أكل طعاماً حمد الله .

(١) الحبش : ليسوا حاميين ، وإنما هم فرع من الساميين جنساً ولغة . وأولاد حام هم الزنوج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) من بنى إسرائيل وغيرهم (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) قال : إنه لم يجد ثوبا قط إلا حمد الله ، ولم يبل ثوبا قط إلا حمد الله : وإذا شرب شربة حمد الله ، قال : الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة ، وليس في تفسيرها : وإذا شرب شربة قال هذا ، ولكن بلغني ذا .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن النضر بن شني ، عن عمران بن سليم : قال : إنما سمي نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني ، ولو شاء أجاجني وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أظماني ، وإذا لبس ثوبا قال : الحمد لله الذي كساني ، ولو شاء أعراني ، وإذا لبس نعلا قال : الحمد لله الذي حذاني ، ولو شاء أحفاني ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذي أخرج عني أذاه ، ولو شاء حبسه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الجبار بن عمر أن ابن أبي مريم حدثه ، قال : إنما سمي الله نوحا عبدا شكورا ، أنه كان إذا خرج البراز منه قال : الحمد لله الذي سوغنيك طيبا ، وأخرج عني أذاك ، وأبقي منفعتك .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله لنوح (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قط إلا حمد الله ، وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوبا أن يقول : الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به ، وأوارى به عورتى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) قال : كان إذا لبس ثوبا قال : الحمد لله ، وإذا أخلقه قال : الحمد لله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿١٥﴾

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء : الفراغ من الشيء ، ثم يستعمل في كل مفروغ منه . فتأويل الكلام في هذا الموضع : وفرغ ربك إلى بنى إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صاوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم ، وإخباره لهم (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) يقول : لتعصن الله يا معشر بنى إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) يقول : ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : أعلمناهم .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول : أعلمناهم :

وقال آخرون : معنى ذلك : وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب ، وسابق علمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : هو قضاء قضى عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قضاء قضاه على القوم كما تسمعون .

وقال آخرون : معنى ذلك : أخبرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) قال : أخبرنا بني إسرائيل .

وكل هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معنى قوله (وَقَضَيْنَا) وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لإجماع القراء على قراءة قوله (لَتَنفُسِدُنَّ) بالتاء دون الياء ، ولو كان معنى الكلام : وقضينا عليهم في الكتاب ، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء ، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم ، وقلنا لهم : كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة .

وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى ما حدثني به هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي صالح ، وعن أبي مالك ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة (لَتَنفُسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) فكان أول الفسادين : قتل زكريا ، فبعث الله عليهم ملك النبط ، وكان يدعى صحابين^١ ، فبعث الجنود ، وكانت أساورته من أهل فارس ، فهم أولو بأس شديد ، فتحصنت بنو إسرائيل ، وخرج فيهم بختنصر يتما مسكينا ، إنما خرج يستطعم ، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم ، فسمعهم يقولون : لو يعلم عدونا ما قذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا ، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم ، واشتد القيام على الجيش ، فرجعوا ، وذلك قول الله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) ثم إن بني إسرائيل تجهزوا ، فغزوا النبط ، فأصابوا

(١) في تاريخ الطبري (ج ٢ قسم أول ص ٦٥٧ طبعة أوربة) : صحابين ، وفي بعض النسخ في هامشه : صحابين ، وصحابين ، وسنحاريب ، وفي ٦٥٦ منه : صيحون ، وفي رواية بهامشه عدة صور للتكلمة .

منهم واستنقدوا ما في أيديهم ، فذلك قول الله (**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ** بأموال وبنيين ، **وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين : قتل زكريا ويحيى بن زكريا ، ساط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ماوك فارس ، من قتل زكريا ، وساط عليهم بختنصر من قتل يحيى .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربي بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدُوا وَعَلَوْا ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكًا فَارِسًا بُخْتَنْصَرَ ، وَكَانَ اللَّهُ مَالِكَهُ سَبْعَ مِثَّةِ سَنَةٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ فَحَاصَرَهَا وَفَتَحَهَا ، وَقَتَلَ عَلَى دَمِ زَكَرِيَّا سَبْعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ سَبَى أَهْلِهَا وَبَنِي الْأَنْبِيَاءِ ، وَسَلَبَ حُلِيَّ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَأَسْتَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا وَمِثَّةَ أَلْفِ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيِّ حَتَّى أوردَهُ بَابِلَ ، قَالَ حذيفة : فقلت : يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيمًا عند الله ؟ قال : أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودُرٍّ وياقوت وزبرجد ، وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة ، وعمده ذهبًا ، أعطاه الله ذلك ، ونخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين ، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل ، فأقام بنو إسرائيل في يديه مئة سنة تعذبهم المَجُوسُ وأبناء المَجُوسِ ، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُمْ ، فَأَوْحَى إِلَى مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ فَارِسٍ يُقَالُ لَهُ كُورَسٌ ، وَكَانَ مُؤْمِنًا ، أَنْ سِرَّ إِلَى بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى تَسْتَنْقِذَهُمْ ، فَسَارَ كُورَسٌ بِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَحُلِيِّ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ حَتَّى رَدَّهُ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُطِيعِينَ لِلَّهِ مِثَّةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا فِي الْمَعَاصِي ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبْطِيَانَحُوسًا ، فَغَزَا بِأَبْنَاءِ مَنْ غَزَا مَعَ بُخْتَنْصَرَ ، فَغَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَتَاهُمْ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، فَسَبَى أَهْلِهَا ، وَأَحْرَقَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، وَقَالَ لَهُمْ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ عُدَّتُمْ فِي الْمَعَاصِي عُدْنَا عَلَيْكُمْ بِالسَّبَاءِ ، فَعَادُوا فِي الْمَعَاصِي ، فَسَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّبَاءَ الثَّلَاثَ مَلِكًا رُومِيَّةً ، يُقَالُ لَهُ قَاقِسُ بْنُ إِسْبَايُوسَ ، فَغَزَاهُمْ فِي النَّبْرِ وَالْبَحْرِ ، فَسَبَاهُمْ وَسَبَى حُلِيَّ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَأَحْرَقَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ بِالنِّيرانِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا مِنْ صَنْعَةِ حُلِيِّ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَيَرُدُّهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَهُوَ أَلْفُ سَفِينَةٍ وَسَبْعُ مِثَّةِ سَفِينَةٍ ، يُرْسَى بِهَا عَلَى يَافَا حَتَّى تُنْقَلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَبِهَا يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ » .**

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل ، وفي أحدهم ما هم فاعلون بعده ، فقال (**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**

(١) في الدر المنثور للسيوطي : (٤ : ١٦٥) : أبطنانحوس .

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) . . . إلى قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
 لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) فكانت بنو إسرائيل ، وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ، متعظفا
 عليهم محسنا إليهم ، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم
 في ذنوبهم . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ، أن ملكا منهم كان يدعى صديقة ، وكان الله إذا ملأ
 الملك عليهم ، بعث نبيا يسدّده ويرشده ، ويكون فيما بينه وبين الله ، ويحدث إليه في أمرهم ، لا ينزل عليهم
 الكتب ، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من
 الطاعة ؛ فلما ملك ذلك الملك ، بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا
 الذي بشر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بنو إسرائيل وبيت المقدس زمانا ؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم
 الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ، ومعه ست مئة ألف راية ، فأقبل سائرا
 حتى نزل نحو بيت المقدس ، والملك مريض في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بنو إسرائيل
 إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده ست مئة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم ،
 فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث ، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا
 وبسنحاريب وجنوده ، فقال له النبي عليه السلام : لم يأتني وحى أحدث إلى في شأنك ، فيبناهم على ذلك ،
 أوحى الله إلى شعيا النبي : أن ائت ملك بنو إسرائيل ، ففره أن يوصي وصيته ، ويستخلف على ملكه من
 شاء من أهل بيته ، فأتى النبي شعيا ملك بنو إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك
 أن توصي وصيتك ، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك ، فإنك ميت ؛ فلما قال ذلك شعيا
 لصديقة ، أقبل على القبلة ، فصلى وسبح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص
 وتوكل وصبر وصدق وظن صادق ، اللهم رب الأرباب ، وإله الآلهة ، قدّوس المتقدسين ، يا رحمن
 يا رحيم ، المترحم الرعوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنو إسرائيل
 وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى ؛ سرى وعلايتى لك ، وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا
 صالحا ، فأوحى الله إلى شعيا أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورخمه ، وقد رأى
 بكاءه ، وقد أحرّ أجه خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده ، فأتى شعيا النبي
 إلى ذلك الملك فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشر والحزن ، وخرّ ساجدا
 وقال : يا إلهى وإله آبائى ، لك سجدت وسبّحت وكرمت وعظمت ، أنت الذى تعطى الملك من تشاء ،
 وتنزع من تشاء ، وتعزّ من تشاء ، وتذلّ من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأول والآخر ، والظاهر
 والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى ؛ فلما رفع
 رأسه ، أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقة فإمر عبدا من عبيده بالتينة ، فيأتيه بماء التين فيجعله على
 قرحته فيشفى ، ويصبح وقد برأ ، ففعل ذلك فشفي ، وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علما
 بما هو صانع بعدونا هذا ، قال : فقال الله لشعيا النبي : قل له : إني قد كفيتك عدوك ، وأنجيتك منه ،

(١) اسمه في الكتاب المقدس : إشعيا بن أموص . وانظر خبر النبي شعيا في تاريخ الطبري (٢ قسم أول ٦٣٨) طبعة أوربة .

ولأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه ؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبهم ، فصرخ على باب المدينة : يا ملك بنى إسرائيل ، إن الله قد كفأك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا ؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب ، فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم يختنصر ؛ فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل ؛ فلما رأهم خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ، ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم ، ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى ، فلم أطع مرشدا ، ولم يلقينى في الشقوة إلا قلة عقلى ، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم . ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى ، فقال ملك بنى إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذى كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يُبقيك ومن معك لكرامة بك عليه ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هوشرك ، لتزدادوا شقوة فى الدنيا ، وعذابا فى الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما لقيم من فعل ربنا ، ولتندروا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم ، فلدماك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته . ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أمير حرسه ، فقذف فى رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا ، وكان يرزقهم فى كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل القتل خير مما يفعل بنا ، فافعل ما أمرت ، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيباء النبی أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه ليندروا من وراءهم ، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم ، فبلغ النبی شعيباء الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهانته وسحرته : يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبیهم ، ووحي الله إلى نبیهم ، فلم تطعنا ، وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا ، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما مات سنحاريب استخاف يختنصر ابنه على ما كان عليه جدّه يعمل بعمله ، ويقضى بقضائه ، فلبث سبع عشرة سنة ، ثم قبض الله ملك بنى إسرائيل صديقه ؛ فخرج أمر بنى إسرائيل وثنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضا عليه ، ونبیهم شعيباء معهم لا يدعون إليه ، ولا يقبلون منه ؛ فلما فعلوا ذلك ، قال الله فيما بلغنا لشعيباء : قم فى قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام النبی أنطق الله لسانه بالوحي فقال : يا سماء استمعى ، ويا أرض أنصتى ، فإن الله يريد أن يقصّ شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصّهم بكرامته ، وفضّلهم على عباده ، وفضلهم بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها ، فأوى شاردتها ، وجمع ضالتها ، وجبر كسرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سميتها ؛ فلما فعل ذلك بطرت ، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل هؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدرون أين جاءهم الحين ، إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار

ربما يذكر الآرى الذى شبع عليه فراجعه ، وإن الثور ربما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين ، وهم أولو الألباب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير ؛ وإنى ضارب لهم مثلا فليسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت خواء زمانا ، خربة مواتا لاعمران فيها ، وكان لحارب حكيم قوى ، فأقبل عليها بالعمارة ، وكره أن تخرب أرضه وهو قوى ، أو يقال ضيع وهو حكيم ، فأحاط عليها جدارا ، وشيّد فيها قصرا ، وأنبط فيها نهرا ، وصيف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب ، وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه قويا ذا رأى وهمة ، حفيظا قويا أميناً ، وتأنى طلوعها وانتظرها ؛ فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا ، قالوا : بثت الأرض هذه ، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ، ويدفن نهرا ، ويقبض قيمها ، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة ، خربة مواتا لاعمران فيها ، قال الله لهم : فإن الجدار ذمتى ، وإن القصر شريعى ، وإن النهر كتابى ، وإن القسيم نبيى ، وإن الغراس هم ، وإن الحروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة ، وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثل ضربه الله لهم يتقربون إلى بذبح البقر والغنم ، وليس ينالنى اللحم ولا آكله ، ويدعون أن يتقربوا بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها ، فأيديهم مخصوبة منها ، وثيابهم متزمنة بدمائها ، يشيدون لى البيوت مساجد ، ويطهرون أجوافها ، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ، ويزوتقون لى البيوت والمساجد ويزينونها ، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها ، فأى حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وأى حاجة لى تزويق المساجد ولست أدخلها ، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ، ولتكون معلما لمن أراد أن يصلى فيها ، يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر على أن يفقه قلوبنا لأفقهها ، فاعمد إلى عودين يابسين ، ثم ائت بهما ناديما فى أجمع ما يكونون ، فقل للعودين : إن الله يأمر كما أن تكونا عودا واحدا ، فلما قال لهما ذلك ، اختلطا فصارا واحدا ، فقال الله : تل لهم : إنى قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولّف بينها ، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ، أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم ، وأنا الذى صورتهما ؛ يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، فى كل ذلك لانسمع ، ولا يستجاب لنا ؛ قال الله : فسلمهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ، ألسنت أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المحبين ، وأرحم الراحمين ؟ ألأن ذات يدي قلت ، كيف ويداي مبسوطتان بالخير ، أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها ولا يغلقها غيرى ، ألا وإن رحمتى وسعت كل شىء ، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها ، أو لأن البخل يعترينى ، أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات ، أجود من أعطى ، وأكرم من سئل ؛ لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى نورّت فى قلوبهم فنبذوها ، واشتروا بها الدنيا ، إذن لأبصروا من حيث أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم ، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ، ويتقوون عليه بطعمة الحرام ، وكيف أنور صلاتهم ، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنى ويحادنى ، وينتهك محارمى ، أم كيف تزكو عندى

صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم، وإنما أوجر عليها أهلها المغصوبين، أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد، وإنما أستجيب للداعي اللين. وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين، فلو رحوا المساكين، وقربوا الضعفاء، وأنصفوا المظلوم، ونصروا المغصوب، وعدلوا للغائب، وأدوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين، وكل ذي حق حقه، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم، وإذن لكنت نور أبصارهم، وسمع آذانهم، ومعقول قلوبهم، وإذن لدعمت أركانهم، فكنت قوة أيديهم وأرجلهم، وإذن لثبتت ألسنتهم وعقولهم، يقولون لما سمعوا كلامي، وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، وأن يطاعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين طلوعوا، وكلهم يستخني بالذي يقول ويسر، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما يبدون وما يكتُمون، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبتته على نفسي، وجعلت دونه أجلا مؤجلا، لا بد أنه واقع، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب، فليخبروك متى أنفذه، أوفى أي زمان يكون، وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون، فليأتوا بمثل القُدرة التي بها أمضيت، فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، فإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أحول الملك في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والثروة في الأقلاء، والمدائن في الفلوات، والآجام في المناوز، والبردى في الغيطان، والعلم في الجهلة، والحكم في الأميين، فسلمهم متى هذا، ومن القائم بهذا، وعلى يد من أسنته، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، فإني باعث لذلك نبيا أميا، ليس أعمى من عميان، ولا ضالا من ضالين، وليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، أهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والعرف خاقه، والعدل والمعروف سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملتته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القاعة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به قلوبا مختلفة، وأهواء مشتتة، وأما متفرقة، وأجعل أمته خيرا أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، توحيدا لي، وإيمانا وإخلاصا بي، يصلون لي قياما وقعودا، وركوعا وسجودا، يُقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد، والتسبيح والحمد والمدحة، والتمجيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومشاوهم، يكبرون ويهللون، ويقدمون على رعوس الأسواق، ويظهرون لي الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب في الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار،

ذلك فضلى أوتيه من أشياء ، وأنا ذوالفضل العظيم . فلما فرغ نبيهم شعياً إليهم من مقاتله ، عدوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت فدخل فيها ، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها ، وقطعوه في وسطها .

❖ قال أبو جعفر : فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى ، وقول ابن زيد ، كان إفساد بنى إسرائيل في الأرض المرة الأولى قتلهم زكريا نبي الله ، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده ، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصي الله ، وعتوهم على ربهم . وأما على قول ابن إسحاق الذى روينا عنه ، فكان إفسادهم المرة الأولى ما وصف من قتلهم شعياً بن أمصيا نبي الله . وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يُقتل ، وأن المقتول إنما هو شعياً ، وأن بختنصر هو الذى ساط على بنى إسرائيل في المرة الأولى بعد قتلهم شعياً . حدثنا بذلك ابن خيم ، عن سلمة عنه .

❖ وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة ، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا . وقد اختلفوا في الذى سلطه الله عليهم منتقماً به منهم عند ذلك ، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله . وأما قوله (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا) فقد ذكرنا قول من قال : يعنى به : استكبارهم على الله بالجرأة عليه ، وخلافهم أمره .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا) قال : ولتعلم الناس علواً كبيراً . حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (فَاذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) يعنى : فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) قال : إذا جاء وعد أولى تينك المرتين اللتين قضينا إلى بنى إسرائيل (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) . وقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يعنى تعالى ذكره بقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) وجهنا إليكم ، وأرسلنا عليكم (عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول : ذوى بطش في الحروب شديد . وقوله (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يقول : فترددوا بين الدور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا ، يقال فيه : جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد ، وجست أنا أجوس جوساً وجوساناً .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، روى الخبر عن ابن عباس . حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) قال : مشوا . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معنى جاسوا : قتلوا ، ويستشهد لقوله ذلك بيت حسان :

وَمِنَّا الَّذِي لاقى بِسَيْفٍ مُحَمَّدٍ فَجَاسَ بِهِ الْأَعْدَاءَ عُرْضَ الْعَسَاكِرِ
 وجائز أن يكون معناه : فجاسوا خلال الديار ، فقتلوهم ذاهبين وجائين ، فيصيح التأويلان جميعا . ويعنى
 بقوله (وَكَانَ وَعَدًّا مَفْعُولًا) وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم
 مفعولا ذلك لا محالة ، لأنه لا يخلف الميعاد .

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله (أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) فيما كان من فعلهم في المرة
 الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم ، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة ، وما كان من صنعهم
 بهم ، فقال بعضهم : كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُّ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِيَالَ
 الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعَدًّا مَفْعُولًا) قال : بعث الله عليهم جالوت ، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم
 الخراج والذل ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يُقاتلون في سبيل الله ، فبعث الله طالوت ، فقاتلوا جالوت ،
 فنصر الله بني إسرائيل ، وقتل جالوت بيدي داود ، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُّ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
 عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِيَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعَدًّا مَفْعُولًا) قضاء
 قضى الله على القوم كما تسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري ، فسبى وقتل ، وجاسوا خلال
 الديار كما قال الله ، ثم رجع القوم على دخن فيهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أما المرة الأولى
 فسأط الله عليهم جالوت ، حتى بعث طالوت ومعه داود ، فقتله داود .

وقال آخرون : بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى
 ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، يقول
 في قوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة
 الأولى سنحاريب من أهل أثور ونيوى ، فسألت سعيدا عنها ، فزعم أنها الموصل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، قال : ثنا يعلى بن مسلم بن

(١) البيت شاهد على أن جاس ، معناه : قتل . وقال في (اللسان : جوس) الجوس : مصدر جاس جوسا وجوسانا : تردد . وفي التنزيل
 العزيز : « فجاسوا خلال الديار » : أي ترددوا بينها للغارة . وقال الفراء : قتلوكم بين بيوتكم . قال : وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد :
 يذهبون ويحيثون . وقال الزجاج : « فجاسوا خلال الديار » : فظافوا في خلال الديار ، ينظرون : هل بقي أحد لم يقتلوه ؛
 وفي الصحاح : « فجاسوا خلال الديار » : أي تخللوها ، فطلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الأخبار : أي يطلبها .

سعيد بن جبير ، أنه سمعه يقول : كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) بكى وفاضت عيناه ، وطبق المصحف ، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ، ثم قال : أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه ، فأرى في المنام مسكينا بابل ، يقال له بختنصر ، فانطلق بمال وأعبده له ، وكان رجلا موسرا ، فقيل له أين تريد ؟ قال : أريد التجارة حتى نزل دارا بابل ، فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ، فقال : هل بقي مسكين غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكين بفتح آل فلان مريض يقال له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا ، حتى أتاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه ، فنقله إليه ومرضه حتى برأ ، فكساه وأعطاه نفقة ، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئا أجزيك ، قال : بلى شيئا يسيرا ، إن ملكت أطعنى ، فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ، ولا يمنعني أن يعطيه ما سأله ، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به ، فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك ، إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه ، فقال يوما صيحون ، وهو ملك فارس بابل : لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج إلا لياكل في مطبخه ، فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا ، فكسر ذلك في ذرعه ، فلم يسأل^٢ ، قال : فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ، فلو غزوتموها مادون بيت مالها شيء ، قالوا : لا نحسن القتال ، قال : فلو أنكم غزوتهم ، قالوا : إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ما كهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لقوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان ؛ فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر وقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا ، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء ، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، وقالوا لي كذا وكذا ، الذي ذكر سعيد ابن جبير أنه قال لهم ، قال الطليعة لبختنصر : إنك فضحتني^٣ لك مئة ألف وتزع عما قلت ، قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزع ، ضرب الدهر من ضربه ؛ فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فان وجدوا مساغا ساغوا ، وإلا انثوا ما قدروا عليه ، قالوا : ما ضرك لو فعلت ، قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني ، فدعا بختنصر وأرسله ، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ؛ فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا ، ومات صيحون الملك ؛ قالوا : استخافوا رجلا ، قالوا : على رسالكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم ، لن ينقضوا عليكم شيئا ، أمهلوا ، فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسمه في الناس ، فقالوا : ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا ، فلكوه . حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيى

(١) في عرائس المجالس للشعبي : ويتلطف بهم ، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه .

(٢) في عرائس المجالس للشعبي : فلم يسألهم عن شيء .

(٣) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربة . وفي الأصل : إن صحبتني . تحريف .

(٤) كذا في عرائس المجالس للشعبي ص ٣٣٦ طبعة الحلبي ، وفي الأصل : ورمى في جنازة صورا .

ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام ، فخرّب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى دمشق ، فوجد بها دما يغلي على كبا : أى كناسة ، فسألهم ما هذا الدم ؟ قالوا : أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ، قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم ، فسكن . وقال آخرون : يعنى بذلك قوما من أهل فارس ، قالوا : ولم يكن في المرة الأولى قتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار) قال : من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ويسمعون حديثهم ، معهم بختنصر ، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ، ونصرت عليهم بنو إسرائيل ، فهذا وعد الأول .

حدثني الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ثم ذكر نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) قال : ذلك أى من جاءهم من فارس ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه أنه يبعثهم عليهم ، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم ، فيما ذكر السدي في خبره أن بني إسرائيل غزوه ، وأصابوا منهم ، واستنقدوا ما في أيديهم منهم . وفي قول آخرين : إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم ، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال . وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه ، وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيد في ماضى (وأمددناكم بأموال وبنين) يقول : وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين .

وقوله (وجعلناكم أكثر نفيرا) يقول : وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وجعلناكم أكثر نفيرا) : أى عددا ، وذلك في زمن داود .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) لبني إسرائيل ، بعد أن كانت الهزيمة ، وانصرف الآخرون عنهم (وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) قال : جعلناكم بعد هذا أكثر عددا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) ثم رددت الكرة لبني إسرائيل .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، في قوله (وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) قال : أربعة آلاف .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَبِيرًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة : (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) يا بني إسرائيل ، فأطعمتم الله وأصلحتم أمركم ، ولزمت أمره ونهيه (أَحْسَنْتُمْ) وفعلتهم ما فعلتم من ذلك (لِأَنْفُسِكُمْ) لأنكم إنما تنفعون بفعالكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بعاكم سوءا ، وينمي لكم أموالكم ، ويزيدكم إلى قوتكم قوة . وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه (وَإِنْ أَسَأْتُمْ) يقول : وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ ، فإلى أنفسكم تسيئون ، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم ، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ، ويمكن منكم من بعاكم سوءا ، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين . وقال جل ثناؤه (وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) والمعنى : فإليها كما قال (بَأْنَ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) والمعنى : أوحى إليها .

وقوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) يقول : فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) يقول : ليسوء مجي ذلك الوعد للمرة الآخرة ووجوهكم فيقبحها . وقد اختلف القراء في قراءة قوله (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) بمعنى : ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبيعهم الله عليكم وجوهكم ، واستشهد قارئوا ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ) وقالوا : ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) على التوحيد وبالياء ، وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل ، أحدهما ما قد ذكرت ، والآخر منهما : ليسوء الله

وجوهكم ، فن وجهه تأويل ذلك إلى ليسوء مجيء الرعد وجوهكم . جعل جواب قوله فإذا محذوفاً ، قد المستغنى بما ظهر عنه ، وذلك المحذوف «جاء» ، فيكون الكلام تأويله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء . ومن وجهه تأويله إلى : ليسوء الله وجوهكم ، كان أيضاً في الكلام محذوف ، قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء» ، فيكون معنى الكلام حينئذ : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم ، فيكون المضمرة بعثناهم ، وذلك جواب إذا حينئذ . وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين (لَيْسُوءَ وَجُوهِكُمْ) على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه .

وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى .

ذكر الرواية بذلك ، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلا من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم ، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت فضمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر لنا بها طعاما وشرابا ، فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمر ، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال له : إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر ، فقال : أتسخر بي ؟ فقال : إني لا أسخر بك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا ، فكلمته أمه ، فقالت : وما عايتك إن كان ذلك وإلا لم ينقصك شيئا ، فكتب له أمانا ، فقال له : رأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، فاجعل لي آية تعرفني بها قال : ترفع صحيفتك على قصبه أعرفك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ، ويدني مجاسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمرا دونه ، وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستها ثيابا رقاقا حمرا ، وطيبتها وألبستها من الخلى ، وقيل : إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود ، وأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له نفسها ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سأله ، فإذا أعطاه ذلك سأله أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت ، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها ؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، فقال : ما الذي تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكريا ، فأوتى برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحك سأليني غير هذا ، فقالت له : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما ألحَّت عليه بعث إليه ، فأتى برأسه ، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا يحل لك ذلك ؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضا ، فارتفع الدم فوقه ؛ فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة

وهو يغلى وبلغ صحابيين ، فثار في الناس ، وأراد أن يبعث عليهم جيشا ، ويؤمر عليهم رجلا ، فأتاه يختصر
وكلمه وقال : إن الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف ، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها ،
فابعثني ، فبعثه ، فسار يختصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يطقهم ، فلما اشتد عليهم
المقام وجاع أصحابه ، أرادوا الرجوع ، فخرجت إليهم عيوز من عجائز بني إسرائيل فقالت : أين أمير
الجند ، فأتى بها إليه ، فقالت له : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة ، قال :
نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فليست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرأيتك إن
فتحت لك المدينة أعطيتني ما سألتك ، وتقتل من أمرتك بقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال : نعم ،
قالت : إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كل زاوية ربعا ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء
فنادوا إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا ، فإنها سوف تساقط ، ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا
من جوانبها ، فقالت له : اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، وانطقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ،
فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة ، فلما سكن الدم قالت له : كف يدك ، فإن الله تبارك وتعالى
إذا قتل نبي لم يرض ، حتى يقتل من قتله ، ومن رضى قتله ، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكف
عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة
فله جزيته تلك السنة ، وأغانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى ، فلما خرب به يختصر ذهب
معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم ، وذهب بدانيال وعايا وعزاريا وميشائيل ، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء
وذهب معه برأس جالوت ، فلما قدم أرض بابل وجد صحابيين قد مات ، فملك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه
دانيال وأصحابه ، فحسداهم المجوس على ذلك ، فوشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون
إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل إن لنا ربا نعبد ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم
فأمر بخدّ لهم ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبعا ضاريا لياكلهم ، فقال : انطلقوا فلناكل
ولنشرب ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ، ولم يخذش
منهم أحدا ، ولم ينكأه شيئا ، ووجدوا معهم رجلا ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقالوا : ما بال هذا السابع
إنما كانوا ستة ، فخرج إليهم السابع ، وكان ملكا من الملائكة ، فلطمه لطمه فصار في الوحش ، فكان
فيهم سبع سنين ، لا يراه وحشي إلا أتاها حتى ينكحها ، يقتص منه ما كان يصنع بالرجال ، ثم إنه رجع
ورد الله عليه ملكه ، فكانوا أكرم خاق الله عليه . ثم إن المجوس وشّوا به ثانية ، فألقوا أسدا في برّ قد
ضري ، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها ، فألقوا إليه دانيال ، فقام الأسد في جانب ، وقام دانيال
في جانب لا يمسه ، فأخرجوه ، وقد كان قبل ذلك خدّ لهم خدّا ، فأوقد فيه نارا ، حتى إذا أجمجها قذفهم
فيها ، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء . ثم إن يختصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب ،
وعنقه من شبه ، وصدرة من حديد ، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ، ورجلاه من فخار ، فبينما هو
قائم ينظر ، إذ جاءت صخرة من السماء من قبيل القبلة ، فكسرت الصنم فجعلته هشيا ، فاستيقظ فرعا

وأُنسبها : فدعا السحرة والكهنة ، فسألهم ، فقال : أخبروني عما رأيتم ، فقالوا له لا ، بل أنت أخبرنا ، ما رأيتم فتعبه لك ، قال : لأدرى ، قالوا له : فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم ، فادعهم فاسألهم ، فإن هم لم يخبروك بما رأيتم فما تصنع بهم ؟ قال : أقتلهم ، فأرسل إلى دانيال وأصحابه ، فدعاهم ، فقال لهم : أخبروني ماذا رأيتم ؟ فقال له دانيال : بل أنت أخبرنا ما رأيتم فتعبه لك ، قال : لأدرى قد نسيتها ، فقال له دانيال : كيف نعلم رؤيا لم نخبرنا بها ؟ فأمر البواب أن يقتلهم : فقال دانيال للبواب : إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه ، فأخبرنا ثلاثة أيام ، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا ، فأجلهم فدعوا الله : فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا يختصر على حدة ، فأتوا البواب فأخبروه ، فدخل على الملك فأخبره ، فقال : أدخلهم عليّ ؛ وكان يختصر لا يعرف من رؤياه شيئاً ، إلا شيئاً يذكرونه ، فقالوا له : أنت رأيتم كذا وكذا ، فقصرها عليه ، فقال : صدقتم ، قالوا : نحن نعبدها لك . أما الصنم الذي رأيتم رأسه من ذهب ، فإنه ملك حسن مثل الذهب ، وكان قد ملك الأرض كلها ؛ وأما العنق من الشبه ، فهو ملك ابنك بعد ، يملك فيكون ملكه حسناً ، ولا يكون مثل الذهب ؛ وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس ، يملكون بعدك ابنك ، فيكون ملكهم شديداً مثل الحديد ؛ وأما بطنه الأخلط ، فإنه يذهب ملك أهل فارس ، ويتنازع الناس الملك في كل قرية ، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين ، والشهر والشهرين ، ثم يُقتل ، فلا يكون للناس قوام على ذلك ، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار ؛ فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله تعالى نبياً من أرض العرب ، فأظهره على بقية ملك أهل فارس ، وبقية ملك ابنك وملكك ، فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شيء ، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم ، فعطف عليهم يختصر فأحبهم ، ثم إن المجوس وشوا بدانيال ، فقالوا : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول ، وكان ذلك فيهم عاراً ، فجعل لهم يختصر طعاماً ، فأكلوا وشربوا ، وقال للبواب : انظر أول من يخرج عليك يبول ، فاضربه بالطبرزين ، وإن قال أنا يختصر ، فقل كذبت ، يختصر أمرني ، فحبس الله عن دانيال البول ، وكان أول من قام من القوم يريد البول يختصر ، فقام مدلاً . وكان ذلك ليلاً يسحب ثيابه ؛ فلما رآه البواب شدّ عليه ، فقال : أنا يختصر ، فقال : كذبت ، يختصر أمرني أن أقتل أول من يخرج ، فاضربه فقتله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، قال : فردّ الله لهم الكرة عليهم كما قال ؛ قال : ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه ، فبعث عليهم في المرة الآخرة يختصر ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، وأخذ ما وجد من الأموال ، ودخلوا بيت المقدس ، كما قال الله عزّ وجلّ (وَلْيَسُدُّوْاْ مَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلْيُتَبَّرُواْ مَا عَلَّمُوْا تَتْبِيْرًا) دخلوه فتمروه وخرّبوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيف والجيف والقدر ، فقال الله (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُرْحِمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُوْنَا) فرحمهم فردّ إليهم ملكهم

وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل ، وقال لهم : إن عدتم عدنا ، فقال أبوالمعلی ، ولا أعلم ذلك ، إلا من هذا الحديث ، ولم يعيدهم الرجعة إلى ملكهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الخثرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) قال : بعث الله ملك فارس ببابل جيشا ، وأمر عليهم بختنصر ، فأتوا بني إسرائيل ، فدمروهم ، فكانت هذه الآخرة ووعداها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، قال : لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه ، قال : ثلاثة فن استأخر منكم بعدها فليمتس إلى خشبته ، فغزا الشام ، فذلك حين قتل وأخرج بيت المقدس ، ونزع حليته ، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمر ، وخوانا يأكل عليه الخنازير ، وحمل التوراة معه ، ثم ألقاها في النار ، وقدم فيما قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشايل ، فقال لإنسان : أصلح لي أجسام هؤلاء لعل أختار منهم أربعة يخدمونني ، فقال دانيال لأصحابه : إنما نصرنا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم ، لا تأكلوا لحم الخنزير ، ولا تشربوا الخمر ، فقالوا للذي يصلح أجسامهم : هل لك أن تطعمنا طعاما ، هو أهون عليك في المئونة مما تطعم أصحابنا ، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيك ، قال : ماذا ؟ قال : خبز الشعير والكرات ، ففعل فسمروا قبل أصحابهم ، فأخذهم بختنصر يخدمونه ، فبينما هم كذلك ، إذ رأى بختنصر رؤيا ، فجلس ففسرها ، فعاد فرقد فرآها ، فقام ففسرها ، ثم عاد فرقد فرآها ، فخرج إلى الحجرية ، ففسرها ؛ فلما أصبح دعا العلماء والكهّان ، فقال : أخبروني بما رأيت البارحة ، وأولوا لي رؤياي ، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته ، موعدكم ثلاثة ، فقالوا : هذا لو أخبرنا برؤياه ، وذكر كلاما لم أحفظه ، قال : وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول : لودعاني الملك لأخبرته برؤياه ، ولأولتها له ، قال : فاجعلوا يقولون : ما أحق هذا الغلام الإسرائيلي إلى أن مرّ به كهيل ، فقال له ذلك ، فرجع إليه فأخبره ، فدعاه فقال : ماذا رأيت ؟ قال : رأيت تمثالا ، قال إيه ، قال ورأسه من ذهب ، قال إيه ، قال : وعنقه من فضة ، قال إيه ، قال : وصدره من حديد ، قال إيه ، قال : وبطنه من صفر ، قال إيه ، قال : ورجلاه من آتاك ، قال إيه ، قال : وقدماه من فخار ، قال : هذا الذي رأيت ؟ قال إيه ، قال : فجاءت حصاة فوقعت في رأسه ، ثم في عنقه ، ثم في صدره ، ثم في بطنه ، ثم في رجله ، ثم في قدميه ، قال : فأهاكته قال : فما هذا ؟ قال : أما الذهب فإنه ملكك ، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ، ثم ملك ابن ابنك ، قال : وأما الفخار فملك النساء ، فكساه جبة ترثون ، وسوره وطاف به في القرية ، وأجاز نجاته ، فلما رأت ذلك فارس ، قالوا : ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي ، فقالوا : انتوه من نحو الفتية الثلاثة ، ولا تذكروا له دانيال ، فإنه لا يصدقكم عليه ، فأتوه ، فقالوا : إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك ، وآية ذلك أنك

(١) كذا في الأصل . واللفظة محرقة . وفي الكتاب المقدس : سفر دانيال ، الإصحاح الخامس : « حينئذ أمر بلشاصر أن يلبسوا

دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه » .

إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والحمر لم يأكلوا ولم يشربوا ، فأمر بحطب كثير فوضع ، ثم أرقاهم عليه ، ثم أوقد فيه نارا . ثم خرج من آخر الليل يبول ، فإذا هم يتحدثون ، وإذا معهم رابع يروح عليهم يصلي ، قال : من هذا يادانيال ؟ قال : هذا جبريل : إنك ظلمتهم ، قال : ظلمتهم ، مر بهم ينزلوا ، فأمر بهم فزلوا ، قال : ومسح الله تعالى بختنصر من الدواب كلها ، فجعل من كل صنف من الدواب رأسه رأس سبع من السباع الأسد . ومن الطير النسر ، وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين ، ثم كتبت سطرين ، فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما ، فقالت له أمه : إنك لو أعدت إلى دانيال منزلة التي كانت له من أبيك أخبرك ، وكان قد جفاه فدعاه : فقال : إني معيد إليك منزلتك من أبي ، فأخبرني ماهذان السطران ؟ قال : أما أن تعيد إلى منزلتى من أبيك ، فلا حاجة لي بها ، وأما هذان السطران فانك تقتل الليلة : فأخرج من في القصر أجمعين ، وأمر بقفله ، فأقفات الأبواب عليه ، وأدخل معه آمن أدل القرية في نفسه معه سيف : فقال : من جاءك من خلق الله فاقتله ، وإن قال أنا فلان ، وبعث الله عليه البطن فجعل يمشى حتى كان شطر الليل ، فرقد ورقد صاحبه ، ثم نبهه البطن ، فذهب يمشى والآخر نائم ، فرجع فاستيقظ به ، فقال له : أنا فلان ، فضربه بالسيف فقتله .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ**) **لَأَنْفُسِكُمْ** ، **وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ، فإذا جاء وَعَدْرُ الْآخِرَةِ) آخر العقوبتين (**لِيَسُوءُوا وَاجْوهَكُمْ**) **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**) كما دخله عدوهم قبل ذلك (**وَلِيَتَسَبَّرُوا مَا عَلَوَا**) **تَتَّبِيرًا**) فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسى البابلى ، أبغض خلق الله إليه ، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (**فَإِذَا جَاءَ وَعَدْرُ الْآخِرَةِ**) من المرتين (**لِيَسُوءُوا وَاجْوهَكُمْ**) قال : ليقبحوا وجوهكم (**وَلِيَتَسَبَّرُوا مَا عَلَوَا**) **تَتَّبِيرًا**) قال : يلتمسوا ما علوا تلميرا ، قال : هو بختنصر ، بعثه الله عليهم في المرة الآخرة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر ، فخرّب المساجد وتبرما علوا تتبيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : فيما بلغني : استخاف الله على بنى إسرائيل بعد ذلك ، يعنى بعد قتلهم شعيبا رجلا منهم يقال له : ناشة بن أموص ، فبعث الله الخضر نبيا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول : « **لَأَنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا** ، لأنه جاس على قرورة بيضاء ، فقام عنها وهى تهتر خضراء » قال : واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل : أرميا بن حافيا ، وكان من سبط هارون بن عمران .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه ، قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معتل ، عن وهب بن منبه . وحدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن لاتيهم ، عن وهب بن منبه الجاني ، واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول : قال الله

تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل : يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ، ولأمر عظيم اختبأتك ؛ فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله ؛ قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده . فأوحى الله تعالى إلى إرميا : أن ات قومك من بني إسرائيل ، واقصص عليهم ما أمرك به ، وذكّرهم نعمتي عليهم ، وعرفهم أحداثهم ، فقال إرميا : إني ضعيف إن لم تقوّني ، وعاجز إن لم تبلّغني ، ومخطئ إن لم تسدّدني ، ومخذول إن لم تنصرني ، وذليل إن لم تعزّني ، قال الله تبارك وتعالى : أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلها والألسنة بيدي ، ألقها كيف شئت ، فتطيعني ، وإني أنا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتي ، وأنا كلّمت البحار ، ففهمت قولي ، وأمرتها فعقلت أمرى ، وحددت عليها بالبطحاء فلا تعدّني حدّي ، تأتي بأمواج كالجبال ، حتى إذا بلغت حدّي ألبستها مذلة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمرى أني معك ، ولن يصل إليك شيء معي ، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي ، لتبلغهم رسالاتي ولتستحقّ بذلك مثل أجر من تبعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، وإن تقصّر عنها فلك مثل وزر من تركب في عماء لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ، انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر لكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستتبيحكم يامعشر الأبناء وسالهم كيف وجد آبائهم مغبّة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي ، وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشقّ بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي ، فإن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة ، فتنابها ، وإن هؤلاء القوم قد رتعوا في مروج الهاكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خوفاً ليعبدوهم دوني وتحكّموا فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمرى ، وأنسوهم ذكري ، وغروهم مني . أما أمراؤهم وقاداتهم فبطروا نعمتي ، وأمّنوا مكري ، ونبذوا كتابي ، ونسوا عهدي ، وغبروا سنتي ، فادّان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ، فهم يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني جراءة على وغرة وفرية على وعلى رسلي ، فسبحان جلالى وعاو مكاني ، وعظم شأنى ، فهل ينبغى لبشر أن يُطاع في معصيتي ، وهل ينبغى لي أن أخلق عبادا أجعلهم أرباباً من دوني . وأما قرآؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ، ويتزيّنون بعمارتها لغيري ، لطاب الدنيا بالدين ، ويتفقهّون فيها لغير العلم ، ويتعالمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء ، فكثرون مقهورون مغفرون ، يخوضون مع الخائضين ، ويتمنّون على مثل نصرة آبائهم والكرامة التي أكرمهم بها ، ويزعمون أن لأحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي ، وكيف كان جِدّهم في أمرى حين غير المغفرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدّقوا حتى عزّ أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلهم يستجيبون ،

فأطوالت لهم، وصفححت عنهم، لعاههم يرجعون، فأكثرت ومددت لهم في العبر لعلمهم يتذكرون، فأعذرت، في كل ذلك: أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو فلا يزدادون إلا طغيانا وبعدا مني: فحتى متى هذا؟ أبي يتمرسون أم إياي يخادعون؟ وإني أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الخليم، ويضل فيها رأى ذى الرأى، وحكمة الحكيم، ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا، ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان، يتبعه عدد وسواد مثل سواد الليل المظلم، له عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب أمثال العجاج، كأن خفيق راياته طيران النور، وأن حملة فرسانه كوبر العقبان، ثم أوحى الله إلى إرميا: إني مهلك بني إسرائيل بياض، ويافث أهل بابل، وهم من ولد يافث ابن نوح، ثم لما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه، ونبد الرماد على رأسه وقال: ملعون يوم ولدت فيه، ويوم لقيت التوراة، ومن شر أيامي يوم ولدت فيه، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو أشرف على: لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فمن أجل تصيبهم الشقوة والملاك؛ فلما سمع الله تضرع الخضر وبكائه، وكيف يقول، ناداه: يا إرميا أشق ذلك عليك فيما أوحيت لك؟ قال: نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسر به، فقال الله: وعزتي العزيزة لأهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك، ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه، وقال: لا، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا أمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبدا، ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح وقال: إن يعد بنا ربنا فبذنوب كثيرة قد مناهنا لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته، ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر، وذلك حين اقترب هلاكهم، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهمهم الدنيا وشأنها، فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله، وقبل أن يبعث عليكم قوم لارحمة لهم بكم، وإن ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه، وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نجور زاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود ابن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذي حاجه في ربه، أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جدته سنحاريب أراد أن يفعل، فخرج في ست مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس؛ فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس، حتى يكون منك الأمر في ذلك، فقال إرميا للملك: إن ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق؛ فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم، بعث الله ملكا من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاستفته، وأمره بالذي يستفتي فيه، فأقبل الملك إلى إرميا، وكان قد تمثّل له رجلا من بني إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمرى، فأذن له، فقال له الملك: يا نبي الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به. لم آت إليهم إلا حسنا، ولم آلمهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتي

إياهم إلا إسقاطالى ، فأفتنى فيهم يا نبي الله ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصل ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير وانصرف عنه ، فكث أياما ، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذى جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك في شأن أهلى ، فقال له نبي الله : أو ما ظهرت لك أخلاقهم بعد ، ولم تر منهم الذى تحب ؟ فقال : يا نبي الله ، والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه إلا قد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك ، فقال النبي : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويجنبكم سخطه ، فقام الملك من عنده ، فلبث أياما وقد نزل بختنصر و جنوده حول بيت المقدس ، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعا شديدا ، وشق ذلك على ملك بنى إسرائيل ، فدعا إرميا ، فقال : يا نبي الله أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني برى واثق ، ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذى كنت أتيتك في شأن أهلى مرتين ، فقال له النبي : أو لم يأن لهم أن يمتنعوا من الذى هم فيه مقيمون عليه ؟ فقال له الملك : يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن مأربهم في ذلك سخطى ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله ولا يحبه الله عز وجل ، فقال له نبي الله على أى عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبي ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكن غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذى بعثك بالحق إلا مادعوت عليهم ربك أن يهلكهم ، فقال إرميا : يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم ، فما خرجت الكلمة من في إرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس ، فالتهب مكان القربان ، ونخسف بسبعة أبواب من أبوابها ، فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه وقال : يا ملك السموات والأرض بيدك ملكوت كل شيء وأنت أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذى وعدتني ، فنودي إرميا : إنهم لم يصيبهم الذى أصابهم إلا بفتياك التى أفتيت بها رسولنا ، فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرّات ، وأنه رسول ربه ، ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش ، ودخل بختنصر و جنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس ، أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقفدوا فيه التراب حتى ملثوه ، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى إسرائيل ، فاختر منهم سبعين ألف صبي ، فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها فيهم ، قالت له الملوكة الذين كانوا معه : أيها الملك لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل ، ففعل ، وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلمة ، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا

من سبط يوسف بن يعقوب ، وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ، ومن بقى من بني إسرائيل ، وجعلهم يختصر ثلاث فرق ، فثلاثاً أقتر بالشام ، وثلاثاً سبي ، وثلاثاً قتل ، وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ، فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل باحداشهم وظلمهم ، فلما ولي يختصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل ، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أمانه الله مئة عام ، ثم بعثه ، ثم خبر رؤيا يختصر وأمر دانيال ، وهلاك يختصر ، ورجوع من بقى من بني إسرائيل في أيدي أصحاب يختصر بعد هلاكه إلى الشام ، وعمارة بيت المقدس ، وأمر عزير وكيف ردّ الله عليه التوراة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ، يعني بعد مهلك عزير ، ويعود الله عليهم ، ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون ، وفريقاً يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير أنه قال ، وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا قال : ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغية من بغايا بني إسرائيل ، كان فيهم ملك ، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك ، فهتت ابنة ذلك الملك بأبيها ، فقالت : لو أني تزوجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء ، فقالت له : يا أبت تزوجني ودعته إلى نفسها ، فقال لها : يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحمل لنا هذا ، فقالت : من لي بيحيى بن زكريا ضيق على ، وحال بيني وبين أن أتزوج بأبي ، فأغاب على ما كره ودنياه دون النساء ، قال : فأمرت اللعابين ومحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا ، فقالت : ادخاوا عليه فالعبوا ، حتى إذا فرغتم فإنه سيحاكمكم ، فقووا دم يحيى بن زكريا ولا تقبوا غيره . وكان اسم الملك رواد ، واسم ابنته البغية ، وكان الملك فيهم إذا حدث فكذب ، أو وعد فأخلف خلع فاستبدل به غيره ، فلما أعبوه وكثر عجزه عنهم ، قال : ساوني أعطكم ، فقالوا له : نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إياه ، قال : ويحكم سلوني غير هذا ، فقالوا : لانسألك شيئاً غيره ، فخاف على ما كره إن هو أخلفهم أن يستحلّ بذلك خنأه ، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي ، فذبحوه في طست ثم حزوا رأسه ، فاحتماه رجل في يده والدم يحمل في الطست معه ، قال : فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك ورأسه يقول في يدي الذي يحماه لا يحمل لك ذلك ، فقال رجل من بني إسرائيل : أيها الملك لو أنك وهبت لي هذا الدم ؟ فقال : وما تصنع به ، قال : أطهرمته الأرض ، فإنه كان قد ضيقها علينا ، فقال : أعطوه هذا الدم ، فأخذه فجعله في قلة ، ثم عمد به إلى بيت في المذبح ، فوضع القلة فيه ، ثم أغاق عليه ، ففار في القلة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي

هو فيه ، فلما رأى الرجل ذلك ، فظع به ، فأخرجه فجعله في فلاة من الأرض ، فجعل يفور ، وعظمت فيهم الأحداث ، ومنهم من يقول : أقرّ مكانه في القربان ولم يحول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول : وقتلوا زكريا) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رعوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل ، فقال له : إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلا أن لأجد أحدا أقتاه ، فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان ، فدخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دما يغلي ، فسألهم فقال : يا بني إسرائيل ، ما شأن هذا الدم الذي يغلي ، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئا من أمره ؟ فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يُتقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبل منا إلا هذا القربان ، قال : ما صدقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لتقبل منا ، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي ، فلذلك لم يُتقبل منا ، فذبح منهم نبور زاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رعوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم ، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ ، فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم : وياكم يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ماكنتم في الأرض ، تفعالون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار ، لأنثي ولا ذكرا إلا قتاته ؛ فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر ، فقالوا له : إن هذا دم نبيّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فاو أظعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم ، فلم نصدقته ، فقتلناه ، فهذا دمه ، فقال لهم نبور زاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، فقال : الآن صدقتموني ، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم ؛ فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خرّ ساجدا وقال لمن حوله : غلقوا الأبواب ، أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريا : قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قتل منهم من أجلك ، فاهدأ باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله ، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت وأيقنت أنه لاربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصاح ، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصاح فتمارك وتقديس ، وتسبح وتكبر وتعظم ، ملك الملوكة الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيها ، وما بينهما ، وهو على كل شيء قدير ، فاه الحام والعلم والعزة والجبروت ، وهو الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسبها لتزول ، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه فأوحى الله إلى رأس من رعوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حَبُور صدوق ، والخبور بالعبرانية : حديث الإيمان ، وإن نبور زاذان قال لبني إسرائيل يا بني إسرائيل ، إن عدوّ الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري ، وإني لست أستطيع

أن أعصيه، قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأهوالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل . فذبحها حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك ، فطرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم ، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكره ، أرسل إلى نبورزاذان أن ارفع عنهم ، فقد بلغت دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا ، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفيى بني إسرائيل أو كاد ، وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل ، يقول الله عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَآمَدْنَا كُمُ بِأَمْوَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَجَعَلْنَا كُمُ أَكْثَرُ نَفِيرًا ، وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمُ وَلِيَدُخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَّمْنَا تَتْبِيرًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ، وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) وعسى من الله حق ، فكانت الوقعة الأولى : بختنصر وجنوده ، ثم رد الله لكم الكرة عليهم ، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده ، وهي كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم . يقول الله تبارك وتعالى (وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَّمْنَا تَتْبِيرًا) ثم عاد الله عليهم ، فأكثر عددهم ، ونشرهم في بلادهم ، ثم بدآوا وأحدثوا الأحداث ، واستبدلوا بكتابتهم غيره ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي عتّاب رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ، ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن ، وفقه في الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ، ثم عُمر في الإسلام أربعين سنة ، قال : كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبيا بعثه الله إليهم ، فقال لهم : يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم : إني قد سابت أصواتكم ، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم ، فهتموا به ليقتاوه ، فقال الله تبارك وتعالى له : ائتهم واضرب لي ولهم مثلا ، فقل لهم : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : اقضوا بيني وبين كرمي . ألم اختر له البلاد ، وطيبت له المدرّة ، وحظرت به بالسياج ، وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج ، وأحطته بردائي ، ومنعته من العالم وفضلته ، فاقبني بالشوك والجدوع ، وكل شجرة لا تؤكل ما لهذا اخترت البادية ، ولا طيبت المدرّة ، ولا حظرت به بالسياج ، ولا عرشته السويق ، ولا حظته بردائي ، ولا منعته من العالم ، فضاتكم وأتممت عليكم نعمتي ، ثم استقبلتموني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمري له إن الحمار ليعرف مذوده ، له إن البقرة لتعرف سيدها ، وقد حلفت بعزتي العزيزة ، وبذراعي الشديد لآخذن بردائي ، ولأمرجن الحائط ، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم ، قال : فوثبوا على نبيهم فقتاوه ،

فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ ، وَنَزَعَ مِنْهُمْ الْمُلْكَ ، ، فَلَيْسُوا فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَعَلَيْهِمْ ذَلٌّ وَصِغَارٌ وَجَزِيَةٌ يُؤَدُّونَهَا ، وَالْمُلْكُ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، فَانْ يَزَالُوا كَذَلِكَ أَبَدًا ، مَا كَانُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ .
قال : قال : فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بني إسرائيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَصَوْا تَتَّبِيرًا) قال : كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير ، قال : لأن الأولى كانت هزيمة فقط ، والآخرة كان التدمير ، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد ، وخرّب المسجد .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا ، في اثني عشر من الحواريين يعاؤون الناس ، قال : فكان فيما نهاهم عنه ، نكاح ابنة الأخ ، قال : وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك ، فقولي : حاجتي أن تدبج لي يحيى بن زكريا ، فلما دخلت عليه سألتها حاجتها ، فقالت : حاجتي أن تدبج يحيى بن زكريا ، فقال : سلى غير هذا ، فقالت : ما سألك إلا هذا ، قال : فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبجه ، فبدرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فجماعته عجوز من بني إسرائيل ، فدلته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحد فسكن .

وقوله (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : وايدخل عدوكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة ، كما دخاوه أول مرة حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض .
وأما قوله (وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَصَوْا تَتَّبِيرًا) فإنه يقول : وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا ، يقال منه : دمرت البلد : إذا خربتته وأهلكت أهله ، وتبرّ تبرّا وتبارا ، وتبّرته أتبره تبيرا . ومنه قول الله تعالى ذكره (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) يعني : هلاكا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَصَوْا تَتَّبِيرًا) قال : تدميرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَصَوْا تَتَّبِيرًا) قال : يدمروا ما علوا تدميرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ وَإِنْ عُدتُمۥُ عَلٰنَا۟ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم ، وليدخاوا المسجد كما دخاوه أول مرة ، فيسنتقذكم من أيديهم ، وينتشاكم من الذل الذي يحله بكم ، ويرفعكم من الحمولة التي تصيرون إليها ، فيعزكم بعد ذلك ، وعسى من الله : واجب . وفعل الله ذلك بهم ، فكثرت عددهم بعد ذلك ، ورفع حساستهم ، وجعل منهم الماوك والأنبياء ، فقال جل ثناؤه لهم : وإن عدتم بامعشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري ، وقتل رسلي ، عدنا عليكم بالقتل والسب . وإحلال الذل والصغار بكم ، فعادوا ، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم . وينحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب : قال : ثنا ابن عطية ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ، وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا) قال : عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد . قال : فسلب الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس : سندبادان وشهربادان وآخر . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة : (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ، وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا) قال : فعادوا فسلب الله عليهم المؤمنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ) فعاد الله عليهم بعائده ورحمته (وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا) قال : عاد القوم بشر ما يحضرهم ، فبعث الله عليهم ماشاء أن يبعث من نعمته وعقوبته ، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة ؛ قال الله عز وجل في آية أخرى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) . . . الآية ، فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ . وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا) فعادوا ، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ) قال بعد هذا (وَإِنْ عُدتُّمْ) لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء (عَدْنَا) إليكم بمثل هذا .

وقوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : وجعنا جهنم للكافرين فجنا يسجنون فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن مسعدة ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : سبحنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : جعل الله مأواهم فيها .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : نحيسا حصورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : سبحنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى (حَصِيرًا) قال : يحصرون فيها .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : يحصرون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) سبحنا يسجنون فيها حصروا فيها .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : سبحنا .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : الحصير : فراش ومنهاد . وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عنى به الحصير الذي يبسط ويفترش ، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا ، فوجه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا ، كما قال (لَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) وهو وجه حسن وتأويل صحيح . ، وأما الآخرون ، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر الذي هو الحبس . وقد بينت ذلك بشواهد في سورة البقرة ، وقد تسمى العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور : أي محجوب عن الناس ، كما قال لبيد :

وَمَقَامَةٌ غُنَابِ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِئْتُ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامًا ۱

(١) البيت في (ديوان لبيد ، طبع لندن سنة ١٨٩١ ص ٣٩) . والرواية فيه : « لدى طرف الحصير » . وروايته في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٧١) وفي (لسان العرب : قوم) : كرواية المؤلف هنا . قالوا : ويقال للملك حصير ، لأنه محجوب . والمقامة والمقام المجلس ، ومقامات الناس : مجالسهم . والمقامة : السادة . والغلب : جمع أغلب ، وصف من غلب غلبا (كفرح فرحا) : =

يعنى بالحصير : الملك ، ويقال للبخیل : حصور وحصر : لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة ، وحبسه إياه عن النفقة ، كما قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَارِ

ويروى : بسار . ومنه الحصر فى المنطق لامتناع ذلك عليه ، واحتباسه إذا أراد . ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذر ذلك عليه ، وامتناعه من الجماع ، وكذلك الحصر فى الغائط : احتباسه عن الخروج ، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه . فأما الحصيران : فالجنبان ، كما قال الطرمح :

قَلِيلًا تَتَلَّى حَاجَةً نُمَّ عُولِيَّتْ عَلَى كُلِّ مَفْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بَادِنِ

يعنى بالحصيرين : الجنين .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : معنى ذلك : (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) فراشا ومهادا لا يزيابه من الحصير الذى بمعنى البساط . لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد ، مع أن الحصير بمعنى البساط فى كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس ، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء ، فإنما تقول : هو له حاصر أو محصر ، فأما الحصير فغير موجود فى كلامهم ، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به ، فيكون فى لفظ فعيل : ومعناه مفعول به ، ألا ترى بيت لبيد : لدى باب الحصير ، فقال لدى باب الحصير . لأنه أراد : لدى باب المحصور ، فصرف مفعولا إلى فعيل . فأما فعيل فى الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر ، فذلك ما لانجده فى كلام العرب ، فلذلك قلت : قول الحسن أولى بالصواب فى ذلك . وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز ، ولا أعلم لما قال وجها يصح إلا بعيدا وهو أن يقال : جاء حصير بمعنى حاصر ، كما قيل : عليم بمعنى عالم ، وشهيد بمعنى شاهد ، ولم يسمع ذلك مستعملا فى الحاصر كما سمعنا فى عالم وشاهد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠١﴾

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به (للتي هي أقوم) يقول : للسبيل التى هي أقوم من غيرها من السبل ، وذلك دين الله الذى بعث

= إذا غلظت رقبتة . وفى (اللسان : حصر) ذكر هذا الشاهد كرواية المؤلف مع وضع لفظة « وقماقم » فى مكان : « ومقامة » وأشار إلى الرواية الأخرى . ثم قال : والحصير المحبس ، وفى التنزيل : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، قال القتيبي : هو من حصرتة ، أى حبسته . فهو محصور ، وهذا حصيره ، أى محبسه .

(١) تقدم شرح هذا الشاهد فى الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٥٥) .

(٢) البيت فى ديوان الطرمح بن حكيم (طبع لندن سنة ١٩٢٧ ص ١٦٤) . وتتلّى الشيء : تتبعه . وتتلّى أيضا : بقى بقية من

دينه . وعوليت : ذهب بها إلى العالية ، وهى نجد . والحصير : سفينة تصنع من بردى وأسل ثم تفرش .

به أنبياءه وهو الإسلام ، يقول جل ثناؤه : فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) قال : التي هي أصوب : هو الصواب وهو الحق ؛ قال : والمخالف هو الباطل .
وقرأ قول الله تعالى (فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ) قال : فيها الحق ليس فيها عوج . وقرأ (وَكَمْ نَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قِسْمًا) يقول : قيا مستقيا

وقوله (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله ، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به ، وينتهون عما نهاهم عنه بأن (لَهُمْ أَجْرًا) من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات (كَبِيرًا) يعني ثوابا عظيما ، وجزاء جزيلًا ، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضى عمله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) قال : الجنة ، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير ، أجر كريم ، ورزق كريم فهو الجنة ، وأن في قوله (أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) نصب بوقوع البشارة عليها ، وأن الثانية معطوفة عليها .

وقوله (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) يقول تعالى ذكره : وأن الذين لا يصدقون بالمعاد إلى الله ، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا ، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله (أَعْتَدْنَا لَهُمْ) يقول : أعددنا لهم ، لقدومهم على ربهم يوم القيامة (عِنْدَ آبَائِهِمْ) يعني موجعا ، وذلك عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديهم عندهم ، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ ، فيقول : اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه ، كدعائه بالخير : يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) يعني قول الإنسان : اللهم العنه واغضب عاياه ، فلو يُعَجَّل له ذلك كما يُعَجَّل له الخير ، هلك ، قال : ويقال : هو (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) أن يكشف ما به من ضرّ ، يقول تبارك وتعالى ، لو أنه ذكرني وأطاعني ، واتبع أمري عند الخير ، كما يدعوني عند البلاء ، كان خيرا له .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) يدعو على ماله ، فيلعن ماله ووالده ، ولو استجاب الله له لأهلكه .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) قال : يدعو على نفسه بما او استجيب له ذلك ، وعلى خادمه ، أو على ماله .
حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته : فيعجل : فيدعو عليه ، ولا يحب أن يصيبه .
واختلف في تأويل قوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) فقال مجاهد ومن ذكرت قوله : معناه : وكان الإنسان عَجُولًا ، بالدعاء على ما يكره ، أن يُسْتَجَابَ له فيه .
وقال آخرون : عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجرى في جميع جسده ، فرام النهوض ، فوصف ولده بالاستعجال ، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام ، قبل أن يتم خلقه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن سلمان الفارسي : قال : أول ما خاق الله من آدم رأسه ، فجعل ينظر وهو يُخَاق : قال : وبقيت رجلاه ؛ فلما كان بعد العصر قال : يارب عَجَّلْ قبل الليل ، فذلك قوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده ، إلا صار لحما ودمًا ؛ فلما انتهت النفخة إلى سرتة ، نظر إلى جسده ، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله تبارك وتعالى (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) قال : ضَجِرًا لاصبره على سراء ، ولا ضراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ومن نعمته عليكم أيها الناس ، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار ، باظلامه علامة الليل ، وإضاءته علامة النهار ، لتسكنوا في هذا ، وتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضاه في هذا ، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها ، وابتداء دخولها ، وحساب ساعات النهار والليل

وأوقاتها (وكُلُّ شَيْءٍ فَصَّائِنَاهُ تَفْصِيلاً) يقول: وكلُّ شَيْءٍ بَيْنَاهُ بَيَانًا شَافِيًا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمِهِ ، وَتَخَاصُّوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ .
وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ :
لَعَلِّي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا هَذِهِ اللَّطِخَةُ الَّتِي فِي الْقَمَرِ ؟ فَقَالَ : وَيَحْسَبُكَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ (فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) ،
فَهَذِهِ مَحْوَةٌ .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا طَلْقٌ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ : سَأَلَ ابْنَ
الْكَوَّاءِ عَايَا فَقَالَ : مَا هَذَا السَّوَادُ فِي الْقَمَرِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : (فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصِرَةً) هُوَ الْمَحْوُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ
كَنتُ عِنْدَ عَلِيٍّ ، فَسَأَلَهُ ابْنَ الْكَوَّاءِ عَنِ السَّوَادِ الَّذِي فِي الْقَمَرِ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ آيَةُ اللَّيْلِ مُحِيتٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عَمْرَانُ بْنُ حُدَيْرٍ ، عَنْ رُفَيْعِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ
قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ : سَأَلُوا عَمَّا شِئْتُمْ ، فَقَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ : مَا السَّوَادُ الَّذِي
فِي الْقَمَرِ ، فَقَالَ : قَاتَلَكُ اللَّهُ ، هَلَا سَأَلْتَ عَنْ أَمْرِ دِينِكَ وَأَخْرَتَكَ ؟ قَالَ : ذَلِكَ مَحْوُ اللَّيْلِ .

حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبَانَ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُفَيْرٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ كَلْبَةَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَلِيٍّ : مَا السَّوَادُ
الَّذِي فِي الْقَمَرِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ، فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
قَوْلُهُ (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ، فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قَالَ : هُوَ السَّوَادُ بِاللَّيْلِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ
الْقَمَرُ يَضِيءُ كَمَا تَضِيءُ الشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ ، وَالشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ ، فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ : السَّوَادُ الَّذِي
فِي الْقَمَرِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ ابْنُ جَرِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَجَعَلْنَا
الْآيَةَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) قَالَ : الشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ (فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قَالَ : السَّوَادُ
الَّذِي فِي الْقَمَرِ ، وَكَذَلِكَ خَلَقَهُ اللَّهُ ؛

(١) ابْنُ الْكَوَّاءِ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكَوَّاءِ الْخَارِجِيُّ ، أَحَدُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ فِي صَفِينٍ ، ثُمَّ فَارَقُوهُ بَعْدَ التَّحْكِيمِ . فَكَانَ مِنْ
زَعَمَاءِ الْحَوَارِجِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك خلقهما الله . قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال (فَتَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) قال : ظلمة الليل وسدفة النهار .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ، فَتَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) : أى منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك جعلهما الله واختلف أدل العربية في معنى قوله (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) فقال : بعض نحوى الكوفة معناها : مضيئة ، وكذلك قوله (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) معناه : مضيئا ، كأنه ذهب إلى أنه قيل ببصرا ، لإضاءته للناس البصر . وقال آخرون : بل هو من أبصر النهار : إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر ، كقولهم : رجل مجبن : إذا كان أهله وأصحابه جنبا ، ورجل مضعف : إذا كانت رواته ضعفاء ، فكذلك النهار مبصرا : إذا كان أهله بصراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) قال : جعل لكم سبحا طويلا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّأْنَاهُ تَفْصِيْلًا) : أى بيناه تبينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وكل إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله ، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعماله في عنقه لا يفارقه . وإنما قوله (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) مثل لما كانت العرب تتفاعل به أو تتشائم من سوانح الطير وبوارحها ، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائرته في عنقه نحسا كان ذلك الذى ألزمه من الطائر ، وشقاء يورده سعيرا ، أو كان سعدا يورده جنات عدن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله

أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ »
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
 (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : الطائر : عمله ، قال : والطائر في أشياء كثيرة ، فمنه
 التشاؤم الذي يتشائم به الناس بعضهم من بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني
 عن ابن عباس ، قوله (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : عمله وما قدر عليه ، فهو
 ملازمه أينما كان ، فزائل معه أينما زال . قال ابن جريج : وقال : طائرته : عمله : قال ابن جريج :
 وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : عمله وما كتب الله له .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : طائرته : عمله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن
 عمرو وجميعا عن منصور ، عن مجاهد (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : عمله .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن الحكم ،
 عن مجاهد ، في قوله (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : ما من مولود يولد إلا وفي عنقه
 ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد . قال : وسمعتة يقول : أوائك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، قال : هو ما سبق .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ
 فِي عُنُقِهِ) : إى والله بسعادته وشقائه بعمله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : طائرته : عمله :
 فإن قال قائل : وكيف قال : أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، إن كان الأمر على ما وصفت ، ولم يقل : أَلْزَمْنَاهُ
 فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ ؟ قيل : لأن العنق هو موضع السمات ، وموضع الألائد
 والأطوق ، وغير ذلك مما يزين أو يشين ، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من
 ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق ، كما أضافوا
 جنابات أعضاء الأبدان إلى اليد ، فقالوا : ذلك بما كسبت يداه ، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه ،
 فكذلك قوله (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) فقرأه بعض أهل
 المدينة ومكة ، وهو نافع وابن كثير وعامة قراء العراق (وَنُخْرِجُ) بالنون (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا) بفتح الياء من يَلْقَاهُ وتخفيف القاف منه ، بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة رداً على قوله
 (أَلْزَمْنَاهُ) ، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا . وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على

قراءة قوله (وَنُخْرِجُ) وبخالفهم في قوله (يَلْقَاهُ) فيقرؤه (يَلْقَاهُ) بضم الياء وتشديد القاف . بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه ، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله ، فيقول : يلقي الإنسان ذلك الكتاب منشورا .

وذُكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم عن حميد ، عن مجاهد أنه قرأها (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) قال : يزيد : يعني يخرج الطائر كتابا هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء ، وهي قراءة الحسن البصرى وابن محيصن ؛ وكأن من قرأ هذه القراءة وجّهه تأويل الكلام إلى : ويخرج له الطائر الذى ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتابا يقرؤه منشورا . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (وَنُخْرِجُ لَهُ) بضم الياء على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، وكأنه وجّهه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا ، يريد : ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا ، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمّ فاعله .

وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه (وَنُخْرِجُ) بالنون وضمها (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) بفتح الياء وتخفيف القاف ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذى ألزم خلقه ما ألزم من ذلك ؛ فالصواب أن يكون الذى يليه خبرا عنه ، أنه هو الذى يخرج له يوم القيامة ، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذى قبله بالنون . وأما قوله (يَلْقَاهُ) فإن فى إجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة فى ذلك ، وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين : أعنى ضمّ الياء وفتحها فى ذلك ، وتشديد القاف وتخفيفها فيه ؛ فاذا كان الصواب فى القراءة هو ما اخترنا بالذى عليه دللنا ، فتأويل الكلام : وكلّ إنسان منكم يا معشر بنى آدم ، ألزمناه نحسه وسعده ، وشقائه وسعادته ، بما سبق له فى علمنا أنه صائر إليه ، وعامل من الخير والشرّ فى عنقه ، فلا يجاوز فى شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله ، وما كتبنا له أنه صائر إليه ، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التى عملها فى الدنيا ، وبطائره الذى كتبنا له ، وألزمناه إياه فى عنقه ، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) قال : هو عمله الذى عمل أحصى عليه ، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) : أى عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ)

فِي عُنُقِهِ) قَالَ : عَمَلُهُ (وَنُخْرِجُ لَهُ) قَالَ : نُخْرِجُ ذَلِكَ الْعَمَلُ (كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) قَالَ مَعْمَرُ :
 وَتَلَا الْحَسَنُ (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ) يَا ابْنَ آدَمَ بَسَطْتَ لَكَ صَحِيفَتَكَ ، وَوَكَّلْتَ بِكَ مَلَكًا
 كَرِيمًا ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ . فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ . وَأَمَّا الَّذِي
 عَنْ شِمَالِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ ، حَتَّى إِذَا مَتَّ طُؤِيتَ صَحِيفَتَكَ ، فَجَعَلْتَ
 فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ ، حَتَّى تَخْرُجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (اِقْرَأْ كِتَابَتَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ
 الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) قَدْ عَدَلَ وَاللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : طَائِرُهُ : عَمَاهُ ، وَنُخْرِجُ لَهُ
 بِذَلِكَ الْعَمَلِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا .

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) : أَي حِظَّهُ مِنْ
 قَوْلِهِمْ : طَارِسُهُمْ فَلَانُ بِكَذَا : إِذَا خَرَجَ سَهْمُهُ عَلَى نَصِيبٍ مِنَ الْأَنْصِبَاءِ ، وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ ،
 فَإِنْ تَأَوَّلَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مَا قَالُوهُ إِلَى غَيْرِهِ ، عَلَى أَنْ
 مَاقَالَهُ هَذَا الْقَائِلُ ، إِنْ كَانَ عَنِ بَقَوْلِهِ حِظَّهُ مِنَ الْعَمَلِ وَالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ ، فَلَمْ يَبْعُدْ مَعْنَى قَوْلِهِ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى :

اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٥﴾

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) فَيَقَالُ لَهُ (اِقْرَأْ كِتَابَتَكَ
 كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) فَتَرَكُ ذَكَرَ قَوْلَهُ : فَتَقُولُ لَهُ ، اِكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ .
 وَعَنِ بَقَوْلِهِ (اِقْرَأْ كِتَابَتَكَ) : اِقْرَأْ كِتَابَ عَمَلِكَ الَّذِي عَمَلْتَهُ فِي الدُّنْيَا ، الَّذِي كَانَ كَاتِبَانَا يَكْتَبَانَهُ ، وَنَحْصِيهِ
 عَلَيْكَ (كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) يَقُولُ : حَسِبَكَ الْيَوْمَ نَفْسَكَ عَلَيْكَ حَاسِبًا يَحْسِبُ عَلَيْكَ
 أَعْمَالَكَ ، فَيَحْصِيهَا عَلَيْكَ ، لِأَنَّهُ تَعْنَى عَلَيْكَ شَاهِدًا غَيْرَهَا ، وَلَا نَطْلُبُ عَلَيْكَ مَحْصِيًا سِوَاهَا .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (اِقْرَأْ كِتَابَتَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
 عَلَيْكَ حَسِيبًا) سَيَقْرَأُ يَوْمَئِذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ أَهْدَى فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ فَاتَّبَعَهُ ، وَذَلِكَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ) يَقُولُ : فَلَيْسَ يَنْفَعُ بَازِوْمَهُ الْاسْتِقَامَةَ ، وَإِيْمَانَهُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غَيْرِ
 نَفْسِهِ (وَمَنْ ضَلَّ) يَقُولُ : وَمَنْ جَارَ عَنْ قِصْدِ السَّبِيلِ ، فَأَخَذَ عَلَى غَيْرِ هَدًى ، وَكَفَرَ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق ، فليس يضرّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه ، لأنه يوجب لما بذلك غضب الله وأليم عذابه . . وإنما عنى بقوله (فَأَنَّمَا يَبْضِلُ عَلَيْهَا) وإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها ، وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يعنى تعالى ذكره : ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام . وقال (وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) لأن معناها : ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه : وزرت كذا أزره وزرا ، والوزر : هو الإثم ، يجمع أوزارا ، كما قال تعالى (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) وكأن معنى الكلام : ولا تأثم آثمة إثم أخرى ، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ، ولا يؤخذ إلا بعمله .

وقوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكى قوم إلا بعد الإعدار إليهم بالرسول ، وإقامة الحججة عليهم بالآيات التى تقطع عذرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا ، أو يأتيه من الله بيئنة وليس معذبا أحدا إلا بذنبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ، قال : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله تبارك وتعالى نسمة الذين ماتوا فى الفترة والمعنوه والأصم والأبكم ، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا ، ثم أرسل رسولا ، أن ادخلوا النار ، فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ، وإيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ، ثم يرسل إليهم ، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل ؛ قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة نحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مُّتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا كُفْرًا ۝١٧

اختلفت القراء فى قراءة قوله (أَمْرًا مُّتْرَفِيهَا) فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (أَمْرًا) بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، فإن الأغلب من تأويله : أمرنا مترفيا بالطاعة ، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله ، وخلافهم أمره ، كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (أمرنا مُتَرَفِيهَا) قال : بطاعة الله ، فعصوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا شريك ، عن سلمة أو غيره ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرنا بالطاعة فعصوا . وقد يحتمل أيضا إذا قرئ كذلك أن يكون معناه : جعلناهم أمراء ففسقوا فيها ، لأن العرب تقول : هو أمير غير مأمور : وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيا ، ويحتاج لتصحيحه ذلك بالخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ الْمَالِ مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْمُورَةٌ » ويقول : إن معنى قوله : مأمورة : كثيرة النسل . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قبله ، ولا يميزنا أمرنا ، بمعنى أكثرنا إلا بمدّ الألف من أمرنا . ويقول في قوله « مهرة مأمورة » : إنما قيل ذلك على الاتباع لمحبي مأمورة بعدها ، كما قيل : « ارجعن مأمورات غير مأمورات » فهمز مأزورات لهمز مأجورات ، وهي من وزرت إتباعا لبعض الكلام بعضا . وقرأ ذلك أبو عثمان (أمرنا) بتشديد الميم ، بمعنى : الإمارة .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم عن عوف ، عن أبي عثمان النهدي أنه قرأ (أمرنا) مشددة من الإمارة . وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل ، جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أمرنا مُتَرَفِيهَا) يقول : سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَسْمَكُروا فِيهَا) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يحدث عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، أنه قرأها (أمرنا) وقال : سلطنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي حفص ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : (أمرنا) مثقلة : جعلنا عليها مترفيا : مستكبريا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى (أمرنا مُتَرَفِيهَا) قال : بعثنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ،

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك (أمرنا) بمدّ الألف من أمرنا ، بمعنى : أكثرنا فسقتها . وقد وجه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ، إلا أن الذين حدثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك ، وكيف قرأ ذلك المتأولون ، إلا القائل منهم .

ذكر من تأول ذلك كذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) يقول : أكثرنا عددهم .
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) أقال : أكثرناهم .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) قال : أكثرناهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبد بن سليمان ، قال : سمعت الضمحاك يقول في قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) يقول : أكثرنا مترفيها : أي كبراءها .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) فحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) يقول : أكثرنا مترفيها : أي جبابرتها ، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله (فَمَدَّ مَرْنَاهَا تَدْمِيرًا) وكان يقال : إذا أراد الله بقوم صلاحا ، بعث عليهم مصلحا . وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا ، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) قال : أكثرناهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول : « لا إلهَ إلا اللهُ وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مِثْلُ هَذَا ، وحلقت بين إيهامه والتي تايها ، قالت : يا رسول الله أمهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعمم إذا كثر الخبيث » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) قال : ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا : أكثرنا . قال : والعرب تقول للشيء الكثير أمر لكثيره . فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا ، فإنه يقال : أمر بنو فلان ، وأمر القوم يأمرهم ، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم ، كما قال لبيد :

إِنْ يُغْبَطُوا يُغْبَطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْمًا يَبْصُرُوا لِلْقُلِّ وَالنَّفْدِ

والأمر المصدر ، والاسم الإمر ، كما قال الله جل ثناؤه (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا) قال : عظيما ، وحكى في مثل شر إمر : أي كثير .

(١) البيت في ديوان لبيد طبع فينا سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ص ١٩ وفي روايته آخر البيت : « للهلك والنكد » في موضع : للقل والنقد في رواية المؤلف . وقال شارحه : يقول : إن غبطوا يوما فإنهم يموتون . ويهبطوا هاهنا يموتون . قال أبو الحسن : وهو قول أبي عمرو . ويروي : « إن يغبطوا : يموتون غبطة ، كأنهم يموتون من غير مرض . ويقال للناقة إذا ذبحت من غير علة : اعتبطت ، أخذ من العبيط . والعبيط : الطرى من كل شيء » اه . قلت : والقند النقد بمعنى القلة والغناء .

﴿ وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ (أمرنا مستتر فيها) بقصر الألف من أمرنا وتخفيف لميم منها ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها . وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة ، فأولى التأويلات به تأويل من تأوله : أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها ، فحق عليهم القول ، لأن الأغلب من معنى أمرنا : الأمر ، الذى هو خلاف النهى دون غيره ، وتوجيه معانى كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه ، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره .

ومعنى قوله (فَفَسَقُوا فِيهَا) : فخالفوا أمر الله فيها ، وخرجوا عن طاعته (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) يقول : فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها ، وعيد الله الذى أوعدهم من كفر به ، وخالف رسله ، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسول والحجج (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) يقول : فخرَّبناها عند ذلك تخريباً ، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً ، كما قال الفرزدق :

وكان لهم كبكر ثمود لما رغا ظهراً فدمرهم دماراً

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤٤﴾

﴿ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذتى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركى قريش ، وتهديدهم لهم بالعقاب ، وإعلام منه لهم ، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام أنه محل بهم سخطه ، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا فى الكفر بالله ، وتكذيب رساله سييلهم ، يقول الله تعالى ذكره : وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به ، وتكذيب رسله ، على مثل الذى أنتم عليه ، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم ، لأنه لامناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه ، فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين ، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين ؛ يقول جل ثناؤه : فأنبأوا إلى طاعة الله ربكم ، فقد بعثنا إليكم رسولا ينهكم على حججنا عليكم ، ويوقظكم من غفالتكم ، ولم تكن لنعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولا منبها لهم على حجج الله ، وأنتم على فسوقكم مقيمون ، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيراً : يقول : وحسبك يا محمد بالله خابراً بذنوب خاقه عالماً ، فإنه لا يخفى عليه شىء من أفعال مشركى قومك هؤلاء ، ولا أفعال

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٤٤٣) استشهد به المؤلف على أن قوله تعالى : « فدمرناها تدميراً » معناه : خربناها تخريباً .

والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التى مطلعها :

ألا حتى الديار بسعدانى أحب لحب فاطمة الديارا

والضمير فى قوله « وكان لهم كبكر ثمود » راجع إلى جرير المذكور فى البيت قبله وهو :

جرر المخزيات على كئيب جرير ثم ما منع الدمارا

وبكر ثمود : ولد ناقة صالح . ورغا : صوت . والرغاء : صوت ذوات الحف .

غيرهم من خلقه ، هو بجميع ذلك عالم خابر بصير ، يقول : يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .
وقد اختلف في مبلغ مدة القرن ، فحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : القرن : عشرون ومئة سنة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن كان ، وآخرهم يزيد بن معاوية .
وقال آخرون : بل هو مئة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصي أبو الصلت الطائي ، قال : ثنا سلامة بن حواس ، عن محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن بسر المازني ، قال : وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال : « سَيَعِيشُ هَذَا الْعُلَامُ قَرْنًا ، قلت : كم القرن ؟ قال : مِئَةٌ سِنَةٌ . »
حدثنا حسان بن محمد ، قال : ثنا سلامة بن حواس ، عن محمد بن القاسم ، قال : مازلنا نعد له حتى نمت مئة سنة ثم مات : قال أبو الصلت : أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر .
وقال آخرون في ذلك بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاعر ، عن ابن سيرين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقَرْنُ أَرْبَعُونَ سِنَةً » .
وقوله (وَكَفَيْتَ بِرَبِّكَ) أدخلت الباء في قوله (بِرَبِّكَ) وهو في محل رفع ، لأن معنى الكلام : وكفاك ربك ، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيراً ، دلالة على المدح ، وكذلك تفعل العرب في كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم ، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم : أكرم به رجلاً ، وناهيك به رجلاً ، وجاد بثوبك ثوباً ، وطاب بطعامكم طعاماً ، وما أشبه ذلك من الكلام ، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت ، لأنها في محل رفع ، كما قال الشاعر :

وَيُخْبِرُنِي عَنِّ غَائِبِ الْمَرْءِ هَدِيَّةٌ كَفَيْتَ الْهَمْدِي عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذم فلا يدخلون في الاسم الباء ؛ لا يجوز أن يقال : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، إلا أن تريد : قام رجل آخر به ، وذلك معنى غير المعنى الأول .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٨) قال : « وكل ما في القرآن من قوله : « وكفى ببربك) ، و (كفى بالله) و (كفى بنفسك اليوم) : فلو أقيت الباء ، كان الخوف مرفوعاً ، كما قال الشاعر : « ويخبرني . . . البيت » . وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه ؛ ألا ترى أنك تقول : كفاك به ، ونهاك به ، وأكرم به رجلاً ، وبئس به رجلاً ، ونعم به رجلاً ، وطاب بطعامك طعاماً ، وجاد بثوبك ثوباً . ولو لم يكن مدحاً أو ذماً لم يجر دخولها ؛ ألا ترى أن الذي يقول : قام أخوك . أو قد أخوك ، لا يجوز له أن يقول : قام بأخيك ، ولا قد بأخيك ؛ إلا أن تريد قام به غيره وقعد به . اهـ . وقد اعترف المؤلف من كلام الفراء ما شاء ، غير أنه لم يعزه إلى قائله في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا

مَذْحُورًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى ، وإياها يبتغي ، لا يوقن بمعاد ، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول : يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه ، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به ، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا) يقول : ثم أصليناها عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم ، (مَذْمُومًا) على قلة شكره إيانا ، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا (مَذْحُورًا) يقول : مبعدا : مقصي في النار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته ، عجل الله له فيها ما يشاء ، ثم اضطره إلى جهنم ، قال (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا) مذهبوما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة ، أنه سمع أبا إسحاق الفزاري يقول : (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) قال : لمن نريد هلكته .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَذْمُومًا) يقول : ماوما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) قال : العاجلة : الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : من أراد الآخرة وإياها طلب ، ولها عمل عماها ، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه ، وأضاف السعي إلى الهاء والألف ، وهي كناية عن الآخرة ، فقال : وسعى الآخرة سعي الآخرة ، ومعناه : وعمل لها عملها لمعرفة السامعين بمعنى ذلك ، وأن معناه : وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن ، يقول : هو مؤمن مصدق

بشواب الله . وعظيم جزائه على سعيه لها . غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة . يقول الله جل ثناؤه :
 (فَأُولَٰئِكَ) يعني : فمن فعل ذلك (كَانَ سَعِيهِمْ) يعني عملهم بطاعة الله (مَشْكُورًا) وشكر الله
 إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة . وتجاوزته لهم عن سيئها برحمته .
 كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ
 لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) . فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا) شكر الله لهم حسناتهم ، وتجاوز
 عن سيئاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

✽ يقول تعالى ذكره : يمدّ ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة ، ومريدي الآخرة ، الساعى
 لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه ، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد ، واستيفأهما
 الأجل ما كتب لهما ، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات ، وتفترق بهما بعد الورود المصادر ، وفريق
 مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم ، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مأبهم (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
 مَحْظُورًا) يقول : وما كان عطاء ربك الذي يؤتاه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا عن بسطه عليه لا يقدر
 أحد من خلقه منعه من ذلك ، وقد آتاه الله إياه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ
 وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) : أى منقوصا ، وإن الله عز وجل
 قسم الدنيا بين البرّ والفاجر ، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
 مَحْظُورًا) قال : منقوصا .

حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت
 السراج ، قال : سمعت الحسن يقول (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) قال : كلا
 نعطي من الدنيا البرّ والفاجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (مَنْ
 كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ) . . . الآية (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ) . . . ثم قال (كُلًّا
 نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) قال ابن عباس : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد
 الآخرة . قال ابن جريج (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) قال : ممنوعا .

حدثنا بشر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلِمَاتٌ نَمِيدٌ هَوَالَاءِ وَهَوَالَاءِ)
 أهل الدنيا وأهل الآخرة (مِينَ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) قال : ممنوعاً .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلِمَاتٌ نَمِيدٌ هَوَالَاءِ
 وَهَوَالَاءِ) أهل الدنيا وأهل الآخرة (مِينَ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) من برّ ولا
 فاجر ، قال : والمحظور : الممنوع ، وقرأ (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ
 أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ، وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم
 أحدهما الدار العاجلة ، وإياها يطالب ، ولها يعمل ؛ والآخر الذي يريد الدار الآخرة ، ولها يسعى موقناً
 بثواب الله على سعيه ، كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر ، بأن بصرنا هذا رشده ، وهديناه للسبيل التي
 هي أقوم ، ويسرناه للذي هو أهدى وأرشد ، وخذلنا هذا الآخر ، فأضللناه عن طريق الحق ، وأغشيناه
 بصره عن سبيل الرشده (وَاللآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ) يقول : وفريق يريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة
 درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيل الله بعضهم على بعض من
 هؤالء الفريقين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ) : أي في الدنيا (وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) وإن للمؤمنين في الجنة
 منازل ، وإن لهم فضائل بأعمالهم ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بين أعلى أهل
 الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها » .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تجعل يا محمد مع الله شريكاً في ألوهته وعبادته ،
 ولكن أخلص له العبادة ، وأفرد له الألوهة ، فإنه لا إله غيره ، فإنك إن جعل معه إلهاً غيره ، وتعبده معه
 سواه ، تقعد مذموماً : يقول : تصير ملوماً على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه ،
 وتصيرك الشكر لغير من أولئك المعروف ، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره ،

مخذولا قد أسلمك ربك إن بغاك سوءا ، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولى ينصرك ويدفع عنك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخذُومًا) يقول : مذموما في نعمة الله . وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، فهو معنى به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

❖ يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله ، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره . وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا .

ذكر ما قالوا في ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) يقول : أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا زكريا بن سلام ، قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فقال : إنك عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرجل : قضى الله ذلك علي ، قال الحسن ، وكان فصيحاً : ما قضى الله : أى ما أمر الله ، وقرأ هذه الآية (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فقال الناس : تكلم الحسن في القدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) : أى أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه ، فهذا قضاء الله العاجل ، وكان يُقال في بعض الحكمة : من أرضى والديه : أرضى خالقه ، ومن أسخط والديه ، فقد أسخط ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وفي حرف ابن مسعود (وَوَصَّىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، قال : ثنا نصير بن أبي الأشعث ، قال : ثنا ابن حبيب ابن أبي ثابت ، عن أبيه ، قال : أعطاني ابن عباس مصحفا ، فقال : هذا على قراءة أبي بن كعب ، قال أبو كريب : قال يحيى : رأيت المصحف عند نصير فيه (وَوَصَّىٰ رَبُّكَ) يعني : وقضى ربك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) قال : وأوصى ربك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَوَصَّى رَبُّكَ بِالْأَلْيَةِ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن الضحاک بن مزاحم ، أنه قرأها (وَوَصَّى رَبُّكَ) وقال : إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا .

وقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) يقول : وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما . ومعنى الكلام : وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين ؛ فلما حذف « أن » تعلق القضاء بالإحسان ، كما يقال في الكلام : أمرك به خيرا ، وأوصيك به خيرا ، بمعنى : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف « أن » في تعلق الأمر والوصية بالخير ، كما قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّهَا جَافُونَا

وعمل يوصينا في الخير .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قراء الكوفيين (إِمَّا يَبْلُغَنَّ) على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد ، فوحدوا (يَبْلُغَنَّ) لتوحيده ، وجعوا قوله (أَوْ كِلَاهُمَا) معطوفا على الأحد . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (إِمَّا يَبْلُغَنَّ) على التثنية وكسر النون وتشديدها ، وقالوا : قد ذكر الوالدان قبل ، وقوله (يَبْلُغَنَّ) خبر عنهما بعد ما قدّم أسماءهما ، قالوا : والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة . قالوا : والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الألف والنون . قالوا : وقوله (أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) كلام مستأنف ، كما قيل : (فَعَمُّوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَمُّوا وَصَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ) وكقوله (وَأَسْرُوا النَّجْوَى) ثم ابتداء فقال (الَّذِينَ ظَلَمُوا) .

❖ وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك ، قراءة من قرأه (إِمَّا يَبْلُغَنَّ) على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما ، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين ، قد تنهى عند قوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ثم ابتداء قوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) .

وقوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ) يقول : فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما ، كما صبرا عليك في صغرك . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

(١) الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز . وهي من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به خيرا ، وأمرك به خيرا ، وكان معناه : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية وبالأمر ، قال الشاعر : « عجبت . . . الأبيات » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن ايث . عن مجاهد ، في قوله (فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا) قال : إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن ، فلا تقل لهما أفً تقدّرهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد إماما يببلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى ، وتميط عنهما الخلاء والبول ، كما كانا يميطانه عنك صغيرا ، ولا تؤذهما .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى « أف » ، فقال بعضهم : معناه : كل ما غلظ من الكلام وقبح . وقال آخرون : الأف : وسخ الأظفار والتف كل ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير . وللعرب في « أف » لغات ست رفعتها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها ، فمن خفض ذلك بالتنوين ، وهي قراءة عامة أهل المدينة . شبهها بالأصوات التي لا معنى لها ، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق : فخفضوا القاف ونونوها ، وكان حكمها السكون ، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف ، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين ، فحركوا إلى أقرب الحركات من السكون ، وذلك الكسر ، لأن المجزوم إذا حرك ، فإنما يحرك إلى الكسر . وأما الذين خفضوا بغير تنوين ، وهي قراءة عامة قرآء الكوفيين والبصريين ، فإنهم قالوا : إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا ، كالذي يأتي على حرفين مثل وه ووه وبخ ، فيتمم بالتنوين لتقصانه عن أبدية الأسماء . قالوا : وأف تام لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره ، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف . قالوا : وإنما كسرنا الغاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين . وأما من ضمّ ونون ، فإنه قال : هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب وليس بصوت ، وعدل به عن الأصوات . وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين ، فإنه قال : ليس هو باسم متمكن فيُعرب بأعراب الأسماء المتمكنة ، وقالوا : نضمه كما نضمّ قوله (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) : وكما نضمّ الاسم في النداء المفرد ، فنقول : يا زيد . ومن نصبه بغير تنوين ، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم : مد يا هذا ورد . ومن نصب بالتنوين ، فإنه أعمل الفعل فيه ، وجعله اسما صحيحا ، فيقول : ما قلت له : أفا ولا تفا . وكان من نصب بالتنوين ، فإنه أعمل الفعل فيه ، وجعله اسما صحيحا ، فيقول : ما قلت له : أفا ولا تفا . وكان بعض نحوي البصرة يقول : قرئت : أف ، وأفا لغة جعلوها مثل نعتها . وقرأ بعضهم « أف » ، وذلك أن بعض العرب يقول : « أف لك » على الحكاية : أي لا تقل لهما هذا القول . قال : والرفع قبيح ، لأنه لم يجيء بعده بلام ، والذين قالوا : « أف » فكسروا كثير ، وهو أجود . وكسر بعضهم ونون . وقال بعضهم : « أف » ، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه ، فقال : أفى هذا لكما ، والمكسور من هذا منون وغير منون على أنه اسم غير متمكن ، نحو أمس وما أشبهه ، والمفتوح بغير تنوين كذلك . وقال بعض أهل العربية : كل هذه الحركات الست تدخل في « أف » حكاية تشبه بالاسم مرة وبالصوت أخرى . قال : وأكثر ما تُكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل وه ووه وبخ . وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت

بالأدوات « أف » مثل: لیت ومدّ ، وأُفّ مثل مُدّ يُشبهه بالأدوات ١ . وإذا قال أفّ مثل صهّ . وقالوا سمعت مضّ يا هذا وميضٌ . وحكى عن الكسائي أنه قال : سمعت « ما علمك أهلك إلا مضّ وميضٌ » ، وهذا كَأَفّ وأُفّ . ومن قال : « أُفّا » جعله مثل سُحُفاً وبعُداً .

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك ، قراءة من قرأه (فلا تَقُلْ لَهْمَا أُفّ) بكسر الفاء بغير تنوين لعلّتين : إحداهما : أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب ؛ والثانية : أن حظّ كلّ ما لم يكن له معرّب من الكلام السكون ؛ فلما كان ذلك كذلك . وكانت الفاء في أفّ حظها الوقوف ، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه . وكان حكم الساكن إذا حرّك أن يحرك إلى الكسر حرّكت إلى الكسر ، كما قيل : مُدّ وشُدّ ورُدّ الباب .

وقوله (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) يقول جلّ ثناؤه : ولا تزجرهما .

كما حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا واصل الرقاشي ، عن عطاء ابن أبي رباح ، في قوله (وَلَا تَقُلْ لَهْمَا أُفّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا) قال : لا تنفض يدك على والديك ، يقال منه : تنهّره ينهّره تنهّراً ، وانتهره ينهّره انتهاراً .

وأما قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) فإنه يقول جلّ ثناؤه : وقل لهما قولاً جميلاً حسناً . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) قال : أحسن ما تجد من القول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب (قَوْلًا كَرِيمًا) قالوا : لا تمتنع من شيء يريدانه . قال أبو جعفر : وهذا الحديث خطأ ، أعني حديث هشام بن عروة ، إنما هو عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، ليس فيه عمر ، حدثت عن ابن عياض وغيره ، عن عبد الله بن المختار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) : أي قولاً ليّنًا سهلاً .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حرمة بن عمران ، عن أبي الهذّاج التّجيبّي ، قال قلت لسعيد بن المسيب : كلّ ما ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن من برّ الوالدين ، فقد عرفته ، إلا قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) ما هذا القول الكريم ؟ فقال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد الفظّ

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

(١) ليس كلام المؤلف في تخريج اللغات الست في كلمة « أف » واضحا ، وقد بيّنته الماچم (اللسان : أف) ، انظر معاني القرآن للقراء (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٩) ففيه ما يوضح هذا الموضوع من كلام المؤلف ، وهو كثير لم نرد أن نطوّل به ذبول الكتاب .

يقول تعالى ذكره : وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمرك به مما لم يكن لله معصية ، ولا تخالفهما فيما أحببنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَإِخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء يحببانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، قال : سمعت هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَإِخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحببانه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا الثوري ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَإِخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء أحببانه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَإِخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن لا تمتنع من شيء يريدانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن ، عن حرملة بن عمران ، عن أبي الهذاج ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : ما قوله (وَإِخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفظ الغايظ . والذُّلُّ بضم الذاو والذَّلَّةُ مصدران من الذليل ، وذلك أن يتدلل ، وليس بذليل في الحلقة من قول القائل : قد ذللت لك أذل ذلة وذلا ، وذلك نظير القل والقلة ، إذا أسقطت الهاء ضمت الذاو من الذُّلِّ ، والقاف من القُلِّ ، وإذا أثبتت الهاء كُسِرَتِ الذاو من الذَّلَّةِ ، والقاف من القِلَّةِ ، لما قال الأعشى :

وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبًا

يريد : القلة . وأما الذُّلُّ بكسر الذاو وإسقاط الهاء فإنه مصدر من الذَّلُولِ من قولهم : دابة ذلول : بينة الذلِّ ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة . ومنه قول الله جل ثناؤه (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُكُولًا) يُجمع ذلك ذُلُّلاً ، كما قال جل ثناؤه (فاسئلكم سُبُلَ رَبِّكُمْ ذُلُّلاً) . وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لا يتوَعَّرُ عليها مكان ساكنته .

(١) هذا عجز بيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١١٥) من قصيدة يهجو بها عمرو بن المنذر بن عبدان ، ويعاتب بنى سعد بن قيس . وصدره : « فأرضوه أن أعطوه مني ظلامة » . وقال في (لسان العرب : زيب) الأزيب : الدعى ؛ قال الأعشى يذكر رجلاً من قيس عيلان ، كان جاراً لعمرو بن المنذر ، وكان آتهم هداجا قائد الأعشى بأنه سرق راحلة له ، لأنه وجد بعض لحمها في بيته ، فأخذ هداج وضرب والأعشى جالس ؛ فقام ناس منهم فأخذوا من الأعشى قيمة الراحلة ، فقال الأعشى :

دَعَا رَهْطَهُ حَوْلِي فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ وَنَادَيْتُ حَيًّا بِالمُسْتَنَاءِ غُيْبًا
فَأَعْطَوْهُ مِنِّي النِّصْفَ أَوْ أَضْعَفُوا لَهُ وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبًا

أي كنت غريباً في ذلك الموضع ، لاناصر لي . والنصف : النصفه . يقول : أرضوه وأعطوه النصف أو فوقه . والقل من الرجال الخسيس ، ومنه قول الأعشى هـ .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام (وَاخْفِضْ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِّ) بضم اللام على أنه مصدر من الدليل . وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدري (جَنَاحَ الذَّلِّ) بكسر الدال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ (وَاخْفِضْ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولاً .
حدثنا نصر بن علي ، قال : أخبرني عمر بن شقيق ، قال : سمعت عاصم الجحدري يقرأ (وَاخْفِضْ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولاً .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عمر بن شقيق ، عن عاصم ، مثله .
قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل الذي تأوله عاصم كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الدال لا بكسرها وبكسرها .

حدثنا نصر وابن بشار ، وحدثت عن الفراء ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (وَاخْفِضْ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِّ) قال الفراء : وأخبرني الحكيم بن ظهير ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه قرأها الذَّلُّ أيضا ، فسألت أبا بكر فقال : الذَّلُّ قرأها عاصم .
وأما قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فإنه يقول : ادع الله لوالديك بالرحمة ، وقل رب ارحمهما ، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك ، كما تعطفنا على في صغري ، فرحماني ورباني صغيرا ، حتى استقلت بنفسي ، واستغنيت عنهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاخْفِضْ لَهْمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) هكذا علمتم ، وبهذا أمرتم ، خلدوا تعلم الله وأدبه ، ذكر لنا « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو ماد يديه رافع صوته يقول : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ » . ولكن كانوا يرون أنه من بر والديه ، وكان فيه أدنى ثنى ، فإن ذلك مبلغه جسم الخير . وقال جماعة من أهل العلم : إن قول الله جل ثناؤه (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) منسوخ بقوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) ثم أنزل الله عز وجل بعد هذا (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال

في سورة بني إسرائيل (إِمَّا يَبْلُغَانِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) . . . إلى قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِيمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فنسخها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرَبَىٰ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِيمَا) . . . الآية ، قال : نسخها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية . وقد تحتل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاماً في كل الآباء بغير معنى النسخ ، بأن يكون تأويلها على الخصوص ، فيكون معنى الكلام : وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين ، كما ربياني صغيراً ، فتكون مراداً بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء . وعسى بقوله ربياني : نبياني .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره (رَبُّكُمْ) أيها الناس (أَعْلَمُ) منكم (بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من تعظيهم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكريمهم ، والبر بهم ، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بمحقوقهم ، والعقوق لهم ، وغير ذلك من ضائر صدوركم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه ، فاحذروا أن تُضمروا لهم سوءاً ، وتعقدوا لهم عقوقاً . وقوله (إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ) يقول : إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه ، فإنه كان للأوابين بعد الزلة ، والتائبين بعد الهفوة غفوراً لهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي وعمي عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) قال : البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير ، فقال (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرني أبي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن حبيب بن أبي ثابت ، في قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به . واختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) فقال بعضهم : هم المسبحون .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ؛ وحدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : المسبحين .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأواب : المسيح .

وقال آخرون : هم المطيعون المحسنون .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) يقول : للمطيعين المحسنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : هم المطيعون ، وأهل الصلاة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : للمطيعين المصلين .

وقال آخرون : بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن أبي صخر حميد بن زياد ، عن ابن المنكدر يرفعه (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : الصلاة بين المغرب والعشاء .

وقال آخرون : هم الذين يصلون الضحى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا رباح أبو سليمان الرقاء ، قال : سمعت عونا العنقيلي يقول في هذه الآية (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : الذين يصلون صلاة الضحى .

وقال آخرون : بل هو الراجع من ذنبه ، التائب منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال : الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا سليمان بن داود ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب في هذه الآية (فإنه كان للأوابين غفوراً) .

حدثنا مجاهد بن موسى . قال : ثنا يزيد . قال : أخبرنا يحيى بن سعيد . أنه سمع سعيد بن المسيب يُسأل عن هذه الآية (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : ثنا جرير بن حازم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن المسيب ، بنحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا مالك . عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو العبد يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ومعمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، قال : الأواب : الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الراجعين إلى الخير .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، جميعا عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الذى يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأواب : الذى يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، أنه قال في هذه الآية (إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الذى يذكر ذنبه ثم يتوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله جل ثناؤه (لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الأوابون : الراجعون التائبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد ، بن عمير ، قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : الذى يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله لها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عطاء ابن يسار ، أنه قال في قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) يذنب العبد ثم يتوب ، فيتوب الله عليه ، ثم يذنب فيتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب الثالثة ، فإن تاب ، تاب الله عليه توبة لا تمتحى .

وقد روى عن عبيد بن عمير ، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، في قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : كنا نعدّ الأواب : الحفيظ ، أن يقول : اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : الأواب : هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، ومما يكرهه إلى ما يرضاه ، لأن الأواب إنما هو فعّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال ، كما قال عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَشُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَشُوبُ

فهو يتوب أوبا ، وهو رجل آتب من سفره ، وأواب من ذنوبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١٧﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ) فقال بعضهم : عني به : قرابة الميت من قبل أبيه وأمه ، أمرا الله جل ثناؤه عباده بصلتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سألت رجلا الحسن ، قال : أعطيتي قرابتي زكاة مالي فقال : إن لهم في ذلك لحقا سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية (وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) قال : صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها : « أقفر من أهله ملحوب » . يقول : كل غائب تنتظر أوبته ، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا . والبيت شاهد على أن الأواب الرجاء ، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة ، من آب يشوب إذا رجع (انظر اللسان : أوب) . وفيه أيضا : قال أبو بكر في قولهم : رجل أواب ، سبعة أقوال : الراحم ، والتائب ، والمسيح ، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب ، والمطيع ، والذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه . اهـ . وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي ، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره .

قوله (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتجسُن إلى ابن السبيل .

وقال آخرون : بل عنى به قرابه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان : قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن للبيدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفأقرأت في بني إسرائيل (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) قال : وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ، قال : نعم .

❦ نؤاؤلى التأويلين عندى بالصواب ، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبيل آبائهم وأمهاتهم ، وذلك أن الله عز وجل عَقَّبَ ذلك عقيب حَضَّه عباده على بر الآباء والأُمَّهَات ، فالواجب أن يكون ذلك حَضًّا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجز لها ذكر . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلته إياه ، وبرك به ، والعطف عليه ، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ، يدل على ذلك ابتدائه الوصية بقوله جل ثناؤه (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا) فوجه الخطاب بقوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ) إلى إفراده به . والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل ، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عم به هو وجميع أُمَّته .

وقوله (وَالْمِسْكِينَ) وهو الذلّة من أهل الحاجة . وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله (وَابْنَ السَّبِيلِ) يعنى : المسافر المنقطع به ، يقول تعالى : وَصِلْ قَرَابَتَكَ ، فأعطه حقه من صلته إياه ، والمسكين ذا الحاجة ، والمجتاز بك المنقطع به ، فأعنه ، وقوه على قطع سفره . وقد قيل : إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام .

❦ والقول الأوّل عندى أولى بالصواب ، لأن الله تعالى لم يخص من حقوقه شيئاً دون شيء في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، فذلك عام في كل حق له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو معونة على سفره . وقوله (وَلَا تَبْذُرُوا تَبْذِيرًا) يقول : ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقاً . وأصل التبذير : التفريق في السرف ؛ ومنه قول الشاعر :

أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ
أَعَاصِيرَ مِينَ فِسْقِ الْعِرَاقِ الْمُبْدَرِ

(١) لم أقف على قائله . ويقال : أجار فلان فلانا : إذا خفاه ومنعه أن يظلمه ظالم . وجوارهم هنا بمعنى إجارتهم . والأعاصير : مع إعصار ، وهو الريح التي تستدير وتحمل ما على الأرض من تراب وغيره . والفسق : الخروج عن الطاعة أو عن جميل الأخلاق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيد بن ، قال : قال عبد الله في قوله (وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا) قال : التبذير في غير الحق ، وهو الإسراف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن ، قال : سئل عبد الله عن المبدّر فقال : الإنفاق في غير حق .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار يحدث عن أبي العبيد بن اضرير البصر ، أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا) قال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى ابن الجزار ، عن أبي العبيد بن ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عاينة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيد بن كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما التبذير؟ فقال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن ، وكانت به زمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما التبذير؟ فذكر مثله .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو الحوَّاب ، عن عمار بن زريق ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبي العبيد بن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن التبذير : النفقة في غير حقه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير العنبري ، قال : ثنا شعبة ، قال : كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة ، فأتى على دار تبني بخصّ وآجر ، فقال : هذا التبذير في قول عبد الله : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا يحيى بن أبي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن عباس . قوله (وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا) قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

= والمبدّر : اسم مفعول من التبذير ، وهو تفريق المال ونحوه وإفساده بالإسراف . قال في (اللسان : بذر) : والتبذير : إفساد المال وإنفاقه في السرف . وقيل : التبذير : أن ينفق المال في المعاصي . اهـ وعلى هذا المعنى استشهد المؤلف بالبيت .

(١) هو معاوية بن سبرة السوائي ، أبو العبيد بن مصفر عبيد بن ، الأعمى الكوفي . مات سنة ٩٨ هـ . (عن خلاصة الخرجي) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : لا تنفق في الباطل . فإن المبدّر : هو المسرف في غير حق .

قال ابن جريج وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً ، ولو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا) قال : التبذير : النفقة في معصية الله ، وفي غير الحق وفي الفساد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : بدأ بالوالدين قبل هذا ، فاما فرغ من الوالدين وحقهما ، ذكر هؤلاء وقال (لَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا) : لاتعطي في معاصي الله .

وأما قوله (إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) فإنه يعني : إن المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين ، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم : هو أخوهم (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) يقول : وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً لا يشكره عليها ، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله ، وركوبه معصيته ، فكذلك إخوانه من بني آدم المبدرون أموالهم في معاصي الله ، لا يشكرون الله على نعمه عليهم ، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه ، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خولهموها وجل عزّ سنته من ترك الشكر عليها ، وتلقاها بالكفران .

كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ) : إن المنفقين في معاصي الله (كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٧٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك ، ما لا تجد إليه سبيلاً ، حياء منهم ورحمة لهم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ) يقول : انتظار رزق تنتظره من عند ربك ، وترجو تيسير الله إياه لك ، فلا تؤيسهم ، ولكن قل لهم قولا ميسورا : يقول : ولكن عدوا جميلا ، بأن تقول : سيرزق الله فأعطيكم ، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغايظ ، كما قال جل ثناؤه (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَأَمَّا تَعْرِضْنَ)

عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال : انتظار الرزق (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) قال : لينا تعدُّهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ) قال : رزق (أَهْمُ يَتَقَسِّمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ) .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال : انتظار رزق من الله يأتيك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال : إن سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطهم ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره ترجوه (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) قال : عدم عدة حسنة ، إذا كان ذلك ، إذا جاءنا ذلك فعلنا ، أعطيناكم ، فهو القول الميسور .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : إن سألوك فلم يكن عندك ما تعطهم ، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة . قال : رزق تنتظره (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ) قال : انتظار رزق الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن عبيدة في قوله (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال : ابتغاء الرزق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) قال : أي رزق تنتظره (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) أي معروفا . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) قال : عدم خيرا . وقال الحسن : قل لهم قولاً لينا سهلاً .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ) يقول : لا نجد شيئاً تعطهم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ) يقول : انتظار الرزق من ربك ، نزلت فيمن كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم من المساكين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى حرمي بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى عمارة ، عن عكرمة في قول الله (فَتَقْبَلُ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا) قال : الرفق .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . في قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ) عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) إذا خشيت إن أعطيتهم ، أن يتقوا بها على معاصي الله عز وجل . ويستعينوا بها عليها ، فرأيت أن تمنعهم

خيرا ، فإذا سألوك (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) قولا جميلا : رزقك الله ، بارك الله فيك .
 وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية . بعيد المعنى ،
 مما يدل عليه ظاهرها ، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَإِمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ
 رَحْمَةٍ مِنِّي رَّبِّكَ تَرْجُوهَا) فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه
 يرجوها من ربه (قَوْلًا مَّيْسُورًا) وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة ، ان يخاو من أحد أمرين : إما أن يكون
 إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه . فيكون معنى الكلام كما قلناه ، وقاله أهل التأويل الذين
 ذكرنا قولهم . وخلاف قوله : أو يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمير نبي الله
 صلى الله عليه وسلم بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله ، فعاوم أن يخط الله
 على من كان غير مأمون منه صرّف ما أُعطى من نفقة ليتقوى بها على طاعة الله في معاصيه ، أخوف من رجاء
 رحمته له ، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته ، للأهل معاصيه ، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى
 أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ما سألوه ، لينبوا من معاصي الله ، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سألوه ،
 فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية ، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿١٧﴾

وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوى الأموال ،
 فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه ، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء .

وإنما معنى الكلام : ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة في حقوق الله ، فلا تنفق فيها شيئا إمساك
 المغالولة يده إلى عنقه ، الذي لا يستطيع بسطها (وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسِطِ) يقول : ولا تبسطها بالعطية
 كل البسط ، فتبقى لاشيء عندك ، ولا تجد إذا سئلت شيئا تعطيه سائلك (فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)
 يقول : فتقعد ياومك سائوك إذا لم تعطهم حين سألوك ، وتاومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه ،
 محسورا : يقول : معيبا ، قد انقطع بك ، لاشيء عندك تنفقه . وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها
 حتى انقطع سيرها ، وكأنت ورزحت من السير ، بأنه حسير ، يقال منه : حسرت الدابة قانا أحسرها ،
 وأحسرها حسرا ، وذلك إذا أنضيت بالسير ، وحسرت بالمسألة إذا سألته فألحفت ، وحسرت البصر فهو يحسير ،
 وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فككل . ومنه قوله عز وجل (يَسْتَقْسِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)
 وكذلك ذلك في كل شيء ككل وأزحف حتى يفضني .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هودة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَلَا تَجْعَلْ)

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) قال : لا تجعلها مغالولة عن النفقة (وَلَا تَبْسُطْهَا) : تبذر بسرف .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يوسف بن بهز ، قال : ثنا حوشب ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية
 (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)
 يقول : لا تطفّف برزقي عن غير رضاي ، ولا تضعه في سُخْطِي فأَسْأِبُكَ ما في يديك ، فتكون حسيرا ليس
 في يديك منه شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ : فَتَقْعُدَ مَلُومًا
 مَّحْسُورًا) يقول هذا في النفقة ، يقول (لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) يقول : لا تبسطها
 بالخير (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) يعني التبذير (فَتَقْعُدَ مَلُومًا) يقول : ياوم نفسه على ما فات من
 ماله (مَّحْسُورًا) يعني : ذهب ماله كاه فهو محسور .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا
 تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) يعني بذلك البخل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ
 عُنُقِكَ) : أي لا تمسكها عن طاعة الله ، ولا عن حقه (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) يقول : لا تنفقها
 في معصية الله ، ولا فيما يصاح لك ، ولا ينبغي لك ، وهو الإسراف . قوله (فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)
 قال : ماوما في عباد الله ، محسورا على ما سلف من دهره وفرط .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
 مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) قال : في النفقة ، يقول : لا تمسك عن النفقة (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)
 يقول : لا تبذر تبذيرا (فَتَقْعُدَ مَلُومًا) في عباد الله (مَّحْسُورًا) يقول : نادما على ما فرط منك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لا تمسك عن النفقة فيما
 أمرتك به من الحق (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) فيما نهيتك (فَتَقْعُدَ مَلُومًا) قال : مذنبا (مَّحْسُورًا)
 قال : منقطعا بك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
 إِلَىٰ عُنُقِكَ) قال : مغالولة لا تبسطها بخير ولا بعطية (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) في الحق والباطل ،
 فينفد ما معك ، وما في يديك ، فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك ، فياومك حين أعطيت هؤلاء ،
 ولم تعطهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده ، فيوسع عليه ، ويقدر على من يشاء ، يقول : وَيُسْقِطُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ ، فيضيِّقُ عليه (إِنَّهُ كَتَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا) : يقول : إن ربك ذو خبرة بعباده ، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهاكبه . (بصيرا) : يقول : هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم ، يقول : فأنته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك ، من بسط يدك فيما تبسطها فيه ، وفيمن تبسطها له ، ومن كفها عن تكفها عنه ، وتكفها فيه ، فيحن أعلام بمصالح العباد منك ، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم .

كالذي حدثني يوس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد : ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع ، فقال : (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) قال : يقدر : يقل ، وكل شيء في القرآن يقدر كذلك ؛ ثم أخبر عباده أنه لا يرزؤه ولا يشوده أن لو بسط عليهم ، ولكن نظرنا لهم منه ، فقال (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) قال : والمرب إذا كان الحصب وبسط عليهم أتتروا ، وقتل بعضهم بعضا ، وجاء الفساد ، فإذا كان السنة شغوا عن ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) يا محمد (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ، (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) فوضع تقتلوا نصب عطفًا على ألا تعبدوا .

وبعني بقوله (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) خوف إقتار وفقر . وقد بيننا ذلك بشواهد فيما مضى ، وذكرنا الرواية فيه . وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب ، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) : أي خشية الفاقة ، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة ، فوعظهم الله في ذلك ، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله ، فقال (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) قال : كانوا يقتلون البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) قال : الفاقة والفقر .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) يقول : الفقر .

وأما قوله (إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) فإن القراء اختلفت في قراءته ؛ فقراءته عامة قراء أهل المدينة والعراق (إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) بكسر الخاء من الخطأ وسكون الطاء . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كان له وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون اسما من قول القائل : خَطِطْتُ فَأَنَا أَخْطَأُ ، بمعنى : أذنبت وأثمت . ويُحكى عن العرب : خَطِطْتُ : إذا أذنبت عمدا ، وأخطأت : إذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له . والثاني : أن يكون بمعنى خطأ بفتح الخاء والطاء ، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء ، كما قيل : قَتَبَ وَقَتَبَ وَحَدَرَ وَحَدَرَ ، وَنَجَسَ وَنَجَسَ . والخطأ بالكسر اسم ، والخطأ بالفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم : خَطِطِي الرجل ، وقد يكون اسما من قولهم : أخطأ . فأما المصدر منه فالإخطاء . وقد قيل : خَطِطِي ، بمعنى أخطأ ، كما قال الشاعر :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِطْنَ كَاهِلًا

بمعنى : أخطأن . وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة (إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا) بفتح الخاء والطاء مقصورا على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم : أخطأ فلان خطأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة (إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا) بفتح الخاء والطاء ، ومدَّ الخَطْءَ بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء ، غير أنه يخالفه في مدَّ الحرف . وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخطأ والخطأ بمعنى واحد ، إلا أن بعضهم زعم أن الخطأ بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع الخطأ بكسر الخاء وسكون الطاء ، في شيء من كلامهم وأشعارهم ، إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء :

الخطأ فاحشة والبر نافلة
كعجوة غرست في الأرض تؤتبر^٢

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ينسب إلى امرئ القيس بن حجر الكندي ، من مقطوعة تسعة أبيات ، (نختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ١٠٥) قالها حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه . ومعنى يالهف : يأسف أو ياحسرة . وهند أخته . وخطن : يعني الخيل ، أي أخطأن . وكان قد طلب بني كاهل من بني أسد ليلا ، فأوقع بين كنانة خطأ ، وهرب منه بنوكاهل . وهذا البيت هو أول الأبيات في الأغاني والعقد الثمين لوليم ألورد . ومحل الشاهد في البيت أن خطي خطأ ، وأخطأ إخطاء : لغتان بمعنى واحد إذا عمل شيئا وأخطأ فيه عن غير تعمد كما في البيت والخطأ ، بكسر الخاء وسكون الطاء اسم مصدر بمعنى المصدر وبعض اللغويين يقول : إن خطي خطأ معناه وقع في الإثم عن تعمد ، بخلاف أخطأ ، فإنه عن غير تعمد .

(٢) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن بعضهم زعم أن الخطأ (بكسر الخاء وسكون الطاء) في القراءة أكثر ، وأن الخطأ (بفتح الخاء وسكون الطاء) في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء : الخطأ فاحشة . . . الخ البيت) . ولم أقف على البيت ولا قائله في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة . غير أن الفراء قال : قرأ الحسن : خطأ كبيرا بالمد ، وقرأ أبو جعفر المدني : خطأ كبيرا ، قصر و همز ، وكل صواب . وكان الخطأ الإثم ، وقد يكون في معنى خطأ بالقصر ، كما قالوا : قتب وقتب وحذر وحذر ونجس ونجس . ومثله قراءة من قرأ : (هم أولاء على أثرى)

وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الحاء وسكون الطاء وفتحهما .

﴿ وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب ، القراءة التي عاها قراء أهل العراق ، وعامة أهل الحجاز ، لإجماع الحجّة من القراء عاها ، وشذوذ ما عداها . وإن معنى ذلك كان إنما وخطيئة ، لاخطأ من الفعل ، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدا لاخطأ ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم ، وتقدم إليهم بالنهي عنه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خطئا ككبيرا) قال : أي خطيئة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إن قتلهم)
كان خطئا ككبيرا) قال : خطيئة . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : خطئا : أي خطيئة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٤٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن (لا تقربوا) أيها الناس (الزنا إنّه كان فاحشة) يقول : إن الزنا كان فاحشة (وساء سبيلا) يقول : وساء طريق الزنا طريقا ، لأنه طريق أهل معصية الله ، والمخالفين أمره ، فأسوى به طريقا يورد صاحبه نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٤٧﴾

﴿ يقول جل ثناؤه : وقضى أيضا أن (لا تقتلوا) أيها الناس (النفس التي حرم الله) قتلها (إلا بالحق) وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قود بنفس ، وإن كانت كافرة لم يتقدم كفرها إسلام ، فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وإنا والله ما نعلم بحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، إلا رجلا قتل متعمدا ، فعليه القود ، أو زنى بعد إحصانه فعليه الرجم ؛ أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة أو غيره ، قال : قيل لأبي بكر :

= وإثرى . والنافلة : ما يكون زيادة على الفرض . والمعجوة : أجود تمر المدينة ، كما في اللسان . وتوتبر : تصلح بالإبار ، ليجود ثمرها .

أُتْقِلَ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يُؤَدِي الزَّكَاةَ ، قَالَ : لَوْ مَنَعُونِي شَيْئًا مِمَّا أَقْرَوَا بِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاتِلِهِمْ فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيَّ اللَّهُ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذَا مِنْ حَقِّهَا .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَيَّ اللَّهُ ؛ قِيلَ : وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ : زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ ، وَكُفْرًا بَعْدَ إِيمَانٍ ، وَقَتْلًا نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِهَا » . وَقَوْلُهُ (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا) يَقُولُ : وَمَنْ قُتِلَ بِغَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ بِهَا كَانَ قَتْلًا بِحَقٍّ (فَقَدَّ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) يَقُولُ : فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَى قَاتِلِ وَلِيهِ ، فَإِنْ شَاءَ اسْتِقَادَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ بِوَلِيهِ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول ، فقال بعضهم في ذلك ، نحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدَّ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) قَالَ : بَيِّنَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا يَطْلُبُهَا وَلِيُّ الْمَقْتُولِ ، الْعَقْلُ ، أَوِ الْقَوْدُ ، وَذَلِكَ السُّلْطَانُ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (فَقَدَّ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) قَالَ : إِنْ شَاءَ عَفَا ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ .

وقال آخرون : بل ذلك السلطان : هو القتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدَّ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) وَهُوَ الْقَوْدُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك : أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس ، من أن لولي القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء العفو ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة : « أَلَا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَيْنَ أَنْ يُقْتَلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ » . وَقَدْ بَيَّنَّتِ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا : كِتَابُ الْجَرَاحِ .

وقوله (فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) اِخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْكَوْفَةِ (فَلَا تُسْرِفُ) بِمَعْنَى الْخَطَابِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ وَالْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ ، يَقُولُ : فَلَا

تقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً عمداً ولى القتل إلى الشريف من قبيلة القاتل . فقتله بوليه ، وترك القاتل ، فهى الله عز وجل عن ذلك عباده ، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام : قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف ، فلا تقتل به غير قاتله ، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والبصرة (فَلَا تُسْرِفْ) بالياء ، بمعنى فلا يسرف ولى المقتول . فيقتل غير قاتل وليه . وقد قيل : عنى به : فلا يسرف القاتل الأول لا ولى المقتول . والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى فى أحكام الدين ، قضاء منه بذلك على جميع عباده ، وكذلك أمره ونهيه بعضهم ، أمر منه ونهى جميعهم ، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض ، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بينّا فى كتابنا [كتاب البيان ، عن أصول الأحكام] فنعلم أن خطابه تعالى بقوله (فَلَا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان موجّهاً إليه أنه معنى به جميع عباده ، فكذلك نهيه ولى المقتول أو القاتل عن الإسراف فى القتل ، والتعدى فيه نهى لجميعهم ، فبأى ذلك قرأ القارىء فصيب صواب القراءة فى ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك نحو اختلاف القراء فى قراءتهم إياه .

ذكر من تأول ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلق بن حبيب ،

فى قوله (فَلَا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) قال : لا تقتل غير قاتله ، ولا تمثل به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير . عن منصور ، عن طلق بن حبيب ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن خصيف ، عن سعيد

ابن جبير ، فى قوله (فَلَا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) قال : لا تقتل اثنين بواحد .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک

يقول فى قوله (فَلَا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) إنه كان منسجوراً (كان هذا بمكة ، ونبي الله صلى الله عليه

وسلم بها ، وهو أول شىء نزل من القرآن فى شأن القتل ، كان المشركون يفتالون أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ، فقال الله تبارك وتعالى : من قتلكم من المشركين ، فلا يحملنكم قتله إياكم على أن تقتلوا له أبا

أو أخاً أو أحداً من عشيرته ، وإن كانوا مشركين ، فلا تقتلوا إلا قاتلكم ؛ وهذا قبل أن نزل براءة ، وقبل

أن يؤمروا بقتال المشركين ، فذلك قوله (فَلَا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) يقول : لا تقتل غير قاتلك ، وهى اليوم

على ذلك الموضع من المسلمين ، لا يحلّ لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم .

ذكر من قال : عنى به ولى المقتول

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَنْ قُتِلَ

مَظْلُومًا فَفَقَدُوا جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا) قال : كان الرجل يُقتل فيقول وليه : لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشرف قبيلته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) قال : لا تقتل غير قاتلك ، ولا تمثّل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) قال : لا يقتل غير قاتله ؛ من قَتَلَ بِحَدِيدَةٍ قُتِلَ بِحَدِيدَةٍ ؛ ومن قَتَلَ بِخَشَبَةٍ قُتِلَ بِخَشَبَةٍ ؛ ومن قَتَلَ بِحَجَرٍ قُتِلَ بِحَجَرٍ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنْ مَنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، أَوْ قَتَلَ بَدَخَنٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعته ، يعني ابن زيد ، يقول في قول الله جلَّ ثَنَاؤُهُ (وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَفَقَدُوا جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا) قال : إن العرب كانت إذا قُتِلَ مِنْهُمْ قَتِيلٌ ، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم ، حتى يقتلوا أشرف من الذي قتله ، فقال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ (فَفَقَدُوا جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا) ينصره وينتصف من حقه (فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) يقتل بريئا .

ذكر من قال عُنِيَ به القاتل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير عن مجاهد (فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) قال : لا يسرف القاتل في القتل .

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا ، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صوابا ، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب ، لاحتمال الكلام ذلك ، وإن في نهي الله جلَّ ثَنَاؤُهُ بعض خالفه عن الإسراف في القتل ، نهي منه جميعهم عنه .

وأما قوله (إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِيَ بالهاء التي في قوله (إِنَّهُ) وعلى ما هي عائدة ، فقال بعضهم : هي عائدة على ولي المقتول ، وهو المعنى بها ، وهو المنصور على القاتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) قال : هو دفع الإمام إليه ، يعني إلى الولي ، فإن شاء قتل ، وإن شاء عفا . وقال آخرون : بل عُنِيَ بها المقتول ، فعلى هذا القول هي عائدة على « مَن » في قوله (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) إن المقتول كان منصورا .

وقال آخرون : عُنِيَ بها دم المقتول ، وقالوا : معنى الكلام : إن دم القاتل كان منصورا على القاتل .

وأشبه ذلك بالصواب عندى . قول من قال : عُنِيَ بها الولي ، وعليه عادت ، لأنه هو المظالم . ووليه المقتول . وهدى إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول . وهو المنصور أيضا ، لأن الله جل ثناؤه قضى في كتابه المنزل . أن سلطه على قاتل وليه ، وحكمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء . واستبقاه على الدية إن أحب . والعنوة عنه إن رأى . وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه . فلذلك قلنا : هو المعنى بالماء التي في قوله (إنّه كان منصوراً) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل ، إسرافا وبدارا أن يكسبوا . ولكن اقربوه بالفعلة التي هي أحسن ، والخلعة التي هي أجمل ، وذلك أن تتصرفوا فيه له بالشمير والإصلاح والحيطة وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) لما نزلت هذه الآية : اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وإن تخالطوهم فإخوانكم) ، والله يعلم المفسد من المصلح) فكانت هذه لهم فيها رخصة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) قال : كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكلا ولا مركبا ، حتى نزلت (وإن تخالطوهم فإخوانكم) .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) قال : الأكل بالمعروف ، أن تأكل معه إذا احتجت إليه . كان أبي يقول ذلك .

وقوله (حتى يبلغ أشده) يقول : حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل ، وتدبير ماله ، وصلاح حاله في دينه (وأوفوا بالعهد) يقول : وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضا ، والبيوع والأشربة والإجازات ، وغير ذلك من العقود (إن العهد كان مسئولا) يقول : إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه ، يقول : فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم ، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه ، وتغدروا بمن أعطيتهموه ذلك . وإنما عني بذلك أن العهد كان مطلوبا ، يقال في الكلام : ليسئل فلان عهد فلان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ زُنُوبًا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَ) قضى أن (أَوْفُوا الْكَيْلَ) للناس (إِذَا كَلَّمْتُمْ) لهم حقوقهم قبيلكم ، ولا تبخسوه (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) يقول : وقضى أن زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم ، وهو العدل الذى لا اعوجاج فيه ، ولا دغَل ، ولا خديعة .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى القسطاس : فقال بعضهم : هو القبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا الحسن بن ذكوان . عن الحسن : (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) قال : القبان .

وقال آخرون : هو العدل بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : القسطاس : العدل بالرومية . وقال آخرون : هو الميزان صغر أو كبر ؛ وفيه لغتان : القسطاس بكسر القاف ، والقسطاس بضمها ، مثل القيرطاس والقيرطاس ؛ وبالكسر يقرأ عامة قراء أهل الكوفة ، وبالضم يقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وقد قرأ به أيضا بعض قراء الكوفيين . وبأيتهما قرأ القارىء فصيحا ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وقراءتان مستفيضتان فى قراء الأوصار .

وقوله (ذَلِكَ خَيْرٌ) يقول : إيماؤكم أيها الناس من تكيئون له الكيل ، ووزنكم بالعدل ان توفون له (خَيْرٌ لَكُمْ) من بخسكم إياهم ذلك ، وظلمكموهم فيه . وقوله (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) يقول : وأحسن مردودا عايكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم ، فيحسن لكم عايه الجزاء . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) ، ذلك خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أى خير ثوابا وعاقبة .

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول : يا معشر الموالى ، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا يقدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَعُهُ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ ، إِلَّا أَبَدَلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ . مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأحسن تأويلاً)
قال : عاقبة وثوابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٤٦﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) فقال بعضهم : معناه :
ولا تقل ما ليس لك به علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) يقول : لا تقل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) ،
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) لا تقل رأيت ، ولم تر وسمعت ولم
تسمع ، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم .

حدثت عن محمد بن ربيعة ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن الحنفية قال :
شهادة الزور .

وقال آخرون : بل معناه : ولا ترم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) يقول : لا ترم أجدا بما ليس لك به علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَقْفُ) ولا ترم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ، ورمى الناس
بالباطل ، وادعاء سماع ما لم يسمعه ، ورؤية ما لم يره . وأصل القفو : العضة والبهت . ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم : « أَنَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بَنِي كِنَانَةَ لَانَقَفُوا أَمْنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنَّا أَبِينَا » ، وكان
بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا :

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ الْعَرَائِينِ سَاكِنٌ بَيْنَ الْحَيَاءِ لَا يُشِيعُنَ التَّقَافِيَا
يعنى بالتقافى : التقاذف . ويزعم أن معنى قوله (لا تَقْفُ) لا تتبع ما لا تعلم ، ولا يعنيك . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة ، يزعم أن أصله القيافة ، وهى اتباع الأثر ، وإذ كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة (ولا تَقْفُ) بضم القاف وسكون الفاء ، مثل : ولا تقل . قال : والعرب تقول : قفوت أثره ، وقفت أثره ، فتقدم أحيانا الواو على الفاء وتؤخرها أحيانا بعدها ، كما قيل : قاع الحمل الناقة : إذا ركبها وقعا وعاث وعثى ؛ وأنشد سماعا من العرب :

وَلَوْ أَنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ
لَعَاقَاكَ مِنْ دُعَاءِ الذَّنْبِ عَاقٍ ٢

يعنى عائق ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب .

❖ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : لا تقل للناس ، وفيهم ما لا علم لك به ، فرميهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحق ، فذلك هو القفو .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه .
وأما قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أَوْلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) فإن معناه : إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها ، من أنه سمع أو أبصر أو علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق ، وقال أولئك ، ولم يقل تلك ، كما قال الشاعر :

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ النَّوَى
وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْإِيَّامِ ٣

(١) البيت للناطقة الجمعدى : وهو من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٧٩) شاهد على أن معنى التقافى : التقاذف . وفى (اللسان : قفو) قال أبو عبيد الأصل فى القفو والتقافى : البهتان يرمى به الرجل صاحبه . اهـ . قال أبو بكر : قولهم قد قفا فلان فلانا قال أبو عبيد : معناه أتبعه أمرا كلاما قبيحا . وقال الليث : القفو : مصدر قولك قفا يقفوقفوا وقفوا (الثانى بتشديد الواو) ، وهو أن يتبع الشيء : قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت ، كما تقول : لا تدع من دعوت . قال : وقرأ بعضهم : ولا تقف مثل ولا تقل . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » : أى لا تتبع ما لا تعلم . وقيل : ولا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . اهـ . والذى جمع دمية ، وهى التمثال من المرمر أو العاج أو نحوها . وشم العرائين : جمع شماء العرائين ، أى مرتفعات قصبات الأنوف ، وهو من أمارات جاهلن .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٧٩) على أن العرب تقول قفا الشيء : إذا تتبعه كما تقول قافه . وكما قال الشاعر : عاقى ، يريد عائق . قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت . . . وبعضهم قال : ولا تقف . والعرب تقول : قفت أثره ، وقفوتته ؛ ومثله : يعتام ويعتمى ، وعاث وعثى ، من الفساد ، وهو كثير ، منه شاك السلاح ، وشاكى السلاح . وسمعت بعض قضاة يقول : اجتحنى ماله ، واللغة الفاشية : اجتاح ماله . وقد قال الشاعر : « ولو أنى رأيتك » . . . الخ البيت . هذا وقد نقلنا فى الشاهد الذى قبل هذا عبارة الفراء ، كما جاءت فى اللسان ، وفيها اختلاف عن عبارته هنا فى معانى القرآن ، ولعله من اختلاف النسخ .
وأورد الفراء بعد بيت الشاهد بيتا آخر من وزنه وقافيته ، وهو لذى الخرق الطهوى كما فى (اللسان : بغم) :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَسَاقَا
وَمَا هِيَ وَيَبَّ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ

وقد سبق الاستشهاد به فى أكثر من موضع من هذا التفسير .

(٣) البيت لجرير بن الخطمي (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥١) وهو البيت الثانى من قصيدة يجيب بها الفرزدق ، مطلعها :

سَرَّتِ الْهُمُومُ فَبِئْسَ غَيْرَ نِيَامٍ
وَأَخُو الْهُمُومِ يَبْرُومُ كُلِّ مَرَامٍ

وإنما قيل : أولئك ، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير . فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث لك التذكير للجمع الأول ، والتأنيث للجمع الثاني . وهو الجمع الكثير ، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٨﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ
عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿٣٨﴾ يقول تعالى ذكره : ولا تمش في الأرض مختلا مستكبرا (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ) يقول : إنك لن تقطع الأرض باختيالك ، كما قال رؤبة :

وقاتم الأعماقِ خاوي المخرقِ

يعنى بالمخرق : المقطع (وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) بفخرتك وكبرك ، وإنما هذا نهى من الله عباده عن الكبر والفخر والحيلاء ، وتقدم منه إليهم فيه معرفتهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئا يقصر عنه غيرهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) يعنى بكبرك ومرحك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) قال : لا تمش في الأرض فخرا وكبرا ، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ) قال : لا تفخر . وقيل : ولا تمش مَرَحًا ، ولم يقل مَرَحًا ، لأنه لم يرد بالكلام : لا تكن مَرَحًا ، فيجعله من نعت الماشي ، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مَرَحًا ، ففسر المعنى المراد من قوله : ولا تمش ، كما قال الراجز :

= الشاهد في هذا البيت أنه أشار إلى الأيام بأولئك ، ولم يقل تلك ، لأن أولئك يشار بها إلى الجمع الكثير ، وهؤلاء إلى الجمع القليل ، للمذكر والمؤنث والعاقل وغيره .

(١) البيت مطلع أرجوزة مطولة (١٧١ بيتا في ديوان رؤبة طبع لبيح سنة ١٩٠٣ م ، ص ١٠٤) وهو شاهد على أن قوله المخرق بمعنى المقطع كما في قوله تعالى : « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ » أي لن تقطع الأرض . ويريد بقاتم الأعماق : واديا مظلم النواحي لما كثر فيه من الغبار الثائر . والخواي : الخالي . والمخرق : المر والمقطع . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٨٠) « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ » : مجازه لن تقطع الأرض . وقال رؤبة : . . . البيت أي المقطع . وقال آخرون : إنك لن تنقب الأرض وليس بشيء .

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْعَصِيدُ وَالتَّمْرُ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

فقال : حبا ، لأن في قوله : يعجبه ، معنى يحب ، فأخرج قوله : حبا ، من معناه دون لفظه .

وقوله (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) فإن القراء اختلفت فيه ، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) على الإضافة بمعنى : كل هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . . . إلى قولنا (وَلَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) (كَانَ سَيِّئُهُ) يقول : سي ما عددنا عايبك عند ربك مكروها . وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ) بالإضافة ، لأن فيما عددنا من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) أموراً ، هي أمر بالحميل ، كقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ، وقوله (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كل ما فيه نهي عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة ، وأمر بحسنات ، فلذلك قرأنا (سَيِّئُهُ) ، وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ) وقالوا : إنما عنى بذلك : كل ما عددنا من قولنا (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكل ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لاحسنة فيه ، فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقمداً على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كل ذلك كان مكروها سيئة ؛ لأنه إن جعل قوله : مكروها نعت السيئة من نعت السيئة ، لزمه أن تكون القراءة : كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ) على إضافة السبي إلى الهاء ، بمعنى : كل ذلك الذي عددنا من (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . . . كَانَ سَيِّئُهُ) لأن في ذلك أموراً منها عنها ، وأموراً مأموراً بها ، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) إنما هو عطف على ما تقدم من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السبي إلى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئةً بالتنوين ، بمعنى السيئة الواحدة . فتأويل الكلام إذن : كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عايبك كان سيئها مكروها عند ربك يا محمد ، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه ، فاتق مواضعه والعمل به .

(١) البيتان في الملحق بشعر روبة بن العجاج ، بآخر ديوانه (طبع ليبسج سنة ٢٩٠٣ ص ١٧٢) وروايتها فيه :

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْبَرُودُ وَالْقَرْزُ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

ورواية البيت في (اللسان : سخن) كرواية المؤلف . قال : و يروى : « حتى ماله مزيد » . وقال : السخون من المرق : ما يسخن وقال في (برد) : كل ما برد به شيء : برود . اه ولعله يريد الماء البارد ، تنقع به الفلة . وقال في (عصد) : العصيدة : دقيق يلت بالسنن ويطبخ . والشاهد في البيت : أن قوله حبا مفعول مطلق ، لأنه بمعنى إعجاباً ، لأن في قوله يعجبه ، معنى يحبه ، فكأنه مرادف له . وهو نظير قوله تعالى « ولا تمس في الأرض مراحاً ، أي المرح . وقد سبق الاستشهاد بالبيت في بعض أجزاء التفسير .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فُلْتَقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بيّنا لك يا محمد من الأخلاق الحميلة التي أمرناك بجمعها، ونهيناك عن نبيحها (مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) يقول : من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا. كما حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد، في قوله (ذَلِكَ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) قال : القرآن .

وقد بيّنا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
(وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَسْلُقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) يقول : ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك ، فتلقى في جهنم ملوما تلومك نفسك وعارفوك من الناس (مَلُومًا مَدْحُورًا) يقول : مبعثدا مقصيا في النار ، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار ، فتنجو من عذابه .
وبنحو الذي قلنا في قوله (مَلُومًا مَدْحُورًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود : قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (مَلُومًا مَدْحُورًا) يقول : مطرودا .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَلُومًا مَدْحُورًا) قال : ماوما في عبادة الله ، مدحورا في النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب : الملائكة بنات الله (أَفَأَصْفَاكُمْ) أيها الناس (رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ) يقول : أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد (وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا) وأنتم لا ترضون من لأنفسكم ، بل تتدونن ، وتفتنونن ، فجعتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم (إِنَّكُمْ لَسَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا : إنكم أيها الناس لتقولون بقبيلكم : الملائكة بنات الله ، قولا عظيما ، وتفترون على الله فرية منكم .

وكان قتادة يقول في ذلك ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا) قال : قالت اليهود : الملائكة بنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) لهؤلاء المشركين المفتريين على الله (فِي هَذَا الْقُرْآنِ) العبر والآيات والحجج ، وضربنا لهم فيه الأمثال ، وحذرتناهم فيه وأنذرتناهم (لِيَذَكَّرُوا) يقول : ليتذكروا تلك الحجج عليهم ، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ، ويعتبروا بالعبر ، فيتعظوا بها ، وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر ، وما يزيدهم تذكرينا إياهم (إِلَّا نُفُورًا) يقول : إلا ذهابا عن الحق ، وبعدا منه وهربا . والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم : نفر فلان من هذا الأمر ينفر منه نفرا ونفورا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهة أخرى لو كان الأمر كما تقولون ، من أن معه آلهة ، وليس ذلك كما تقولون ، إذن لا بتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم ، والتمست الزلفة إليه ، والمرتبة منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) يقول : لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزله عليهم ، فابتغوا ما يقربهم إليه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) قال : لابتغوا القرب إليه ، مع أنه ليس كما يقولون .

القول في تأويل قوله تعالى :

سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا اِسْبٰحٌ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَّا تُفْقَهُوْا تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون ، الجاعلون معه آلهة غيره ، المضيفون إليه البنات ، فقال : تنزيها لله وعالوا له عما تقولون أيها القوم ، من الفرية والكذب ، فإن ماتضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته ، ولا ينبغي أن يكون له صفة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ)

عُلُوًّا كَبِيرًا) يسبح نفسه إذ قبل عابه البهتان . وقال تعالى (عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا) ولم يقل : تعاليا ، كما قال (وَتَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) كما قال الشاعر :

أنتَ الفِداءُ لكَعْبَةِ هَدْمَتِهَا ونَقَرَّتْهَا بِسَدَيْكَ كُلِّ مَنْقَرٍ
مُنِيعَ الحَمَامِ مَقِيَاهُ مِنْ سَقْفِهَا وَمِنَ الحَطِيمِ فَطَارَ كُلُّ مُطَّيِّرٍ

وقوله (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) يقول : تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا ، السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن ، وأنتم مع إنعامه عليكم ، وجميل أباديه عندكم ، تفترون عليه بما تفترون .
وقوله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) يقول جل ثناؤه : وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده .

كما حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا محمد بن يعلى ، عن موسى بن عبيدة ، عن زيد ابن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنَهُ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الخَائِقِ ، وَتَسْبِيحُ الخَلْقِ ، وَبِهَا تُرْزَقُ الخَلْقُ ، قَالَ اللَّهُ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة يقول : لا يبعين أحدكم دابته ولا ثوبه ، فإن كل شيء يسبح بحمده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : الشجرة تسبح ، والأسطوانة تسبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب ، قالا : ثنا جرير أبو الخطاب ، قال : كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام ، فقدّموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان : فقال : كان يسبح مرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، ويونس ، عن الحسن أنهما قالا في قوله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قالا : كل شيء فيه الروح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الطعام يسبح .

(١) البيتان شاهدان على أن المصدرين منقر ومطير المضافين إلى كل المعرب مفعولا مطلقا ليسا من لفظ الفعل السابق عليهما ، لأن المنقر من نقر بتشديد القاف ، والمطير من طير بتشديد الياء ، مع أن الفعلين السابقين ثلاثيان . ولكن العرب تميز وضع المصادر المختلفة عن الأفعال السابقة عليها ، ومنه في القرآن : «وتبتل إليه تبتيلا» ومصدر تبتل : هو التبتل لا التبتيل ، ولكن ذلك جائز لأن الحروف الأصول مشتركة في الأفعال والمصادر التي تليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : كل شيء في الروح يسبح ، من شجر أو شيء في الروح .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن الرجل إذا قال : لا إله إلا الله ، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها ، فإذا قال الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، فإذا قال الله أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، فإذا قال سبحان الله ، فهي صلاة الحلائق التي لم يدع الله أحد من خلقه إلا نوره بالصلاة والتسبيح ، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : أسام عبدى واستسلم .
 وقوله (وَلَٰكِنَّ لَاتَفْقَهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا) يقول : إن الله كان حلماً لا يعجل على خلقه ، الذين يخالفون أمره ، ويكفرون به ، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة (غَفُورًا) يقول : ساتراً عليهم ذنوبهم ، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا) عن خلقه : فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض (غَفُورًا) لهم إذا تابوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث ، ولا يقرؤون بالثواب والعقاب ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم ، فينتفعوا به ، عقوبة منا لهم على كفرهم . والحجاب ههنا : هو الساتر .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به ، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم .
 حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حِجَابًا مَّسْتُورًا) قال : هي الأكنة .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) قال : قال أبي : لا يفقهونه ، وقرأ (قَالُوا بِهِمْ فِي أَكِنَّةٍ ، فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ) لا يخلص ذلك إليهم .
 وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول : معنى قوله (حِجَابًا مَّسْتُورًا) حِجَابًا سَاتِرًا ، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول ، كما يقال : إنك مشغوم علينا وميغون ، وإنما هو شائم ويامن ، لأنه من شائمهم

ويعنيهم . قال : والحجاب مهنا : هو الساتر . وقال : مستورا . وكان غيره من أهل العربية يقول : معنى ذلك : حجبا مستورا عن العباد فلا يرونه .

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب . فيكون معناه : أن الله ستر عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم . وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ
وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنته ، وهي جمع كنان . وذلك ما يتغشأها من خذلان الله إياهم عن فهم ما يتلى عليهم (وفي آذانهم وقرا) يقول : وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه ، وصمما . والوقر بالفتح في الأذن : الثقل . والوقر بالكسر : الحمل . وقوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ) يقول : وإذا قلت : لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه (وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) يقول : انفضوا . فذدبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى .

وبما قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ) (وَلَوْ أَعْلَىٰ) وإن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم ، فصافها إبليس وجنوده . فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفاجها ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فاج . ومن قاتل بها نصير ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرؤون بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ) (وَلَوْ أَعْلَىٰ) (وَلَوْ أَعْلَىٰ) قال : بغضا لما تكلم به لئلا يسمعه ، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوها ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ، ويستغشون ثيابهم ، قال : يلتفون بثيابهم ، ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوها ولا ينظر إليهم .

وقال آخرون : إنما عني بقوله (وَلَوْ أَعْلَىٰ) (وَلَوْ أَعْلَىٰ) الشياطين ، وإنما تهرب من قراءة

القرآن ، وذكر الله .

(١) يقال : صافه ، بتشديد الفاء ، فهو مصاف : إذا رتب صفوفه في مقابلة صفوف العدو . وتصافوا عليه : اجتمعوا صفا .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلابي ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) هم الشياطين .

والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) فإن يكون ذلك خبرا عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلا من أن يكون خبرا عنم لم يجز له ذكر . وأما النفور ، فإنها جمع نافر ، كما القعود جمع قاعد ، والجلوس جمع جالس ؛ وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه ، إذ كان قوله (وَلَوْ) بمعنى : نفروا ، فيكون معنى الكلام : نفروا نفورا ، كما قال امرؤ القيس :

وَرُضْتُ فَنَدَلْتُ صَعْبَةً أَىٰ إِذْ لَالِ

إذ كان رُضْتُ بمعنى : أذلت ، فأخرج الإذلال من معناه ، لا من لفظه .

القول في تأويل قوله تعالى :

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك ، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله (وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ) . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : النجوى : فعلهم ، فجعلهم هم النجوى ، كما يقول : هم قوم رضا ، وإنما رضا : فعلهم . وقوله (إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا) يقول : حين يقول المشركون بالله : ما تتبعون إلا رجلا مسحورا . وعنى فيما ذكر بالنجوى : الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، صدره « وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا » وهو من قصيدة عدة أبياتها ٤٥ بيتا ، وهو الخامس والعشرون فيها ، (انظر مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٨) . وقد استشهد المؤلف على أن قول القرآن ، « ولوا على أدبارهم نفورا » يجوز أن يكون لفظ (نفورا) جمع نافر ، كجلوس جمع جالس ، وقعود جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدر نفر ، وهو مفعول مطلق للفعل « ولوا » لأنه يثول بمعنى نفروا كما يثول قول امرئ القيس (أى إذلال) بمعنى أى ذل مع ما بينهما من فرق في المعنى . ولكن العرب تتسمع في وضع بعض المصادر موضع بعض على التأويل

قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) قال : هي مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . نحوه .
حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ) . . . الآية : ونجواهم أن زعموا أنه مجنون . وأنه ساحر : وقالوا (أساطير الأولين) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله (إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) إلى معنى : ما تتبعون إلا رجلاً له سحر : أي له رثة . والعرب تسمى الرثة سحراً . والمسحور من قولهم للرجل إذا جبن : قد انتفخ سحره . وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحور . كما قال لبيد
فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصفير من هذا الأنام المسحورا
وقال آخرون :

ونسحر بالطعام وبالشراب^٢

أي نغذي بهما . فكأن معناه عنده كان : إن تتبعون إلا رجلاً له رثة : يأكل الطعام ، ويشرب الشراب . لا مملكا لأحاجة به إلى الطعام والشراب . والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٨١﴾

(١) البيت في (ديوان لبيد ، رواية الطوسي ، طبع في سنة ١٨٨٠ ص ٨١) وفي شرحه : عصفير : صغار ضعاف . أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا . ومسحر مغلل بالطعام والشراب . وقوله : « إنما أنت من المسحرين » : من هذا . واستشهد به المؤلف على هذا قال : والمسحر : من قوههم للرجل إذا جبن : قد انتفخ سحره . وكذلك يقال لكل ما أكل وشرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحر كما قال لبيد : « فإن تسألينا . . . » البيت . و (في اللسان : سحر) : وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . الخ البيت ، يكون على الوجهين . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » يكون من التغذية والخذية .

(٢) هذا عجز بيت من قول امرئ القيس بن حجر الكندي :

أرانا موضعين لأمر غيب
عصفير وذبان ودود
ونسحر بالطعام وبالشراب
وأجراً من مجلحة الذئاب

قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيتين : (سحر) أي نغذي أو نخدع . قال ابن امرئ القيس : وقوله : « موضعين » معناه : مسرعين . وقوله « لأمر غيب » : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته . ونحن نلهي عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وفي « مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ٧٩ في شرح البيت الأول من البيتين : موضعين : مسرعين . الأمر غيب : يريد الموت أو المستقبل المجهول . ويروي : لحم غيب . ونسحر : نلهي ، أو نغذي . يقول : أرانا في هذه الدنيا مسرعين للموت الذي غيب عنا وقته : أو مستقبل مجهول ، لأندرى من أمره شيئاً ، ونحن نملأ عنه بالطعام وبالشراب . يريد : كيف يستلذ الطعام والشراب من هو جاد إلى شرب كأس المنية . وفي شرح البيت الثاني : العصفير : ضعاف الطير ؛ والمجلح : الجريء ، والأثني مجلحة . يقول : نحن أشبه بالعصفير والذباب والدود في ضعفنا ، ولكننا أجراً على الشر ، وارتكاب الآثام من الذئاب الضارية .

❦ يقول تعالى ذكره : انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثاوا لك الأمثال ، وشبهوا لك الأشباه ، بقولهم : هو مسحور ، وهو شاعر ، وهو مجنون (فَضَّأُوا) يقول : فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا (فَتَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) يقول : فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه ، وأن الله قد خذلهم عن إصابته ، فهم لا يقدرّون على المخرج مما هم فيه من كفرهم بتوفيقهم إلى الإيمان به .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَتَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) قال : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَتَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا آئِنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤١﴾

❦ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش ، وقالوا بعنهم : (آئِنَّا عِظَامًا) لم نتحطم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا (وَرُفَاتًا) يعني ترابا في قبورنا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يقول الله (رُفَاتًا) قال : ترابا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَقَالُوا آئِنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا) يقول : غبارا ، ولا واحد للرُفَات ، وهو بمنزلة الدُّقَاق والحطام ، يقال منه : رُفَّتْ يَرْفُتُ رُفَاتًا فهو مرفوت : إذا صُير كالحطام والرُّضاض .

وقوله (آئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) قالوا : إنكارا منهم للبعث بعد الموت ، إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة ، ورفاتا منحطمة ، وقد بَلَّيْنَا فصرنا فيها ترابا ، خلقا مُنْشَأً كما كنا قبل الممات جديدا ، نعاد كما بدثنا ، فأجابهم جلّ جلاله يعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم ، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلَاهُمُ خلقا جديدا ، على أي حال كانوا من الأحوال ، عظاما أو رُفَاتًا ، أو حجارة أو حديدا ، أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خَلْقًا أمثالهم أحياء ، قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿١٠١﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُ نَاقِلَ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمكذابين بالبعث بعد الممات من قومه الكافرين (أئذا كننا عظاما ورُفانا أئنا لمبعوثون خلقنا جديدا) كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم ، وإعادته أجسامكم ، خلقا جديدا بعد بيلاكم في التراب ، ومصيركم رُفانا ، وأنكرتم ذلك من قدرته حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك ، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة .

واختلاف أهل التأويل في المعنى بقوله (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) فقال بعضهم : عني به الموت ، وأريد به : أو كونوا الموت : فإنكم إن كنتموه أمثلكم ثم بعثكم بعد ذلك يوم البعث .
ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس : عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت ، قال : لو كنتم موتى لأحييتكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعني الموت . يقول : إن كنتم الموت أحييتكم .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو مالك الجنبى ، قال : ثنا ابن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبير ، في قوله (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) كونوا الموت إن استطعتم ، فإن الموت سيموت ؛ قال : وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني ، عن سعيد بن جبير ، قال : هو الموت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن عبد الله

ابن عمر ، أنه كان يقول : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يجعل بين الجنة والنار ، فينادى مناد يُسمع أهل الجنة وأهل النار ، فيقول : هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه ، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَنْكَرُونَ فِي صُدُورِكُمْ) يعنى الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأمتكم . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إن الله يجيء بالموت يوم القيامة ، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم ، كأنه كبش أملح ، فيقف بين الجنة والنار ، فينادى أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ، ونحن ذابحوه ، فأيقنوا بالخلود . وقال آخرون : عني بذلك السماء والأرض والجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَنْكَرُونَ فِي صُدُورِكُمْ) قال : السماء والأرض والجبال . وقال آخرون : بل أريد بذلك : كونوا ما شئتم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَنْكَرُونَ فِي صُدُورِكُمْ) قال : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله كما كنتم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَنْكَرُونَ فِي صُدُورِكُمْ) قال : من خلق الله ، فإن الله يميئكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال (أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَنْكَرُونَ فِي صُدُورِكُمْ) ، وجائز أن يكون عني به الموت ، لأنه عظيم في صدور بني آدم ، وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض ، وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه ، وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه ، لأنه لم ينحص منه شيئا دون شيء .

وأما قوله (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) فإنه يقول : فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة (مَنْ يُعِيدُنَا) خلقا جديدا ، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا ، فقل لهم : يعيدكم (الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا لإنسا أحياء ، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أول مرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

أى خلقكم (فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول : فإنك إذا قلت لهم ذلك ، فسيهزون إليك رؤوسهم برفع وخفض ، وكذلك النغض في كلام العرب ، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض ، أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمي الظلم نغضا ، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض ، وحرك رأسه ، كما قال الشاعر :

أسك نغضا لايتي مستهدجا ١

ويقال : نغضت سنه : إذا تحركت وارتفعت من أصلها ؛ ومنه قول الراجز :

ونغضت من هريم أسنانها ٢

وقول الآخر : لما رأيتني أنغضت لي الرأس ٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ)

أى يحركون رؤوسهم تكديبا واستهزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ

رُءُوسَهُمْ) قال : يحركون رؤوسهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول : سيحركونها إليك استهزاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس (فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) قال : يحركون رؤوسهم يستهزئون ويقولون متى هو .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَيَنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول بهزءون .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٧) وهو السابع من أرجوزة مطولة . وفيه : « أسك »

بالصاد ، في موضع « أسك » بالسين . والأسك : صفة من السكك ، وهو الصمم . وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ، وقلة

إشرافها . وقيل : قصرها ولصوقها بالحشاء ، يكون ذلك في الآدميين وغيرهم . قال : والنعام كلها سك وكذلك القطا . وأصل

السكك الصمم . اهـ . اللسان . وفي (اللسان : صكك) : الأصك والمصك : القوي الجسيم الشديد الخلق من الناس والإبل والحمير .

وفي (نغض) : نغض الشيء نغضا ، وتحرك واضطرب ، وأنغض هو : حركه اهـ . ولايتي : أى لايفتر . وفيه أيضا (هدج) أورد

البيت كرواية الديوان . قال : وهدج الظلم يهدج هدجانا واستهدج ، وهو مشي وسعي وعدو ، كل ذلك إذا كان في ارتعاش . قال

العجاج يصف الظلم : « أسك . . الخ » . ويروي مستهدجا (بكسر الدال) أى عجلان . وقيل ابن الأعرابي : أى مستعجلا ، أى

أفزع فر . والبيت شاهد على أن « النغض » في كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض أو بالعكس .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٨٢) وعنه أخذه المؤلف . قال أبو عبيدة :

« فسيفضون إليك رؤوسهم » : مجازه : فسيففون ويحركون استهزاء منهم . ويقال : قد نغضت سن فلان : إذا تحركت وارتفعت

من أصلها . قال : * ونغضت من هرم أسنانها *

(٣) وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذي قبله ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٨٢) جاء بعد الأول على أن أنغض

الرأس بمعنى حركه ورفع استهزاء بمن هو أمامه .

وقوله (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ) يقول جل ثناؤه : ويقولون متى البعث ، وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا ، كما كنا أول مرة ، قال الله عز وجل لنبيه : قل لهم يا محمد إذ قالوا لك : متى هو ؟ متى هذا البعث الذي تعدنا ، عسى أن يكون قريبا ؟ وإنما معناه : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بَعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » وأشار بالسبابة والوسطى . لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٤﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا . ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة ، فتستجيبون بحمده .

اختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) يقول : بأمره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) قال : بأمره .

وقال آخرون : معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) : أي بمعرفته وطاعته .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه إياكم . والله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعانت ذلك الفعل بحمد الله ، يعني : لله الحمد على كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر :

فإني بحممد الله لا ثوبَ فاجرٍ لبستُ ولا من غدرَةٍ أتقنَعُ

بمعنى : فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست .

(١) البيت شاهد على أن قوله « بحمد الله » في معنى « والحمد لله » . واستشهد به القرطبي في (١٠ : ٢٧٦) ولم ينسبه إلى قائل

معروف .

وقوله (وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : وتحسبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعابنون فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلا ، كما قال جل ثناؤه (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) :
أى في الدنيا ، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلت ، حين عابنوا يوم القيامة .
وقوله (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم :
وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاوراة والمخاطبة .
كما حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : : ثنا النضر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن الحسن في هذه الآية (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : التي هي أحسن ، لا يقول له مثل قوله يقول له : يرحمك الله يغفر الله لك .

وقوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ) يقول : إن الشيطان يسوء محاوراة بعضهم بعضا ينزع بينهم ، يقول : يفسد بينهم ، يهيج بينهم الشر (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) يقول : إن الشيطان كان لآدم وذريته عدوا ، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة .
القول في تأويل قوله تعالى :

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يُشَايِرُكُمْ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا (أئذا كنا عظاما ورُفَاتَا أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا - رَبُّكُمْ) أيها القوم (أَعْلَمُ بِكُمْ) إن يشاء يرحمكم (فیتوب عليكم برحمته ، حتى تنبوا عما أنتم عابيه من الكفر به وباليوم الآخر) (وَإِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ) بأن يخذلكم عن الإيمان ، فتموتوا على شرككم ، فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عبد الملك بن جريج قوله (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ) إن يشاء يرحمكم (أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ) ، فتؤمنوا ، أو إن يشاء يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم .

وقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا ، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا ، وبأيدينا صرفهم وتديبرهم ، فإن شئنا رحمتنا ، وإن شئنا عذابناهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَايَاتِنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٥٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والأرض وما يصلحهم فانه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم ، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة ، ومن هو أهل للعذاب ، أهدي للحق من سبق له مني الرحمة والسعادة ، وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان ، يقول : فلا يكبرن ذلك عاينك ، فإن ذلك من فعلى بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض ، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق ، وبعضهم إلى الجميع ، ورفعى بعضهم على بعض درجات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ (اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلم موسى تكليما ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وهو عبد الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان ما كان لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبوراً ، كنا نحدث دعاء عاتمه داود ، تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) قال : كلم الله موسى ، وأرسل محمدا إلى الناس كافة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١٥٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرر ينزل بكم ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فتدعوهم آلهة ، فانهم لا يقدرون على ذلك ، ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عاين خالقكم وخالقهم . وقيل : إن الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول ، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح ، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة وعزيرًا ، وهم الذين يدعون ، يعني الملائكة والمسيح وعزيرًا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يقول : يبتغي المدعوون أربابا إلى ربهم القربة والزلفة ، لأنهم أهل إيمان به ، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أيهم بصالح عماله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ) بأفعالهم تلك (رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ) بخلافهم أمره (عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) يا محمد (كَانَ مَحْذُورًا) متقى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في المدعوين ، فقال بعضهم : هم نفر من الجن .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، في قوله : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجن ، فأسلم الجن وبقى الإنس على كفرهم ، فأنزل الله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يعني الجن .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله في هذه الآية (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) قال : قبيل من الجن كانوا يعبدون فأسلموا .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الحسين ، عن قتادة ، عن معبد بن عبد الله الزماني ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن مسعود ، في قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فأنزلت (الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عمه عبد الله بن مسعود ، قال : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قوم عبدوا الجن ، فأسلم أولئك الجن ، فقال الله تعالى ذكره (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم النفر من الجن ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فقال (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله : كان ناس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم أولئك الجنيون ، وثبتت الإنس على عبادتهم . فقال الله تبارك وتعالى (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجن ؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا ، فكانوا يبتعون أيهم أقرب . وقال آخرون : بل هم الملائكة .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوام ، قال : أخبرنا قتادة ، عن عبد الله بن معبد الزماني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كان قبائل من العرب يعبدون صنما من الملائكة يقال لهم الجن ، ويقولون : هم بنات الله ، فأنزل الله عز وجل (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) معشر العرب (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : الذين يدعون الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ) حتى بلغ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا) قال : وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين . وقال آخرون : بل هم عزير وعيسى ، وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . في قوله (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : عيسى وأمه وعزير .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو الزعمان الحكيم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : عيسى بن مريم وأمه وعزير في هذه الآية (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال : عيسى ابن مريم وعزير والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال : هو عزير والمسيح والشمس والقمر ﷺ وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناها . عن أبي معمر عنه ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومعلوم أن عزير لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ، فيبتغى إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفِعَ ، وإنما يبتغى إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ، ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال . فأما من كان لاسبيل له إلى العمل ، فبم يبتغى إلى ربه الوسيلة . فإذا كان لا معنى لهذا القول . فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل ، أو قول من قال : هم الملائكة ، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل . وأما الوسيلة ، فقد بينا أنها القربة والزلفة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الوسيلة : القربة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : الوسيلة : القربة والزلفى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

يقول تعالى ذكره : وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء ، فبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة ، أو معذبوهم ، إما ببلاء من قتل بالسيوف ، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (وَإِنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فمبيدوها (أو مُعَذِّبُوهَا) بالقتل والبلاء ، قال : كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : سيصيبها هذا أو بعضه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا) قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره ، وكذبوا رسله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا) قال : مبيدوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : إذا ظهر الزنا والزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها .

وقوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وذلك اللوح المحفوظ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) قال : في أم الكتاب ، وقرأ (لَوْ لَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ) ويعني بقوله (مَسْطُورًا) مكتوبا مبينا ، ومنه قول العجاج :

واعلم بأن ذَا الجلالِ قد قدَرُ في الكُتُبِ الأولى التي كان سَطَرَ
أمرَكَ هذا فاحتفظ فيه النَّهْرُ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ

يقول تعالى ذكره : وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك ، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذبة ، سألوها ذلك مثل سؤالهم ؛ فلما أتاهم ما سألوها منه كذبوا رسلهم ، فلم يصدقوا مع مجيء الآيات ، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات ، لأننا لو أرسلنا بها إليها ، فكذبوا بها ، سلكتنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها .

وبالذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للعجاج بن ربيعة من أرجوزة مطولة عدة أبياتها ٢٢٩ بيتا يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر ، (انظر ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥ - ٢١) ، وفيه «الكتب» في موضع : «الصحف» . و(فاعلم) في موضع واعلم . وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٨٣) وقال : مسطورا أي مبينا مكتوبا وفي روايته الذر يفتح النون والتاء . وقال : النثر : الخديمة . وفي (اللسان : نثر) : والنثر بالتحريك : الفساد والضياع ، قال العجاج : «واعلم . . . الخ» الأبيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال ، فيزرعوا ، فقبل له : إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتني منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألتوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قباهم ، قال : بل تستأني بهم ، فأنزل الله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ . وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) .

حدثني إسحاق بن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن بن علي بن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد ، عن مالك بن دينار ، عن أيتها الأمة ، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها ، أصابكم ما أصاب من قبلكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ، فمنهم من سخرت له الرياح ، ومنهم من كان يحجي الموتى ، فإن سرك أن نؤمن بك ونصدقك ، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا ، فأوحى الله إليه : إني قد سمعت الذي قالوا ، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا ، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن تستأني قومك استأنت بها ، قال : يا رب أستأني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ) قال : قال أهل مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم : إن كان ما تقول حقا ، ويسرك أن نؤمن ، فحوّل لنا الصفا ذهبا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت استأنت بقومك ، قال : بل أستأني بقومي ، فأنزل الله (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا) وأنزل الله عز وجل (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ججاج ، عن ابن جريج ، أنهم سألتوا أن يحول الصفا ذهبا ، قال الله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ) قال ابن جريج : لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها إلا عذبوا ، فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذبوا ، و « أن » الأولى التي مع مننعنا ، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها ، وأن الثانية رفع ، لأن معنى الكلام : وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين من الأمم ، فالفعل لأن الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٤١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقد سألت الآيات يا محمد من قبيل قومك ثمود ، فأتيناها ما سألت ، وجعلنا تلك

الآية ناقة مبصرة ، جعل الإبصار للناقة ، كما تقول للشجة : موضحة ، وهذه حجة مبينة . وإنما عني بالمبصرة : المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها ، أنها لله حجة ، كما قيل : (والنهار مُبْصِرًا) . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) : أي بيّنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ ذكره (النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) قال : آية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقوله (فَظَلَمُوا بِهَا) يقول عزّ وجلّ : فكان بها ظلمهم ، وذلك أنهم قتلوها وعقروها . فكان ظلمهم بعقرها وقتلها . وقد قيل : معنى ذلك : فكفروا بها ، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد : فكفروا بالله بقتلها ، فيكون ذلك وجهها . وأما قوله (وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) فإنه يقول : وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفًا للعباد . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) وإن الله يخوف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون ، أو يذكرون ، أو يرجعون . ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود ، فقال : يا أيها الناس إن ربكم يستعجبكم فأعتبوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) قال : الموت الذريع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿١٠٩﴾

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على تبليغ رسالته ، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءا وهلاكًا ، يقول جلّ ثناؤه : واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة ، فهم في قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته ، ونحن مانعوك منهم ، فلا تهيبّ منهم أحدا ، وامنض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول : أحاط بالناس ، عصمك من الناس .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يحيى بن واضح . قال : ثنا أبو بكر الهذلي . عن الحسن (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ
 إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : يقول : أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك ، فعرف أنه لا يقتل .
 حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : فهم في قبضته .
 حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ؛ قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ؛ قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير
 قوله (أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : منعك من الناس . قال معمر ، قال قتادة ، مثله .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ
 أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : منعك من الناس .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ)
 أي منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك .
 وقوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال
 بعضهم : هو رؤيا عين ، وهي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما أُسرى به من مكة إلى بيت المقدس ؛
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن
 ابن عباس في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هي رؤيا عين أريها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به ، وليست برؤيا منام .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
 سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قَالَ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ،
 عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن فرات القزاز ، عن سعيد بن جبير (وَمَا
 جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : كان ذلك ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس ، فرأى
 ما رأى فكذب به المشركون حين أخبرهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
 أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : أُسرى به عشاء إلى بيت المقدس ، فصلى فيه ، وأراه الله ما أراه من
 الآيات ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أُسرى به إلى بيت المقدس ، فقالوا له : يا محمد ما شأنك ، أمسيت
 فيه ، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ، فمجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الإسلام .

حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : قال كفار أهل مكة : أليس من كذب بن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلية .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : مسيره إلى بيت المقدس .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : حين أُسرى به .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : ليلية أُسرى به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أُسرى به ، فكانت تلك فتنة الكافر .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يقول : الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس .

ذكر لنا أن ناسا ارتدوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره ، أنكروا ذلك وكذبوا به ، وعجبوا منه ، وقالوا : تحدثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هو ما أرى في بيت المقدس ليلية أُسرى به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ) قال : أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسرى به ، نزلت فريضة الصلاة ليلية أُسرى به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة ، ثم رجع من ليلته ، فقالت قريش : تعشى فينا وأصبح فينا ، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلية ثم رجع ، وإيم الله إن الهدأة لتجيئها شهرين : شهرا مقبلة ، وشهرا مدبرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هذا حين أُسرى به إلى بيت المقدس ، افتتن فيها ناس ، فقالوا : يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة : وقال : « لَمَّا أَنَا فِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ لِيَحْمِلَنِي عَلَيْهَا صَرَّتْ بِأَذُنَيْهَا ، وَأَنْقَبَضَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَانظَرَ إِلَيْهَا جَبْرَائِيلُ ،

(١) لعله : ولتسع سنين : أي ولغضى مع . . . الخ .

فقال : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَنْ عِنْدِهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ مِّنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قال : فَصَرَّتْ بِأُذُنَيْهَا وَأَرْفَضَتْ عَرَاقًا حَتَّى سَالَ مَا تَحْتَهَا . وكانَ مُنْتَهَى خَطْوِهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهَا ، فلما أتاهم بذلك ، قالوا : ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها ، فأتوا أبا بكر رضى الله عنه ، فقالوا : هذا صاحبك يقول كذا وكذا ، فقال : وقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : إن كان قد قال ذلك فقد صدق . فقالوا : تصدقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة ؟ فقال أبو بكر : إى ، نزع الله عقولكم ، أصدقه بخبر السماء ، والسماء أبعد من بيت المقدس ، ولا أصدقه بخبر بيت المقدس ؟ قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا ، فلما قالوا ذلك ، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه ، فجعل يقول : هو كذا ، وفيه كذا ، فقال بعضهم : وأبيكم إن أخطأ منه حرفا ، فقالوا : هذا رجل ساحر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان . قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يعنى ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس ، ثم رجع من ليلته ، فكانت فتنة لهم .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء : جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله (الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ) قال : حين أُسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج : عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
وقال آخرون : هى رؤياه التى رأى أنه يدخل مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى : قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه ، وهو يومئذ بالمدينة ، فعجّل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة قبل الأجل ، فردّه المشركون ، فقالت أناس : قد ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها ، فكانت رجعتهم فتنهم .

وقال آخرون ممن قال : هى رؤيا منام : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قوما يعلون منبره .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن محمد بن الحسن بن زباله ، قال : ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، قال : ثنى أبى : عن جدّى ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى فلان ينزون على منبره نزوا القردة ،

فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، قال : وأنزل الله عز وجل في ذلك (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) . . . الآية .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أُسرى به ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك ، وإياه عنى الله عز وجل بها ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس ، إلا فتنة للناس : يقول : إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام ، لما أُخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام ، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيرهم ، وكفرا إلى كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ٢ .
وأما قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هي شجرة الزقوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو عبيدة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم . قال أبو جهل : أيخوفني ابن أبي كبشة بشجرة الزقوم ، ثم دعا بتمر وزبد ، فجعل يقول : زقمني ، فأنزل الله تعالى (طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) وأنزل (يُؤْخَوْفُهُمْ) فما يزيد هم إلا طغيانا ككبيرا .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عدي ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد ، ويقولون : تزقموا هذا الزقوم . قال أبو رجاء : فحدثني عبد القدوس ، عن الحسن ، قال : فوصفها الله لهم في الصافات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هود ، قال : ثنا عوف . عن الحسن ، قال : قال أبو جهل وكفار أهل

(١) معناه : لم يره الناس بعدها ضاحكا ضاحكا تماما حتى مات .

(٢) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا .

مكة : أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه بوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة ، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال في قوله
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن رجل يقال له بدر ، عن
عكرمة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال : سئل سعيد بن
جبير عن الشجرة الملعونة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك العزرمي ، عن سعيد بن جبير
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، بمثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كان يخالف
مايستني ، أن الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال :
سألت سعيد بن جبير ، عن الشجرة الملعونة في القرآن ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة
عن ابن عباس ، قال : هي الزقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)
وَنَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) وهي شجرة الزقوم ، خوف الله بها عباده ، فافتنوا
بذلك ، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام : زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ،
وإننا والله مانعهم الزقوم إلا التمر والزبد ، فترقموا ، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة :
(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) ، إني خالقها من النار ،
وعذببت بها من شئت من عبادي .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم ؛ وذلك أن المشركين قالوا : يخبرنا هذا أن في النار شجرة : والنار تأكل الشجر
حتى لا تدع منه شيئاً ، وذلك فتنة .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) الزقوم التي سألوها الله أن يملأ بيوتهم منها . وقال : هي الصرّفان بالزبد تزقمه ، والصرّفان : صنف من التمر . قال : وقال أبو جهل : هي الصرّفان بالزبد ، وافتتنوا بها .
وقال آخرون : هي الكشوث (١) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن مولى بني هاشم حدثه ، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أرسله إلى ابن عباس ، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن ؟ قال : هي هذه الشجرة التي تالوى على الشجرة ، وتجعل في الماء ، يعنى الكشوثي .
* وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال : عنى بها شجرة الزقوم ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ، ونصبت الشجرة الملعونة عطفاً بها على الرؤيا . فتأويل الكلام إذن : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس ، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد ، وتمادي أهل الشرك في شركهم ، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسرى به ، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشرّكين معه : يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة ، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها ؟
وقوله (وَنُحُوفُهُمْ قَمَآ يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) يقول : ونحوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال ، فما يزيدهم تخوفنا إلا طغياناً كبيراً ، يقول : إلا تمادياً وغياً كبيراً في كفرهم وذلك أنهم لما نحوّفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد ، وقالوا : تزقموا من هذا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك ، ونذكر بعض من بقي .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ) قال : طلعتها كأنه رعوس الشياطين ، والشياطين ملعونون . قال (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) لما ذكرها زادهم افتتاناً وطغياناً ، قال الله تبارك وتعالى ، (وَنُحُوفُهُمْ قَمَآ يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ؕ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٣٦﴾ قَالَ

(١) الكشوث ، والكشوثا ، والكشوثاء : نبت يتعلق بالأغصان ، ولا عرق له في الأرض . وهي لفظة سوادية (انظر اللسان والتاج) .

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد تمادى هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوا على ربهم بتخويفه إياهم بتحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم : حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسدا واستكبارا (لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) وكيف صدقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم . ويعنى بقوله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ) : واذكر إذ قلنا للملائكة (اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلَّا إِبْلِيسَ) فإنه استكبر وقال (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) يقول : لمن خلقته من طين ، فلما حذف « مِّن » تعلق به قوله (خَلَقْتَ) فنصب ، يفتخر عايه الجاهل بأنه خالق من نار ، وخلق آدم من طين .

كما حدثنا ابن حميد : قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة تبارك وتعالى إبليس : فأخذ من أديم الأرض ، من عذبتها وملحها ، فخلق منه آدم ، فكل شيء خلق من عذبتها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين : وكل شيء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين : ومن ثم قال إبليس (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) : أى هذه الطينة أنا جئت بها . ومن ثم ستمى آدم . لأنه خالق من أديم الأرض .

وقوله (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) يقول تعالى ذكره : أ رأيت هذا الذى كرمته على ، فأمرتنى بالسجود له ، ويعنى بذلك آدم (لَئِنِ أَخَّرْتَنِي) أقسم عدو الله ، فقال لربه : لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيامة (لَأُحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لأستولين عايبهم ، ولأستأصانهم ، ولأستميانهم يقال منه : احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ، ومنه قول الشاعر :

نَشْكُو إِلَيْكَ سِنَّةً قَدَّ أَجْحَفْتُ جَهْدًا إِلَى جَهْدٍ بِنَا فَأَضَعَفْتُ

وَاحْتَسِبْتُ أَمْوَالَنَا وَجَانَفْتُ ١

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، من الأرجوزة السادسة فى بقية ديوان الزيفان السعدى (عطاء بن أسيد الراجز) وهى ملحقة بديوان المعجاج المطبوع فى ليزج سنة ١٩٠٣ ص ٦٥ ، مع اختلاف فى رواية بعضها . والبيتان الأولان هما :
نشكو إليك سنة قد جلفت أموالنا من أصلها وجرفت
أما البيت الثالث فليس فى الأرجوزة . ومعنى أجحفت : أضرت بنا ، وذهبت بأموالنا ، فلقينا من شدتها جهدا إلى جهد . واحتنكت : قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٤) يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره : أخذه كله واستقصاه . قال : نشكو إليك . . الخ الأبيات . ومعنى جلفت : قشرت أو قشر الجلد مع شيء من اللحم . والأبيات شاهد على أن الاحتنك معناه الاستئصال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (لَأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأحتوئهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لأستولين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأضلهم ، وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى ، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد ، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره قال الله لإبليس إذ قال له (لَسِنَّ أُخْرَتَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) اذهب فقد أخرتك ، فمن تبعك منهم : يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك ، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم ، يقول : ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي ، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري (جزاء موفورا) : يقول : ثوابا مكثورا مكملا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) عذاب جهنم جزاؤهم ، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) قال : وافرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَوْفُورًا) ، قال : وافرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَاكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٧﴾

﴿ يعني تعالى ذكره بقوله (وَاسْتَفْزِرُ) واستخفف واستجهل، من قولهم: استفز فلانا كذا وكذا فهو يستفزه (مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) . اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جل ثناؤه بقوله (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) فقال بعضهم : عنى به : صوت الغناء واللعب . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : باللهو والغناء .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر ، عن مجاهد ، في قوله : (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : اللعب واللهو . وقال آخرون : عنى به (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ) بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله . ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : صوته كل داع دعا إلى معصية الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : بدعائك .

﴿ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : استفز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم ينحه ص من ذلك صوتا دون صوت ، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عماله وطاعته ، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله ، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له (وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) .

وقوله (وَأَجْنَابٌ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) يقول : وأجمع عليهم من ركبان جنديك وهشاتهم من يجاب عليها بالدعاء إلى طاعتك ، والصرف عن طاعتي ، يقال منه : أجلب فلان على فلان إجلابا : إذا صاح عاياه. والنجابة : الصوت ، وربما قيل : ما هذا الجلب ، كما يقال : الغلبة والغلب ، والشفقنة والشفق . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ، في قوله (وَأَجْنَابٌ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) قال : كل راكب وماش في معاصي الله تعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَجْنَابٌ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) قال : إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَجْنَابٌ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ) قال الرجال : المشاة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأجلب عليهم) بخصيتهم (بخصيتك ورجلك) قال : خيله : كل راكب في معصية الله ؛ ورجله : كل راجل في معصية الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وأجلب عليهم) بخصيتك ورجلك) قال : ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس ، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس . والرجل : جمع راجل ، كما التجر : جمع تاجر ، والصحيب : جمع صاحب .

وأما قوله (وشاركهم في الأموال والأولاد) ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله (وشاركهم في الأموال والأولاد) فقال بعضهم : هو أمره إياهم بانفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد (وشاركهم في الأموال) التي أصابوها من غير حلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وشاركهم في الأموال) قال : ما أكل من مال بغير طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : الشرك في أموال الربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله « وشاركهم في الأموال والأولاد » قال : قد والله شاركهم في أموالهم ، وأعطاهم الله أموالا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حق الله تبارك اسمه ، وهو قول قتادة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الحسن (وشاركهم في الأموال) مرهم أن يكسبوها من خبيث ، وينفقوها في حرام .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وشاركهم في الأموال والأولاد) قال : كل مال في معصية الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وشاركهم في الأموال والأولاد) قال : مشاركته إياهم في الأموال والأولاد ، ما زين لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وشاركهم في الأموال) كل ما أنفقوا في غير حقه .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك كل ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرمون من الأنعام كالبحائر والسوايب ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس : في قوله (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : الأموال : ما كانوا يحرمون من أنعامهم . حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين . قال : ثنا عيسى . عن عمران بن سليمان . عن أبي صالح : عن ابن عباس : قال : مشاركته في الأموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى : قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) فإنه قد فعل ذلك . أما في الأموال : فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا . قال أبو جعفر : الصواب : حاميا .

وقال آخرون : بل عُنِيَ به ما كان المشركون يذبحونه لأهلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) يعني ما كانوا يذبحون لأهلهم . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عُنِيَ بذلك كل مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسبيب ، أو بحر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه ، وذلك أن الله قال (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض . وقوله (وَالْأَوْلَادِ) اختلف أهل التأويل في صفة شركته بنى آدم في أولادهم ، فقال بعضهم : شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي . عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : أولاد الزنا . حدثني أبو السائب : قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : أولاد الزنا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : أولاد الزنا . حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أولاد الزنا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : أولاد الزنا ، يعنى بذلك أهل الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : الأولاد : أولاد الزنا .

وقال آخرون : عنى بذلك : وأدُّهم أولادهم وقتلهموهم .
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : ما قتلوا من أولادهم ، وأتوا فيهم الحرام .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : صبغهم إياهم في الكفر .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم ، فجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : قد فعل ذلك ، أما في الأولاد فإنهم هودوهم ونصروهم وجسوهم .

وقال آخرون : بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح عن ابن عباس (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) قال : مشاركته إياهم في الأولاد ، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله ، أو بادخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعاله به أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه ، لأن الله لم يخص بقوله (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى ، فكل ما عصى الله فيه أو به ، وأطبع به الشيطان أو فيه ، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به لإبليس فيه .

وقوله (وَعِيدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) يقول تعالى ذكره لإبليس : وعد أتباعك من ذرية آدم ، النصرة على من أرادهم بسوء ، يقول الله (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) لأنه لا يفتنى عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئاً ، فهم من عداته في باطل وخديعة ، كما قال لهم عدو الله حين

حَصْحَمَ الْحَقَّ (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ . وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخَانَتْكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْوَهُنَّوِي وَلَوْ هُوَ أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي لَآئِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْوَن مِنْ قَبْلُ) .

القول في تاويل قوله تعالى :

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٢٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره لإبليس : إن عبادي الذين أطاعوني . فاتبعوا أمري وعصواك يا إبليس . ليس لك عليهم حجة .

وقوله (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكفاك يا محمد ربك حفيظا . وقيا بأمرك . فانقد لأمره . وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين . ولا تخف أحدا . فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) وعباده المؤمنون . وقال الله في آية أخرى (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) .

القول في تاويل قوله تعالى :

رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٢٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره للمشركين به : ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر . فيحملكم فيها (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) لتوصاوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعاشكم . وتلتمسون من رزقه (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) يقول : إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى لكم الفلك في البحر ، تسهيلا منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية التي لولا تسهيلاه ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها . وبنحو ما قلنا في قوله (يُزْجِي لَكُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية . عن علي . عن ابن عباس . قوله (رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ) يقول : يجرى الفلك . حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة (رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ) قال : يسيرها في البحر . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ) قال : يجرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبَّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ) قال : يجريها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْنَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٠١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضلَّ من تدعون : يقول : فقد تمَّ من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة ، وجار عن طريقكم فلم يغثكم ، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغثكم دعوتوه ، فلما دعوتوه وأغاثكم ، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد ، والبراءة من الآلهة ، وإفراة بالألوهة كفرانكم بنعمته (وكان الإنسان كفوراً) يقول : وكان الإنسان إذا جحد لنعم ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿١٠٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (أفأمنتم) أيها الناس من ربكم ، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك ، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم ، وأشركتم في عبادته غيره (أن يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) يعني ناحية البر (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) يقول : أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم ، كما فعل بقوم لوط (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا) يقول : ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفأمنتم) أن يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) يقول : حجارة من السماء (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا) : أي منعة ولا نصرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (أفأمنتم) أن يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) قال : مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر .

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله (أَوْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) إلى : أَوْ يرسل عليكم

ربما عاصفاً تحصب . ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَسْنُورًا

وأصل الحاصب : الريح تحصب بالحصباء : والحصباء : الأرض فيها الرمل والحصى الصغار . يقال في الكلام حصب فلان فلانا : إذا رماه بالحصباء . وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب إرهبها الناس بذلك ، كما قال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هُدُجَ الرِّثَالِ تَكْبِهُنَّ شِمَالًا

تَرْمِي العِضَاهُ بِحَاصِبٍ مِّنْ ثَأْجِهَا حَتَّى يَبْدِيَتْ عَلَى العِضَاهِ جِفَالًا^٢

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : أم أمنتم أيها القوم من ربكم ، وقد كفرتم به بعد إنعائه عليكم ، النعمة التي قد علمتم

أن يعيدكم في البحر تارة أخرى : يقول : مرة أخرى . والهاء التي في قوله « فيه » من ذكر البحر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى) :

أي في البحر مرة أخرى (فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ) وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه

وتدقه ، من قولهم : قصف فلان ظهر فلان : إذا كسره (فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ) يقول : فيغرقكم

الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم ، يقول : بكفركم به (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) يقول :

ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ، ولا تائرا يثارنا بإهلا كنا إياكم . وقيل : تبيعا في موضع التابع ،

كما قيل : عليم في موضع عالم . والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره : تبيع . ومنه قول الشاعر :

عَدَا وَوَعَدَتْ غَزِيلًا نُهُمُ فَكَأَنَّهَا ضَوَّاءُ مِن غُزْمٍ لَزْهَمُنَّ تَبِيعُ^٣

(١) البيت للفرزدق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد بن المهلب ، (ديوانه طبعة الصاوي ٢٦٢ - ٢٦٧) .

استشهد به المؤلف على أن الحاصب : الريح التي تحمل الحصباء وهي صغار الحصى . والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة ، وأن أصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار ، كما أوضحه المؤلف .

(٢) البيتان للأخطل (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويفتخر على قيس . والعشار : جمع عشاء

من الإبل ، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر وهي حامل . وتروحت : أي ذهبت في الرواح وهو المشى إلى حظائرها . والرثال : جمع

رأل ، وهو ولد النعامة . والهدج : عدو متقارب . وتكبين : تستقطن ، يريد تكبين الريح وهي هابة شمالا . والحاصب : ما تثار من دقاق الثلج . والضمير في ترمي : راجع إلى ريح الشمال . والعضاء : كل شجر له شوك ، أو كل شجرة واسعة الظل ، كثيرة

الأفنان ، واحده : عضة . والجفال : ما تراكم من الثلج وتراكب . وهذا الشاهد في معنى الذي قبله .

(٣) البيت : شاهد على أن معنى التبيع في الآية : كل طالب بدم أو دين أو غيره . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٢٨٥) أي من يتبعنا لكم تبعية ، ولا طالبا لنا بها . وفي (اللسان : تبع) : والتبيع التابع . وقول القرآن « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » : =

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتببع ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(فَسُرِّسِيلَ عَلَيْكُمُ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ) يقول : عاصفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قاصفا
التي تُغْرَقُ .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ
لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) يقول نصيرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال محمد ثائرا ، وقال الحرث نصيرا ثائرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) قال : ثائرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)
أى لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا
بِهِ تَبِيعًا) يقول : لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك ، والتارة : جمعه تارات وتير ، وأفعلت منه : أترت .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق ، وتسخيرنا سائر
الخلق لهم (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على ظهور الدواب والمراكب (وَ) في (الْبَحْرِ) في الفلك التي منحناها لهم
(وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : من طيبات المطاعم والمشارب ، وهي حلالها ولذباتها (وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ذكر لنا أن ذلك تمكّنهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة
بها ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق .

قال الفراء : أي ثائرا ولا طالبا بالنار ، لإغراقنا إياكم . وقال الزجاج : معناه : لا تجدوا من يتبعنا بإنكار . انزل بكم ، ولا من يتبعنا
بأن يصرفه عنكم . وقيل : تبيعا : مطالبا . ومنه قوله تعالى : « فاتبع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » يقول : على صاحب الدم اتباع
بالمعروف ، أي المطالبة بالدية ، وعلى المطالب أداء إليه بإحسان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) . . . الآية : قال (وَفَضَّلْنَاهُمْ) في الدين يأكل بهما ، ويعمل بهما ، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم ، في قوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ، ويتنعمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في الآخرة ، فقال وعزتي لأجعل ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له كمن فكان .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ
فَتِيلًا ﴿٦٦﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به ، فقال بعضهم : هو نبيه ، ومن كان يقتدى به في الدنيا ويأتم به .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة البربوعي : قال : ثنا فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (بِإِمْهَمِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ) قال : نبيهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ) قال الإمام : ما عمل وأملى ، فكتب عليه ، فمن بعث متقيا لله جعل كتابه بيمينه ، فقرأه واستبشر ، ولم يظلم فتيلًا ، وهو مثل قوله (وَلَا نُهُمَا لِتُبَيِّنَ) والإمام : ما أملى وعمل .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهِيمٍ) قال : بأعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : بكتابهم الذي فيه أعمالهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهِيمٍ) يقول : بكتابهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : بأعمالهم .

وقال آخرون : بل معناه : يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمرى ونهى .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت يحيى بن زيد في قول الله عز وجل (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهِيمٍ) قال : بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه ، والذي عليه يجاسبون ، وقرأ (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) قال : الشريعة : الدين ، والمنهاج : السنة ، وقرأ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) قال : فنوح أولهم ، وأنت آخرهم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهِيمٍ) بكتابهم .

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به ، ويأتمون به في الدنيا ، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما أتم واقتدى به ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها .

وقوله (فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِإِمْهِيمٍ) يقول : فمن أعطى كتاب عمله بيمينه (فَأُولَئِكَ يَتَرَوْنَ كِتَابَهُمْ) ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) يقول تعالى ذكره : ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلًا ، وهو المنفصل الذي في شق بطن النواة . وقد مضى البيان عن الفتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) قال : الذي في شق النواة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

اختلاف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله هذه ، فقال بعضهم : أشير بذلك إلى النعم التي

عدّدها تعالى ذكره بقوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ . وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) فقال (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا عبد الأعلى . قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : سئل عن هذه الآية (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) فقال : قال (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) قال : من عمى عن شكر هذه النعم في الدنيا ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه ، فهو في الآخرة أعمى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى) يقول : من عمى عن قدرة الله في الدنيا (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي هَذِهِ أَعْمَى) قال : الدنيا . حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) يقول : من كان في هذه الدنيا أعمى عما عين فيها من نعم الله وخلقها وعجائبها (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) . فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى . حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى) في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ) الغائبة التي لم يرها (أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسئل عن قول الله تعالى (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) فقراً (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) . وقرأ (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) ، وقرأ حتى بلغ (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) قال : كل له مطيعون ، إلا ابن آدم . قال : فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا ، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى ، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلاً .

❦ وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى

عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف مافيهما، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلاً: يقول: وأضل طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها:

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ) الدنيا (أَعْمَى) عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماءه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بنى آدم، وحمله إياهم في البر والبحر، وما عدّد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عم بالخبر عن عماءه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره.

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) فكسرت القمارة جميعاً أعني الحرف الأول قوله (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى). وأما قوله (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) فإن عامة قراء الكوفيين أمالت أيضاً قوله (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى). وأما بعض قراء البصرة فإنه فتحه، وتأوله بمعنى: فهو في الآخرة أشدّ عمى. واستشهد لصحة قراءته بقوله (وَأَضَلُّ سَبِيلًا).

وهذه القراءة هي أولى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظناً منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر، إلا بإدخال أشدّ أو أبين، فليس الأمر في ذلك كذلك.

وإنما قلنا: ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما عُنِيَ به عمى قاوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) قال: أعمى عن حجته في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾

اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره، فقال بعضهم: ذلك الإلمام بالآلهة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حيد . قال : ثنا يعقوب القُصْمِيُّ ، جعفر ، عن سعيد ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستام الحجر الأسود ، فننعت قريش ، وقالوا : لاندعُه حتى يام بأهتنا ، فحدثت نفسه ، وقال : ما على أن ألمَّ بها بعد أن يدعوني أستسلمُ الحجَّجَر ، واللهُ يعنَّسُ أتي لها كارهٌ ، فأني الله فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) الآية .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه ، وكان في قولهم أن قالوا : إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا ، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك ، فقال (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لتفتري علينا غيره) قال : أطافوا به ليلة ، فقالوا : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض ما يريدون فهم أن يقارفهم في بعض ما يريدون ، ثم عصمه الله ، فذلك قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) الذي أرادوا فهم أن يقارفهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالوا له : أت آهتنا فامسستها ، فذلك قوله (شيئاً قليلاً) .
وقال آخرون : إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يُنظر قوماً بإسلامهم إلى مدة سألوهم الإنظار إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) ، وإذا لا تخذوك خليلاً) وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أجعلنا سنة حتى يهتدي لأهتنا ، فإذا قبضنا الذي يهتدي لأهتنا أخذناه ، ثم أسامنا وكسرنا الآلهة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ، وأن يؤجلهم ، فقال الله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) .
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره ، وذلك هو الافتراء على الله ؛ وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسن آلهتهم ، ويلم بها ، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ، ومسألتهم إياه ما سألوهم مما ذكرنا ؛ وجائز أن يكون غير ذلك ، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان ، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا ، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره ، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه .

(١) يقارفهم : يقاربهم ويدانهم (اللسان) .

وقوله (وَإِذَا لَاتَخَذُوا كَخَدِيلٍ) يقول تعالى ذكره: ولو فعلت مادَعَوُوكَ إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خديلا ، وكنت لهم وكانوا لك أولياء .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرُكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ولولا أن ثبتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة (لَقَدْ كِدَّتْ تَرُكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) يقول : لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئا قليلا ، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية ، ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، في قوله (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرُكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتكليني إلى نفسي طرفة عَيْنٍ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٧﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلا فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) يعني : ضعف عذاب الدنيا والآخرة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (ضِعْفَ الْحَيَاةِ) قال : عذابها (وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) قال : عذاب الآخرة .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا لَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) : أي عذاب الدنيا والآخرة .
حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : (ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) قال : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

حدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) يعنى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ) مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة (وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) فهما عذابان ، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة . وقوله (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) يقول : ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم : عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا ، ويمنعك من عذابك ، وينقذك مما نالك منا من عقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافِكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾

يقول عز وجل : وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض : يقول : ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها (وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافِكَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا ، حتى أهلكهم بعذاب عاجل .

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها ؛ فقال بعضهم : الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود ، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أرض الأنبياء أرض الشام ، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، فأنزل الله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) . وقال آخرون : بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا ، والأرض مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافِكَ إِلَّا قَلِيلًا) وقد هم أهل مكة باخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ، ولكن الله كفهم عن إخراجهم حتى أمره ، ولقلمنا مع ذلك لبثوا بعد خروج نبي الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى يعث الله عليهم القتل يوم بدر . حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ) قال : قد فعلوا بعد ذلك ، فأهلكهم الله يوم بدر ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر . وكذلك كانت سنة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لو أخرجت قريش محمدا لعدّوا بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، قول قتادة ومجاهد ، وذلك أن قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ) في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر ، فيوجه قوله (وَإِنْ كَادُوا) إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبرا عن جري له ذكر أولى من غيره . وأما القليل الذي استثناءه الله جلّ ذكره في قوله (وَإِذَا لَابِلَبِشُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) فإنه فيما قيل ، ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا لَابِلَبِشُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر ، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِذَا لَابِلَبِشُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر ، فأخذهم بالعذاب يوم بدر ، وعني بقوله خلافك بعدك ، كما قال الشاعر :
 عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَها فكَأَنَّما بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا
 يعني بقوله : خلافها : بعدها . وقد حكى عن بعضهم أنه كان يقرؤها : خلافك . ومعنى ذلك ، ومعنى الخلاف في هذا الموضع واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

* يقول تعالى ذكره : لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلا قليلا ، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا ، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، فإننا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله (لَابِلَبِشُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) لأن معنى ذلك : لعدّ بناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به .

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي (اللسان : خلف) . شاهد على أن خلافك بمعنى بعدك . وقد سبق استشهاد المؤلف به عند تفسير قوله تعالى « فرح الخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله » (الجزء ١٠ : ٢٠٠) . ورواية المؤلف هنا تختلف عنها عند الآية من سورة التوبة ففيها * عقب الربيع خلفهم فكأنما * . وفي (اللسان : عقب) : * عقب الرذاذ خلافهم فكأنما * وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٨٧) : * عفت الديار خلفها فكأنما * .

كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا . وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) : أى سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم . لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أقيم الصلاة) يا محمد (ليدلوك الشمس) . واختلف أهل التأويل في الوقت الذى عناه الله بدلوك الشمس . فقال بعضهم : هو وقت غروبها ، والصلاة التى أمر بإقامتها حينئذ : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبي إسحاق ، يعنى الشيباني ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، أنه كان مع عبد الله بن مسعود ، على سطح حين غربت الشمس ، فقرأ (أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن هذا حين دلكت الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، أن أبا عبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلى المغرب ، ويفطر عندها إن كان صائماً ، ويقسم عليها يمينا ما يقسمه على شىء من الصلوات بالله الذى لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله (أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل) . حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : هذا دلوك الشمس ، وهذا غسق الليل ، وأشار إلى المشرق والمغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : دلوك الشمس : غروبها ، يقول : دلكت براح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله ، أنه قال : حين غربت الشمس دلكت ، يعنى براح مكانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : دلوكها : غروبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصلحها إذا وجبت وعندها يفطر إذا كان صائماً ، ثم يقسم عليها قسماً لا يقسمه على شىء من الصلوات بالله

الذي لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : كان أبي يقول : دلوكها : حين تريد الشمس تغرب إلى أن يغسق الليل ، قال : هي المغرب حين يغسق الليل ، وتدلُّك الشمس للغروب :

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس ، ويخلف أنه الوقت الذي قال الله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله حين غربت الشمس : هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة . وقال : دلوكها : غروبها .

وقال آخرون : دلوك الشمس : مياها للزوال ، والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها : الظهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : دلوكها : مياها ، يعني الشمس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال ، في قوله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، في قوله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : دلوكها : ميلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة ، عن أبي برزة الأسامي ، قوله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : إذا زالت .

حدثنا ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا أبو تيمية ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : أتيت أبا برزة فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا : (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : الظهر دلوكها ، إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (أقيم الصلاة لدلوك الشمس) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان . عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر في (أقيم الصلاة لدلوك الشمس) قال : لزوال الشمس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن عباس ، قال : دلوك الشمس : زيتها بعد نصف النهار ، يعني الظل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : دلوك الشمس ، قال : حين تزيغ عن بطن السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أقيم الصلاة لدلوك الشمس) أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لدلوك الشمس) قال : حين تزيغ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : دلوك الشمس : حين تزيغ .

❖ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بقوله (أقيم الصلاة لدلوك الشمس) : صلاة الظهر ، وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل ، يقال منه : ذلك فلان إلى كذا : إذا مال إليه . ومنه الخبر الذي روى عن الحسن أن رجلاً قال له : أيُّدالك الرجل امرأته ؟ يعني بذلك : أيميل بها إلى المماطلة بحقتها . ومنه قول الراجز :

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِبَاحٍ غُدُوَّةَ حَتَّى دَلَكْتُ بِرِاحٍ

ويروى : براح بفتح الباء ، فمن روى ذلك براح بكسر الباء ، فإنه يعني : أنه يضع الناظر كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما لى من غيارها . وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني

(١) الرجز من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٨١) وروايته فيه : « ذب » في موضع « غدوة » وهي كرواية (اللسان : برح) . قال الفراء : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » : جاء عن ابن عباس قال : هو زيغها وزوالها للظهر . قال أبو زكريا : ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس أنشدني بعضهم « هذا مقامى . . . البيت » يعنى الساقى - ذب - طرد الناس براح : يقول حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ؟ قال : هكذا فسروه لنا . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٨٧) : ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب . وقال : « هذا مقام » . . . البيت ألا ترى أنها تدفع بالراح يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر ما بقى من غيابها . والدلوك : دنوها من غيبوتها . وقال أبو زيد الأنصاري في النوادر (ص ٨٨) : ويقال : دلكت براح وبراح (بفتح الباء ، وكسر الحاء أو ضمها) وهو اسم للشمس معروف . قال الراجز :

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِبَاحٍ غُدُوَّةَ حَتَّى دَلَكْتُ بِرِاحٍ

قال أبو حاتم : براح : أي براحة . وفي (اللسان : برح) : وبراح وبراح (بالباء مفتوحة وكسر الحاء وضمها) : اسم للشمس معرفة مثل قظام ، سميت بذلك لانتشارها وبيانها .

وغيرهم . وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال حين غربت الشمس : دلكت براح ، يعني : براح مكانا ، ولست أدري هذا التفسير ، أعنى قوله : براح مكانا من كلام من هو ممن في الإسناد ، أو من كلام عبد الله ، فإن يكن من كلام عبد الله ، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم . وأن الصواب في ذلك قوله ، دون قولهم ، وإن لم يكن من كلام عبد الله ، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج ، وهو قوله :

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفًا أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَتَى تَزَحَلْفَا

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر إلى مغيبها براحه . ومن روى ذلك بفتح الباء ، فإنه جعله اسما للشمس وكسر الحاء لإخراجه إياه على تقدير قَطَامٍ وَحَدَامٍ وَرَقَاشٍ ، فاذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل ، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن محمّد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تيمية ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : قال أبو برزة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دعوت النبي صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي . ثم نخرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اخرج يا أبا بكرٍ قد دلكت الشمس » .

حدثني محمد بن عثمان الرازي ، قال : ثنا سهل بن بكار ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نُبَيْحِ المَعْتَزِيِّ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث ابن حميد . فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا ، فبين إذن أن معنى قوله جل ثناؤه (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما

(١) البيتان من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٢ من أرجوزة عدتها ٨١ بيتا) وهي في زوائد الديوان ، لاقى أصله . وهما من شواهد أبي عبيد في مجاز القرآن (١ : ٣٨٨) قال : في دلوك الشمس : ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه ، من شعاعها لينظر ما بقي من غيابها ، والدلوك دنوها من غيبوتها . قال العجاج : « والشمس . . . الخ » . وفي (اللسان : تزحلف) ويقال للشمس إذا مالت للمغرب ، إذا زالت عن كبد السماء نصف النهار : قد تزحلفت . قال العجاج : « والشمس . . . الخ » .

الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل ؛ وغسق الليل : هو إقباله ودنوه بظلامه ، كما قال الشاعر :

أَبَ هَذَا اللَّيْلِ إِذْ غَسَقًا

وينحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده ، فقال بعضهم : الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس ، قوله (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : غسق الليل : بدؤ الليل . حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عاوية . عن أبي رجاء . قال : سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية : (أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : بدؤ الليل . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : غسق الليل : غروب الشمس . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غَسَقِ اللَّيْلِ) : صلاة المغرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) بدؤ الليل لصلاة المغرب . وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا تَنْزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا صَلَّوْا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ تَبْدُوَ وَالنُّجُومُ » . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد . قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) يعني ظلام الليل . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يقول (غَسَقِ اللَّيْلِ) : ظلمة الليل .

وقال آخرون : هي صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : صلاة العصر .

(١) هذا صدر بيت ، لعبيد الله بن قيس الرقيات . وعجزه * واشتكيت الهم والأرقا * واستشهد به على أن معنى « غسق الليل » : ظلامه . (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٨٨) ورواية أبي عبيدة : * إن هذا الليل قد غسقا * وتزيدها رواية اللسان أيضا . قال : غسق الليل يغسق (كيضرب) غسقا وغسقانا ، وأغسق : عن ثعلب : انصب وأظلم ، ومنه قول ابن الرقيات : * إن هذا الليل قد غسقا *

❖ وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل. وأما قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ). وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار. وبالذی قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، قال: ثنى أبي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم «في هذه الآية (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال: تشهدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ».

حدثنا محمد بن سهل، قال: ثنا آدم، قال: ثنا ليث بن سعد، وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال ثنا ابن أبي مریم، قال: ثنا الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذَّكَرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ: فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ دَارُهُ الَّتِي لَمْ تَمْرَها عَيْنٌ، وَلَا تَخْطُرُ عَلَى قَائِبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلَا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرُ ثَلَاثَةٍ: النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكَ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرُوحِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فَتَنْتَفِضُ، فَيَقُولُ قَوْمِي بَعُونِي، ثُمَّ يَطَّلِعُ إِلَى عِبَادِهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَعْفِرْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ حَتَّى يَطَّلِعَ الْفَجْرُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال موسى في حديثه: شهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، قال: قال أبو عبيدة بن عبد الله: كان عبد الله يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله، ويقرأ هذه الآية (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) وقرآن الفجر: صلاة الصبح ، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحراسان من ملائكة الله حراس الليل وحراس النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) صلاة الفجر . وأما قوله (كَانَ مَشْهُودًا) فإنه يقول : ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة .
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن أبي عبيدة ، في قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا ، ثم يصعد هؤلاء ويقوم هؤلاء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يعني صلاة الصبح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) قال : صلاة الصبح .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) صلاة الصبح (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) يعني صلاة الغداة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) قال : صلاة الفجر (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : مشهودا من الملائكة فيما يذكرون . قال : وكان علي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب يقولان : الصلاة الوسطى التي حضن الله عليها : صلاة الصبح . قال : وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر : صلاتا النهار ، والمغرب والعشاء : صلاتا الليل ، وهي بينها ، وهي صلاة نوم ، ما نعلم صلاة يُغفل عنها مثلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن الحريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

الحضري ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده . إن هذه الآية (وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) إنما لصلاة الفجر إنها لمشهودة .

حدثني الحسن بن علي بن عباس ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرني أبي ، عن الزهري ، قال
ثني سعيد بن المسيب ، وأبوسامة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ » ، ثم يقول أبو هريرة :
اقرأوا إن شئتم (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ
الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن ، نافلة
لك خالصة دون أمتك . والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة من الليل . وأما المهجود نفسه : فالنوم . كما
قال الشاعر :

ألا طَرَقْتَنَا وَالرَّفَاقُ هُجُودُ فَبَاتَتْ بِعِلَاتِ النَّوَالِ تَجُودُ ١

وقال الحطبيته :

ألا طَرَقَتْ هِنْدُ الْهِنُودِ وَمُصْحَبَتِي بِحَوْرَانَ حَوْرَانَ الْجُنُودِ هُجُودُ ٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن مجاهد بن
يزيد ، عن أبي هلال ، عن الأعرج أنه قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن رجل من
الأنصار ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فقال : لأنظرن كيف يصلي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استيقظ ، فرفع رأسه إلى السماء ، فتلا

(١) البيت لم أقف على قائله . وهجود : يجوز أن يكون مصدر هجد هجد هجودا إذا نام ، ويكون المراد منه : والرفاق ذووه هجود
أو والرفاق هاجدون ، فيكون بمعنى المشتق . ويجوز أن يكون هجود جمعا هاجد بلا تأويل ، كقعود جمع قاعد ، وجلوس جمع جالس
وحضور جمع حاضر . والعلات : جمع علة اسم للمرة من العل ، وهو السقي الثاني بعد الأول . والنوال : ما يعطيه الحبيب حبيبه من
ثمرة الحب .

(٢) البيت للحطبيته (ديوانه طبعة الحميدية ص ١٠٣) . وقال شارحه : كل كورة من كور الشام : جند . وهجود : جمع
هاجد ، وهو النائم ، ومثله قعود : جمع قاعد . ومحل الشاهد أن الهجود في الآية معناه : النوم ؛ كما في بيت الحطبيته . مصدر هجد
يهجد هجودا إذا نام . ويكون المصدر في معنى المشتق ، أو يكون على معنى : والرفاق « ذوو هجود » ثم حذف المضاف ، وأقيم
المصدر مقامه .

أربع آيات من آخر سورة آل عمران (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)
حتى مرّ بالأربع ، ثم أهوى إلى القربة ، فأخذ سواكاً فاستنّ به ، ثم توضأ ، ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ
فصنع كصنعه أول مرة ، ويزعمون أنه التهجّد الذي أمره الله .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سعيد ، عن أبي إسحاق ، عن
محمد بن عبد الرحمن ، عن علقمة والأسود أنهما قالا : التهجّد بعد نومة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن
الأسود ، قال : التهجّد : بعد نومة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن يزيد ، عن علقمة الأسود ، بمثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ،
قال : التهجّد : بعد النوم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : التهجّد : ما كان
بعد العشاء الآخرة .

حدثت عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن كثير بن
العباس ، عن الحجاج بن عمرو ، قال : إنما التهجّد بعد رقدة .

وأما قوله (نَافِلَةٌ لَكَ) فإنه يقول : نفلا لك عن فرائضك التي فرضتها عليك .

واختلّف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع كون صلاة كل
مصلّ بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلا ، إذ كانت غير واجبة عليه ،
فقال بعضهم : معنى خصوصه بذلك : هو أنها كانت فريضة عايه ، وهي لغيره تطوّع ، وقيل له : أقمها
نافلة لك : أي فضلاً لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَهَجَدْ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ) يعني بالنافلة أنها للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، أمر
بقيام الليل وكتب عليه .

وقال آخرون : بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيئاً من الذنوب ،
لأن الله تعالى كان قد غفر له ماتقدهم من ذنبه وما تأخّر ، فكان له نافلة فضل ، فأما غيره فهو له كفارة ،
وليس هو له نافلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة ، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل وزيادة ، والناس يعملون ماسوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها ، فليست للناس نوافل .

❦ وأولى القولين بالصواب في ذلك ، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل ، دون سائر أمته . فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك ، فقول لامعنى له ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر عنه أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عاياه (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحَدِيدِ ، وأنزل عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) عام قبض . وقيل له فيها (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) فكان يُعَدُّ له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد استغفار مئة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك ، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن عطية ، عن شهر ، عن أبي أمامة ، قال : إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (نافلة لك) قال : تطوعا وفضيلة لك .

وقوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) وعسى من الله واجبة ، وإنما وجه قول أهل العلم : عسى من الله واجبة ، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفة الغرور ، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه ، إذا هو تعاهده ولزمه ، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه ، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه ، فإنه لصاحبه غار بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفة الغرور لعباده صحح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته ، أو على فعل من الأفعال ، أو أمر أو نهى أمرهم به ، أو نهاهم عنه ، فإنه موف لهم به ، وإنه منه كالعدة التي لا يخاف الوفاء بها ، قالوا : عسى ولعل من الله واجبة .

وتأويل الكلام : أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك باقامتها فيها ، ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك ، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده ، وتغبط فيه . ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو

يقوم به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة الناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن أبي إسحاق . عن صالة بن زُفر ،
عن حذيفة . قال : يجمع الناس في صعيد واحد . فيسمعهم الداعي . وينفذهم البصر . حنفاة عراة كما
خُلقوا . قياما لا تكلم نفس إلا باذنه . ينادى : يا محمد . فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . والشر
ليس إليك . والمنهدى من هدأت . عبدك بين يديك . وبك وإليك . لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك .
تباركت وتعاليت . سبحانك رب هذا البيت : فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى .

حدثنا محمد بن المثني . قال : ثنا محمد بن جعفر . قال : ثنا شعبة . عن أبي إسحاق . عن صالة بن
زُفر . عن حذيفة . قال : يُجمع الناس في صعيد واحد . فلا تكلم نفس . فأول ما يدعو محمد النبي صلى
الله عليه وسلم . فيقوم محمد النبي صلى الله عليه وسلم . فيقول : لبيك . ثم ذكر مثله .

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي . قال : ثنا عيسى بن يونس . عن رشدين بن كريب . عن أبيه
عن ابن عباس . قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة .
حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن سلمة بن كهيل . قال : ثنا أبو الزعراء ،
عن عبد الله في قصة ذكرها . قال : ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم . فيمرّ الناس بقدر أعمالهم ؛
يمرّ أولهم كالبرق . وتمرّ الريح . وتمرّ الطير . وكأسرع البهائم . ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعيًا ، ثم مشيًا ،
حتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه . فيقول : ربّ لما أبطأت بي . فيقول : إني لم أبطأ بك . إنما أبطأ بك
عملك . قال : ثم يأذن الله في الشفاعة . فيكون أول شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام ، روح القدس ،
ثم إبراهيم خليل الرحمن . ثم موسى . أو عيسى قال أبو الزعراء : لأدرى أيهما قال : قال : ثم يقوم نبيكم
عليه الصلاة والسلام رابعًا . فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه . وهو المقام المحمود الذي ذكر الله (عَسَى
أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) .

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا ابن أبي عدي . عن عوف . عن الحسن في قول الله تعالى (وَمِنَ
اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ بِحَمْدِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : المقام المحمود :
مقام الشفاعة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء . جميعًا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : شفاعة
محمد يوم القيامة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد . مثله .
حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا أبو معاوية . عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان . عن
سليمان . قال : هو الشفاعة . يشفعه الله في أمته ، فهو المقام المحمود .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) ، وقد ذُكِرْنَا أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَوْ مَلَكًا نَبِيًّا ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْ تَوَاضَعَ ، فَاخْتَارَ نَبِيَّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا ، فَأُعْطِيَ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثِينَ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَشَقَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ . وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَتَرَوْنَ أَنَّهُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : هي الشفاعة ، يشفعه الله في أمته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر والثوري ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال : سمعت حذيفة يقول في قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يُسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ، فَيَسْنَفُذُهُمُ الْبَصْرُ حُفَاةَ عُرَاةٍ ، كَمَا خَلِقُوا سَكُوتًا لِاتِّكَاثِمْ نَفْسِ الْإِبَادَةِ ، قَالَ : فَيَنَادِي مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمَهْدَى مِنْ هَدَايَتِكَ ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجِيَّ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال حذيفة : يجمع الله الناس في صعيد واحد ، حيث يَسْنَفُذُهُمُ الْبَصْرُ ، وَيُسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ، حُفَاةَ عُرَاةٍ كَمَا خَلِقُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقُومُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ .

وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه ، هو أن يقاعده معه على عرشه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) قال : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ .

❦ وَأَوَّلَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مَا صَحَّ بِهِ الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن داود بن يزيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) سئلت عنها ، قال : « هِيَ الشَّفَاعَةُ » .

حدثنا علي بن حرب ، قال : ثنا مكي بن إبراهيم ، قال : ثنا داود بن يزيد الأودي ، عن أبيه ، عن

أبي هريرة . عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله «(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)» قال : هو المقام الذي أشنع فيه لأمتي .

حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن الفرَج . قال : ثنا بقيه بن الوليد ، عن الزُّبَيْدِي . عن الزُّهْرِي . عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُخَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ : فَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضِرَاءَ . ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي . فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ . فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا شعيب بن الليث . قال : ثنا الليث ، عن عبيد الله ابن أبي جعفر . أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الشَّمْسُ لَتَدْنُو حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَفْغاثُوا بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ . ثُمَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَسْمِئِي حَتَّى يَأْخُذَ بِجَانِبَةِ الْجَنَّةِ . فَيَوْمئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا » .

حدثني أبو زيد عمر بن شَبَّهة . قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، عن علي بن الحكم ، قال : ثنا عثمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود وعائمة ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ » فقال رجل : يا رسول الله ، وما ذلك المقام المحمود ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ حُمْفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيُؤْتَى بِرِيطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ . فَيَلْبَسُهُمَا ، ثُمَّ يَتَمَعَّدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ . ثُمَّ أُوْتَى بِكِسْوَتَيْنِ فَالْبَسَهُمَا . فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرِي يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ . ثُمَّ يُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْخَنُوضِ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهْرِي ، عن علي بن الحسين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَمَيْهِ » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى وَجِبْرِئِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللَّهُ مَرَّاهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : أَيُّ رَبِّ إِنْ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَى . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، قال : فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزُّهْرِي ، عن علي بن الحسين ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ، فذكر نحوه ، وزاد فيه : « ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبِيدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ : وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن آدم ، عن علي ، قال : سمعت ابن عمر يقول : « إِنْ النَّاسَ يَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَجِيءُ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ ، ثُمَّ يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم في آخر الأمم هو وأمته ، فيرقى هو وأمته على كرم فوق الناس ، فيقول : يا فلان اشفع ، ويا فلان اشفع ، ويا فلان اشفع ، فما زال يردّها بعضهم على بعض ا يرجع ذلك إليه ، وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا حسيوة وربيعة ، قالوا : ثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ ، فَيَكْتُبُونَ لِي عِزًّا وَجَلًّا حَتَّى خَضِرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمُنْحَمُودُ » .

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقْعِدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَرْشِهِ ، قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر ، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك : فأما من جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله عزّ وجلّ بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسها ، وهو كما لم يزل ، غير أن الأشياء التي خلقها ، إذ لم يكن هو لها ماسا ، وجب أن يكون لها مباينا ، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو ماس للأجسام أو مباين لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله عزّ وجلّ فاعل الأشياء ، ولم يجز في قولهم : إنه يوصف بأنه ماس للأشياء ، وجب بزعمهم أنه لها مباين ، فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على الأرض إذ كان من قولهم إن بينونته من عرشه ، وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما ، غير ماس لواحد منهما .

وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته ، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ولا شيء يباينه ، فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا ماس ولا مباين لهذا ، كما أنه لا ماس ولا مباين لهذا .

وقالت فرقة أخرى : كان الله عزّ ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم أحدث الأشياء وخلقها ، فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا ، وصار له ماسا ، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقا ، ولا شيء يحرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا ، وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ولا يباينه ، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه ، فهو ماس ما شاء من خلقه ، ومباين ما شاء منه ، فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا على عرشه ، أو أقعد على منبر من نور ، إذ كان من قولهم : إن

(١) لعله حتى يرجع .

جلوس الربّ على عرشه . ليس بجائز يشغل جميع العرش ، ولا في إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية . ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين . كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها ، هو مباين له . قالوا : فإذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودية والدخول في معنى الربوبية . فكذلك لا يوجب له ذلك تَعُودُهُ عَلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ ، فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذَا بَمَا قُلْنَا أَنَّهُ غَيْرُ مَحَالٍ فِي قَوْلِ أَحَدٍ مِّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ مَا قَالَه مَجَاهِدٌ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْعُدُ مُحَمَّدًا عَلَى عَرْشِهِ .

فإن قال قائل : فإننا لاننكر إقعاد الله محمدا على عرشه ، وإنما ننكر إقعاده .

حدثني عباس بن عبد العظيم : قال : ثنا يحيى بن كثير ، عن أبي جري ، عن سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام . قال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسي الربّ بين يدي الربّ تبارك وتعالى ، وإنما ينكر إقعاده إياه معه . قيل : أفجائز عندك أن يقعه عليه لامعه . فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إمام معه : أو إلى أنه يقعه : والله للعرش مباين ، أو لاماس ولا مباين ، وبأى ذلك قال كان منه دخولا في بعض ما كان ينكره وإن قال ذلك غير جائز كان منه خروجا من قول جميع الفرق التي حكينا قولهم ، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام : إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقوال الثلاثة التي حكيناها ، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وقل يا محمد يا ربّ ادخلى مدخل صدق .

واختلف أهل التأويل في معنى مدخل الصدق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه في أن يدخله إياه ، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج إياه ، فقال بعضهم : عني بمدخل الصدق : مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، حين هاجر إليها ، ومخرج الصدق : مخرجه من مكة ، حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه (وَقُلْ رَبِّ

(١) لعل هذه الجملة قد سقطت بقيتها في هذا الموضع . وستجىء نظيرتها تامة في السطر الثالث بعدها .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا .
 حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف عن الحسن ، فى قول الله
 (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، أو يطردوه ، أو يوثقوه ، وأراد الله قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلى
 المدينة ، فهو الذى قال الله (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معتمر ، عن قتادة (مُدْخَلَ صِدْقٍ)
 قال : المدينة (وَمُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ
 وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي
 مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق : مكة
 حين خرج منها مخرج صدق ، قال ذلك حين خرج مهاجرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقل رب أمتنى إمامة صِدْقٍ ، وأخرجنى بعد الممات من قبرى يوم
 القيامة مُخْرَجَ صِدْقٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
 (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) . . . الآية ، قال : يعنى بالإدخال : الموت ، والإخراج :
 الحياة بعد الممات .

وقال آخرون : بل عَسَى بذلك : أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجنى
 منه مُخْرَجَ صِدْقٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) قال : فيما أرسلتنى به من
 أمرك (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال كذلك أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلنى مدخل صدق : الجنة ، وأخرجنى مخرج صدق : من مكة
 إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : (أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) الجنة (وَخَرَجَ صِدْقٍ) من مكة إلى المدينة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني في الإسلام مُدْخَلَ صِدْقٍ :

ذكر من قال ذلك

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) قال : أدخلني في الإسلام مدخل صدق (وَأَخْرِجْنِي) منه (مُخْرَجَ صِدْقٍ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني مكة آمنة ، وأخرجني منها آمنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك قال في قوله (رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) يعني مكة ، دخل فيها آمنة ، وخرج منها آمنة .

❖ وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : معنى ذلك : وأدخلني المدينة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني من مكة مُخْرَجَ صِدْقٍ :

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن ذلك عقيب قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَتِكَ إِلَّا قَلِيلًا) . وقد دللنا فيما مضى ، على أنه عنى بذلك أهل مكة ؛ فإذا كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجه عن مكة ، كان بيئنا ، إذ كان الله قد أخرجه منها ، أن قوله (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرج من البلدة التي هم المشركون باخراجه منها مخرج صدق ، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق .

وقوله (وَاجْعَلْ لِي مِينَ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : واجعل لي ملكا ناصرا ينصرني على من ناوأني ، وعززا أقيم به دينك ، وأدفع به عنه من أراد به سوء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله عز وجل (وَاجْعَلْ لِي مِينَ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) يُوعِدُهُ لَيَسْتَنْزِعَنَّ مَلِكًا فَارِسًا ، وَلَيَجْعَلُنَّهُ لَهُ ، وَعِزًّا الرَّومِ ، وَمَلِكًا الرَّومِ ، وَلَيَجْعَلُنَّهُ لَهُ :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَاجْعَلْ لِي مِينَ لَدُنْكَ

سُلْطَانَا نَصِيرًا) وإن نبي الله علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عز وجل ، ولحدود الله ، وفرائض الله ، وإقامة دين الله ، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض ، فأكل شديدهم ضعيفهم .
وقال آخرون : بل عني بذلك حجة بينة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل (سُلْطَانَا نَصِيرًا) قال : حجة بينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثله .
❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتبه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده ، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده .
وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجهم من مكة ، فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجهم من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم ، ويدخله بأمة غيرها ، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخوله إليها ، وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها ، وعلى كل من كان لهم شبيها ، وإذا أوتى ذلك ، فقد أوتى لاشك حجة بينة .

وأما قوله (نَصِيرًا) فإن ابن زيد كان يقول فيه ، نحو قولنا الذي قلنا فيه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) قال : ينصرنى ، وقد قال الله لموسى (سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكَ مِمَّا سُلْطَانًا فَلَا يَصِيدُونَ إِلَيْكَ مَا بَيَّاتِنَا) هذا مقدم ومؤخر ، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستنزفوك من الأرض ليخرجوك منها (جاء الحق وزهق الباطل) .

واختلف أهل التأويل في معنى الحق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم المشركين أنه قد جاء ، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زهق ، فقال بعضهم : الحق : هو القرآن في هذا الموضع ، والباطل : هو الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ) قال : الحقّ : القرآن (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ) قال : القرآن (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) قال : هلك الباطل وهو الشيطان . وقال آخرون : بل عُنِيَ بِالْحَقِّ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ وَبِالْبَاطِلِ الشَّرْكَ :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ) قال : دنا القتال (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) قال : الشرك وما هم فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاث مئة وستون صنبا ، فجعل يطعنها ويقول : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) : * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء ، وهو كلّ ما كان لله فيه رضا وطاعة ، وأن الباطل قد زهق : يقول : وذهب كلّ ما كان لارضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة ، وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس ، وأن الباطل : هو كلّ ما وافق طاعته ، ولم يخص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعته ، ولا ذهب بعض معاصيه ، بل عمّ الخبر عن مجيئ جميع الحقّ ، وذهب جميع الباطل ، وبذلك جاء القرآن والتزيل ، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله ، أعنى على إقامة جميع الحقّ ، وإبطال جميع الباطل .

وأما قوله عزّ وجلّ (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) فإن معناه : ذهب الباطل ، من قولهم : زهقت نفسه : إذا خرجت وأزهقتها أنا ؛ ومن قولهم : أزهق السهم : إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته ، يقال منه : زهق الباطل ، يزهدق زهوقا ، وأزهقه الله : أى أذهبه . وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) يقول : ذاهبا .

وقوله عزّ وجلّ (وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة ، ويبصر به من العدى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به ، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه

فيدخلهم بذلك الجنة ، ويُنَجِّبهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله ، أنعم بها عليهم (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) يقول : ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خساراً : يقول : إهلاكاً ، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به ، فلم يأتروا لأمره ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه ، فزادهم ذلك خساراً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ، ورجسا إلى رجسهم قبل .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَسَزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) به (إِلَّا خَسَارًا) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿١٧﴾

يقول تبارك وتعالى : وإذا أنعمنا على الإنسان ، فنجسناه من كرب ما هو فيه في البحر ، وهو ما قد أشرف فيه عايه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البر ، وغير ذلك من نعمنا ، أعرض عن ذكرنا ، وقد كان بنا مستغيثاً دون كل أحد سوانا في حال الشدة التي كان فيها (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول : وبعد منا بجانبه ، يعني بنفسه ، كأن لم يبدعنا إلى ضرر مسه قبل ذلك .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن مجاهد ، في قوله (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) قال : تباعد منا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله والقراءة على تصيير الهمزة في نأى قبل الألف ، وهي اللغة الفصيحة ، وبها نقرأ . وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك (وَنَاءَ) فيصير الهمزة بعد الألف ، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخر ، وتأخيرهموه في موضع ، هو مقدم ، كما قال الشاعر :

أَعْلَامٌ يُقْتَلُّ رَاءَ رُؤْيَا فَهُوَ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ

وكما قال آبار وهي آبار ، فقدموا الهمزة ، فليس ذلك هو اللغة الجودي ، بل الأخرى هي الفصيحة .

وقوله عز وجل (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا) يقول : وإذا مسه الشر والشدة كان قنوطاً من

الفرج والروح .

(١) هكذا جاء هذا البيت في الأصول ، ولم نهد إلى قائله بعد بحث ، وهو من بحر الخفيف ، وفيه تحريف في شطره الأول . ولعل الصواب في روايته هكذا :

أَمْ غُلَامٌ مُّضَلَّلٌ رَاءَ رُؤْيَا فَهُوَ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ

أما محل الشاهد في البيت فسليم ، في قوله « راء » فإنه مقلوب رأى ، قدمت اللام على العين ، وهو في تقدير « فلع » والدليل على ذلك أن مصدر الفعلين واحد وهو الرؤيا ، ومثله في القلب : « ناء » أصله « نأى » ومصدرهما النأى .

وبنحو الذي قلنا في اليثوس ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَشُورًا) يقول : قَنُوطًا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَشُورًا) يقول :
إذا مسه الشرّ أيسر وقنيط .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٤٥﴾

يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : كلكم يعمل على شاكلته : على ناحيته وطريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ) هو منكم (أَهْدَى سَبِيلًا) يقول : ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحق من غيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ) يقول : على ناحيته .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى شَاكِلِيهِ) قال : على ناحيته .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ) قال : على طبيعته على حديثه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ) يقول : على ناحيته وعلى ما ينوي .
وقال آخرون : الشاكلة : الدين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ) قال : على دينه ، الشاكلة : الدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

*** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً، وذكر أن الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فنزلت هذه الآية بمسألهم إياه عنها، كانوا قوماً من اليهود.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، ومعه عسيب يتوكأ عليه، فربقوا من اليهود، فقال بعضهم: اسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكئاً على عسيبه، فقمت خلفه، فظننت أنه يوحى إليه، فقال (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فقال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم لا تسألوه».

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّة بالمدينة، إذ مررنا على يهود، فقال بعضهم: سألوه عن الروح، فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكهون، فقاموا إليه، فسألوه، فقام فعرفت أنه يوحى إليه، فقمت مكاني، ثم قرأ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فقالوا: ألم نهكم أن تسألوه».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، قال: «سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فأنزل الله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فقالوا: أتزعم أننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة، وهي الحكمة، (وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا). قال: فنزلت (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهِ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) قال: ما أوتيتم من علم، فنهجاكم الله به من النار، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل».

حدثني إسماعيل بن أبي المتوكل، قال: ثنا الأشجعي أبو عاصم الحمصي، قال: ثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب، قال: ثنا القاسم بن معن، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «إني لمع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، إذ أتاه يهودي، قال: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عز وجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)»

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) «لقيت اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم، فتخشّوه وسألوه وقالوا: إن كان نبياً علم، فسيعلم ذلك، فسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذى القرنين؛ فأنزل الله في كتابه ذلك كله (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) يعني اليهود».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : يهود تسأل عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : يهود تسأله .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) . . . الآية « وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا ما الروح ، وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله عز وجل ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُجِر إليهم شيئا ، فأناه جبرئيل عليه السلام ، فقال له : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، قالوا له : من جاءك بهذا؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : جاءني به جبرئيل من عند الله ، فقالوا : والله ما قاله لك إلا عدونا ، فأنزل الله تبارك اسمه (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فمررنا بأناش من اليهود ، فقالوا : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فأسكت ، فرأيت أنه يوحى إليه ، قال : فتنجيت عنه إلى سباطة ، فنزلت عليه (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) . . . الآية ، فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » .

واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِر في هذا الموضع ما هي ؟ فقال بعضهم : هي جبرئيل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : هو جبرئيل ، قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه . وقال آخرون : هي ملك من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : الروح : ملك .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عن حدثه عن علي بن أبي طالب ، أنه قال في قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسديحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته :

وأما قوله (من أمر ربي) فإنه يعني : أنه من الأمر الذي يعلمه الله عز وجل دونكم ، فلا تعلمونه ويعلم ما هو .

وأما قوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فقال بعضهم: عنى بذلك: الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب ، خرج الكلام على المخاطبة ، لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب ، أخرجوا الكلام خطاباً للجمع .
ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت بمكة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أفغيتنا أم قومك ؟ قال كلاً قد عنيت ، قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي في عايم الله قليل ، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتتم ، فأنزل الله (ولمّا أنما في الأرض من شجرة أقلام) . . . إلى قوله (إن الله سميع بصير) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله عز وجل (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) قال : يا محمد والناس أجمعون .
وقال آخرون : بل عنى بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) يعني : اليهود .
* وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به ، والمراد به جميع الخلق ، لأن علم كل أحد سوى الله ، وإن كثر في علم الله قليل . وإنما معنى الكلام : وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلاً من كثير مما يعلم الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا سَأَلْنَا لَنَدَّ هَبْنِ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾

* يقول تعالى ذكره : ولئن سألنا لنذهبن بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبن به ، فلا تعلمه ، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلاً ، يعني : قيساً يقوم لك ، فيمنعنا من فعل ذلك بك ، ولا ناصراً ينصرك ، فيحول بيننا وبين ما نريد بك ، قال : وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عز وجل به رفعه من صدور قارئيه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن بُسْنَدَار ، عن معقل ، قال : قلت لعبد الله : وذكر أنه يُسرى على القرآن ، كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا ، قال : يُسرى عليه ليلا ، فلا يبقى منه في مصحف ولا في صدر رجل ، ثم قرأ عبد الله (وَلَسَيْنَ شَيْئًا لَسْنَا لَسْنَا هَبْنِ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن إسحاق بن يحيى ، عن المسيب بن رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تطرق الناس ریح حراء من نحو الشام ، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية ، قال رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إني قد جمعت القرآن ، قال : لا يبقى في صدرك منه شيء ، ثم قرأ ابن مسعود (وَلَسَيْنَ شَيْئًا لَسْنَا هَبْنِ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

❖ يقول عز وجل : (ولئن شئنا لنذهبن) يا محمد (بالذي أوحيننا إليك) ولكنه لا يشاء ذلك ، رحمة من ربك وتفضلا منه عليك (إن فضله كان عليك كبيرا) باصطفائه إياك لرسالته ، وإنزاله عليك كتابه ، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

❖ يقول جل ثناؤه : قل يا محمد للذين قالوا لك : إنا نأتى بمثل هذا القرآن : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، لا يأتون أبدا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض عوناً وظهيرا . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتهم بآية غيره شاهدة له على نبوته ، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أضم^١ وبحري بن عمرو ، وعزيز بن أبي عزيز ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئنا به حق من عند الله عز وجل ، فإننا لانراه متناسقا كما تناسق التوراة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله إنكم لتتعرفون أنه من عند الله »

(١) قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود ، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أصان الذي جاء في الأصل ، ولعله نعمان

ابن أضا ، من بني قينقاع (انظر السيرة طبعة الحلبي ٢ : ١٦١) .

تَجِدُ وَنَهٌ مَكَتُوبًا عِنْدَ كُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَهُمْ جَمِيعًا : فَيُنْحَاصُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَشْيَعُ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ، وَسَمُوعُ بْنُ زَيْدٍ ، وَجَبَلُ بْنُ عَمْرٍو : يَا مُحَمَّدُ مَا يَعْلَمُكَ هَذَا إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَجِدُ وَنَهٌ مَكَتُوبًا عِنْدَ كُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ اللَّهُ يَصْنَعُ لِرَسُولِهِ إِذَا بَعَثَهُ مَا شَاءَ ، وَيَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى مَا أَرَادَ ، فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ وَنَعْرِفُهُ ، وَإِلَّا جِئْنَاكَ بِمِثْلِ مَا تَأْتِي بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ وَفِي مَا قَالُوا (قُلْ لَسِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَسِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ) . . . إلى قوله (وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) قال : معينا ، قال : يقول : لو برزت الجن وأعانهم الإنس ، فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن . وقوله عز وجل (لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) رفع ، وهو جواب لقوله « لئن » ، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها ، لأن « لئن » كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع ، وربما جزم لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام ، كما قال الأعشى :
لَسِنٌ مُنِيَّتَ بِنَا عَنِّ غَيْبٌ مَعْرَكَةٌ لَا تَلْفَنَّا عَنِّ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ ۱

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، احتجاجا بذلك كله عليهم ، وتذكيرا لهم ، وتنبيها على الحق ليتبعوه ويعملوا به (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) يقول : فأبى أكثر الناس إلا جحودا للحق ، وإنكارا للحجج الله وأدلته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقال يا محمد ، المشركون بالله من قومك لك : لن نصدقك ، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء .

(١) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٦٣) من قصيدته التي مطلعها : « ودع هريرة » وعدتها ٦٦ بيتا ، وبيت الشاهد هو ال ٦٣ قالها ليزيد بن مسهر ، أبي ثابت الشيباني . يقول : إنا لانمل القتال ، ولو قدر لك أن تبطل بنا في أعقاب معركة قد خضناها ، لوجدت فينا قوة على قتال جدير ، ولم ترنا ننجيد عن الخوض في الدماء مرة أخرى . ومحل الشاهد فيه أن قول الله « لا يأتون بمثله » جواب للقسم المتقدم عليه في قوله تعالى « لئن اجتمعت » ولم يؤكد فعل الجواب بالنون ، لأنه مسبوقة بالنون « لا » . . . ومثله في قول الأعشى : « لا تلفنا » التي لم يؤكد بالنون مع أنه جواب القسم « لئن منيت » ، وامتنع التوكيد لوجود النون في الجواب .

وقوله (يَنْبُوعًا) بفعول من قول القائل : نبع الماء : إذا ظهر وفار ، يَنْبُوعٌ وَيَنْبُوعٌ ، وهو ما نبع ، كما حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد : قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) : أي حتى تفجر لنا من الأرض عيوناً : أي ببلدنا هذا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) قال : عيوناً .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْبُوعًا) قال : عيوناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (تَفْجُرُ) فروى عن إبراهيم النخعي أنه قرأ (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا) خفيفة

وقوله (فَتَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) بالتشديد ، وكذلك كانت قراءة الكوفيين يقرءونها ، فكانهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى : حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرة واحدة . وبتشديدهم الثانية إلى أنها تفجر في أماكن شتى ، مرة بعد أخرى ، إذا كان ذلك تفجر أنهار لانهر واحداً . والتخفيف في الأولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب إلى لما ذكرت من افتراق معنيهما ، وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقال لك يا محمد مشركو قومك : لن نصدقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا ، تدفق بالماء أو تفور ، أو يكون لك بستان ، وهو الجنة ، من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها ، يعني : خلال النخيل والكروم ، ويعنى بقوله (خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَيْلًا ﴿١٢﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (كِسْفًا) فقراءته عامة قراءة الكوفة والبصرة بسكون السين ، بمعنى : أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسْفًا ، وذلك أن الكِسْفَ في كلام العرب : جمع كِسْفَةٍ ، وهو جمع الكثير من العدد للجنس ، كما تجمع السدرة بسدر ، والتمر بتمر ، فحكى عن العرب سماعاً : أعطني كِسْفَةً من هذا

(١) في الكلام سقط ظاهر . والحاصل أنهم اتفقوا ، على تشديد تفجر واختلفوا في حتى تفجر ، فبعضهم شدد ، وبعضهم خفف ،

واختار المؤلف التشديد لليلة التي ذكرها .

الثوب : أى قطعة منه ، يقال منه : جاءنا بثر يد كسف : أى قطع خبز . وقد يحتمل إذا قرئ كذلك (كِسْفًا) بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من كسف . فأما الكِسْفُ بفتح السين ، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر ، يقال : كِسْفَةٌ واحدة ، وثلاث كِسْفٌ ، وكذلك إلى العشر : وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة وبعض الكوفيين (كِسْفًا) بفتح السين بمعنى : جمع الكِسْفَةِ الواحدة من الثلاث إلى العشر ، يعنى بذلك قِطْعًا : ما بين الثلاث إلى العشر .

وَأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بسكون السين ، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحد معلوم من القطع ، إنما سألوا أن يُسْقَطَ عليهم السماء قِطْعًا ، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِسْفًا) قال : السماء جميعا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قوله (كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا) قال : مرة واحدة ، والى في الروم (وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا) قال : قطعا ، قال ابن جريج : كسفا لقول الله (إِن نَّشَاء نَّخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِم كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ) . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا) قال : أى قطعا .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كِسْفًا) يقول : قطعا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كِسْفًا) قال : قطعا . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا) يعنى قِطْعًا .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِي بَالِغَةَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ : يقول تعالى ذكره عن قِبل المشركين لنبي الله صلى الله عليه وسلم : أو يأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلة . واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : حتى يأتي الله والملائكة كل قبيلة منا قبيلة قبيلة ، فيعابنونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) مصدر الفعل كسف يكسف (كضرب يضرب) هو الكسف ، بفتح الكاف وسكون السين (اللسان) .

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) قال : على حدثنا ، كل قبيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) قال : قبائل على حدثنا كل قبيلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : أو تأتي بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة ، فنعاينهم معاينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) نعاينهم معاينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) فنعاينهم .

ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم : هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه .

❖❖❖ وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة ، من قولهم : قابلت فلانا مقابلة ، وفلان قبيل فلان ، بمعنى قبائله ، كما قال الشاعر :

نُصَالِحِكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا

يعنى قابليتها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثني والجميع من المؤنث والمذكر على لفظ واحد ، نحو قولهم : هذه قبيلي ، وهما قبيلي ، وهم قبيلي ، وهن قبيلي .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٧٧) وهو من قصيدة عندها ١٨ بيتا. والشاهد هو ال ١٧ فيها. وقبله :

فَأَتَى وَرَبَّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً وَمَا صَكَ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين ، يعاتب بني مرثد وبني جحدر . وفي رواية الشاهد : « أصل الحكم » بالهمزة بدل النون . يقول : لن أصل الحكم حتى تبوءوا بمثل جنائتكم وبفئكم ، وتصرخوا صرخة الحبل حين تعيها القايلة في الخاض . « وقبولها » في موضع : قبيلها . والأبيل الراهب . وتبوءوا : ترجعوا . ويسرتها : سهلت ولادتها وأعانها فيها . والقبول : المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٩٠) عند قوله تعالى : « والملائكة قبيلًا » مجازة مقابلة ، أي معاينة . وقال :

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل بشرتها قبيلها

أي قابلتها . فإذا وصفوا بتقدير « فعيل » من قولهم « قابلت » ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثني والجميع ، من المذكر والمؤنث ، على لفظ واحد ، نحو قولك : هي قبيلي ، وهما قبيلي ، وهم قبيلي ، وكذلك هن قبيل . اهـ . وفي (لسان العرب : قبل) : والقبيل والقبول القايلة . المحكم : قبيلت القايلة الولد قبالا : أخذته من الوالدة ، وهي قابلة المرأة وقبولها وقبيلها ، قال الأعشى :

أصلحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل أسلمها قبيلها

ويروى : قبولها . أي ينست منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا
نَقَرُوهُ وَقُلُّ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات : أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب ؟ وهو الزخرف .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ) يقول : بيت من ذهب .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِّنْ زُخْرٍ) قال : من ذهب .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ)
والزخرف هنا : الذهب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ) قال : من ذهب .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن الحكم قال : قال مجاهد : كنا لاندرى ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : لم أدر ما الزخرف ، حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود (بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ) :
وقوله (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ) يعني : أو تصعد في درج إلى السماء ، وإنما قيل في السماء ، وإنما يرقى إليها لافيا ، لأن القوم قالوا : أو ترقى في سلم إلى السماء ، فأدخلت « في » في الكلام ليدل على معنى الكلام ، يقال : رقيت في السلم ، فأنا أرقى رقياً ورقياً ورقياً ، كما قال الشاعر :

أَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقَى الدَّرَجِ عَلَى الكَلالِ وَالْمَشِيْبِ وَالْعَرَجِ

وقوله (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) يقول : ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء (حتى تنزل علينا كتاباً) منشوراً نقروه فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك ،

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت في (اللسان : رقى) قال : ورقيت في السلم رقياً (بوزن سقم) ورقياً (بوزن فعول) إذا صعدت ؛ وارتقيت

مثله ؛ أنشد ابن بري : « أنت الذي . . . البيت ، ولم ينسبه إلى قائله » .

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِتَابًا نَقَرُوهُ) قال : من رب العالمين إلى فلان ، عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : كتابا نقرؤه من رب العالمين ، وقال أيضا : تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ) : أى كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك .

وقوله (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته ، أو يكون لى سبيل إلى شيء مما تسألونيه (هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) يقول : هل أنا إلا عبد من عبده من بنى آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتوني من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذي سألتوني أن أفعله بيد الله الذى أنا وأنتم عبيد له ، لا يقدر على ذلك غيره .

وهذا الكلام الذى أخبر الله أنه كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملا من قریش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحَاجَّتِهِ ، فكلموه بما أخبر الله عنهم فى هذه الآيات . ،

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم

والسبب الذى من أجله ناظروه به

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان ابن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى أخوا بنى أسد ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية ، وأميمة بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيها وهنبيها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تنعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه بدا لهم فى أمره بداء ، وكان عليهم حريصا ، بحب رشدهم ويعز عايبه عندهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء ، وعيبت الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطالب مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطالب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد به مملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رثيا تراه قد غلب عليك ، وكانوا يسمون التابع من الجن : الرثى ، فرما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ؛ فقال رسول الله

(١) انظر هذا الحديث فى سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي ١ : ٣١٥) وفيه اختلاف يسير فى بعض الألفاظ . وفى تفسير

القرطبي (١٠ : ٣٢٨ - ٣٣٠) .

صلى الله عليه وسلم: « ما بي ماتقولون ، ما جئتمكم بما جئتمكم به أطأب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فببلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ، ولا أقل مالا ، ولا أشد عيشا منا ، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فإيسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ويبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخا صدوقا ، فنسألهم عما تقول ، حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألتك ، وصدقك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك بالحق رسولا ، كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت ، إنما جئتمكم من الله بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ، قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا ، فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وأسأله ، فليجعل لك جناحا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغي ، فانك تقوم بالأسواق ، وتلمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا ، فإن تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » ، قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا ، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لانؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله إن شاء ففعل بكم ذلك ، فقالوا : يا محمد ، فما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ، ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليامة يقال له الرحمن ، وإننا والله مانؤمن بالرحمن أبدا ، أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهن بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل

(١) في بعض نسخ السيرة ، وفي تفسير القرطبي : « وليخرق » .

(٢) في السيرة والقرطبي : « إنه قد بلغنا أنك إنما . . . الخ » .

ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لأؤمن لك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتى معك نسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول: وإيم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألا أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهله حزينا أسيفا لما فاتته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مبعديهم إياه؛ فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجاسن له غداً بحجر قدر ما أطبق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، بنحوه، إلا أنه قال: وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحرث أبناء بني عبد الدار، وأبا البخري بن هشام. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد، قال: قلت له في قوله تعالى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحق (إذ جاءهم الهدى) يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به، إلا قولهم جهلاً منهم (أبعث الله بشراً رسولاً) فإن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عايبها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكاراً لأن يبعث الله رسولا من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لسنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها؛ فأما غيرهم فلا يقدر على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدر على رؤيتهم وهم

(١) في تفسير القرطبي (١٠ : ٢٣٠): «ثم أتى معك بصلك مع أربعة... الخ». وفي السيرة: «ثم أتى معك أربعة... الخ».

بهياتهم التي خلقهم الله بها ، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم ، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩١﴾

✽ يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد للقائلين لك : (أبعثت الله بشرا رسولا) (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) فإنه نعم الكافي والحاكم (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا) يقول : إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأموورهم وأفعالهم ، والمحق منهم وألبطل ، والمهتدي والضال (بِبَصِيرًا) بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء ، وكيف شاء وأحب ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، وهو مجاز جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا تَأْوَمُّهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ومن يهد الله يا محمد للإيمان به ، ولتصديقك وتصديق ماجئت به من عند ربك ، فوفقه لذلك ، فهو المهتد الرشيد المصيب الحق ، لا من هداه غيره ، فإن الهداية بيده . ومن يضلل : ومن يضلل الله عن الحق ، فيخذله عن إصابته ، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله ، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله ، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ، (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) يقول : ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة (على وجوههم عُمِيَآ وَبِكَمَا) وهو جمع أبكم ، ويعنى بالبكم : الحرس .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَبِكَمَا) قال : الحرس (وَصَّمَا) وهو جمع أصم .

✽ فإن قال قائل : وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا ، وقد قال (ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) فأخبر أنهم يرون ، وقال (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَنَازِلٍ يَبْعِدُونَ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) فأخبر أنهم يسمعون وينطقون . قيل : جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمَى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة ، ثم يجعل لهم أسباع وأبصار ومنطق في أحوال أُخِرَ غير حال الحشر ، ويجوز أن يكون ذلك ، كما روى عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا) ثم قال (ورأى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) وقال : (سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا)

وقال (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) . أما قوله (عُمِّيَا) فلا يرون شيئاً يسرهم . وقوله (بَكُومًا) لا ينطقون بحجة . وقوله (صُومًا) لا يسمعون شيئاً يسرهم . وقوله (مَا وَآهَمُ جَهَنَّمَ) يقول جل ثناؤه : ومصيرهم إلى جهنم ، وفيها مساكنهم ، وهم وقودها .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا وَآهَمُ جَهَنَّمَ) يعني لأنهم وقودها .
وقوله (كُلَّمَا خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) يعني بقوله خبت : لانت وسكنت ، كما قال عدى بن زيد العبادي في وصف مزنة :

وَسَطُّهُ كَالْتِرَاعِ أَوْ سُرُجِ الْمِجْسَدِ لِحِينًا يَخْبُو وَحِينًا يُنِيرُ

يعني بقوله : يخبو السرج : أنها تلين وتضعف أحياناً ، وتقوى وتنير أخرى ، ومنه قول القطامي :

فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (كُلَّمَا خَبَّتْ) قال : سكنت :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (كُلَّمَا خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) يقول : كلما أحرقتهم تسعيرهم حطبا ، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئا صارت جمرا توهج ، فذلك خببوا ، فإذا بدّلوا خلقا جديدا عاودتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن مجاهد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي (شعراء النصرانية ص ٤٥٥) وهو ما كتب به إلى النعمان ، وهو من غرر قصائده . واليراع : فراشة إذا طارت في الليل لم يشك من يعرفها أنها شرارة طائرة عن نار . قال الجاحظ : نار اليراعة قيل هي نار حياحب ، وهي شبيهة بنار البرق . قال : واليراعة طائر صغير إن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف ، أو مصباح يطير . والمجدل ، بكسر الميم : القصر المشرف ، لوثاقة بنائه وجمعه مجادل . وخبت النار والحرب والحدة تخبو خبوا (على فعل) وخبوا (على فعول) : سكنت وطفئت ، وخذ لها . وقوله تعالى : (كلما خبت زدناهم سعيرا) ؛ قيل معناه : سكن لها ، وقيل معناه : كلما تمنوا أن تخبو ، وأرادوا أن تخبو . (انظر اللسان : يرع ، وجدل ، وخبوا) .

(٢) هذا عجز بيت للقطامي . وصدرة : * وكنا كالخريق أصاب غابا * (انظر ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٠٢ ص ٣٩) قال : يخبو : يسكن . ويهب : يهيج . وساع : جمع ساعة . وفي (اللسان : سرع) الساعة : جزء من الليل والنهار . والجمع : ساعات وساع . قال القطامي * وكنا كالخريق لذي كفاح * ... البيت . قال ابن بري : المشهور في صدر هذا البيت * * كنا كالخريق أصاب غابا * وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩١) « كلما خبت زدناهم سعيرا » أي تأججا . وخبت سكنت . وأنشد عجز البيت ، ثم قال : ولم يذكرها هنا جلودهم ، فيكون الخبو لها .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال ابن عباس (كُتِبَ مَا خَبَبَتْ) قال : خبوتها أنها تَسَعَّرَ بهم حطبها ، فإذا أحرقتهم ، فلم يبق منهم شيء صارت جمرًا تتوهج ، فإذا بُدِّلُوا خلقًا جديدًا عاودتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (كُتِبَ مَا خَبَبَتْ زِدْنَا هُمْ سَعِيرًا) يقول : كلما احترقت جلودهم بُدِّلُوا جلودًا غيرها ، ليذوقوا العذاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (كُتِبَ مَا خَبَبَتْ زِدْنَا هُمْ سَعِيرًا) قال : كلما لان منها شيء . حدثت عن مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك (كُتِبَ مَا خَبَبَتْ) قال : سكنت ، وقوله (زِدْنَا هُمْ سَعِيرًا) يقول : زدنا هؤلاء الكفار سعيرًا ، وذلك إسعار النار عليهم والتها بها فيهم وتأججها بعد خبوتها ، في أجسامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ جَزَاءُ هُم بِآثَمِ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِنَّ ذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما ، وإصلاحنا إياهم النار على ما بيننا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا ، يعني بأدلته وحججه ، وهم رسالته الذين دعواهم إلى عبادته ، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام ، وبقولهم إذا أمروا بالإيمان بالميعاد ، وبثواب الله وعقابه في الآخرة (أئذا كنا عظاما) بالية (ورفاتا) قد صرنا ترابا (أئنا لمبعوثون) خلقنا جديداً) يقولون : نُبْعَثُ بعد ذلك خلقا جديدا . كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا استنكارا منهم لذلك ، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

* أَوَلَمْ يَكِرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَأَرْبَبَ فِيهِ قَابِلُ الظَّالِمِينَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين (أئذا كنا عظاما ورفاتا) أئنا لمبعوثون خلقنا جديداً) بعيون قلوبهم ، فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض ، فابتدعها من غير شيء ، وأقامها بقدرته ، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم ، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم ، وقبل ذلك ، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا

جديدا . بعد أن يصيروا عظاما ورُفانا. وقوله (وَجَعَلْ لَّهْمُ أَجَلًا لَّارْيَبَ فِيهِ) يقول تعالى ذكره :
وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لملاكمهم . ووقتا لعذابهم لا ريب فيه : يقول : لاشك فيه أنه آتيتهم ذلك الأجل
(فَأَتَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) يقول : فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكديبا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلُوْا أَنْتُمْ تَمْلِكُوْنَ حَرَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْ إِذَا الْأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
قَتُوْرًا ﴿١٧٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي
من الأموال ، وعنى بالرحمة في هذا الموضع : المال (إِذَا الْأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) يقول : إذن
لبيخيلتكم به ، فقام تجودوا بها على غيركم ، خشية من الإنفاق والإقتار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس
(إِذَا الْأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) قال : الفقر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) أي خشية الفاقة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوْرًا) يقول : وكان الإنسان بخيلا ممسكا .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله
(وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوْرًا) يقول : بخيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،
في قوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوْرًا) قال : بخيلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوْرًا) قال : بخيلا .
ممسكا . وفي القتور في كلام العرب لغات أربع ، يقال : قتر فلان يقتر ويقتر ، وقتر يقتر ، وأقتر
يقتر ، كما قال أبو دؤاد :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنِّ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِيَتْهُ الْإِعْدَامُ

(١) البيت لأبي دؤاد (بواو غير مهموزة بعد الدال ، كما في التاج) وهو جارية بن الحجاج ، أو هو حفظة بن الشرفي الإيادي .
والبيت في (الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ ص ١٢٢) . وفي اللسان : قتر يقتر ويقتر قترا وقتورا ، فهو قاتر
وقتور ؛ وأقتر . أي افتقر . وقتر على عياله وأقتر وقتر : أي ضيق عليهم في النفقة . ويقال : إنه لقتور : أي مقتر . فتلخص أن
اللغات في هذا أربع : قتر يقتر ويقتر (من بابي نصر وضرب) وقتر (بالتشديد) وأقتر (بالهنز) كما قال المؤلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ عَلَى يَدَيْهِ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَكْمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات تُبَيِّنُ لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقية نبوته .

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال : التسع الآيات البيِّنات : يده ، وعصاه ، ولسانه ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم آيات مفصلات .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) إلقاء العصا مرتين عند فرعون ، ونزع يده ، والعقدة التي كانت بلسانه ، وخمس آيات في الأعراف : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وقال آخرون : نحووا من هذا القول ، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ : لإحداهما الطمسة ، والأخرى الحجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ، عن بريادة بن سفيان ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز ، عن قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) فقلت له : هي الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه ، والطمسة ، والحجر ، فقال : وما الطمسة ؟ فقلت : دعا موسى وأمن هارون ، فقال : قد أجيبت دعوتكما ، وقال عمر : كيف يكون الفقه إلا هكذا ، فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر ، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر ، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر .

وقال آخرون : نحووا من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ : لإحداهما السنين ، والأخرى النقص من الثمرات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ومطر الوراق ، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ) قالوا : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص من الثمرات .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا دشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والسنين ، ونقص من الثمرات ، وعصاه ، ويده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سئل عطاء بن أبي رباح عن قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ما هي ؟ قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصى موسى ، ويده .

قال ابن جريج : وقال مجاهد مثل قول عطاء ، وزاد : (أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ، وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : هما التاسعتان ، ويقولون : التاسعتان : السنين ، وذهاب عجمة لسان موسى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) وهي متتابعات ، وهي في سورة الأعراف (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : السنين في أهل البوادي ، ونقص من الثمرات لأهل القرى ، فهاتان آيتان ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، هذه خمس ، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء : البرص ، وعصاه إذ ألقاها ، فإذا هي ثعبان مبین .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم والسنين ، ونقص من الثمرات .

وقال آخرون نحو من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين ، والنقص من الثمرات آية واحدة ، وجعلوا التاسعة : تلقف العصا ما يأفكون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ، (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : هذه آية واحدة ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ويد موسى ، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبین ، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن عمرو ابن مرة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى النبي حتى نسأله عن هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال : لا تقل له نبي ، فانه إن سمعك صارت له أربعة أعين ، قال : فسألا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحرُوا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرىء إلى ذي سلطان ليقضه ، ولا تقذفوا مُحَصَّنَةً ، أو قال : لا تفرؤوا من الزحف » : شعبة الشاك « وأنتم يا يهود علبكم خاصة لا تعدوا في السبب ، فقبلا يده ورجله ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكما أن تسلما ؟ قال : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، ولنا نخشى أن تقتلنا يهود » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي ، عن سعيد ، عن عمرو ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أن ابن مهدي قال : « لا تمشوا إلى ذي سلطان » وقال ابن مهدي : أراه قال : « بيريء » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه ، عن شعبة بن الحجاج ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، فقال صاحبه : لا تقل نبي ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين ، قال : فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألانه عن تسع آيات بينات ، فقال : هن : ولا تُشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان لبيقتائه ، ولا تسحرتوا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقصدوا المحصنة ، ولا تولكوا يوم الزحف وعاليكم خاصة يهود : أن لا تعبدوا في السبت ، قال : فقبلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكم أن تتسبعوني ؟ قالوا : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وأما قوله (فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم) فإن عامة قراء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى : فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى .

وروى عن الحسن البصري في تأويله ما حدثني به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن (فاسأل بني إسرائيل) قال : سؤلك إياهم : نظرك في القرآن .

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (فاسأل) بمعنى : فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم) يعني أن موسى سأل فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه .

والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ غيرها ، هي القراءة التي عاها قراء الأماص ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ، ورغبتهم عما خالفها .

وقوله (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) يقول : فقال لموسى فرعون : إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحر ، وقد يجوز أن يكون مرادا به

إني لأظنك ياموسى ساحرا، فوضِعَ مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشثوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم حجبا مستورا ، بمعنى : حجبا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
مَشْبُورًا ﴿١٠٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (لَقَدْ عَلِمْتَمَا) فقراء عامة قراء الأمصار ذلك (لَقَدْ عَلِمْتَمَا) بفتح التاء ، على وجه الخطاب من موسى لفرعون : وروى عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك ، أنه قرأ (لَقَدْ عَلِمْتَمَا) بضم التاء ، على وجه الخبر من موسى عن نفسه . ومن قرأ ذلك على هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا) إني لأظنك قد سُحِرْت ، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب . وهذا وجه من التأويل . غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار خلافها ، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع ، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِثْنِ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ، وَجَحَدُوا بِهَا ، وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا : هي سحر ، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله ، فكذلك قوله (لَقَدْ عَلِمْتَمَا) إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله . وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة .

قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَقَدْ عَلِمْتَمَا) يافرعون بالنصب (ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) ، ثم تلا (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال موسى لفرعون : لقد علمت يافرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البيئات التي أريتكمها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه ، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي ، إني لله رسول ، ما بعثني إليك إلا رب السموات والأرض ، لأن ذلك لا يقدر عليه ، ولا على أمثاله أحد سواه . بصائر : يعني بالبصائر : الآيات ، أنهم بصائر لمن استبصر بهم ، وهدى لمن اهتدى بهم ، يعرف بهم من رآهم

أن من جاء بهنّ فمحقّ ، وأنهنّ من عند الله لامن عند غيره ، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض ، وهو جمع بصيرة :

وقوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) يقول : إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير : والعرب تقول : ما تبرك عن هذا الأمر : أي ما منعك منه ، وما صدك عنه ؟ وثبره الله فهو يُثْبِرُه وَيَشْبُرُه لغنان ، ورجل مشبور : محبوس عن الخيرات هالك ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سِنِّ الغَيْيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَشْبُورًا

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، قال : ثنا عمر بن عبد الله ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) قال ملعونا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) يقول : ملعونا .

وقال آخرون : بل معناه : إني لأظنك يا فرعون مغلوبا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) يعني : مغلوبا . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) يقول : مغلوبا . وقال بعضهم : معنى ذلك : إني لأظنك يا فرعون هالكا .

(١) البيت لعبد الله بن الزبيري من مقطوعة أربعة أبيات ، قالها حين جاء إلى النبي مسلما معتذرا عما فرط منه من هجائه ، بتحريض قريش على ذلك (انظر سيرة ابن هشام طبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، بتحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبسى ، الطبعة الثانية القسم الثاني ص ٤١٩) والبيتان الأولان منها :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَبَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سِنِّ الغَيْيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَشْبُورُ

والراتق : الذي يسد الحرق . تقول : رتقت الشيء : إذا أصلحته وسدته . وفتقت : يعني في الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق . ومن أجل ذلك قيل التوبة نصوح ، من نصحت الثوب : إذا خطته . والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور . وأباري : أجازي وأعارض . وهي رواية في البيت . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومشبور هالك . وهنا محل الشاهد عند المؤلف . قال : ثبره الله يشبره ويشبره : (كنعن وضرب) لغنان . ورجل مشبور : محبوس عن الخير هالك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مشبورا : أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) :
أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .
وقال آخرون : معناه : إني لأظنك مبدلاً مغيراً

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عيسى بن موسى ، عن عطية (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) قال : مبدلاً .
وقال آخرون : معناه : مخبولاً لا عقل له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا) قال : الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه ؟ يعني : إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعت العرب مشبورا . قال : أظنك ليس لك عقل يا فرعون ، قال : بينا هو يخافه ولا ينطق لسانى أن أقول هذا لفرعون ، فلما شرح الله صدره ، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله .
وقد بينا الذى هو أولى بالصواب فى ذلك قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٣﴾ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فأراد فرعون أن يستفز موسى وبنى إسرائيل من الأرض ، (فَأَغْرَقْنَاهُ) فى البحر ، (وَمَنْ مَعَهُ) من جنده (جَمِيعًا) ، ونجينا موسى وبنى إسرائيل ، وقلنا لهم (مِنْ بَعْدِهِ) هلاك فرعون (اسْكُنُوا الْأَرْضَ) أرض الشام (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) يقول : فإذا جاءت الساعة ، وهى وعد الآخرة ، جئنا بكم لفيفا : يقول : حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا : أى مختلطين قد التف

(١) كذا فى الأصل ، والسياق مضطرب .

بعضكم على بعض ، لا تتعارفون ، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيته ، من قولك : لففت الجيوش : إذا ضربت بعضها ببعض ، فاختلف الجميع ، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لُفَّ به . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن ابن أبي رزین (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) قال : من كل قوم . وقال آخرون : بل معناه : جئنا بكم جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) قال : جميعا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) جميعا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) : أي جميعا ، أولكم وآخركم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . في قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) قال : جميعا . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا) يعني جميعا ، ووحّد اللفيف ، وهو خبر عن الجميع ، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لففته لفاً ولفيفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَنزَلْنَاهُ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٥﴾ وَقَدْ أَنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : وبالحق أنزلنا هذا القرآن : يقول : أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الحميلة ، والأمر المستحسنة الحميدة ، ونهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة ، والأخلاق الرديئة . والأفعال الذميمة (وبالحق نزل) يقول : وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله (وَمَا أَنزَلْنَاهُ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك

يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا ، لإمبشرا بالحنّة من أطاعنا ؛ فأنهى إلى أمرنا ونهينا ، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (فَرَقْنَاهُ) بتخفيف الراء من فرقناه ، بمعنى : أحكمناه وفصلناه وبيناه . وذكر عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء (فَرَقْنَاهُ) بمعنى : نزلناه شيئا بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة ؛

✻ وأولى القراءتين بالصواب عندنا ، القراءة الأولى ، لأنها القراءة التي عليها الحجّة مجمعة ، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن : فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فتأويل الكلام : وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وفصلناه قرآنا ، وبينناه وأحكمناه ، لتقرأه على الناس على مكث : وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) يقول : فصلناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن أبي الربيع عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب أنه قرأ (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) مخففا : يعني بيناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) قال : فصلناه .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد ، يعني ابن راشد ، عن داود ، عن الحسن أنه قرأ (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) خفيفها : فرق الله بين الحقّ والباطل :

وأما الذين قرءوا القراءة الأخرى ، فإنهم تأولوا ما قد ذكرت من التأويل .

ذكر من قال ما حكيت من التأويل عن قارئ ذلك كذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان ابن عباس يقرؤها (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) مثقلة ، يقول : أنزل آية آية .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) ، (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ) لم ينزل جميعا ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ) قال :

فرقه : لم ينزله جميعه : وقرأ (وقال الذين كفروا لولا نزل علينا القرآن لجملة واحدة) . . . حتى بلغ (وأحسن تفسيراً) ينقض عليهم ما يأتون به .
 وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : نصب قوله (وقرأنا) بمعنى : ورحمة ، ويتأول ذلك (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) ورحمة ، ويقول : جاز ذلك ، لأن القرآن رحمة ، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى ، وذلك كما قال جل ثناؤه (والقمر قد رناهُ منا زل) وقوله (ليتقرأه على الناس على مكث) يقول : لتقرأه على الناس على تؤدة ، فترتله وتبينه ، ولا تعجل في تلاوته ، فلا يفهم عنك .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المكتئب ، قال : قلت لمجاهد : رجل قرأ البقرة وآل عمران ، وآخر قرأ البقرة وركوعهما ومجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ قال : الذي قرأ البقرة ، وقرأ (وقرأنا فترقناه ليتقرأه على الناس على مكث) .
 حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ليتقرأه على الناس على مكث) يقول : على تأييد .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على مكث) قال : على ترتيل .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ليتقرأه على الناس على مكث) قال : في ترتيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ليتقرأه على الناس على مكث) قال : التفسير الذي قال الله (ورتل القرآن ترتيلاً) : تفسيره .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قوله (ليتقرأه على الناس على مكث) وفي المكث للعرب لغات : مكث ، ومكث ، ومكث ، ومكث .
 ومكثي مقصور ، ومكثانا ، والقراءة بضم الميم .
 وقوله (ونزلناه تنزيلاً) يقول تعالى ذكره : فرقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئاً بعد شيء .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : حدثنا ، عن أبي رجاء ، قال : تلا الحسن (وقرأنا فترقناه ليتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) قال : كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس ، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمان عشرة سنة ، قال : فسألته يوماً على سخطة ، فقلت : يا أبا سعيد (وقرأنا فترقناه) فثقلها أبو رجاء ، فقال الحسن : ليس فرقناه ، ولكن فرقناه ، فقرأ الحسن مخففة : قلت : من يحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد ، قال : فمن يحدثني ، قال : أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثمان سنين ، وبالمدينة عشر سنين .

(١) المكتب : اسم فاعل من أكتب أو من كتب بالتحديد وهو المعلم ، يعلم الصبيان كتابة القرآن في ألواحهم .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَنَّا الْإِنْسَانِ عَمَّا مَكَّنَّا . وَنُنزِّلُنَاهُ نَزِيلًا) لم ينزل في ليلة ولا ليلتين . ولا شهر ولا شهرين . ولا سنة ولا سنتين . ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة . وما شاء الله من ذلك .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . عن الحسن ، قال : كان يقول : أنزل على نبي الله القرآن ثمانين سنة . وعشرا بعد ما هاجر . وكان قتادة يقول : عشرا بمكة ، وعشرا بالمدينة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوَّلًا تُوْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذْ آتَيْنَا عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٍ لِّئَلَّا ذُقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك (لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) : آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثابه . لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . أولا تؤمنوا به . فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تترككم الإيمان به ينقص ذلك . وإن تكفروا به . فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمنى أهل الكهفين . إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكريما . وعلمنا منهم بأنه من عند الله لأذقانهم سجدا بالأرض .

واختلف أهل التأويل في الذى عني بقوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) فقال بعضهم : عني به : الوجوه . ذكر من قال ذلك

حدثني علي . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) يقول : للوجوه .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) قال للوجوه . حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله . وقال آخرون : بل عني بذلك اللحنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن في (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) قال : اللحنى .

وقوله (سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) يقول جل ثناؤه : ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن : إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يستلوا عليهم ، تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به ، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب ، إلا مفعولا حقا يقينا ، إيمان

بالقرآن وتصديق به . والأذقان في كلام العرب : جمع ذقن وهو مجمع اللّحيين ، وإذ كان ذلك كذلك ، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهراً التنزيل :

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الذين عنوا بقوله (أوتوا العلم) وفي (يتلى عليهم) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (الذين أوتوا العلم من قبله) . . . إلى قوله (خشوعاً) قال : هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد (قالوا سبحان ربنا إن كان وعده ربنا لمفعولاً) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله) من قبل النبي صلى الله عليه وسلم (إذا يتلى عليهم) ما أنزل إليهم من عند الله (يخشون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعده ربنا لمفعولاً) ، وقال آخرون : عني بقوله (الذين أوتوا العلم من قبله) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إذا يتلى عليهم) كتابهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إذا يتلى عليهم) ما أنزل الله إليهم من عند الله .

وإنما قلنا : عني بقوله (إذا يتلى عليهم) القرآن ، لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر ، فيصرف الكلام إليه ، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله (من قبله) من ذكر القرآن ، لأن الكلام بذكره جرى قبله ، وذلك قوله (وقرآنا فرقناه) وما بعده في سياق الخبر عنه ، فلذلك وجبت صحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَخْشَوْنَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ويختر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان ، إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون ، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبير خشوعاً ، يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته ، واستكانة له .

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عبد الأعلى التيمي ، أن

من أوتي من العلم ما لم يبكه لخائق أن لا يكون أوتي علما ينفعه ، لأن الله نعت العلماء فقال (إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) . . . الآيتين .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مسعر بن كدام . عن عبد الأعلى التيمي بنحوه ، إلا أنه قال (إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) ثم قال : (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) . . . الآية .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) . قال : هذا جواب وتفسير للآية التي في كهيعص (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن : (ادْعُوا اللَّهَ) أيها القوم (أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) بأي أسماءه جل جلاله تدعون ربكم ، فإنما تدعون واحدا . وله الأسماء الحسنى . وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم ، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : يا ربنا الله ، ويا ربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم .

ذكر الرواية بما ذكرنا

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس . قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو : يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى . فأنزل الله تعالى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ، أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) . . . الآية

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتهجّد بمكة ذات ليلة ، يقول في سجوده : يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، فسمعه رجل من المشركين ، فلما أصبح قال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي كبشة ، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة ، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن ، فنزلت (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) . حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ١ .

(١) كذا في الأصول ، ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم ، وقد تكرر ذلك منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيَّامًا تَدْعُوا) بشيء من أسمائه .
حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا محمد بن بكار البصري ، قال : ثنا حماد بن عيسى ، عن عبيد بن الطفيل الجهني ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن عَرَكَ ابن مالك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا كَلَّمَهُنَّ فِي الْقُرْآنِ ، مَن أَحْصَاهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

❖ قال أبو جعفر : ولدخول « ما » في قوله (أَيَّامًا تَدْعُوا) وجهان : أحدهما أن تكون صلاة ، كما قيل : (عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) . والآخر أن تكون في معنى إن : كررت لما اختلف لفظاهما ، كما قيل : ما إن رأيت كالليلة ليلة .

وقوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَعِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) اختلف أهل التأويل في الصلاة ، فقال بعضهم : عني بذلك : ولا تجهر بدعائك ، ولا تخافت به ، ولكن بين ذلك . وقالوا : عني بالصلاة في هذا الموضع : الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قالت : في الدعاء .

حدثنا بشار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة

مثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن أشعث بن سوار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : كانوا يجهرون بالدعاء ؛ فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجهروا ، ولا يخافتوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن مالك البكري ، عن أبي الجوزاء عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي عياض (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض مثله .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا سفيان عن ذكره عن عطاء (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في الآية : (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : في الدعاء :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) في الدعاء والمسألة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء والمسألة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة في قوله (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : في الدعاء :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عياش العامري ، عن عبد الله بن شداد قال : كان أعراب إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا إبلا وولدا ، قال : فنزلت هذه الآية (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : في الدعاء .

حدثني ابن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ) : الآية ، قال : في الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : ذلك في الدعاء .

وقال آخرون : عنى بذلك الصلاة . واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عنى بالنهي عن الجهر به ، فقال بعضهم : الذي نهى عن الجهر به منها القراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار (وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن

جاء به، قال : فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) فيسمع المشركون (وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عن أصحابك ، فلا تُسْمِعِهم القرآن حتى يأخذوا عنك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن ، شق ذلك على المشركين إذا سمعوه ، فيؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به ، وذلك بمكة ، فأنزل الله : يا محمد (لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) يقول : لا تُعَلِّينَ بالقراءة بالقرآن إعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك ، ولا تخافت بالقراءة بالقرآن : يقول : لا تخفض صوتك حتى لا تُسْمِعِ أذنيك (وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) يقول : اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقا ، لاجهرا شديدا ، ولا خفضا لا تُسْمِعِ أذنيك ، فذلك القدر ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كاه ، يفعل الآن أي ذلك شاء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) . . . الآية ، هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان إذا صلى بأصحابه ، فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين ، فأذوه ، فأمره الله أن لا يرفع صوته ، فيسمع عدوه ، ولا يخافت فلا يُسْمِعِ مَنْ خلفه من المسلمين ، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن ، فكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ، ومن جاء به ؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخفي القرآن فما يسمعه أصحابه ، فأنزل الله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، يقول : أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته وسمع المشركون ، سبوا القرآن ، ومن جاء به ، وإذا خفض لم يسمع أصحابه ، قال الله (وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا ، وأبوا أن يستمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو ، وهو يصلي ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله عليه (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) فيتفرقوا عنك (وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) فلا تُسْمِعِ مَنْ أراد أن يسمعها ، ممن يسترق ذلك دونهم ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ، (وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام ، فقالت قريش : لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا ، فهجرو ربك ، فأنزل الله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) . . . الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخفف بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) : أي بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبوا القرآن (وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عن أصحابك ، فلا تسمعهم (وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : في القراءة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه ، وإذا سمع ذلك المشركون سبوه ، فنزلت هذه الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سامة ، عن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ؛ قال : فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ فقال : أناجي ربي ، وقد علم حاجتي ، قيل : أحسنت ؛ وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرده الشيطان ، وأوقف الوسنان ، قيل : أحسنت ؛ فلما نزلت (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا حسان بن إبراهيم ، عن إبراهيم الصائغ ، عن عطاء ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : يقول ناس إنها في الصلاة ، ويقول آخرون إنها في الدعاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) وكان نبي الله وهو بمكة ، إذا سمع المشركون صوته رموه بكل خبث ، فأمره الله أن يخفض من صوته ، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه ، وكان يقال : ماسمعه أذنك فليس بمخافتة ؛ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة ، فيُرمى بالخبث ، فقال : لا ترفع صوتك فتؤذي ولا تخافيت بها ، وأبتغِ بين ذلك سبيلًا) .

وقال آخرون : إنما عني بذلك : ولا تجهر بالتشهد في صلاتك ، ولا تخافت بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت نزلت هذه الآية في التشهد (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين مثله . وزاد فيه : وكان الأعرابي يجهر فيقول : التحيات لله ، والصلوات لله ، يرفع فيها صوته ، فنزلت (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) . وقال آخرون : بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة جهارا ، فأمر بإخفائها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في بني إسرائيل (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته ، فأذى ذلك المشركين بمكة ، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه ، فإذ ذلك قال (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) وقال في الأعراف (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تجهر بصلاتك تحسبها من إتيانها في العلانية ، ولا تخافت بها : تسيئها في السريرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أنه كان يقول (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) : أي لاتراء بها علانية ، ولا تخفها سرا (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : لاتحسن علانيتها ، وتسيء سريرتها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : لاتراء بها في العلانية ، ولا تخفها في السريرة .

حدثني علي بن الحسن الأزرق ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحسن (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : تحسن علانيتها ، وتسيء سريرتها .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال : لاتصل مراعاة الناس ولا تدعها مخافة .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) قال : السبيل بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون . قال : وكان أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف ،

فيصيح به ، وبصيحون هم به وراءه ، فهي أن يصيح كما يصيح هؤلاء ، وأن يُخافت كما يُخافت القوم ، ثم كان السبيل الذي بين ذلك ، الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة .

✽ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، لأن ذلك أصحّ الأسانيد التي روي عن صحابيّ فيه قولٌ مخرّجا . وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عقيب قوله (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وعقيب تقرّيع الكفار بكفرهم بالقرآن ، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى وأشبه بقوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام ، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه ، أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه .

فإذا كان كذلك ، فتأويل الكلام : قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلواتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه ، وذكرك فيها ، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون ، ولا تخافت بها فلا يسمعا أصحابك (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) ولكن التمس بين الجهر والخافتة طريقا إلى أن تسمع أصحابك ، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك . ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل ، وأنا لاستجير خلافتهم فيما جاء عنهم ، لكان وجهها يحتمل التأويل أن يقال : ولا تجهر بصلواتك التي أمرناك بالمخافتة بها ، وهي صلاة النهار لأنها عجماء ، لا يجهر بها ، ولا تخافت بصلواتك التي أمرناك بالجهر بها ، وهي صلاة الليل ، فإنها يجهر بها (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها ، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها ، لا تجهر بجميعها ، ولا تخافت بكلها ، فكان ذلك وجهها غير بعيد من الصحة ، ولكننا لانرى ذلك صحيحا لإجماع الحجّة من أهل التأويل على خلافه . فإن قال قائل : فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة ؟

قيل : حدثني مطر بن محمد ، قال : ثنا قتيبة ، ووهب بن جرير ، قالا : ثنا شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن الأسود بن هلال ، قال : قال عبد الله : لم يخافت من أسمع أذنيه . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الأشعث ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله ، مثله :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا ۝١١٠﴾

✽ يقول تعالى ذكره لبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَقُلْ) يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ

وَلَدًا) فيكون مربوباً لاربا ، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فيكون عاجزاً إذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً ، ولا يكون لها من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول ، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذلّ الذي به ، لأن من كان ذا حاجة إلى نصره غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً محتاجاً إلى ناصر لها يطاع (وَكَبَّرَهُ تُكْبِيرًا) يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك ونهاك .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال : لم يحالف أحداً ، ولا يبتغي نصر أحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : « ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ أَهْلَهُ هَذِهِ الْآيَةَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تُكْبِيرًا) الصغير من أهله والكبير :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا أبو الجعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل ، ثم تلا (لَا تَجْعَلْ مَنَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القسري ، أنه كان يقول في هذه الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) . . . الآية . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب : لبيك ، لبيك ، لا شريك لك ، لا شريكاً هولاك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذلّ الله ، فأنزل الله (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ) أنت يا محمد على ما يقولون (تُكْبِيرًا) .

آخر تفسير سورة بني إسرائيل ، والحمد لله رب العالمين :

(١٨) سُورَةُ الْكَافِرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْعَشِيرَةُ وَمَا نَشَأُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قَيِّمًا

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذي خص برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه ، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا ، وأنزل عليه كتابه قويا ، ولم يجعل له عوجا . وعُني بقوله عز ذكره (قَيِّمًا) معتدلا مستقيما . وقيل : عُني به : أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها .

ذكر من قال : عني به معتدلا مستقيما

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) يقول : أنزل الكتاب عدلا قويا ، ولم يجعل له عوجا ، فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله ، ولم يجعل له عوجا ، ومعناه التقديم بمعنى : أنزل الكتاب على عبده قَيِّمًا .

حدثت عن محمد بن زيد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (قَيِّمًا) قال : مستقيما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) : أي معتدلا لا اختلاف فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) قال : أنزل الله الكتاب قويا ، ولم يجعل له عوجا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) .

قال : وفي بعض القراءات (وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيِّمًا) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله ابن عباس ، ومن قال بقوله في ذلك ، لدلالة قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم (قَيِّمًا) مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضه يصدق بعضا ، وبعضه يشهد لبعض ، لا عوج فيه ، ولا ميل عن الحق ، وكُسرت العين من قوله (عِوَجًا) لأن العرب كذلك تقول في كل أعوجاج كان في دين ، أو فيما لا يرى شخصه قائما ، فيُدرك عيانا منتصبا كالعاج في الدين ، ولذلك كُسرت

العين في هذا الموضع، وكذلك العِوَج في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان من عِوَج في الأشخاص المنتصبه قياما، فإن عينها تفتح كالعِوَج. في القناة، والخشبة، ونحوها. وكان ابن عباس يقول في معنى قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) : ولم يجعل له ملتبسا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال : ثنا عبد الله، قال : ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) ولم يجعل له ملتبسا.

ولاخلاف أيضا بين أهل العربية في أن معنى قوله (قَيِّمًا) وإن كان مؤخرًا، التقديم إلى جنب الكتاب. وقيل : إنما افتتح جلّ ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخبارا منه للمشركين من أهل مكة، بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير، وأمرهم بمسئلتهموه عنها، وقالوا : إن أخبركم بها فهو نبيّ، وإن لم يخبركم بها فهو متقول، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا، فأبطأ الوحي عنه بعض الإبطاء، وتأخر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم، فتحدث المشركون بأنه أخلفهم موعده، وأنه متقول، فأنزل الله هذه السورة جوابا عن مسائلهم، وافتتح أولها بذكره، وتكذيب المشركين في أحدوثهم التي تحدثوها بينهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال : ثنى شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، فيما يروى أبو جعفر الطبري^١، قال : بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى قنّدا ما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا : إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، ففرّوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قنّدا ما مكة على قريش، فقالوا : يا معشر قريش : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله

(١) الظاهر : أن قوله « فيما يروى أبو جعفر الطبري » : من عبارة المؤلف عن نفسه، وليس يعنى شخصا آخر، ولا هو من تعبير

بعض تلاميذه عنه .

عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوهم عما أمرهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أُخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ ، ولم يستثنوا ، فانصرفوا عنه ، فكثرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خمس عشرة ليلة ، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة
 وقالوا : وعدتنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء ، ما سألناه عنه ، وحتى أحزن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل عليه
 السلام ، من الله عز وجل ، بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من
 أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
 رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) قال ابن إسحاق : فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 افتتح السورة فقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ) يعني محمدا إنك رسولي في تحقيق
 ما سألو عنه من نبوته (وَلمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) : أي معتدلا ، لا اختلاف فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿١٠﴾ مَكِّيِّينَ

فِيهِ أَبَدًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذر ركب أيها الناس بأسا من الله
 شديدا ، وعنى بالبأس العذاب العاجل ، والنكال الحاضر والسطوة . وقوله (مِّن لَّدُنْهُ) يعني : من عند الله .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق (لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) عاجل
 عقوبة في الدنيا وعذابا في الآخرة . (مِّن لَّدُنْهُ) : أي من عند ربك الذي بعثك رسولا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مِّن لَّدُنْهُ) : أي من عنده .
 فإن قال قائل : فأين مفعول قوله (لِيُنذِرَ) فإن مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام
 عليه من ذكره ، وهو مضمرة متصل بينذر قبل البأس ، كأنه قيل : لينذركم بأسا ، كما قيل (يُخَوِّفُ
 أَوْلِيَاءَهُ) إنما هو : يخوفكم أوليائه .

وقوله (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : ويبشر المصدقين الله ورسوله (الَّذِينَ يَتَعَمَّلُونَ الصَّالِحَاتِ)
 وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ، والانهاء عما نهى الله عنه (أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) يقول : ثوابا جزيلًا
 لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله ، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال ، وذلك الثواب : هو الجنة
 التي وعدّها المتقون . وقوله (مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا) خالد بن ، لا ينتقلون عنه ، ولا يُنْقَلُونَ ، ونصب ما كثر
 على الحال من قوله (أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر .

(١) أي لم يقل : « إن شاء الله » . ويشير إليه قوله تعالى : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كَثِيرِينَ فِيهِ أَبَدًا) : أى فى دار خلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به عن الله ، وعملوا بما أمرتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿١٠٠﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : ويحذر أيضا محمد القوم (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) من مشركى قومه وغيرهم ، بأس الله وعاجل نقمته ، وآجل عذابه ، على قلوبهم ذلك .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) يعنى قريشا فى قولهم : إنما نعبد الملائكة ، وهن بنات الله ، وقوله (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ما لقائى هذا القول ، يعنى قولهم (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) (بِهِ) : يعنى بالله من علم ، والهاء فى قوله (بِهِ) من ذكر الله . وإنما معنى الكلام : ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله ، إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم ، فلجهلهم بالله وعظمتهم قالوا ذلك . وقوله (وَلَا لِآبَائِهِمْ) يقول : ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم ، كان لهم بالله وبعظمتهم علم . وقوله (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدنيين والكوفيين والبصريين (كَبُرَتْ كَلِمَةً) بنصب كلمة بمعنى : كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة على التفسير ، كما يقال : نعم رجلا عمرو ، ونعم الرجل رجلا قام ، ونعم رجلا قام . وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول : نُصِبَتْ كَلِمَةٌ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى : أَكْبَرُ بِهَا كَلِمَةٌ ، كما قال جل ثناؤه (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) وقال : هى فى النصب مثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُيْهِنَّ شِمَالًا

(١) البيت غير منسوب . واللقاح : هى النوق ذوات اللبن ، تنتج فى أول الربيع فتكون لقاحا ، واحدها لقحة (بفتح اللام وكسرها) فلا تزال لقاحا حتى يدبر الصيف عنها . (انظر اللسان : لقح) . وتروحت : عادت من مراعيها إلى مراحتها . أو تروحت : أصابها الريح . والهدج (بسكون الدال) مصدر هدج يهدج هدجا وهدجانا ، وهو المشى الرويد فى ضعف . يقال : هدج الظلم يهدج هدجانا والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعام ، وخص بعضهم به الحولى . ويقال فى جمعه : أرؤل ، ورثلان ، ورثال ، ورثالة (اللسان : رأل) وتكبين : تلقين على صدورهن فى الأرض . والشمال : الريح تهب من جهة الشمال . شبه سير اللقاح فى رجوعها إلى مراحتها بهدجان الرثال ، وهو مشى ضعيف . يريد أن اللقاح فى ذلك الوقت تهديج فى سيرها هدج الرثال حين تسوقهن ريح الشمال .

والشاهد فى قوله : تكبين شمالا ، فإن شمالا منصوب على التمييز ، وهو محول عن الفاعل . والأصل تكبين شمال . وهو نظير نصب كلمة من قوله تعالى : « كبرت كلمة » فإن كلمة منصوبة على التمييز ، وهو تمييز نسبة محول عن الفاعل والأصل كبرت كلمة (بالرفع) .

أى تكبهن الرياح شمالا ، فكأنه قال : كبرت تلك الكلمة ، وذُكِرَ عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك (كَبُرَتْ كَلِمَةً) رفعا ، كما يقال : عَظُمَ قولك وكَبُرَ شأنك . وإذا قرئ ذلك كذلك لم يكن في قوله (كَبُرَتْ كَلِمَةً) مُضْمَرٌ ، وكان صفة للكلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندي ، قراءة من قرأ (كَبُرَتْ كَلِمَةً) نصبا لإجماع الحجّة من القراء عليها ، فتأويل الكلام : عَظُمَتِ الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولدا ، والملائكة بنات الله .

كما حدثنا ابن حميد : قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) قولهم : إن الملائكة بنات الله . وقوله (إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) يقول عز ذكره : ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا بقليلهم ذلك إلا كذبا وقرية افتروها على الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوهُمْ أَهْلُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : فاعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك (لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ) تمرّدا منهم على ربهم ، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك فيصدّقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا ، بإدبارهم عنك ، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك ، يقال منه : باخع فلان نفسه ببخعها بخعاً وبخوعاً ؛ ومنه قول ذى الرمة :
ألا أيهدأ الباخعُ الوجدُ نفسهُ
لِشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ
يريد : نحته فخفف .

وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله (باخِعٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ) يقول : قاتل نفسك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

(١) البيت في ديوان ذى الرمة طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٥١ من القصيدة الثانية والثلاثين ، وعدتها ثمانية وسبعون بيتا . والباخع : القاتل . ونحته عدلته وصرفته . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٩٣) قال : « فلعلك باخع نفسك » : مهلك نفسك . قال ذو الرمة : « ألا أيهدأ » البيت . أى نحته ، مشدد . ويقال : بخت له نفسى ونصحى : أى جهدت له . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٨٣ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) باخع نفسك مخرج ، وقاتل نفسك . اه وفي (اللسان بجمع) نفسه ببخعها بخعاً وبخوعاً : قتلها غيظاً أو غماً . وفي التنزيل « فلعلك باخع نفسك على آثارك » قال الفراء : أى مخرج نفسك ، وقاتل نفسك . وقال ذو الرمة « ألا أيهدأ بشئ » البيت . قال الأخفش : بخت لك نفسى ونصحى : أى جهدتها . أبخع بخوعاً .

وأما قوله (أسفًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا) قال : غضبا .

وقال آخرون : جزعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أسفًا) قال : جزعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معناه : حزنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أسفًا) قال : حزنا عليهم .

وقد بينا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وهذه معاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، وكان بهم رحيا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فلعلك باخع نفسك على آثاريهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا) يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم : أي لا تفعل .

وقوله (إننا جعلنا ما على الأرض زينةً لها) يقول عز ذكره : إننا جعلنا ما على الأرض زينةً للأرض (لينبئلوهم أيهم أحسن عملاً) يقول : لنختبر عبادنا أيهم أتبع لها وأتبع لأمرنا ونهيها وأعمل فيها بطاعتنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ما على الأرض زينةً لها) قال :

ما عليها من شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا)
 ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ
 مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَنَظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ » .
 وأما قوله (لِنَبِّئَهُمْ أَهْلَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عاصم للعسقلاني ، قال (لِنَبِّئُوهُمْ أَهْلَهُمْ أَحْسَنُ
 عَمَلًا) قال : أترك لها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبِّئُوهُمْ
 أَهْلَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) اختبارا لهم أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتي .
 وقوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) يقول عز ذكره : وإنا لمخرّبوها بعد عمارتناها
 بما جعلنا عليها من الزينة ، فمصيروها صعيدا جززا لانبات عليها ولا زرع ولا غرس . وقد قيل : إنه أريد
 بالصعيد في هذا الموضع : المستوى بوجه الأرض ، وذلك هو شبهه بمعنى قولنا في ذلك .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، وبمعنى الجزز ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) يقول : يهلك كل شيء عليها ويبيد .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (صَعِيدًا جُرُزًا) قال : بالقمع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا
 جُرُزًا) والصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا)
 يعني : الأرض إن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لإلى ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (صَعِيدًا جُرُزًا) قال : الجزز :
 الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترى أنه يقول (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ
 فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا) قال : والجزز : لاشيء فيها ، لانبات ولا منفعة . والصعيد : المستوى . وقرأ
 (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) قال : مستوية : يقال : جُرِزَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَجْرُوزَةٌ ، وجرزها الجراد

والنعم ، وأَرْضُونَ أَجْرَازَ : إذا كانت لاشيء فيها . ويقال للسنة المجدبة : جُرُزٌ وسنون أجزاز لحدوبها ويبسها وقلة أمطارها ؛ قال الراجز :

قَدَّ جَرَفَتَهُنَّ السُّنُونُ الْأَجْرَازُ

يقال : أجزز القوم : إذا صارت أرضهم جُرُزًا ، وجَرَزُوا هم أرضهم : إذا أكلوا نباتها كاه .
القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن ما خلقت من السموات والأرض ، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف ، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك ، وغيرهم من سائر عبادي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) قال محمد بن عمرو في حديثه ، قال : ليسوا عجبًا بأعجب آياتنا . وقال الحارث في حديثه بقولهم : أعجب آياتنا : ليسوا أعجب آياتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) كانوا يقولون هم عجب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) يقول : قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) . أي وما قدرُوا من قَدَرٍ فيما صنعت من أمر الخلائق ، وما وضعت على العباد من حججى ما هو أعظم من ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن الذى آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه .

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٤) قال جرزا : أى غلظا لاينبت شيئا ، والجمع : أرضون أجزاز . ويقال للسنة المجدبة : جزز ، وسنون أجزاز ، لحدوبها ، ويبسها ، وقلة مطرها . ثم أنشد بيتا لذي الرمة ، ثم بيت الشاهد ، والبيت أيضا من شواهد (اللسان : جزز) قال : وسنة جزز : إذا كانت جدبة . وأجزز السنة المجدبة قال الراجز : « قد جرفهن » البيت . ومعنى جرفهن : أى ذهبت بهن كلهن أو جلهن . والضمير راجع إلى إبله . ويجوز أن يكون معنى جرفهن بالتشديد : هزلتهن ، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم ، لقلة المرعى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) يقول : الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .
وإنما قلنا : إن القول الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس ، إذ سأله عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه ، فكان تفريعهم بتكذيبهم بما هو أوكده عليهم في الحججة مما سألوا عنهم ، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم .
وأما الكهف ، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قص الله شأنهم في هذه السورة .
وأما الرقيم ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : هو اسم قرية ، أو واد على اختلاف بينهم في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يزعم كعب أن الرقيم : القرية .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) قال : الرقيم : واد بين عُسْفَانَ وَأَيَّةَ دُونَ فِلَسْطِينَ ، وهو قريب من أيلة .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية ، قال : الرقيم : واد .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّ الرَّقِيمِ : الْوَادِي الَّذِي فِيهِ أَصْحَابُ الْكَهْفِ .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن سِيَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قواه (الرَّقِيمِ) قال : يزعم كعب : أنها القرية .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قوله (الرَّقِيمِ) قال : يقول بعضهم : الرقيم : كتاب تباينهم . ويقول بعضهم : هو الوادي الذي فيه كهفهم .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : أما الكهف : فهو غار الوادي ، والرقيم : اسم الوادي .
وقال آخرون : الرقيم : الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) يقول : الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا أبي ، عن ابن قيس ، عن سعيد بن جبير ، قال :
الرقيم : لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الرقيم : كتاب ، ولذلك الكتاب خبر
فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعمما فيه ، وقرأ (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمِيُون ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ) .

وقال آخرون : بل هو اسم جبل أصحاب الكهف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :
الرقيم : الجبل الذى فيه الكهف .

قال أبو جعفر : وقد قيل إن اسم ذلك الجبل : بنجلوس .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
عن ابن عباس ، وقد قيل : إن اسمه بنجلوس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان

عن شعيب الجبى أن اسم جبل الكهف : بنجلوس . واسم الكهف : حيزم . والكلب : حُمران .

وقد روى عن ابن عباس فى الرقيم ما حدثنا به الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل

عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كل القرآن أعلمه ، لإحسانا ، والأواه ، والرقيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن

دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب ، أم بنيان ؟

وأولى هذه الأقوال بالصواب فى الرقيم أن يكون معنيا به : لوح ، أو حجر ، أو شىء كُتِبَ فيه كتاب

وقد قال أهل الأخبار : إن ذلك لوح كُتِبَ فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف . ثم

قال بعضهم : رُفِعَ ذلك اللوح فى خزانة الملك . وقال بعضهم : بل جعل على باب كهفهم . وقال بعضهم :

بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم . وإنما الرقيم : فعيل ، أصاه : مرقوم ، ثم صُرف إلى فعيل ، كما

قيل للمجروح : جريح ، وللمقتول : قتيل ، يقال منه : رقت كذا وكذا : إذا كتبتة ، ومنه قيل للرقيم

فى الثوب رقم ، لأنه الخط الذى يعرف به ثمنه . ومن ذلك قيل للحية : أرقم ، لما فيه من الآثار ؛ والعرب

تقول : عليك بالرقمة ، ودع الضفة : بمعنى عايك برقمة الوادى حيث الماء ، ودع الضفة الجانية .

والضفتان : جانبى الوادى . وأحسب أن الذى قال الرقيم : الوادى ، ذهب به إلى هذا ، أعنى به إلى رقمة

الوادى .

(١) شعيب الجبى : هو شعيب بن الأسود الجبى المحدث من أقران طاوس ، أخذ عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن هيران . وهو

منسوب إلى الجبى ، بالهمز والقصر ، كما قال الهمداني فى صفة جزيرة العرب فى مواضع ، وهو كورة المعافر ، بالقرب من الجند (انظر

معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، فى رسم الجبى ص ٣٦٠) .

القول في تاويل قوله تعالى :

إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

* يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (أم حَسِبْتِ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل ، هربا بدينهم إلى الله ، فقالوا إذ أَوْوهُ : (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) رغبة منهم إلى ربهم ، في أن يرزقهم من عنده رحمة . وقوله (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) يقول : وقالوا : يسر لنا بما نبتغي وما نتمس من رضاك والهرب من الكفر بك ، ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا ، رَشَدًا : يقول : سَدَادًا إلى العمل بالذي تحب . وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك ، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، وكان لهم ملك عابد وثن ، دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم ، أو يقتلهم ، فاستخفوا منه في الكهف . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو في قوله (أصحاب الكهف والرقيم) كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام ، وكان ملكهم كافرين ، وقد أخرج لهم صنما ، فأبوا ، وقالوا : (رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا) قال : فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله ، فقال أحدهم : إنه كان لأبي كهف يأوى فيه غنمه ، فانطلقوا بنا نكن فيه ، فدخاوه وفقدوا في ذلك الزمان فطأبوا ، فقيل : دخلوا هذا الكهف ، فقال قومهم : لانريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف ، فبنوه عليهم ثم ردموه ، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى ، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم ، فقال بعضهم لبعض (كَسِمَ لَبِئْسُكُمْ) ؟ (قالوا لَبِئْسُنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) . . . حتى بلغ (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة) وكان ورق ذلك الزمان كبارا ، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب ، فلما ذهب ليخرج ، رأى على باب الكهف شيئا أنكره ، فأراد أن يرجع ، ثم مضى حتى دخل المدينة ، فأنكر ما رأى ، ثم أخرج درهما ، فنظروا إليه فأنكروه ، وأنكروا الدرهم ، وقالوا . من أين لك هذا ، هذا من ورق غير هذا الزمان ، واجتمعوا عليه يسألونه ، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم ، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون ، فنظروا في ذلك اللوح ، وسأله الملك ، فأخبره بأمره ، ونظروا في الكتاب متى فقد ، فاستبشروا به وبأصحابه ، وقيل له : انطلق بنا فأرنا أصحابك ، فانطلقوا وانطلقوا معه ، ليربهم ، فدخل قبل القوم ، فضرب على آذانهم ، فقال الذين غلبوا على أمرهم (لَنَسْتَخِذَنَّ عَمَلِيهِمْ مَسْجِدًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : مَرَّجَ أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم

الخطايا وطغت فيهم الملوك ، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم ، متمسكون بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ، ملك من الروم يقال له : دَقِينُوس ، كان قد عبد الأصنام ، وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم ، كان ينزل في قُرى الروم ، فلا يترك في قرية ينزلها أحداً ممن يدين بدين عيسى بن مريم إلا قتله ، حتى يعبد الأصنام ، ويذبح للطواغيت ، حتى نزل دَقِينُوس مدينة الفِيتية أصحاب الكهف ؛ فلما نزلها دَقِينُوس كبر ذلك على أهل الإيمان ، فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه . وكان دَقِينُوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له ، واتخذ شُرطاً من الكفار من أهلها ، فجعاوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها ، فيستخرجونهم إلى دَقِينُوس ، فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل ، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة ويُفطع بالقتل فيسقتين ، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل ؛ فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله ، جعلوا يُسأمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيقتلون ويقطعون ، ثم يربط ما قطع من أجسادهم ، فيعاقق على سور المدينة من نواحيها كلها ، وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فمنهم من كفر فُتُرك ، ومنهم من صُلب على دينه فقتل ؛ فلما رأى ذلك الفِيتية أصحاب الكهف ، حزنوا حزناً شديداً ، حتى تغيرت ألوانهم ، وتَحَلَّت أجسامهم ، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة ، والتحميد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والبكاء ، والتضرع إلى الله ، وكانوا فتية أحداثاً أحراراً من أبناء أشراف الروم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورق ، قال ابن عباس : فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم ، يبكون إلى الله ، ويستغيثونه ، وكانوا ثمانية نفر : مَكْسِيَامِينَا ، وكان أكبرهم ، وهو الذي كلّم الملك عنهم ؛ ومَحْسِيَمِيَانِينَا ، وَايمَلِيخَا ، ومَرطُوس ، وكشوطوش ، وبيرونس ، ودينموس ، ويطونس قالوس ؛ فلما أجمع دَقِينُوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، بكوا إلى الله وتضرعوا إليه ، وجعلوا يقولون : اللهم رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونك إلهاً (لَنَقْدُ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا) اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ، ومنعوا عبادتك إلا سرّاً ، مستخفين بذلك ، حتى يعبدوك علانية ، فبينما هم على ذلك ، عرفهم عرفاًؤهم من الكفار ، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، وذكروا أمرهم ، وكانوا قد خَلَّوْا في مُصَلَّيْهِمْ يعبدون الله فيه ، ويتضرعون إليه ، ويتوقعون أن يُذْكَرُوا لدَقِينُوس ، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصَلَّاهُمْ ، فوجدوهم سجوداً على وجوههم يتضرعون ، ويبكون ، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دَقِينُوس وفتنته ؛ فلما رأهم أولئك الكفرة من عرفائهم قالوا لهم : ما خَلَّفَكُم عن أمر الملك ، انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم ، فرفعوا أمرهم إلى دَقِينُوس ، وقالوا : تجمع الناس للذبح لآهتك ، وهؤلاء فتية من أهل بيتك ، يسخرون منك ، ويستهنئون بك ، ويعصون أمرك ، ويتركون

(١) قال القرطبي في تفسيره (١٠ : ٣٦٠) : وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية ، والسند في معرفتها واه ، ونقلها عن الطبري .

آلهتك ، يعمدون إلى مُصلّى لهم ولأصحاب عيسى بن مريم يصلون فيه ، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى ، فلم تركهم يصنعون هذا وهم بين ظهرائي سلطانك ومُلكك ، وهم ثمانية نفر : رئيسهم مكسلينا ، وهم أبناء عظماء المدينة ، فلما قالوا ذلك لدقينوس ، بعث إليهم ، فأتى بهم من المصلّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعفرة وجوههم في التراب ، فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض ، وأن تجعلوا أنفسكم أُسوة لسراة أهل مدينتكم ، ولمن حضر منّا من الناس ، اختاروا مني : إما أن تدبجوا لآلهتنا كما ذبح الناس ، وإما أن أقتلكم ، فقال مكسلينا : إن لنا إلهنا نعبده ملاً السموات والأرض عظمتُهُ ، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ، ولن نقرّ بهذا الذي تدعوننا إليه أبداً ، ولكننا نعبد الله ربنا ، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً ، إياه نعبد ، وإياه نسأل النجاة والخير ، فأما الطواغيت وعبادتها ، فان نقرّ بها أبداً ، ولسنا بكائنين عبّاداً للشياطين ، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عبّاداً لها . بعد إذ هدانا الله له رهبتك ، أو فرّقنا من عبودتك ، اصنع بنا ما بدا لك ؛ ثم قال أصحاب مكسلينا لدقينوس مثل ما قال . قال : فلما قالوا ذلك له ، أمر بهم فزرع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم ، ثم قال : أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي ، وأهل بلادتي وسأفرغ لكم ، فأجز لكم ما وعدتكم من العقوبة ، وما ينبغي أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم فتياناً حديثة أسنانكم ، ولا أحب أن أهلككم حتى أستأني بكم ، وأنا جاعل لكم أجلاً تذكرون فيه ، وتراجعون عقولكم ، ثم أمر بحلقة كانت عليهم من ذهب وفضة ، فنزعت عنهم ؛ ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده ، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريباً منها لبعض ما يريد من أمره .

فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادرُوا قدومه ، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم ، فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه ، فيتصدقوا منها ، ويتزودوا بما بقي ، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له : بنجلوس فيمكثوا فيه ، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه ، فيصنع بهم ما شاء . فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، عمد كل فتى منهم ، فأخذ من بيت أبيه نفقة ، فتصدق منها ، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم ، واتبعهم كلب لهم ، حتى أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل ، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والحياة التي لاتنقطع ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له بمايخا ، فكان على طعامهم ، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً من أهلها ، وذلك أنه كان من أجملهم وأجملهم ، فكان يملئها يصنع ذلك ، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عايه حسانا ، ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ، ثم يأخذ ورقه ، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً ، ويتسمع ويتجسس لهم الخبر ، هل ذكر هو وأصحابه بشيء في ملاء المدينة ، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم ، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس ، فلبثوا بذلك مالبثوا ؛ ثم قدم دقينوس الجبار المدينة التي منها خرج إلى مدينته ، وهي مدينة أفسوس ؛ فأمر عظماء أهلها ، فدبجوا للطواغيت ، ففرع من ذلك أهل الإيمان ، فتخبثوا في كل محباً ؛ وكان بمايخا

بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم ، فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قابل ، فأخبرهم أن الجبار دقینوس قد دخل المدينة ، وأنهم قد ذُكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت ؛ فلما أخبرهم بذلك ، فزعوا فرعا شديدا ، ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله ، ويتضرعون إليه ، ويتعوذون به من الفتنة ؛ ثم إن يملیخا قال لهم : يا إخوتاه ، ارفعوا رءوسكم ، فاطعموا من هذا الطعام الذى جئتمكم به ، وتوكلوا على ربكم ؛ فرفعوا رءوسهم ، وأعينهم تفيض من الدمع حزرا وتخوفا على أنفسهم ، فطعموا منه ، وذلك مع غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ، ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم ، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر ، فبيناهم على ذلك ، إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مؤقنون ، مصدقون بالوعد ، ونفقتهم موضوعة عندهم ؛ فلما كان الغد فقدهم دقینوس ، فالتمسهم فلم يجدهم ، فقال لعظماء أهل المدينة : لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا ، لقد كانوا يظنون أن بى غضبا عليهم فيما صنعوا فى أول شأنهم ، بلجهاهم ما جهلوا من أمرى ، ما كنت لأجهل عليهم فى نفسى ، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشىء إن هم تابوا وعبدوا آلهتى ، ولو فعلوا تركتهم ، وما عاقبتهم بشىء سلف منهم ، فقال له عظماء أهل المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مرّدة عصاة ، مقيمى على ظلمهم ومعصيتهم ، وقد كنت أجلتهم أجلا ، وأخرتهم عن العقوبة التى أصبت بها غيرهم ، ولو شاءوا لرجعوا فى ذلك الأجل ، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندخوا على ما فعلوا ، وكانوا منذ انطلقت يبدؤون أموالهم بالمدينة ؛ فلما علموا بقدمك فرّوا فلم يبروا بعد . فان أحببت أن تؤتّى بهم ، فأرسل إلى آبائهم فاهتمهم ، واشدّد عليهم يدلوك عليهم ، فإنهم مختبئون منك ، فلما قالوا ذلك لدقینوس الجبار ، غضب غضبا شديدا ، ثم أرسل إلى آبائهم ، فأتى بهم فسألهم عنهم وقال : أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمرى ، وتركوا آلهتى ، اثبتونى بهم ، وأثبتونى بمكانهم ، فقال له آباؤهم : أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك ، قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم ، فلم تقتلنا فى قوم مرّدة ، قد ذهبوا بأهوالنا فبدّروها وأهلكوها فى أسواق المدينة ، ثم انطلقوا ، فارتقوا فى جبل يدعى بنجلوس ، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هربا منك ؛ فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم ، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية ، فألقى الله عزّ وجلّ فى نفسه أن يأمر بالكهف فيُسدّ عليهم كرامة من الله ، أراد أن يكرمهم ، ويكرم أجساد الفتية ، فلا يجول ، ولا يطوف بها شىء ، وأراد أن يحييهم ، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . فأمر دقینوس بالكهف أن يسدّ عليهم ، وقال : دعوا هؤلاء الفتية المردة الذين تركوا آلهتى فليموتوا كما هم فى الكهف عطشا وجوعا ، وليكن كهفهم الذى اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ، ففعل بهم ذلك عدو الله ، وهو يظنّ أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد تَوّفى الله أرواحهم وفلة النوم ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، قد غشاه الله ماغشاهم ، يُقلّبون ذات اليمين وذات الشمال ؛ ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقینوس يكتمان إيمانهما : اسم أحدهما بيدروس ، واسم الآخر : روناس ، فأتما أن يكتبتا

شأن الفتية أصحاب الكهف ، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آباءهم ، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص ، ثم يصنع له تابوتا من نحاس ، ثم يجعل اللوحين فيه . ثم يكتب عليه في فم الكهف بين ظهرائي البنيان ، ويختما على التابوت بخاتمهما . وقالوا : لعل الله أن يظنهم على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة . فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم : ففعلوا ثم بنوا عليه في البنيان ، فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا : ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه . وقرن بعده كبيرة ، وخافت الخاوف بعد الخوف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد . قال : كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم ، وأهل شرفهم ، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد ، فقال رجل منهم هو أسنهم : إني لأجد في نفسي شيئا ما أظن أن أحدا يجده ، قالوا : ماذا تجد ؟ قال : أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض . وقالوا : نحن نجد ، فقاموا جميعا ، فقالوا (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ لِمَا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا) ، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف ، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس ، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا رقدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مطوقين مسوورين ذوى ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم ، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وهوكب ، وأخرجوا معهم آلتهم التي يعبدون . وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا ، وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه ، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرهم . فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة ، فعجس فيه . ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه ، فجاء حتى جلس إليه ، ثم خرج الآخرون ، فجاءوا حتى جلسوا إليهما ، فاجتمعوا ، فقال بعضهم : ما جمعكم ؟ وقال آخر : بل ما جمعكم ؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج منكم فتيان . فيخلوا ، فيتواثقا أن لا ينشئ واحد منهما على صاحبه . ثم ينشئ كل واحد منهما لصاحبه أمره ، فإننا نرجو أن نكون على أمر واحد ، فخرج فتيان منهم فتواثقا ، ثم تكلموا ، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على الإيمان ، وإذا كهف في الجبل قريب منهم . فقال بعضهم لبعض : ائتوا إلى الكهف (يَنْدَشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا) فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ، فجعله الله عليهم رقدة واحدة ، فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا ، قال : وفقدتهم قومهم فطلبوهم وبعثوا البرد ، فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح : فلان بن فلان ، وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا ، فقصدناهم في عيد كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سنة كذا وكذا ، في مملكة فلان

ابن فلان ؛ ورفعوا اللوح في الخزانة ، فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين ، وجاء قرن بعد قرن ، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا .

وقال آخرون : بل كان مصيرهم إلى الكهف هربا من طلب سلطان كان طابهم بسبب دعوى جنائية ادعى على صاحب لهم أنه جناها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن شروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقبل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأتى حماما ، فكان فيه قريبا من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عايه الرزق ، فجعل يعرض عليه الإسلام ، وجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة ، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيره الحوارى ، فقال : أنت ابن الملك ، وتدخل معك هذه النكداء ، فاستحيا ، فذهب فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة ، فماتا في الحمام جميعا ، فأتى الملك : فقبل له : قتل صاحب الحمام ابنك ، فالتمس ، فلم يقدر عليه هربا ، قال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية : فالتمسوا ، فخرجوا من المدينة ، فرروا بصاحب لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم ، فذكروا أنهم التمسوا ، فانطلق معهم الكاب ، حتى أوامهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه ، فقالوا : نبيت ههنا الليلة ، ثم نصبح إن شاء الله ففرون رأيكم ، فضرب على آذانهم : فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرعب فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ، ففعل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ۖ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ۖ وَكَلَّمْنَا سُلَيْمَانَ ۖ وَتَمَّسِكُوا بِعِصْمِ الْكُوفَةِ أَنْ يُبْهَتُوا بِهَا قُوفُهُمْ ۖ وَقُلْنَا لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْهَا أَلْحِقُوا الْكُوفَةَ بِالْجَبَلِ ۖ وَنَسُوا الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ ۚ فَجَعَلْنَاهُمْ لِقَاءَ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَنَسُوا آيَاتِهِمْ ۚ فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۖ وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكُوفَةَ ۖ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ

يعنى جل ثناؤه بقوله (فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) : فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف : أى ألقىنا عليهم النوم ، كما يقول القائل لآخر : ضربك الله بالفالج ، بمعنى ابتلاه الله به ، وأرسله عليه . وقوله (سِنِينَ عَدَدًا) يعنى سنين معدودة ، ونصب العدد بقوله (فَضْرَبْنَا) . وقوله (ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)

لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى) يقول : ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدهم . لينظر عبادي فيعلموا بالبحث . أَيُّ الطائفتين اللتين اختلفنا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا (أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) يقول : أصوب لقدرب لبتهم فيه أمداء ؛ ويعنى بالأمد : الغاية . كما قال النابغة :

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
وذكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم : قوم من قوم الفتية : فقال بعضهم : كان الحزبان جميعا كافرين . وقال بعضهم : بل كان أحدهما مسلما . والآخر كافرا .

ذكر من قال : كان الحزبان من قوم الفتية

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم : قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) من قوم الفتية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه :
حدثني القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) يقول : ما كان لواحد من الفريقين علم ، لا لكفارهم ولا للمؤمنينهم : وأما قوله (أَمَدًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه . فقال بعضهم : معناه : بعيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) يقول : بعيدا :
وقال آخرون : معناه : عددا :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمَدًا) قال : عددا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :
وفي نصب قوله (أَمَدًا) وجهان : أحدهما : أن يكون منصوبا على التفسير من قوله (أَحْصَى) كأنه قيل : أَيُّ الحزبين أصوب عددا لقدرب لبتهم .

وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب ، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

(١) البيت للنابغة الذبياني ، في (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ١٥٢) من قصيدته التي مطلعها : « يادارمية بالعلياء فالسند » وهي خمسون بيتا ، والشاهد هو السادس والعشرون منها . قال شارحه : الأمد : الغاية التي تجرى إليها (وعلى هذا استشهد المؤلف) . يقول : لاتنطو على حقد وغضب ، إلا لمن هو مثلك في الناس ، أو قريب منك .

والآخر : أن يكون منصوبا بوقوع قوله (لَبِثُوا) عليه ، كأنه قال : أي الحزبين أحصى للبهم غاية .
القول في تأويل قوله تعالى :

تَخَنُّنًا نَقَصُ عَلَيْكَ نَبَاهُهم بِالْحَقِّ إِنَّهم فَنِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهمْ وَزِدْنَاهم هُدًى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا
شَطَطًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين
أَوْوَأُوا إِلَى الكهف بالحق ، يعني : بالصدق واليقين الذي لا شك فيه (إِنَّهم فَنِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهمْ)
يقول : إن الفتية الذين أَوْوَأُوا إِلَى الكهف الذين سألتك عن نبهم الملائمة من مشركي قومك ، فتية آمنوا برهم ،
(وَزِدْنَاهم هُدًى) يقول : وزدناهم إلى إيمانهم برهم إيمانا ، وبصيرة بدينهم ، حتى صبروا على هجران
دار قومهم ، والحرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه ، إلى
خشونة المكث في كهف الجبل .

وقوله (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول عز ذكره : وألهمناهم الصبر : وشددنا قلوبهم بنور الإيمان
حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول بالإيمان .
وقوله (إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : حين قاموا بين يدي الجبار
دقينوس ، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته : (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : قالوا ربنا
ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء ، وآلهتك مربوبة ، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ونعبد
المربوب (لَن نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) يقول : لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلها ، لأنه
لا إله غيره ، وإن كل ما دونه فهو خلقه (لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) يقول جل ثناؤه : لئن دعونا إلها غير
إله السموات والأرض ، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها ، شططا من القول : يعني غالبا من الكذب ، مجاوزا
مقداره في البطول والغلو : كما قال الشاعر :

أَلَا يَا لِقَوْمِي قَدْ أَشْطَطْتُ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنَّهُ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي

(١) البيت للأحوص بن محمد . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٤) قال : « قلنا إذا شططا » : أي جورا
وغلوا ، قال : « ألا يا قوم قد أشطت عواذلي » . . . البيت وذكر بعده بيتا آخر ، وهو :

وَيَلْحَحِينَنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أُحْبِسُهُ وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ

وفي (اللسان : شطط) : الشطط : مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء مشتق منه . اهـ . وقال :
شطط في سلعته وأشط : جاوز القدر ، وتباعد عن الحق . وشط عليه في حكمه يشط شططا . واشتط ، وأشط : جار في قضيته .
وقال أبو عبيد : شططت أشط ، بضم الشين ، وأشططت : جرت . قال ابن بري : أشط : بمعنى أبعد ، وشطط : بمعنى بعد . وشاهد
أشطط بمعنى أبعد ، قول الأحوص :
* ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي * . . . البيت .

يقال منه : قد أشط فلان في السوم إذا جاوز القدر وارتفع ، يشطّ إشطاطا وشططا . فأما من البعد فلإنما يقال : شطّ منزل فلان يشطّ شطوطا ؛ ومن الطول : شطت الجارية تشطّ شطاطا وشطاطة : إذا طالت . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (شَطَطَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا) يقول كذبا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا)

قال : لقد قلنا إذن خطأ ، قال : الشطط : الخطأ من القول .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

يقول عزّ ذكره مخبرا عن قبيل الفتية من أصحاب الكهف : هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه (لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) يقول : هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة ، وفي الكلام محذوف اجتزأ بما ظهر عما حذف ، وذلك في قوله (لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) فالهاء والميم في عابدهم من ذكر الآلهة ، والآلهة لا يؤتى عابدها بسلطان ، ولا يسئل السلطان عليها ، وإنما يسئل عابدها السلطان على عبادتهموها ، فمعلوم إذ كان الأمر كذلك ، أن معنى الكلام : لولا يأتون على عبادتهموها ، واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بين .

وبنحو ما قلنا في معنى السلطان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) يقول : بعذر بين ، وعنى بقوله عزّ ذكره (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ومن

أشدّ اعتداء وإشراكا بالله ، ممن اختلق ، فتخرّص على الله كذبا ، وأشرك مع الله في سلطانه شريكا يعبده دونه ، ويتخذها لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا عَزَلْتَ مُوَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُوْدِ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل بعض الفتية لبعض : وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من

دون الله آلهة (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) يقول : وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله ، ف«ما» إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفاً لها على الهاء ، والميم التي في قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) .
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) وهى في مصحف عبد الله (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هذا تفسيرها .
وأما قوله (فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) فإنه يعنى به : فصيروا إلى غار الجبل الذى يسمى بنجلوس ،
(يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذى قد رُميتم به من الكافر دقینوس وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة .

وقوله (فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) جواب لإذ ، كأن معنى الكلام : وإذا اعتزلتم أيها القوم قومكم ، فأووا إلى الكهف ؛ كما يقال : إذ أذنبت فاستغفر الله وتب إليه .

وقوله (وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) يقول : وييسر لكم من أمركم الذى أنتم فيه من الغم والكرب خوفاً منكم على أنفسكم ودينكم مرفقاً ، ويعنى بالمرفق : ما ترفقون به من شىء ، وفى المرفق من اليد وغير اليد لغتان : كسر الميم وفتح الفاء ، وفتح الميم وكسر الفاء . وكان الكسائى يُنكر فى مِرْفَقِ الإنسان الذى فى اليد إلا فتح الفاء وكسر الميم . وكان الفراء يحكى فيهما ، أعنى فى مرفق الأمر واليد اللغتين كلتيهما ، وكان ينشد فى ذلك قول الشاعر :

بِتُّ أُجَانِي مِرْفَقًا عَنْ مِرْفَقِي^١

ويقول : كسر الميم فيه أجود :

وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول فى قوله (مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) شيئاً ترفقون به مثل المقطع ، ومرفقاً جعله اسماً كالمسجد ، ويكون لغة يقولون رفق يرفق مرفقاً ، وإن شئت مرفقاً تريد رفقاً ولم يُقرأ .
وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء ، وقراءته عامة قراء العراق فى المصرين (مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء .
والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحد منهما قراء من أهل القرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذى أختار فى قراءة ذلك

(١) هذا بيت من الرجز ، استشهد به المؤلف على أن المرفق الذى يرتفق به وينتفع : يجوز فيه فتح الميم مع كسر الراء وكسر الميم مع فتح . وكذلك مرفق اليمين ، وهو موافق لما قاله الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٨٤ من مصورة الجامعة) قال : وقوله « من أمركم مرفقاً » كسر الميم الأعمش والحسن ، ونصبها أهل المدينة وعاصم ؛ فكان الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء ، أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر ، والمرفق من الإنسان . وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ومن الإنسان . والعرب أيضاً تفتح الميم من مرفق الإنسان ، لغتان فيهما . أما أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٩٥) فإنه قال : المرفق : ما ارتفق به ، ويقروء قوم مرفقاً (أى بالفتح) فأما فى اليمين فهو مرفق . ولم أجد هذا الشاهد عند الفراء ، ولا عند أبي عبيدة ، ولا فى لسان العرب . ومعنى أجاني : أبعده .

(وَبِهِتَىٰ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِيرَافَتًا) بكسر الميم وفتح الفاء ، لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب . وكذلك ذلك في كل ما ارتفق به من شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

• وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرَعْنَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ فَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا ۖ

✽ يقول تعالى ذكره (وَتَرَى الشَّمْسَ) يا محمد (إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرَعْنَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يعني بقوله (تَزَاوَرَعْنَ) : تعدل وتميل ، من الزور : وهو العوج والميل ؛ يقال منه : في هذه الأرض زور : إذا كان فيها اعوجاج ؛ وفي فلان عن فلان ازورار ، إذا كان فيه عنه إعراض ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم .

يَوْمٌ بِهَا الْحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وَفِيهَا عَنُّ أَبَانِينَ اِزْوَرَارًا

يعنى : إعراضاً وصدأ .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة (تَزَاوَرَعْنَ) بتشديد الزاي ، بمعنى : تزاور بتاعين . ثم أدغم إحدى التاعين في الزاي ، كما قيل : تظَاهرون عليهم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (تَزَاوَرَعْنَ) بتخفيف التاء والزاي ، كأنه عنى به تفاعل من الزور . وروى عن بعضهم (تَزَوَّرَ) بتخفيف التاء وتشكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمَّر ، وبعضهم : تَزَوَّارًا : مثل تحمار .

✽ والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان ، أعنى (تَزَاوَرَعْنَ) بتخفيف الزاي ، و (تَزَوَّرَ) بتشديدها معروفتان : مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب . وأما القراءتان الأخرتان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما ، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم : اشدو ذهبا عما عليه قراءة الأمصار .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (تَزَاوَرَعْنَ كَهْفِهِمْ) قال أهل التأويل .

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . ذكره البكري في معجم ما استعجم طبع القاهرة (لجنة التأليف ، بتحقيق مصطلح السقا) في رسم « أبان » . قال : أبان : جبل . وهما أبانان : أبان الأبيض وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرمة يقطع بينهما . فأبان الأبيض لبني جرير من بني فزارة خاصة ، والأسود : لبني والبة ، من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وقال بشر فيها « وفيها عن أبانين ازورار » . وقال الأصمعي : أراد أبانا ، فثناه للضرورة . ونخل ، كما في معجم ما استعجم : على لفظ جمع نخلة ، قال يعقوب : هي قرية بواد يقال له : شخ ، لفزارة وأشجع وأمار وقريش والأنصار . . . على ليلتين من المدينة . أو هي ماء بين القصة والثاملية . ويؤم بها : يقصد بالإبل ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل يحدو بها ، ويعنى لها . والازورار : الميل والعدول والإعراض عن الشيء ، كما استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « تزاورعن كهفهم » أي تميل عنه وتنعرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأبطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) قال : تميل .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يقول : تميل عنهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول : تميل عن كهفهم يمينا وشمالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يقول : تميل ذات اليمين ، تدعهم ذات اليمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) قال : تميل عن كهفهم ذات اليمين .

حدثت عن يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن يعقوب بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ، ولو أنهم لا يقلبون لأكاثهم الأرض ، قال : وذلك قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، عن سالم الأبطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ) تميل .

وقوله (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول تعالى ذكره : وإذا غربت الشمس تركهم من ذات شمالهم . وإنما معنى الكلام : وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين ، لئلا تصيب الفتية ، لأنها لو طلعت عليهم قبلهم لأحرقتهم وثيابهم ، أو أشحبتهم . وإذا غربت تركهم بذات الشمال ، فلا تصيبهم ؛ يقال منه : قرضت موضع كذا : إذا قطعت فجاورته . وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وأما الكوفيون فإيهم يزعمون أنه المحاذة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا ، وحذوته ذات اليمين والشمال ، وقبلا ودبرا : أي كنت بجذائه ؛ قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد . وأصل القرص : القطع ، يقال منه : قرضت الثوب : إذا قطعته ؛ ومنه قيل للمقراض : مقراض ، لأنه يقطع ؛ ومنه قرص الفأر الثوب ؛ ومنه قول ذي الرمة :

إلى ظعنٍ يتقرضن أجوازَ مشرفٍ شمالاً وعن أيمانهن الفوارس^١

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٣١٣ من القصيدة رقم ٤١ ، وعدة أبياتها ٥١ بيتا . أي نظرت -

يعنى بقوله : يَتَقَرِّضُنْ : يقطعن .

وبنحو ما قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على . قال : ثنا أبو صالح : قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) يقول : تَدْرُهُمْ :

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن : قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبیر . قال (وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرِّضُهُمْ) تركهم ذات الشمال .

حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل (تَقَرِّضُهُمْ) قال : تركهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) يقول : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله : (تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) قال : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا ابن سنان القمراز . قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح عن سالم ، عن سعيد بن جبیر (وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرِّضُهُمْ) قال : تركهم . وقوله (وَهَمُّمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) يقول : والفتية الذين أووا إليه فى متسع منه يُجْمَعُ : فجوات ، وفجاء ممدودا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَمُّمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) يقول : فى فضاء من الكهف ، قال الله (ذَلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبیر (وَهَمُّمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) قال : المكان الداخلى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَهَمُّمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) قال : المكان الداخلى .

= إلى ظعن يقرضن أى يملن عنها . والفوارس : رمال بالدناء . والبيت من شواهد أبى عبدة فى (مجاز القرآن : ١ : ٣٩٦) ، قال : « تقرضهم ذات الشمال » أى تخلفهم شمالا ، وتجاوزهم وتقطعهم ، وتركهم عن شمالها . ويقال : هل مرت بمكان كذا وكذا ؟ فيقول المسئول : قرضته ذات اليمين ليلا . وقال ذو الرمة : « إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف . . . البيت . مشرف والفوارس : موضعان بنجد ، كما فى معجم ما استعجم ، وأنشد البيت فى رسم الفوارس ، ونسبه إلى ذى الرمة . والظعن : جمع ظليعة ، وهى المرأة فى الهودج على جملها أو ناقها .

حدثني ابن سينان، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (في فِجْوَةِ مِئْهُ) قال : في مكان داخل .
وقوله (ذلك من آيات الله) يقول عزّ ذكره : فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عايكم أمرهم من تصييرناهم ، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت ، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غربت ، مع كونهم في المتسع من المكان ، بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم ، ولا تبلى على طول رقبتهم ثيابهم ، فتعفن على أجسادهم ، من حجج الله وأدلته على خاقه ، والأدلة التي يستدل بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه ، وأنه لا يعجزه شيء أراد . وقوله (من يهد الله فهو المهتد) يقول عزّ وجلّ : من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه ، فهو المهتدي : يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق (ومن يضلّل) يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته ، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد (فلن تجد له ولياً مرشداً) يقول : فلن تجد له يا محمد خائلاً وحليفاً يرشده لإصابتها ، لأن التوفيق والخذلان بيد الله ، يوفق من يشاء من عباده ، ويخذل من أراد ؛ يقول : فلا يحزنك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك ، فإنني لو شئت هديتهم فأمنوا ، وببدي الهداية والضلال .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَكِيطٌ
ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِاطِعٌ عَلَيْهِمْ لَوِائِتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصصهم ، لو رأيتم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا . والأيقاظ : جمع يقظ : ومنه قول الراجز :

وَوَجَدُوا إِخْوَتَهُمْ أَيْقَاطًا وَسَيْفَ غِيَاظٍ لَهُمْ غِيَاظًا

وقوله (وهم رُقُودٌ) يقول : وهم نيام . والرُقود : جمع راقد ، كالجلوس : جمع جالس ، والقعود : جمع قاعد . وقوله (ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) يقول جلّ ثناؤه : ونقلب هؤلاء الفتية في رقبتهم مرة للجنب الأيمن ، ومرة للجنب الأيسر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) وهذا التقلب في رقبتهم الأولى . قال : وذكر لنا أن أبا عياض قال : لهم في كل عام تقلبتان

(١) البيتان (في ديوان العجاج الراجز ، في الملحق بديوانه ص ٨١ - ٨٢) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتا . ورقما البيتين فيها هما : ٨ ، ١٦ . وهما من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٧) قال « وتحسبهم أيقاظا » : واحدهم : يقظ . ورجال أيقاظ ؛ وكذلك جمع يقظان : أيقاظ ، يذهبون به إلى جمع يقظ . وقال رؤبة : « ووجدوا . . . البيتين » وقد نسبها لرؤبة ، وهما في ديوان العجاج . وقد تداخلت أشعارهما على الرواة واللغويين . وغياظ : اسم رجل .

حدثت عن يزيد ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ) قال : لو أنهم لا يقاتلون لأكاتهم الأرض .
وقوله (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله : (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) فقال بعضهم : هو كلب من كلابهم كان مهم . وقد ذكرنا كثيرا من قال ذلك فيما مضى . وقال بعضهم : كان إنسانا من الناس طباخا لهم تبعهم .
وأما الوصيد ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : هو الفناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (بِالْوَصِيدِ) يقول : بالفناء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : بالفناء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْوَصِيدِ) قال : بالفناء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بِالْوَصِيدِ) قال : بالفناء . قال ابن جريج : يمسك باب الكهف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) يقول : بفناء الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (بِالْوَصِيدِ) قال : بفناء الكهف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (بِالْوَصِيدِ) قال : يعنى بالفناء .

وقال آخرون : الوصيد : الصعيد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) يعنى فناءهم ، ويقال : الوصيد : الصعيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون ، عن عنرة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : الوصيد : الصعيد .

(١) قوله « كان إنسانا الخ » كذا في الأصول وفي ابن كثير . وقيل كلب طباخ الملك ، وقد كان وافقهم على الدين ، وصحبه

كلبه . اه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو ، في قوله (وَكَلَّبْنَاهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : الوصيد : الصعيد ، التراب .
وقال آخرون : الوصيد الباب .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَكَلَّبْنَاهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : بالباب ، وقالوا بالفناء .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : الوصيد : الباب ، أو فناء الباب حيث يفاق الباب ، وذلك أن الباب يُوصد ، وإيصاده : إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل (لَأَنهَآ عَلَيْنَهُمْ مُّؤَصَّدَةٌ) وفيه لغتان : الأصيد ، وهي لغة أهل نجد ، والوصيد : وهي لغة أهل تهامة ، وذكر عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : إنها لغة أهل اليمن ، وذلك نظير قولهم ورخت الكتاب وأرخته ، ووكدت الأمر وأكدته ، فمن قال الوصيد ، قال : أوصدت الباب فأنا أوصيده ، وهو مؤصد ؛ ومن قال الأصيد ، قال : آصدت الباب فهو مؤصد ، فكان معنى الكلام : وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب ، يحفظ عليهم بابه .
وقوله (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا) يقول : لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم ، لأدبرت عنهم هاربا منهم فارا ، (وَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُعبًا) يقول : ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعاعا ، لما كان الله ألبسهم من الهيبة ، كي لا يصل إليهم واصل ، ولا تلمسهم يد لأمس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، وتوقفهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه ، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُعبًا) فقراءته عامة قراء المدينة بتشديد اللام من قوله (وَوَلَّيْتُ) بمعنى أنه كان يمتلي مرة بعد مرة . وقرأ ذلك عامة قراء العراق (وَوَلَّيْتُ) بالتخفيف ، بمعنى : لمليت مرة ، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلْئِيمٍ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۖ

يقول تعالى ذكره : كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف . فحفظناهم من وصول واصل إليهم ، وعين ناظر أن ينظر إليهم . وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان . وثيابهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا ؛ وكذلك بعثناهم من رقدتهم ، وأيقظناهم من نومهم . لنعرفهم عظيم سلطاننا . وعجيب فعانا في خاتمنا ، ولبزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براعتهم من عبادة الآلهة ، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له . إذا تبينوا طول الزمان عليهم ، وهم بهيتهم حين رقدوا . وقوله (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) يقول : ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل " مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ") يقول عز ذكره : فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه (كَمْ لَبِثْتُمْ) وذلك أنهم استذكروا من أنفسهم طول رقدتهم (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) يقول : فأجابهم الآخرون فقالوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . ظنا منهم أن ذلك كذلك كان . فقال الآخرون : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) فسأموا العلم إلى الله . وقوله (فابعثوا أحدهم ببورقكم هذه إلى المدينة) يعني مدينتهم التي خرجوا منها هيرابا ، التي تسمى أفسوس (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جوعا ، فاذلك طلبوا الطعام .

ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن بشروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إنهم غبروا ، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه ، ورد إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما ، فلما أتى باب مدينتهم ، رأى شيئا يئنكره ، حتى دخل على رجل فقال : بعني بهذه الدراهم طعاما ، فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس . فأوانا الليل ، ثم أصبحوا ، فأرسلوني . فقال : هذه الدراهم كانت على عهد مُلْك فلان ، فأني لك بها . فرفعه إلى الملك ، وكان ملكا صالحا . فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس . حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا . ثم أمروني أن أشتري لهم طعاما ، قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف . قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل على أصحابي قبلكم ؛ فلما رأوه . ودنا منهم ضُرب على أذنه وأذانهم ، فجعلوا كلما دخل رجل أرب . فلم يقدرُوا على أن يدخلوا عليهم ، فبينوا عندهم كنيسة ، اتخذوها مسجدا يصاون فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم . رزقهم الله الإسلام . فتعودوا بدينهم . واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف . فضرب الله على سمعهم ، فلبثوا دهرا طويلا ، حتى هلكت أممهم ، وجاءت أمة مسالمة ، وكان ملكهم مسلما ، فاختلفوا في الروح والجسد . فقال قائل : يبعث الروح والجسد جميعا ؛

وقال قائل : يُبعث الروح ، فأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئا ، فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فابس المُسُوح ، وجلس على الرّماد ، ثم دعا الله تعالى فقال : أي ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم آية تبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما ، فدخل السوق ، فجعل يُنكر الوجوه ، ويعرف الطرق ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما ؛ فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها ، قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبع ، يعني الإبل الصغار ، فقال له الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله ، فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك في الناس ، فجمعهم ، فقال : إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان ، يعني ملكهم الذي مضى ، فقال الفتى : انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف ، فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضُرب على أذنه وعلى آذانهم ؛ فلما استبطئوه دخل الملك ، ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا ، غير أنها لأرواح فيها ، فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ، قال قتادة : وعن ابن عباس ، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة ، فرؤوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف ، قال : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيدوسيس ؛ فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة ، فتحزب الناس في ملكه ، فكانوا أحزابا ، فمنهم من يؤمن بالله ، ويعلم أن الساعة حقّ ، ومنهم من يكذب ، فكبر ذلك على الملك الصالح تيدوسيس ، وبكى إلى الله وتضرّع إليه ، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ويقولون : لا حياة إلا الحياة الدنيا ، وإنما تُبعث النفوس ، ولا تُبعث الأجساد ، ونسوا ما في الكتاب ، فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا ، وأنهم أئمة في الحقّ ، فجعلوا يكذبون بالساعة ، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ وملة الخواريين ؛ فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس ، دخل بيته فأغلقه عليه ، ولبس مِسْحًا وجعل تحته رمادا ، ثم جلس عليه ، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرّع إلى الله ، ويبكى إليه مما يرى فيه الناس ؛ ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد ، أراد أن يظّهر على الفتية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم ، ويجعلهم آية لهم ، وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس ، ويتمّ نعمته عليه ، فلا ينزع منه ملكه ، ولا الإيمان الذي أعطاه ، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا ، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين ، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف ، وكان الجبل بنجاوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل ، وكان اسم ذلك الرجل أولياس ، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف ، فيبني به حظيرة لغنمه ، فاستأجر عامين ، فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ، ويبنيان بها تلك الحظيرة ، حتى نزعوا ما على فم الكهف ، حتى فتحا عنهم باب الكهف ، وحجبتهم الله من الناس بالرعب ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم

غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ، ثم يتقدم حتى يرى كلهم دونهم إلى باب الكهف بانما ؛ فلما نزعوا الحجارة ، وفتحوا عليهم باب الكهف ، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف ، فجلسوا فرحين مُسْتَفِرِّة وجوههم طيبة أنفسهم ، فسأتم بعضهم على بعض ، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليالهم التي يبيتون فيها ، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا ، كالذي كانوا يفعلون ، لا يرون ، ولا يُرى في وجوههم ، ولا أشارهم ، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيتهم حين رقدوا بعشيّ أمس ، وهم يرون أن ماكلهم دقینوس الجبار في طلبهم والتماسهم فلما قضاوا صلاتهم كما كانوا يفعلون ، قالوا ليمليخا ، وكان هو صاحب نفقهم ، الذي كان يتناع لهم طعامهم وشربهم من المدينة ، وجاءهم بالخبر أن دقینوس ياتمسهم ، ويسأل عنهم ، أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشيّ أمس عند هذا الجبار ، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون ، وقد خُيِّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليالي التي أصبحوا فيها ، حتى تساءلوا بينهم ، فقال بعضهم لبعض (كَمْ لَبِثْتُمْ) نياما ؟ (قالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قالوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) وكل ذلك في أنفسهم يسير ، فقال لهم يميلخا : افتقدتم والتمستم بالمدينة ، وهو يريد أن يُؤتَى بكم اليوم ، فتدبجون للطواغيت ، أو يقتلكم ، فما شاء الله بعد ذلك ، فقال لهم مكسدينا : يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقون ، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ، ولا تُنكروا الحياة التي لا تبديد بعد إيمانكم بالله ، والحياة من بعد الموت ؛ ثم قالوا ليمليخا : انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم ، وما الذي نُذكر به عند دقینوس ، وتلطّف ، ولا يشعرنّ بنا أحد ، وابتع لنا طعاما فأتنا به ، فإنه قد آن لك ، وزدنا على الطعام الذي قد جئنا به ، فإنه قد كان قليلا ، فقد أصبحنا جياعا . ففعل يميلخا كما كان يفعل ، ووضع ثيابه ، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ، وأخذ ورقا من نفقهم التي كانت معهم ، التي ضُربت بطابع دقینوس الملك ، فانطلق يميلخا خارجا ؛ فلما مرّ بباب الكهف ، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف ، فعجب منها ، ثم مرّ فلم يبال بها ، حتى أتى المدينة مستخفيا يصدّ عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها ، فيعرفه ، فيذهب به إلى دقینوس ، ولا يشعر العبد الصالح أن دقینوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين ، أو ما شاء الله من ذلك ، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين ؛ فلما رأى يميلخا باب المدينة رفع بصره ، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان ، إذا كان ظاهرا فيها ؛ فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا إليها ، فنظر يمينا وشمالا ، فتعجب بينه وبين نفسه ، ثم ترك ذلك الباب ، فتحول إلى باب آخر من أبوابها ، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها ، ورأى على كل باب مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف ، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك ، فجعل يمشي ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه ، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول : يا ليت شعري ؛ أما هذه عشية أمس ، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها ، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعلّي حالم ، ثم يرى أنه ليس بناثم ؛ فأخذ كساءه

فجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة ، فجعل يمشي بين ظهري سوقها ، فيسمع أناسا كثيرا يملفون باسم عيسى ابن مريم ، فزاده فرقا ، ورأى أنه حيران ، فقام مُسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول في نفسه : والله ما أدري ما هذا ؟ أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قُتِل ؛ وأما الغداة فأسمعهم ، وكل إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف ، ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا ، فقام كالحيران لا يتوجه وجهها ؛ ثم لقي فتى من أهل المدينة ، فقال له : ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ قال : اسمها أفسوس ، فقال في نفسه : لعل بي مسا ، أو بي أمر أذهب عقلي ، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزي فيها أو يصيبني شر فأدلك ، هذا الذي يحدث به يمايخا أصحابه حين تبين لهم ما به . ثم إنه أفاق فقال : والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام . فأخرج الورق التي كانت معه ، فأعطاها رجلا منهم ، فقال : بعني بهذه الورق يا عبد الله طعاما . فأخذها الرجل ، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها ، فعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه . فنظر إليها . ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ، ويتعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا في الأرض منذ زمان ودهر طويل ؛ فلما رأهم يتشاورون من أجه فرق فرقا شديدا ، وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقنيوس يسلمونه إليه . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم : أفضلوا علي ، فقد أخذتم ورق فأمسكوا ، وأما طعامكم فلا حاجة لي به ، قالوا له : من أنت يا فتى ، وما شأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين ، فأنت تريد أن تخفيه منا ، فانطلق معنا فأرنا وشاركنا فيه ، نخف عليك ما وجدت ، فانك إن لاتفعل نأت بك السلطان ، فنسلمك إليه فيقتلك . فلما سمع قولهم ، عجب في نفسه فقال : قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ، ثم قالوا : يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت ، ولا تظن في نفسك أنه سيخفي حالك ، فجعل يمايخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم . وفرق حتى ما يحير إليهم جوابا ؛ فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه ، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مليبا ، حتى سمع به من فيها ، فقيل : أخذ رجل عنده كنز ، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم ، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة ، وما رأيناه فيها قط ، وما نعرفه ؛ فجعل يمايخا لا يدري ما يقول لهم ، مع ما يسمع منهم ؛ فلما اجتمع عليه أهل المدينة ، فرق ، فسكت فلم يتكلم ، ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدق ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة ، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها ، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها ، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا ؛ فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله ، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم ، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها ، وهما رجلان صالحان ، كان اسم أحدهما أريوس ، واسم الآخر أسطيوس ؛ فلما

انطلق به إليهما ، ظنّ يمايخا أنه ينطاق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه ، فجعل يلتفت يمينا وشمالا ، وجعل الناس يسخرون منه ، كما يسخر من المجنون والحيران ، فجعل يمايخا يبكي ، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله ، ثم قال : اللهم إله السموات والأرض ، أولج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار ، وجعل يبكي ويقول في نفسه : فرق بيني وبين إخوتي ، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، وأنى يذهب بي إلى دقينوس الجبار ، فلو أنهم يعلمون ، فيأتون ، فنقوم جميعا بين يدي دقينوس ، فلإنا كنا توائقنا لنكوننّ معا ، لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا ، ولانعبد الطواغيت من دون الله ، فرق بيني وبينهم ، فلن يروني ولن أراهم أبدا ، وقد كنا توائقنا أن لانفترق في حياة ولا موت أبدا ، يا ليت شعري ما هو فاعل بي ؟ أقاتلي هو أم لا ؟ ذلك الذي يحدث به يمايخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم .

فلما انتهى إلى الرجائين الصالحين أريوس وأسطيوس ، فلما رأى يمايخا أنه لم يذهب به إلى دقينوس أفاق وسكن عنه البكاء ؛ فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ، ثم قال أحدهما : أين الكنز الذي وجدت يافتي هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا ، فقال لهما يمايخا : ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق ورق آبائي ، ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكن والله ما أدري ما شأني ، وما أدري ما أقول لكم . فقال له أحدهما : ممن أنت ؟ فقال له يمايخا : ما أدري ، فكنت أرى أني من أهل هذه القرية ، قالوا : فمن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم أبيه ، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه ؛ فقال له أحدهما : أنت رجل كذاب لاتنبئنا بالحق ، فلم يدر يمايخا ما يقول لهم ، غير أنه نكس بصره إلى الأرض ، فقال له بعض من حوله : هذا رجل مجنون ، فقال بعضهم : ليس بمجنون ، ولكنه يحق نفسه عمدا لكي ينفات منكم ؛ فقال له أحدهما ، ونظر إليه نظرا شديدا : أتظنّ أنك إذ تتجانن نرسلك ونصدّقك بأن هذا مال أبيك ، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة ، وإنما أنت غلام شاب تظنّ أنك تأفكنا ، ونحن شمط كما ترى ، وحولك سُرارة أهل المدينة ، وولاة أمرها ، إني لأظنني سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت ؛ فإمال قال ذلك ، قال يمايخا : أنبئوني عن شيء أسألکم عنه ، فإن فعلمت صدقتكم عما عندي ، أرايتم دقينوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل ، فقال له الرجل : ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس ، ولم يكن إلا ملك قد ملك منذ زمان ودهر طويل ، وهلكت بعده قرون كثيرة ، فقال له يمايخا : فوالله إني إذا لحيران ، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول ، والله لقد علمت ، لقد فررنا من الجبار دقينوس ، وإني قد رأيت عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس ، ولكن لأدري أمدينة أفسوس هذه أم لا ؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي . فلما سمع أريوس ما يقول يمايخا قال : يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها لكم غلى يدي هذا الفتى ، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه ، كما قال : فانطاق معه أريوس وأسطيوس ، وانطاق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم ، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم .

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمايخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ،

فظنوا أنه قد أُخِذَ فذُهبَ به إلى ملكهم دَقِينُوسَ الذي هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دَقِينُوسَ بعث إليهم ليؤثروا بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضا، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أنخانا يَمَلِيخَا، فإنه الآن بين يدي الجبار دَقِينُوسَ ينتظر متى نأته. فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهري الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاعلى باب الكهف، وسبقهم يَمَلِيخَا، فدخل عليهم وهو يبكي؛ فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها؛ ثم دخل على أثر يَمَلِيخَا أريوس، فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما ١: أن مكسلمينا، ومحسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكسطونس، ويبورس، ويكرنوس، ويطيبيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دَقِينُوسَ الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف؛ فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، ولما كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرعوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوسا بين ظهريه، مُشْرِقة وجوههم، لم تبل ثيابهم. فخرّ أريوس وأصحابه سجودا، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضا، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دَقِينُوسَ ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه. ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيدوسيس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نورا وضياء، وتصديقا بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة. فلما أتى الملك تيدوسيس الخبر، قام من المسندة التي كان عايبها، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عزّ وجلّ، فقال: أحمداك اللهم ربّ السموات والأرض، أعبدك، وأحمدك، وأسبح لك، تطوّلت علىّ، ورحمتني برحمتك، فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي، وللعبد الصالح قسطينوس الملك. فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فملاقاتهم أهل المدينة، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه؛ فلما رأى الفتية تيدوسيس، فرحوا به، وخرجوا سجودا على وجوههم؛ وقام تيدوسيس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون^٢ حين رأوا المسيح، وقال: فرج الله عنكم، كأنكم الذين تُدْعَوْنَ فتحشرون من القبور، فقال الفتية لتيدوسيس: إنا نودّ عك السلام، والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله، وحفظ لك ملكك بالسلام، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس، فأمر بعيش من

(١) في عدد هذه الأسماء، وضبطها، اختلاف كثير بين ناقلها. وهي في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير، غير منقوطة.

(٢) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير: «وما أشبه بكم إلا الحواريين»، ولعله تحريف عن الحواريين.

خُلِّدَ ونشيل إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعام شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هو ان إن أهين به. ا .
 فبينما الملك قائم ، إذ رجعوا إلى مضاجعهم ، فناموا ، وتوفى الله أنفسهم بأمره . وقام الملك إليهم ،
 فجعل ثيابه عايهم ، وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب ؛ فلما أتمسوا ونام : أتوه في المنام ،
 فقالوا : إننا لم نخاق من ذهب ولا فضة ، ولكننا خلقتنا من تراب وإلى التراب نصير ، فاتركنا كما كنا
 في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه ؛ فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج ، فجعلواهم فيه ، وحجبتهم الله
 حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد على أن يدخل عايهم ، وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا
 يُصَلَّى فيه ، وجعل لهم عيدا عظيما ، وأمر أن يؤتى كل سنة . فهذا حديث أصحاب الكهف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال :
 بعثهم الله : يعنى الفتية أصحاب الكهف ، وقد سلط عليهم ملك مسلم ، يعنى على أهل مدينتهم ؛ وسلط الله
 على الفتية الجوع ، فقال قائل منهم (كَسَمُ لَبِيثُكُمْ ؟) قالوا لَبِيثُنَا يَوْمًا أَوْ بَعَضَ يَوْمٍ) قال : فردوا علم
 ذلك إلى الله (قالوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِيثُكُمْ ، فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ)
 وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذى كانوا فى زمانه (فَأَيُّكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) : أى بطعام (وَلَا
 يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) : فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة : فاستقبله الناس لا يعرف
 منهم أحدا ، فخرج ولا يعرفونه ، حتى انتهى إلى صاحب الطعام ، فسأله بطعامه : فقال صاحب الطعام :
 هات ورقك ، فأخرج إليه الورق ، فقال : من أين لك هذا الورق ؟ قال : هذه ورقتنا وورق أهل بلادنا ،
 فقال : هيات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين ، أنت أصبت كنزا ، ولست
 بتاركك حتى أرفعك إلى الملك ، فرفعه إلى الملك ، وإذا الملك مسام وأصحابه مسلمون ، ففرحوا واستبشروا ،
 وأظهر لهم أمره ، وأخبرهم خبر أصحابه ، فبعثوا إلى اللوح فى الخزانة ، فأتوا به ، فوافق ما وصف من أمرهم ،
 فقال المشركون : نحن أحق بهم هؤلاء أبناء آبائنا ، وقال المسلمون : نحن أحق بهم : هم مسلمون منا ،
 فانطلقوا معه إلى الكهف ؛ فلما أتوا باب الكهف قال : دعونى حتى أدخل على أصحابى حتى أبشرهم : فإنهم
 إن رأوكم معى أرفعتموهم ، فدخل فبشروهم ، وقبض الله أرواحهم ، قال : وعسى الله عايهم مكانهم ، فلم
 يهتدوا ، فقال المشركون : نبى عايهم بُنْيَانًا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : نحن أحق
 بهم ، هم منا ، نبى عايهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلٌ مِنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَهُمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ
 كَمَا بَيْنَانَا قَبْلَ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ ، كَذَلِكَ أَخْبَرَ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْرَضَ عَائِهِمُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَعْرَضَهُمْ
 عَلَيْهِمْ ، لِيَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ بِيَعَثُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَةَ مِنْ رَقْدَتِهِمْ بَعْدَ طَوْلِ مَدَّتِهَا بِهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ رَقَدُوا ، وَلَمْ يَشِيدُوا عَلَى
 مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَهْرَمُوا عَلَى كَرِّ الدَّهْرِ وَالْأَزْمَانِ فِيهِمْ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِ مَنْ أَمَاتَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ

(١) العبارة من أول قوله : فأمر بعيش من خلر ونشيل . . . إلى هنا : ساقطة من هذا الخبر فى عرائس المجالس للشلبى المفسر
 ص ٤٢٧ . والخلر : حب يقات به ، قيل : هو الجلبان ؛ والنشيل : اللبن ساعة يحلب ، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب
 الكهف .

قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة ، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا ، فقال : (وكذلك أعشّرنا عليّهم ليعلموا أن وعد الله حقّ ، وأن الساعة لا ريب فيها) .
 واختلفت القراء في قراءة قوله (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين (بورقكم هذه) بفتح الواو وكسر الراء والقاف . وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة (بورقكم) بسكون الراء ، وكسر القاف . وقرأه بعض المكيين بكسر الراء ، وإدغام القاف في الكاف ، وكلّ هذه القراءات متفقات المعاني ، وإن اختلفت الألفاظ منها ، وهنّ لغات معروفات من كلام العرب ، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف ، لأنه الوراق ، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف . وفيه أيضا لغة أخرى وهو الوراق ، كما يقال للكسب كسب الوراق . فإذا كان ذلك هو الأصل ، فالقراءة به إلى أعجب ، من غير أن تكون الأخرى مدفوعة صحتهما ، وقد ذكرنا الرواية بأن الذى بعث معه بالوراق إلى المدينة كان اسمه يملخا .

وقد حدثني عبيد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان عن مقاتل (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) اسمه يملخ .
 وأما قوله (فلينظر أيّها أزكى طعاما) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه فلينظر أيّ أهل المدينة أكثر طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن أبي حصين عن عكرمة (أيّها أزكى طعاما) قال : أكثر .
 وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبي حصين ، عن عكرمة مثله ، إلا أنه قال : (أيّه أكثر) .
 وقال آخرون : بل معناه أيّها أحلّ طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : (أيّها أزكى طعاما) قال : أحلّ .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثله .
 وقال آخرون : بل معناه : أيّها خير طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : (أزكى طعاما) قال : خير طعاما .
 وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أحلّ وأطهر ، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما ، كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده

أوجد ، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل ، فقد أمر بشراء الجيد ، كان ما عند المشتري ذلك منه قابلا الجيد أو كثيرا ، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر ، لأنه وجد العرب تقول : قد زكا مال فلان : إذا كثر ، وكما قال الشاعر :

قَبَائِلُنَا سَبْعٌ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ وَللسَّبْعِ أَزْكَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَطْيَبُ

بمعنى : أكثر ، وذلك وإن كان كذلك ، فإن الحلال الجيد وإن قل ، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر . وقيل (فَلْيَسْتَنْظُرْ أَيُّهَا) فأضيف إلى كناية المدينة ، والمراد بها أهلها ، لأن تأويل الكلام : فلينظر أى أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام . وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم (أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) : أيها أحل ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان ، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم . وقوله (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) يقول : فليأتكم بقوت منه تقناتونه ، وطعام تأكاونه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) قال : بطعام .

وقوله (وَلْيَسْتَلْطَفْ) يقول : وليترفق في شرائه ما يشتري ، وفي طريقه ودخوله المدينة (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) يقول : ولا يعلمنّ بكم أحدا من الناس . وقوله (لَإِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يعنون بذلك : دقینوس وأصحابه ؛ قالوا : إن دقینوس وأصحابه إن يظهروا عليكم ، فيعلموا مكانكم ، يرموكم شتما بالقول .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (لَإِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) قال : يشتموكم بالقول ، يؤذوكم . وقوله (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مَسَاكِمِهِمْ) يقول : أو يردوكم في دينهم ، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان (وَآلَن تَفْسَاحُوا إِذَا أَبَدًا) يقول : ولن تدركوا الفلاح ، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان ، إذن : أى إن أنتم عدتم في ماتهم أبدا : أيام حياتكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَخْذُنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبٌ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ
أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْتُمْ أُعْلِمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم
مَسْجِدًا ﴿١١﴾

(١) البيت للقتال الكلابي ، أنشده سيبويه في (الكتاب ٢ : ١٨١) وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٢٣٧ ، ٢٩٧) قال في الموضع الثاني : « أيها أزكى طعاما » : أى أكثر ؛ قال : « قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة » . . . البيت ، وقال في الموضع الأول : ذكر ثلاثة ، ذهب به إلى بطن ، ثم أنه ، لأنه ذهب به إلى قبيلة . قلت : والنحاة يجوزون في اسم العدد التذكير والتأنيث ، إذا لم يذكر المعدود ، وهذا شاهد عليه . وفي (اللسان : زكا) : الزكاه بمدودا : الغناء والريع . زكاي زكو زكاه وزكوا .

❖ يقول تعالى ذكره : وكما بعثناهم بعد طول رقتهم كهيتهم ساعة رقدوا ، ليتساءلوا بينهم ، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة ، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة (كذلك أعثرنا على عيبتهم) يقول : كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى ، وفي مِرْيَةٍ من إنشاء أجسام خلقه ، كهيتهم يوم قبضهم بعد البقي ، فيعلموا أن وعد الله حق ، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكذلك أعثرنا على عيبتهم) يقول : أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث ، أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها . وقوله (إذ يتنازعون بينهم) يعني : الذين أعتروا على الفتية يقول تعالى : وكذلك أعتزنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة ، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيدوسيس ، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما لله فاعل بمن أفناه من عباده ، فأبلاه في قبره بعد مماته ، أمنشهم هو أم غير منشهم . وقوله (فقالوا ابنوا عيبتهم بنيانا) يقول : فقال الذين أعتزناهم على أصحاب الكهف : ابنوا عليهم بنيانا (ربهم أعلمهم) يقول : رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم . وقوله (قال الذين غابوا على أمرهم) يقول جل ثناؤه : قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف (لنتخذن عيبتهم مسجداً) . وقد اختلف في قائل هذه المقالة ، أهم الرهط المسلمون ، أم هم الكفار ؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، وسندكر إن شاء الله ما لم يمض منه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قال الذين غابوا على أمرهم لنتخذن عيبتهم مسجداً) قال : يعني عدوهم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : عمي الله على الذين أعتزهم على أصحاب الكهف مكانهم ، فلم يهتدوا ، فقال المشركون : نبئ عليهم بنيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها ، وقال المسلمون : بل نحن أحق بهم ، هم منا ، نبئ عليهم مسجداً نصلي فيه ، ونعبد الله فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمُ الْإِمْرَاءُ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : سيقول بعض الحائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف ، هم ثلاثة رابعهم

كلبهم ، ويقول بعضهم : هم خمسة سادسهم كلبهم (رجماً بالغيب) : يقول : قذفا بالظن غير يقين علم ،
كما قال الشاعر :
وأجعلُ مِثِّي الحَقَّ غَيْباً مُرَجِّمًا
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَتَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ) : أى قذفا بالغيب .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَجْمًا
بِالْغَيْبِ) قال : قذفا بالظن .

وقوله (وَيَتَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) يقول : ويقول بعضهم : هم سبعة وثمانهم كلبهم
(قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) يقول عز ذكره لتبنيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقائلى هذه
الأقوال فى عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب : (رَبِّ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ)
يقول : ما يعلم عددهم (إِلَّا قَلِيلٌ) من خلقه .

كما حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) يقول :
قليل من الناس .

وقال آخرون : بل عنى بالقليل : أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن
عباس (ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال : يعنى أهل الكتاب . وكان ابن عباس يقول : أنا ممن استثناه الله
الله ، ويقول : عدتهم سبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس
(ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا
من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة وثمانهم كلبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : عدتهم
سبعة وثمانهم كلبهم ، وأنا ممن استثنى الله .

(١) هذا عجز بيت لم أقف على قائله . وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه : القول بالظن على غير يقين علم . قال أبو عبيدة فى
مجاز القرآن (١ : ٣٩٨) : « رجما بالغيب » : الرجم ما لم تستيقنه . وقال : ظن مرجم : لا يدري : أحق هو أم باطل ؟ قال زهير :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا رَأَيْتُمْ وَذَقْتُمْ
وَمَا هُوَ عَنَّا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ

وفى (اللسان : رجم) : والرجم : القول بالظن والحدس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال : كان ابن عباس يقول : أنا من القليل ، هم سبعة وثامنهم كلهم .
وقوله (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول عز ذكره لنبىه حمد صلى الله عليه وسلم : فلا تمار يا محمد : يقول : لا تجادل أهل الكتاب فيهم ، يعنى فى عدة أهل الكهف ، وحذفت العدة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ) قال : لا تمار فى عدتهم .
وقوله (إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر الذى استثناه الله ، ورنخص فيه لنبىه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : هو ما قص الله فى كتابه أبيض له أن يتاوه عايمهم ، ولا يماريهم بغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : حسبتك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) : أى حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ) قال : حسبتك ما قصصنا عليك من شأنهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَلَا تُتَمَّارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : حسبك ما قصصنا عليك .
وقال آخرون : المراء الظاهر : هو أن يقول ليس كما تقولون ، ونحو هذا من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) قال : أن يقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس تعلمون عدتهم إن قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك ، فإنهم لا يعلمون عدتهم ، وقرأ (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ) حتى بلغ (رَجَمْنَا بِالْغَيْبِ) .
وقوله (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) يقول تعالى ذكره : ولا تستفت فى عدة الفتية من

أصحاب الكهف منهم : يعنى من أهل الكتاب أحدا ، لأنهم لا يعلمون عدتهم ، وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب : لا يقينا من القول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن :

قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) من يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا تَسْتَفْتِ

فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) : من يهود ، قال : ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف : إلا ما قد أخبرتك من أمرهم .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) :

من أهل الكتاب : كنا نحدث أنهم كانوا بنى الركناء . والركنا : ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ،

فتفردوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على أصمختهم ، فلبثوا دهرا

طويلا حتى هلكت أممهم وجاءت أمة مسلمة بعدهم ، وكان ملكهم مسلما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادِّكُر رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ

أَنْ يَهْدِيَ رَبِّيَ لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٥﴾

وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة ، إلا أن يصله بمشيئة الله ، لأنه لا يكون شىء إلا بمشيئة الله .

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى

اللواتى ، إحداهنّ المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهنّ عن غد يومهم ، ولم يستثن ، فاحتبس

الوحى عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة ، حتى حزنه إبطاؤه ، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنّ ، وعرف

نبيه سبب احتباس الوحى عنه ، وعلمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عاداته وخبره عما يحدث من الأمور

التي لم يأت من الله بها تنزيل ، فقال : (وَلَا تَقُولَنَّ) يا محمد (لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) كما قلت

لهؤلاء الذين سألك عن أمر أصحاب الكهف ، والمسائل التي سألك عنها ، سأخبركم عنها غدا (إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ) . ومعنى الكلام : إلا أن تقول معه : إن شاء الله ، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه ، إذ

(١) الركناء: كذا بالقصر ، ولعل أصله الركناء بالمد ، جمع ركين ، وهو من الرجال : الوقور الرزين . أو هو القوى بعشيرته وكثرتها .

كان في الكلام دلالة عليه . وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) استثناء من القول ، لامن الفعل كأن معناه عنده : لاتقولنّ قولاً إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل .

وقوله (وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : واستثنى في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن هارون الحرّبيّ ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في الرجل يحلف ، قال له : أن يستثنى ولو إلى سنة ، وكان يقول (وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ) في ذلك قيل للأعمش سمعته من مجاهد ، فقال : ثنى به ليث بن أبي سليم ، يرى ذهب كسائي هذا حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَقُولْنَ لِمَنْ يُعَذِّبُكُنَّ إِنَّهُ يَشَاءُ اللَّهُ) ، وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ الاستثناء ، ثم ذكرت فاستثنى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، في قوله (وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : بلغني أن الحسن ، قال : إذا ذكر أنه لم يقل : إن شاء الله ، فليقل : إن شاء الله . وقال آخرون : معناه : واذكر ربك إذا عصيت :

ذكر من قال ذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، في قول الله (وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : اذكر ربك إذا عصيت . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، مثله . وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : واذكر ربك إذا تركت ذكره ، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك ، وقد بينّا ذلك فيما مضى قبل .

فإن قال قائل : أفجائز للرجل أن يستثنى في يمينه إذ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه ؟ قيل : بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حينه في يمينه ، فيقول : إن شاء الله ليخرج بقبيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية ، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقبيله من ذلك ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون استثناءه موصولا بيمينه :

فإن قال : فما وجه قول من قال له : ثنياه ولو بعد سنة ، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر ، وقول من قال ما دام في مجلسه ؟ قيل : إن معناه في ذلك نحو معناها في أن ذلك له ، ولو بعد عشر سنين ، وأنه باستثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه ، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازماً ، فأما

(١) قوله « يرى : ذهب كسائي هذا » هكذا جاءت هذه العبارة في الجزء الخامس عشر من النسخة المخطوطة رقم ١٠٠ الورقة ٤١١ والعبارة غامضة ، ولعل فيها تحريفاً .

الكفارة فله لازمة بالحسب بكل حال ، إلا أن يكون استثناءه كان موصولا بالحلف ، وذلك أنا لانعلم قائلا قال ممن قال له الشُّنْبَا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث ، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، وأن معنى القول فيه ، كان نحو معناها فيه .

وقوله (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ولعل الله أن يهديني فيسددني لأشد مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون ، إن هو شاء . وقد قيل : إن ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه ، الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله : إن شاء الله ، إذا ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن محمد ، رجل من أهل الكوفة ، كان يفسر القرآن ، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد ، قال (وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ إِيَّانِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) قال فقال : وإذا نسي الإنسان أن يقول : إن شاء الله ، قال : فتوبته من ذلك ، أو كفارة ذلك أن يقول (عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾

اختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا) وقالوا : لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر لبهم في الكهف ، لم يكن لقوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا) وجه مفهوم ، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبهم فيه وقدره

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) هذا قول أهل الكتاب ، فردّه الله عليهم فقال : (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ) قال في حرف ابن مسعود (وَقَالُوا : وَلَيْسُوا) يعني أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا) .

حدثنا علي بن سهل ، قال . ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب عن مطر الوراق ، في قول الله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ) قال : إنما هو شيء قالته اليهود ، فردّه الله عليهم وقال : (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) .

وقال آخرون : بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا) قال : عدد ما لبثوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، وزاد فيه (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا) قال : وتسع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثني الأجاج ، عن الضحاك بن مزاحم . قال : نزلت هذه الآية (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ) فقالوا : أياما أو أشهراً أو سنين ؟ فأنزل الله (سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) قال : بين جباين : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ ذكره : ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله ، ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ، ثلاث مئة سنين وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه . وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ (وَقَالُوا : وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد ردّ الله ذلك عليهم ، فإن معناه في ذلك : إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للفتية من لدن دنخوا الكهف إلى يومنا ثلاث مئة سنين وتسع سنين ، فردّ الله ذلك عليهم ، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن أووا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ؛ ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم ، من بعد أن بعثهم من رقودتهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله ذلك .

فان قال قائل : وما يدلّ على أن ذلك كذلك ؟ قيل : الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتداء الخبر عن

قدر لبهم في كهفهم ابتداء : فقال (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا) ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساد .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) دليل على أن قوله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ؛ فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صحح ما قلنا ، وفسد ما خالفه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) بتنوين ثلاث مئة ، بمعنى : ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مئة . وقراءته عامة قراء أهل الكوفة (ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) باضافة ثلاث مئة إلى السنين ، غير منوّن .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه (ثَلَاثَ مِئَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) ، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد ، وذلك كقولهم ثلاث مئة درهم ، وعندى مئة دينار ، لأن المئة والألف عدد كثير ، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد ، والواحد يؤدّي عن الجنس ، وليس ذلك للقايل من العدد ، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع للقايل موضع الكثير ، وليس ذلك بالكثير . وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع ، فإنها تنوّن ، فتقول : عندي ألف دراهم ، وعندى مئة دينار ، على ما قد وصفت .

وقوله (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله علم غيب السموات والأرض ، لا يعزب عنه علم شيء منه ، ولا يخفى عاينه شيء ، يقول : فسلموا له علم مبالغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا ، فإن ذلك لا يعماه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض ، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار وقوله (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) يقول : أبصر بالله وأسمع ، وذلك بمعنى المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه .

وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عاينه من ذلك شيء . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، تبارك وتعالى !

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ مَنْ دُونَهُ مِنْ وَٰلِيٍّ) قال : يرى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا .

وقوله (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَٰلِيٍّ) يقول جل ثناؤه : ما لحاقه دون ربهم الذي خالقهم وليّ ، يلي

أمرهم وتدبيرهم ، وصرّفهم فيما هم فيه مصرفون ، (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) يقول : ولا يجعل الله في قضائه ، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا ، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم ، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تترك تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بجلاله وحرامه ، فتكون من الهالكين ، وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم (لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) يقول : لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه ، والعامين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحينا إليك .
وقوله (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتّم به ، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده ، لن تجد من دون الله موثلا تتل إليه ومعذلا تعدل عنه إليه ، لأن قدرة الله محيطه بك وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به .
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (مُلْتَحَدًا) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (مُلْتَحَدًا) قال : ملجأ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُلْتَحَدًا) قال : ملجأ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال : موثلا .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مُلْتَحَدًا) قال : ملجأ ولا موثلا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال : لا يجدون ملتجدا يلتحدونه ، ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم . والملتحد : إنما هو المفتعل من اللحد ، يقال منه : لحدت إلى كذا : إذا ملت إليه ؛ ومنه قيل للحد : لحد ، لأنه في ناحية من القبر ، وليس بالشق الذي في وسطه ، ومنه الإلحاد في الدين ، وهو المعاندة بالعدول عنه ، والترك له .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَصْبِرْ) يا محمد (نَفْسَكَ مَعَ) أصحابك (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهايل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها (يُرِيدُونَ) بفعلهم ذلك (وَجْهَهُمْ) لا يريدون عرضاً من عرض الدنيا ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) في سورة الأنعام ، والصواب من القول في ذلك عندنا ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، والقراء على قراءة ذلك (بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) ، وقد ذكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السلمى أنهما كانا يقرأانه بالغدوة والعشي ، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة ، لأن غدوة معرفة ، ولا ألف ولا لام فيها ، وإنما يعرف بالألف واللام ما لم يكن معرفة ؛ فأما المعارف فلا تعرف بهما ، وبعد ، فإن غدوة لاتضاف إلى شيء ، وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليهما ، لأن ما دخلته الألف واللام من الأسماء صاحت فيه الإضافة ؛ وإنما تقول العرب : أتيتك غداة الجمعة ، ولا تقول : أتيتك غدوة الجمعة ، والقراءة عندنا في ذلك ما عاينه القراء في الأمصار لانستجيز غيرها لإجماعها على ذلك ، وللعلة التي بيننا من جهة العربية .

وقوله (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يقول جل ثناؤه لنبية صلى الله عليه وسلم : ولا تصرف عينك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه ، وأصله من قولهم : عدوت ذلك ، فأنا أعدوه : إذا جاوزته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) قال : لا تجاوزهم إلى غيرهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يقول : لا تتعدهم إلى غيرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَصْبِرْ نَفْسِكَ) . . . الآية ، قال : قال القوم للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا ، فجانبهم

يا محمد، وجالس أشرف العرب، فنزل القرآن (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) ولا تحقرهم، قال : قد أمروني بذلك ، قال : (وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف ، أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فخرج يلتمس ، فوجد قوما يذكرون الله ، منهم ثائر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم ، فقال (« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ ») ورُفِعَت العيان بالفعل ، وهو لا تعد .

وقوله (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا تعد عينك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشرف المشركين ، تبغى بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك ، وقال بعضهم : بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام ، فأروه جالسا مع خباب وصهيب وبلال ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا ، قالوا : فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عليه (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعودا ، فأنزل الله عليه (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ . . . الآية) (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشرف ، وقد ذممت الرواية بذلك فيما مضى قبل في سورة الأنعام .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزدي عن أبي الكنود ، عن خباب في قصة ذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر فيها هذا الكلام مدرجا في الخبر (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : تجالس الأشرف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن عيينة ابن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذاني ربيع سلمان الفارسي ، فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلسا لا يجامعونهم فيه ، فنزلت الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : تريد أشراف الدنيا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا الوليد بن عبد الملك ، قال : ثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة بن عبد الله الجهني ، عن عمه أبي مشجعة بن ربيعي ، عن سلمان الفارسي ، قال : جاءت المؤلففة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذووهم ، فقالوا : يا نبي الله ، إنك لو جاست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان وأباذر وفقراء المسلمين ، وكانت عابهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك وحادثناك ، وأخذنا عنك ، فأنزل الله (وَأَنْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ، حتى بلغ (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) يتهددهم بالنار ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتهمهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمْتِنِي حَتَّى أَمْرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، مَعَكُمْ الْمَسْحِيَا وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ » .

وقوله (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه واله : ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك ، عن ذكرنا ، بالكفر وغابة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه ، وهم فيما ذكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذووهم .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) قال عيينة ، والأقرع .

وأما قوله (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وكان أمره ضياعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) قال ابن عمرو في حديثه قال : ضائعا . وقال الحرث في حديثه : ضياعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ضياعا . وقال آخرون : بل معناه : وكان أمره ندما :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود (فُرُطًا) قال : ندامة .

(١) في الأصل : عيينة بن بدر ، والصواب : ابن حصن ، ولعله من سبق القلم . وقد ذكره صحيحا بعده بقليل .

وقال آخرون : بل معناه : هلاكا .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب (وكان أمره فرطاً) قال : هلاكا .
وقال آخرون : بل معناه : خلافا للحق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وكان أمره فرطاً) قال : مخالفا للحق ، ذلك الفرط :
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ضياعا وهلاكا من قولهم : أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا : إذا أسرف فيه وتجاوز قدره ، وكذلك قوله (وكان أمره فرطاً) معناه : وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر ، واحتقار أهل الإيمان ، سرفا قد تجاوز حدّه ، فضييع بذلك الحق وهلاك .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : قيل له : كيف قرأ عاصم ؟ فقال (كان أمره فرطاً) قال أبو كريب : قال أبو بكر : كان عيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّ آعِنَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ، واتبعوا أهواءهم ، الحق أيها الناس من عند ربكم ، وإليه التوفيق والخذلان ، وييده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد ، فيؤمن ، ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر ، ليس إلى من ذلك شيء ، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا ، وباللّه وبما أنزل على مؤمننا ، فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا ، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها ، وإن آمنتم به وعملت بطاعته ، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) يقول : من شاء الله له الإيمان

آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر ، وهو قوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء ، والإيمان لمن أراد ، وإنما هو تهديد ووعيد .

وقد بين أن ذلك كذلك قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) والآيات بعدها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن عمر بن حبيب ، عن داود ، عن مجاهد ، في قوله (آفَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) . قال : وعيد من الله ، فليس بمعجزى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (آفَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) : وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال : هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا . وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) يقول تعالى ذكره : إنا أعددنا ، وهو من العدة . للظالمين : الذين كفروا بربههم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : للكافرين . وقوله (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) يقول : أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين برههم ، وذلك فيما قيل : حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط ، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط ، كما قال رؤبة :

يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ سُرَادِقُ الْفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ^١

وكما قال سلامة بن جندل :

هُوَ الْمَوْلِجُ النُّعْمَانِ بَيْتًا سَمَّوَهُ صُدُورُ الْفَيْوَلِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ^٢

يعنى : بيتا له سرادق .

(١) البيتان من أرجوزة قصيرة سبعة أبيات لرؤبة في (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ضمن الزوائد الملحقه بالديوان ، وهما الأول والخامس ، ص ١٧٢) . والبيتان من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٩) إلا أن رواية البيت الثاني فيه :

• أنت الجواد بن الجواد المحمود • وبعده البيت الثاني . قال : « أحاط بهم سرادقها » : كسرادق الفسطاط ، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط ؛ قال رؤبة : • يا حاكم بن المنذر بن الجارود • وفي (اللسان : سردق) : السرادق : ما أحاط بالبناء ، والجمع : سرادقات . قال سيويه : جمعوه بالتاء وإن كان مذكرا ، حين لم يكسر . وفي التنزيل : « أحاط بهم سرادقها » . في صفة النار ، أعادنا الله منها . قال الزجاج : صار عليهم سرادق من العذاب . والسرادق كل ما أحاط بالشيء ، نحو الشقة في المضرب (الخيمة) أو الحائط المشتمل على الشيء .

(٢) البيت في ديوان سلامة بن جندل السعدي التميمي (طبعة بيروت سنة ١٩١٠ ص ١٩) من قصيدة عدة أبياتها ثلاثون بيتا . قال أبو عمرو : كان كسرى حبس النعمان في بيت فيه ثلاثة فيول ، والمسردق : ذو السرادق ، أو الذي عليه سرادق . وقال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٩٩) بعد أن أورد البيت : أي له سرادق . اهـ . وفي (اللسان : سردق) : وقد سردق البيت . قال سلامة ابن جندل : (وأورد البيت) . ثم قال : الجوهري : السرادق : واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار . وكل بيت من كرسف (قطن) فهو سرادق . قال رؤبة .

يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أنت الجواد بن الجواد المحمود

سرادق المجد عليك ممدود

قال : وقيل : الرجز للكذاب الحرمازي .

ونسب الجوهري بيت سلامة بن جندل إلى الأعشى ، وقال في سببه : يذكر ابن وبر . وقتله النعمان بن المنذر . (عن لسان العرب : سردق) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : هي حائط من نار .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أخبره ، قال (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : دنخان يحيط بالكفار يوم القيامة ، وهو الذي قال الله (ظلّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) .
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر يدل على أن معنى قوله (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) أحاط بهم ذلك في الدنيا ، وأن ذلك السرادق هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن محمد والحسين بن نصر ، قالا : ثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن أمية ، قال : ثنى محمد ابن حبي بن يعلى ، عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » قال : فقيل له : كيف ذلك ، فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية (نَارًا أَحَاطَ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) ثم قال : والله لا أدخلها أبدًا أو مادمت حيا ، ولا تصيبني منها قطرة .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رشدين بن سعد ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةٌ جُدُرٌ ، كَثِيفٌ كُلٌّ وَاحِدٌ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .
حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ ، كَثِيفٌ كُلٌّ وَاحِدَةٌ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماءٌ كَالْمُهْلِ ، قَالَ كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَ قَرْوَةٌ وَجَنَهِ فِيهِ » .

وقوله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) يقول تعالى ذكره : وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدة ما بهم من العطش ، فيطلبون الماء يغاثوا بماء المهل .
واختلف أهل التأويل في المهل ، فقال بعضهم : هو كل شيء أذيب وانماع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخذود فخذت في الأرض ، ثم قذف فيه من جزل حطب ، ثم قذف فيه تلك السقاية ، حتى إذا أزيدت وانماعت قال لغلامه : ادع من يحضرننا من أهل الكوفة ، فدعا رهطا ، فلما

دخلوا عليه قال : أترون هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : مارأيتنا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة ، حين أزد وانماع .

وقال آخرون : هو القيح والدم الأسود :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله (وَإِنْ يَسْتَفِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : القيح والدم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : القيح والدم الأسود ، كعكر الزيت . قال الحرث في حديثه : يعنى درديه .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَالْمُهْلِ) قال : يقول : أسود كهيئة الزيت .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) ماء جهنم أسود ، وهى سوداء ، وشجرها أسود ، وأهلها سود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ يَسْتَفِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : هو ماء غايظ مثل دردى الزيت . وقال آخرون : هو الشىء الذى قد انتهى حره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبیر ، قال : المهل : هو الذى قد انتهى حره .

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها ، فمقاربات المعنى ، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره ، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردى الزيت ، فقد انتهى أيضا حره .

وقد حدثت عن معمر بن المثنى ، أنه قال : سمعت المنتجع بن نيهان يقول : والله لفلان أبغض إلى من الظلياء والمهل ، قال : فقلنا له : وما هما ؟ فقال : الجرباء ، والملة التى تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت فى النار من النار ، كأنها سهلة ٢ حمراء مدققة ، فهى أحمره ، فالمهل إذا هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره ، أو لم يكن مائعا ، فانماع بالوقود عليه ، وبلغ أقصى الغاية فى شدة الحر .

وقوله (يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ) يقول : جل ثناؤه : يشوى ذلك الماء الذى يغاثون به وجوههم .

كما حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان بن

(١) يريد بالظلياء : الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الخضخاض . ويريد بالمهل : الملة إذا حيت جدا ورأيتها تموج .

(٢) السهلة ، بالكسر : تراب كالرمل أحمر يحمى به الماء (اللسان) .

ابن عمرو، عن عبد الله بن بسُسر، هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) قال : يقرب إليه فيتكتره ، فإذا قرب منه ، شوى وجهه ، ووقعت فَرَوَةٌ رأسه ، فإذا شربه قطع أمعائه ، يقول الله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ويعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الله بن بسُسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عترة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال هارون : إذا جاع أهل النار . وقال جعفر : إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها ، فاختاست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً ماراً بهم يعرفهم ، لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عابهم العطش ، فيستغيثون ، فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حره ، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود .

وقوله (بئس الشراب) يقول تعالى ذكره : بئس الشراب ، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية . وقوله (وساءت مرتفقاً) يقول تعالى ذكره : وساءت هذه النار التي أعتدناها هؤلاء الظالمين مرتفقاً ، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ ، يقال منه : ارتفعت إذا اتكأت ، كما قال الشاعر :

قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَقْتُ أَلَا فَتَى يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَزَالَاتِ الضُّحَى

أراد : واتكأت على مرفقها ، وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتبه نوم ، وهو مرتفق ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

نَامَ الْحَلِيُّ وَبَيْتُ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّبَابُ مَذْبُوحٌ

وأما من الرفق فإنه يقال : قد ارتفعت بك مرتفقاً ، وكان مجاهد يتأول قوله (وساءت مرتفقاً) يعني المجتمع . ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مرتفقاً) : أي مجتمعا .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، ذكرهما اللسان في : غزل . ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف ، وهي : * دعت سليبي دعوة هل من فتى * وفي رواية أخرى : * ودعوة القوم ألا هل من فتى * وغزاة الضحى وغزالاته : بعد ما تنبسط الشمس وتضحى . ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين .

(٢) البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية ، (القسم الأول من ديوان الهذليين ص ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له . وفيه «مشجرا» في موضع «مرتفقاً» . ومشجرا أي يشجر رأسه بيده ، يريد أنه وضع رأسه على يديه ، كما يشجر الثوب بالعود . وقال الأصمعي : الصاب : شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها . ومذبوح : مشقوق . والذبح : الشق . ومرتفقاً : واضعاً مرفقه تحت رأسه . والبيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤٠٠) وأوله : «إني أرتقت فبت . . .» . وقال : «ساعت مرتفقاً» : أي متكأ . قال أبو ذؤيب . . . البيت .

حدثني يعقوب : قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن مجاهد (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) قال : مجتمعا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، ولست
أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب ، وإنما الارتفاق : افتعال ، إما من المرفق ، وإما من الرفق .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، إنا
لا نضيع ثواب من أحسن عملا ، فأطاع الله ، واتبع أمره ونهيه ، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات
عدن تجري من تحتها الأنهار .

فإن قال قائل : وأين خبر « إن » الأولى ؟ قيل : جائز أن يكون خبرها قوله (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا) فيكون معنى الكلام : إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا ، فترك الكلام الأول ، واعتمد
على الثاني بنية التكرير ، كما قيل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) بمعنى : عن قتال فيه على
التكرير ، وكما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ أَلَّهِ سَرْبَلَهُ سِرْبَالِ مَلِكٍ بِهِ تُرْجَى الْحَوَاتِيمُ

ويروى : تُرْجَى ؛ وجائز أن يكون (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) جزاء ، فيكون معنى الكلام : إن من عمل
صالحا فإنا لا نضيع أجره ، فتضمن الفاء في قوله « إِنَّا » ؛ وجائز أن يكون خبرها : أولئك لهم جنات عدن ،
فيكون معنى الكلام : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك لهم جنات عدن .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٤٦﴾

(١) في (اللسان : سربل) : السربال : القميص والدرع . وفي حديث عثمان : « لأخلع سربالا سربليه الله » : كنى به عن
الخلافة . واستشهد به المؤلف على أن التكرار في قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ . . . الآية » له نظير
في قول الشاعر : « إن الخليفة إن الله سربله . . . » . البيت . وقد بين وجهى الإعراب في المكرر . والبيت من شواهد الفراء
في (معاني القرآن : الورقة ١٨٥ من مصورة الجامعة) قال : خبر الذين آمنوا في قوله : إنا لا نضيع وهو مثل قول الشاعر : إن الخليفة
. . . البيت ، فإنه في المعنى : إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا . فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني ، بنية التكرير . كما قال :
« يسئلونك عن الشهر الحرام » ، ثم قال : « قتال فيه » يريد : عن قتال فيه ، بالتكرير ويكون أن تجعل « إن الذين آمنوا وعملوا »
في مذهب جزاء ، كقولك : إن من عمل صالحا فإنا لا نضيع أجره ، فتضمن الفاء في قوله « فإنا » ، وإلغاؤها جائز ، وهو أحب
الوجه إلى .

يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعمواوا الصالحات جنات عدن ، يعنى بساتين إقامة فى الآخرة .
(تجرى من تحتهم الأنهار) يقول تجرى من دونهم ومن أيديهم الأنهار وقال جل ثناؤه : من
تحتهم ، ومعناه : من دونهم وبين أيديهم ، (يحملون فيها من أساور) يقول : يلبسون فيها من الحلى
أساور من ذهب ، والأساور : جمع أسوار .

وقوله (يلبسون ثياباً خضراً من سندس) والسندس : جمع واحد سندسة ، وهى مارق
من الديباج . والإستبرق : ما غاظ منه وتحنن ، وقيل : إن الإستبرق : هو الحرير ، ومنه قول المرقس :
تراهن يلبسن المشاعر مرة وإستبرق الديباج طورا لباسها
يعنى : وغيظ الديباج .

وقوله (متكئين فيها على الأرائك) يقول : متكئين فى جنات عدن على الأرائك ، وهى السرر
فى الحجال ، واحدها : أريكة ؛ ومنه قول الشاعر :
خدوداً جفت فى السير حتى كأنما
يباشرن بالمعزاء مس الأرائك^٢
ومنه قول الأعشى :

بين الرواق وجانب من سترها
منها وبين أريكة الأنضاد^٣
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (على
الأرائك) قال : هى الحجال . قال معمر ، وقال غيره : السرر فى الحجال .
وقوله (نعم الثواب) يقول : نعم الثواب جنات عدن ، وما وصف جل ثناؤه أنه جعل لهؤلاء
الذين آمنوا وعمواوا الصالحات (وحسنت مرتفقاً) يقول : وحسنت هذه الأرائك فى هذه الجنان التى
وصف تعالى ذكره فى هذه الآية متكأ . وقال جل ثناؤه (وحسنت مرتفقاً) فأنث الفعل بمعنى :
وحسنت هذه الأرائك مرتفقاً . ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صواباً ، لأن نعم وبيئس إنماتدخلهما العرب
فى الكلام لتدلا على المدح والذم لالفعل ، فاذلك تذكرهما مع المؤنث ، وتوحدتهما مع الاثنين والجماعة .

(١) البيت للمرقس . المشاعر : جمع مشعر ، وهو الشعر الذى يلى جسد الإنسان من الثياب ، دون ما سواه . وفى الحديث ذكر
الأنصار : هم الشعر دون الدثار ، يصفهم بالمودة والقرب . وقد فسر المؤلف الإستبرق والديباج . والبيت شاهد على معنى الإستبرق .
(٢) البيت لذى الرمة (ديوانه طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٢) وقيل قوله :

إذا وقعوا وهنا كسوا حيث موتت
من الجهد أنفاس الرياح الحواشيك

وقوله خدودا : مفعول كسوا فى البيت قبله . والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك ، وهى الأسرة ، الواحد
سرير . أى صيروا المكان الذى ناموا فيه كسوة للخدود . وفى (اللسان : أرك) قال المفسرون : الأرائك : السرر فى الحجال .
وقال الزجاج : الأرائك الفرش فى الحجال ، وقيل هى الأسرة ، وهى فى الحقيقة الفرش كانت فى الحجال ، أوفى غير الحجال . وقيل :
الأريكة : سرير منجد مزين فى قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

(٣) البيت لم أجده فى ديوان الأعشى ميمون ، ولا فى سائر أشعار العشى الملحقة به ، إنما وجدت بيتين اثنين من وزنه وقافيته ،
ص ٢٤٥ طبعة الدكتور محمد حسين بالقاهرة . ولم أجدها غيرها . والرواق ، بضم الراء المشددة وكسرهما : الخيمة . والبيت شاهد كالذى
قبله ، على أن معنى الأرائك : السرر فى الحجال ، وأن واحدها : أريكة . والأنضاد : جمع نضد بالتحريك ، وهو ما نضد من متاع
البيت ، وجعل بعضه فوق بعض .

القول في تاويل قوله تعالى .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۖ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٤﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألتوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، (مثلاً) مثل (رجأتين جعلنا لأحدهما جنَّتَيْنِ) أي جعلنا له بساتين من كروم (وحففناهما بنخْلٍ) يقول: وأطفنا هذين البستانين بنخل . وقوله (وجعلنا بينهما زرعاً) يقول : وجعلنا وسط هذين البستانين زرعاً . وقوله (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا) يقول : كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم و صنف الزرع . وقال : كانتا الجنَّتَيْنِ . ثم قال : آتت . فوحد الخبر : لأن كانتا لا يفرد واحدهما ، وأصاه كل ، وقد تفرد العرب كانتا أحياناً . ويذهبون بها وهي مفردة إلى التثنية ؛ قال بعض الرُّجَاز في ذلك :

فِي كِلْتَا رِجَاتِيهَا سُلَامَى وَآحَدَهُ كِلْتَاهُمَا مَقْرُونَةٌ بِزَائِدَةٍ ١

يريد بكات : كانتا . وكذلك تفعل بكاتا وكلا وكل إذا أضيفت إلى معرفة ، وجاء الفعل بعدهن ويجمع ويوحد . وقوله (وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا) يقول : ولم تنقص من الأكل شيئاً ؛ بل آتت ذلك تاماً كاملاً ومنه قولهم : ظلم فلان فلاناً حقته ؛ إذا بخسه ونقصه ؛ كما قال الشاعر :

تَظَلَمْتَنِي مَالِي كَذًّا وَلَمَوِي يَدِي لَمَوِي يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ ٢

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٨٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال : وقد تفرد العرب إحدى «كلى» (كتبا بالياء للإمالة) . وهو من شواهد النحويين على أن «كلى» أصلها «كلتا» ، حذف ألفها للضرورة ، وفتح التاء دليل عليها (خزانة الأدب للبغدادى ١ : ٦٢) وقال : رأيت في حاشية الصحاح أن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجليها عائد على النعام . والسلامى : على وزن حبارى عظم في فرس البعير ، وعظام سفار طول إصبع أو أقل في اليد والرجل . والجمع : سلاميات والفرس : بمنزلة الحافر للفرس . والضمير في كلتاها للرجلين . ثم قال : استدلالهم بهذا البيت على الأفراد يردده معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثانى ، فتأمل . وقال أبو حيان في تذكرته : هذا البيت من اضطراب الشعراء ، وكلى ليس بواحد وكلتا ، بل هو جاء بمعنى كلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً على الكسرة التي قبلها وعملاً على أنها تكفى من الألف الممالاة إلى الياء ؛ وبما من الكوفيين أحد يقول : كلى واحدة كلتا ، ولا يدعى أن لكلا وكلتا واحداً منفرداً في النطق مستعملاً ، فإن ادعاه عليه مدح فهو تشيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم . انتهى .

(٢) البيت من أبيات تسعة لفرعان بن الأعراف في ابنه منازل (الحياسة بشرح التبريزى ٤ : ٩) وأوله : «تغمد حقى ظالمى ولوى يدى» . وتغمد حقى ؛ ستره . وهو فى معنى : «تظلمنى مالى» ولوى يدى : أى فتلها وأزالها عن حالها وهيئتها . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٤٠٢) قال : «ولم تظلم منه شيئاً» : ولم تنقص . ويقال : ظلمنى فلان حقى ، أى نقصنى . وقال رجل لابن : «تظلمنى مالى كذا . . . الخ» .

ورواية البيت في اللسان : «تظلم مالى كذا . . .» البيت . ولم ينسب . وقال قبله : وظلمه حقاً ، وتظلمه إياه . يريد أنهما معنى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَكَمْ تَظَلِّمُ مِنْهُ شَيْئًا) : أي لم تنقص منه شيئاً .

وقوله (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا) يقول تعالى ذكره : وَسَيَلْنَا خِلَالَ هَذَيْنِ الْبَيْتَانِ نَهْرًا ، يعني بينهما وبين أشجارهما نهرا . وقيل (وَفَجَّرْنَا) فثقل الجيم منه ، لأن التفجير في النهر كله ، وذلك أنه يميد ماء فيسيل بعضه بعضا .

وقوله (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) بضم الثاء والميم . واختلف قارئو ذلك كذلك ، فقال بعضهم : كان له ذهب وفضة ، وقالوا : ذلك هو الثمر ، لأنها أموال مثمرة . يعني مكثرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) قال ذهب وفضة ، وفي قول الله عز وجل (بِشُمُورِهِ) قال : هي أيضا ذهب وفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (ثَمْرٌ) قال : ذهب وفضة . قال : وقوله (وَأُحْصِيَتْ بِشُمُورِهِ) هي أيضا . وقال آخرون : بل عُنِي به : المال الكثير من صنوف الأموال :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، قال : قرأها ابن عباس (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) بالضم ، وقال : يعني أنواع المال .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية . عن علي ، عن ابن عباس (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) يقول : مال .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . في قوله (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) يقول : من كل المال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر . عن قتادة ، في قوله (وَأُحْصِيَتْ بِشُمُورِهِ) قال : الثمر من المال كله يعني الثمر ، وغيره من المال كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر . عن قتادة ، قال : « الثمُر » المال كله ، قال : وكل مال إذا اجتمع فهو ثمر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله .

وقال آخرون : بل عني به الأصل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وكان له ثمر) الثمر الأصل . قال (وأُحيطَ بِثَمَرِهِ) قال : بأصله . وكان الذين وجهوا معناها إلى أنها أنواع من المال ، أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر . كما يجمع الكتاب كتبا . والحمار حمرا . وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة (ثمر) بضم التاء وسكون الميم : وهو يريد الضم فيها ، غير أنه سكنها طلب التخفيف . وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة ، كما تجمع الخشبة خشبا . وقرأ ذلك بعض المدنيين (وكان له ثمر) بفتح التاء والميم ، بمعنى جمع الثمرة : كما تجمع الخشبة خشبا . والقصبه قصباً .

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ (وكان له ثمر) بضم التاء والميم لإجماع الحجة من القراء عليه وإن كانت جمع ثمار ، كما الكتب جمع كتاب .

ومعنى الكلام (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُ) منهما (ثمر) بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه ، قوله (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) ثم قال : وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر .

وقوله (فَتَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يقول عز وجل : فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ، لصاحبه الذي لا مان له وهو يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) يقول : وأعز عشيرة ورهطا ، كما قال عيينة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن سادات العرب ، وأرباب الأموال ، فتح عنا سلمان وخبابا وصهيبا احتقارا لهم ، وتكبرا عليهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) وتلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال ، وعزة النفرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب (دَخَلَ جَنَّتَهُ) وهي بستانه (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وظلمه نفسه : كفره بالبعث ، وشكه في قيام الساعة ، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى ، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه . وقوله (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) يقول جل ثناؤه قال لما عاين جنته ، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزرورع والأنهار المطردة شكاً في المعاد إلى الله : ما أظنُّ أن تبيد هذه الجنة أبداً ، ولا تفنى ولا تتخرب ، وما أظنُّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه ، فقال (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي) فرجعت إليه . وهو غير موقن أنه

راجع إليه (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول : لأجدن خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردا ، يقول : لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) قال : شك ، ثم قال : (وَلَكِنَّ) كان ذلك ثم (رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خير من ذلك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : ما أظنُّ أن تبديد هذه أبدا . وما أظنُّ الساعة قائمة) كفور لنعم ربه ، مكذب بلفائه ، متمن على الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٢٧﴾
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالا وولدا . (وهو يحاوره) : يقول : وهو يخاطبه ويكلمه (أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) يعني خلق أباك آدم من تراب (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول : ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ، (ثم سَوَّاهُ رَجُلًا) يقول : ثم عدلك بشرا سويا رجلا ، ذكرنا لأنثى : يقول : أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) يقول : أما أنا فلا أكفر بربي ، ولكن أنا هو الله ربي : معناه أنه يقول : ولكن أنا أقول : هو الله ربي (وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) . وفي قراءة ذلك وجهان : أحدهما لكن هو الله ربي بتشديد النون وحذف الألف في حال الوصل ، كما يقال : أنا قائم فتحذف الألف من أنا . وذلك قراءة عامة قراء أهل العراق . وأما في الوقف فإن القراءة كلها تثبت فيها الألف : لأن النون إنما شددت لاندغام النون من لكن ، وهي ساكنة في النون التي من أنا ، إذ سقطت الهمزة التي في أنا . فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا ، فقيل : لكننا ، لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا باسقاطها . وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز : (لَكِنَّا) بإثبات الألف في الوصل والوقف ، وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

أنا سيفُ العشيِّرةِ فاعرِفُونِي حَمِيدًا قد تَدَرَيْتُ السَّنَاءَ مَا

(١) البيت : من شواهد النحويين ، على أن ثبوت ألف «أنا» في الوصل عند غير بني تميم لا يكون إلا في ضرورة الشعر . (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٩٠) ثم قال : قال ابن جني في شرح تصريف المازني : أما الألف في «أنا» في الوقف فزائدة ، ليست بأصل ؛ ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيد ، كما قال تعالى : «إني أنا ربك» تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل ، كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل وبينت الحركة بالألف كما بينت بالهاء ، لأن الهاء مجاورة للألف . اهـ . و «حميدا» : بدل من الياء في اعرفوني ، يروي مصغرا ومكبرا . وفي الصحاح : « =

فأثبت الألف في أنا ، فليس ذلك بالفصيح من الكلام ، والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ما ذكرنا عن العراقيين . وهو حذف الألف من « لكن » في الوصل ، وإثباتها في الوقف .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْ وُلِدْنَا ﴿١٥﴾

يقول عز ذكره : وهلا إذ دخلت بستانك ، فأعجبك ما رأيت منه ، قلت ما شاء الله كان ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه . وهو جواب الجزاء . وذلك كان .
وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا كانت « ما » نصبا بوقوع فعل الله عليه ، وهو شاء ؛ وجاز طرح الجواب ، لأن معنى الكلام معروف ، كما قيل : فإن استطعت أن تتبغى نفقا في الأرض ، وترك الجواب ؛ إذ كان مفهوما معناه . وكان بعض أهل العربية يقول « ما » من قوله (ما شاء الله) في موضع رفع بإضمار هو ، كأنه قيل : قلت هو ما شاء الله (لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) يقول : لا قُوَّةَ على ما نحاول من طاعته إلا به . وقوله (إن تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْ وُلِدْنَا) وهو قول المؤمن الذي لا مال له ، ولا عشيرة ، مثل صاحب الجنتين وعشيرته ، وهو مثل سلمان وصهيب وخباب ، يقول : قال المؤمن للكافر : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك ما لولا ، فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل ، وبه القراءة عندنا ، لأن عليه قراءة الأمصار ، وإذا جعلته اسما رفعت أقل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَصُيْحٌ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿١٦﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك ما لولا وولدا في الدنيا ، فعسى ربي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) يعني على جنة الكافر التي قال لها : ما أظن أن تبديد هذه أبدا (حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) يقول : عذابا من السماء ترمى به رميا ، وتقذف . والحُسبان : جمع حُسبانة . وهي المرأى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

= جميعا في موضع « حيدا » . وتلثيت السنام : علوته . ونسب ياقوت هذا البيت في حاشية الصحاح إلى حميد بن بجدل ، شاعر . وهو حميد بن جريث بن بجدل ، من بني كلب بن وبرة ، ينتهي نسبه إلى قضاة . وهو شاعر إسلامي ، كانت عمته ميسون بنت بجدل ، أم يزيد بن معاوية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) عذابا .
 حدثت عن محمد بن يزيد، عن جوير، عن الضحاك، قال: عذابا .
 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) . قال: عذابا، قال: الحُسان: قضاء من الله يقضيه .
 حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الحُسان: العذاب .

حدثنا الحسن بن محمد، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) قال: عذابا .
 وقوله (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) يقول عز ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شيء فيها قد ذهب كل ما فيها من غرس ونبت، وعادت خرابا بلاقع، زَلَقًا، لا يثبت في أرضها قدم لا ملساسها، ودروس ما كان نابتا فيها .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا): أي قد حُصِد ما فيها فلم يترك فيها شيء .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) قال: مثل الجُرُز .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) قال: صعيدا زلقا وصعيدا جُرُزا واحد ليس فيها شيء من النبات .

وقوله (أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا) يقول: أو يصبح مأوها غائرا، فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر، كما قال الشاعر:

تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَمَائِهِ مَقْلَسِدَةً أَعِنَتْهَا صُفُونَا ١

بمعنى نائمة؛ وكما قال الآخر:

هَرَبِي مِّنْ دُمُوعِهِمَا سَجَامًا ضُبَاعَ وَجَاوِبِي نَوْحًا قِيَامًا ٢

(١) البيت لعمر بن كلثوم فارس تغلب وسيدها، من معلقته المشهورة ورواية الشطر الأول منه في شرح التبريزي والزوزني وجمهرة أشعار العرب طبع القاهرة: «تركنا الخيل عاكفة عليه» .

قال الزوزني: الصفون: جمع صافن . وقد صفن الفرس يصفن صفونا: إذا قام على ثلاث، وثني سنبكه الرابع . يقول: قتلناه، وحبسنا خيلنا عليه، وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٤٠٣) قال: «أو يصبح مأوها غورا» أي غائرا . والعرب قد تصف الفاعل بمصدره، وكذلك الاثني والجمع، على لفظ المصدر قال عمرو بن كلثوم: «تظل جياده نوحا عليه» . . . البيت: أي نائمات .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٤٠٤) قال بعد الشاهد السابق: وقال بك يبيك هشام بن المغيرة: «هريق... البيت» قال محققه لعله هشام بن عتبة بن عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي . اهـ . والشاهد فيه كالشاهد في البيت الذي قبله، يريد بقوله «نوحا»: نائمات، وهذا في المصدر كثير . وضباع مرخم ضباعة: اسم امرأة .

والعرب توحد الغور مع الجمع والاثنتين . وتذكر مع المذكر والمؤنث ، تقول : ماء غور ، وماءان غور ومياه غور . ويعنى بقوله (غوراً) ذاهبا قد غار في الأرض : فذهب فلا تلحقه الرشاء .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو يُصْبِحَ ماؤها غوراً) : أى ذاهبا قد غار في الأرض . وقوله (فلن تستطيع له طلباً) يقول : فلن تطيق أن تدرك الماء الذى كان في جنتك بعد غوره ، بطلبك إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأحاط الهلاك والجوائح بثمره ، وهى صنوف ثمار جنته التى كان يقول لها : (ما أظن أن تبديد هذه أبداً) فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين ، يقلب كفيه ظهرها لبطن ، تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التى أنفق فى جنته (وهى خاوية على عروشها) يقول : وهى خالية على نباتها وبيوتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأصبح يقلب كفيه) : أى يصفق (كفيه على ما أنفق فيها) متلهفا على ما فاتته ، (و) هو (يقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً) ويقول : يا ليتنى . يقول : يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا ، يعنى بذلك : هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعماله ، ودأنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿١٨﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فئته ، وهم الجماعة ، كما قال العجاج :

كَمَا يَحْجُوزُ الْفِئَةُ الْكَمِيًّا

(١) البيت للعجاج من أرجوزة له مطولة (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكرى طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ١٨٤) وقبله :

* يحوذهن وله حوذى * خوف الخلاط وهو أجنبى * كما يحوذ الفئته الكمى *

وقال فى شرحه : ويحوذ : يسوق ويطرده . وله حوذى : أى له ما يطردهن به . والكمى : الشجاع . وأجنبى : أى بجانب لمن ، متخوف ، لا يمكن من نفسه . اد . و (فى اللسان : حوذ) حاذ الإبل يحوذها : إذا حازها وجمعها ليسوقها . وحاذه يحوذه حوذا : غلبه ، وحاذ الخمار أنه : إذا استولى عليها وجمعها ، وكذلك حازها . والفئته : الفرقة والجماعة من الناس فى الأصل ، والطائفة التى تقيم وراء الجيش ، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجثوا إليهم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا ، فإن معناهم نظير معناها فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (وَكَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : عشيرته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) : أي جند ينصرونه . وقوله (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله إذا عاقبه وعذبه .

وقوله (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) يقول : ولم يكن ممتنعا من عذاب الله إذا عذبه .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) : أي ممتنعا .
وقوله (هُنَالِكَ الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ) يقول عز ذكره : ثم وذلك حين حلَّ عذاب الله بصاحب الجنين في القيامة .

واختلفت القراء في قراءة قوله الولاية ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة (هُنَالِكَ الْوَالِيَةُ) بفتح الواو من الولاية ، يعنون بذلك هنالك الموالاتة لله ، كقول الله (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) وكقوله (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) يذهبون بها إلى الولاية في الدين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (هُنَالِكَ الْوَالِيَةُ) بكسر الواو : من المُلْك والسلطان ، من قول القائل : وَلَيْتُ عَمَلُ كَذَا ، أو بلدة كذا أليه ولاية .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ بكسر الواو ، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه ، وأن من أحلَّ به نعمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاتة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى ، لقول من قال : لا يسمي سلطان الله ولاية ، وإنما يسمى ذلك سلطان البشر ، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خاقه منفردا به دون جميع خاقه ، لأنه يكون أميرا عليهم .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله (الْحَقُّ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق خفضا ، على توجيهه إلى أنه من نعت الله ، وإلى أن معنى الكلام : هنالك الولاية لله الحق ألهيته ، لا الباطل بطول ألهيته التي يدعوها المشركون بالله آلهة . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين (لِلَّهِ الْحَقُّ) برفع الحق توجيها منهما إلى أنه من نعت الولاية ، ومعناه : هنالك الولاية الحق ، لا الباطل لله وحده لا شريك له .

(١) لعل كلمة « بطول » هذه مقحمة من قلم الناسخ ، وأن الأصل : لا الباطل ألهيته . . . الخ .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب . قراءة من قرأه خفصا على أنه من نعت الله ، وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه كذلك .

وقوله (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) يقول عز ذكره : خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا (وخَيْرٌ عُقْبًا) . يقول : وخيرهم عاقبة في الآجل إذا صار إليه المطيع له . العامل بما أمره الله ، والمنتهى عما نهاه الله عنه ، والعقب هو العاقبة . يقال : عاقبة أمر كذا وعقباه وعقبه . وذلك آخره وما يصير إليه منهاه . وقد اختلف القراء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء الكوفة (عُقْبًا) بضم العين وتسكين القاف . والقول في ذلك عندنا . أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأماصار بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٢١﴾

يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك : اطرده عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، إذا نحن جنناك الدنيا منهم مثلا : يقول : شبيها (كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) يقول : كمثل أنزلناه من السماء (فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) يقول : فاختلط بالماء نبات الأرض (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا) يقول : فأصبح نبات الأرض يابسًا متفتتًا (تَذْرُوهُ الرِّيحُ) يقول : تطيره الرياح وتفرقه ، يقال منه : ذرته الريح تذرؤه ذرؤًا ، وذرته ذرِيًا ، وأذرته تذرِيه إذرًا ؛ كما قال الشاعر :

فَمَقُلْتُ لَهُ صَوَّبٌ وَلَا تُجْهِدَنَّهُ فَيَذْرُوكَ مِينَ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَزْلُقِ ٢

يقال : أذريت الرجل عن الدابة والبعير : إذا ألقيته عنه .

وقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) يقول : وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته (مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) وإهلاك أموال ذى الأموال الباخين بها عن حقوقها . وإزالة دنيا الكافرين به عنهم ، وغير ذلك مما يشاء قادر ، لا يعجزه شيء أراد . ولا يعييه أمر أراد . يقول : فلا يفخر ذوا الأموال بكثرة أمواله ، ولا يستكبر على غيره بها ، ولا يفترن أهل الدنيا بدنياهم . فإنما مَشَاهُهَا مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه بالمطر ، فلم يكن إلا رَيْثًا أن انقطع

(١) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية ، وهى : عقبًا ، بضم العين والقاف .

(٢) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلي طبعة مصطفى البابي الحلبي بشرح مصطفى السقا ص ١٢٥) قال في شرحه : فيذرك : يصرعك ويلتقك ؛ يقال : أذريت الشيء عن الشيء : إذا ألقيته . والقطاة : مقعد الرديف . يقول : قلت للغلام : صوب الفرس نحو المقعد ؛ وخذ عفوه ، ولا تحمله على سرعة العدو ، فيلقيك من آخر القطاة . ويروى : من أعلى القطاة .

عنه الماء ، فتناهى نهايته ، عاد يابساً تذروه الرياح ، فاسداً ، تنبو عنه أعين الناظرين ، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى ، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع ، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب ، مما يتزين به في الحياة الدنيا ، وليس من عداد الآخرة (والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً) يقول : وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله . ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا ، خير يا محمد عند ربك ثواباً من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها ، التي تفنى ، فلا تبقى لأهلها (وخيرٌ أملاً) يقول : وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب ، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما . وهذه الآيات من لدن قوله (وآتله ما أوحى إليك من كتاب ربك) إلى هذا الموضع ، ذكر أنها نزلت في عيينة والأقرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، بن نصر ، عن السدي ، عن أنس بن سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود ، عن خباب في قوله (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام في قصة عيينة والأقرع ، إلى قوله (وَلَا تَطْعُ مَنْزَ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) قال : عيينة والأقرع (وَاتَّبِعْ هَوَاهُ) قال : قال : ثم قال ضرب لهم مثلاً رجائين ، ومثل الحياة الدنيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالباقيات الصالحات ، اختلفوا في المعنى بالدعاء الذي وصف جل ثناؤه به الذين همى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن طردهم ، وأمره بالصبر معهم : فقال بعضهم : هي الصلوات الخمس . وقال بعضهم : هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل ، ونحو ذلك . وقال بعضهم : هي العمل بطاعة الله . وقال بعضهم : الكلام الطيب .

ذكر من قال : هي الصلوات الخمس

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي ، قال : ثنا يعقوب بن كاسب ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال : سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز ، يحدث عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنه قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثني زريق بن إسحاق ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (والباقيات الصالحات) قال : الصلوات الخمس .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي : قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق عن عمرو بن شريحيل في هذه الآية (والباقيات الصالحات) قال : هي الصلوات المكتوبات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم ، قال (الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا جرير . عن منصور ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة (والباقيات الصالحات) قال : الصلوات الخمس .

ذكر من قال : هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك

حدثنا ابن حميد و عبد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة الأسدي ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حيوة . قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تميم من رهط أبي بكر الصديق ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان ، يقول : قيل لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هنّ لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة ، قال : ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد . أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان بن عفان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هي لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ورشد بن سعد ، قالوا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان يقول : قالوا لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (والباقيات الصالحات) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس . قال : سمعت عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله (والباقيات الصالحات) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنم ، عن زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس : مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك ، عن عمارة بن عبد الله بن صياد ، عن سعيد بن المسيب . قال (الباقيات الصالحات) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن نافع بن سرجس ، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن جريج ، وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (والباقيات الصالحات) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن ، مولى سالم ابن عبد الله ، حدثه قال : أرسلني سالم بن محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له الثَّقَنِي عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة ، قال : فالتقيا ، فسلم أحدهما على الآخر ، ثم قال سالم : ما تعدّ الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : ما زلت أجعلها ، قال : فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع ، قال : فأثبت ، قال سالم : أجل ، فأثبت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَأُرِيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ ، ثُمَّ قَالَ : مَرُّ أُمَّتِكَ فَلَسْتُ كَثِيرًا مِنْ غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ تَرَبُّتَهَا طَيِّبَةٌ ، وَأَرْضُهَا وَأَسْعَةٌ ، فَقُلْتُ : وَمَا غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »
وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله (والباقيات الصالحات خير) قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، هن الباقيات الصالحات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث . أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَكْبَرُوا مِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ . وَالْحَمْدُ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : أخبرني مالك . عن عمارة بن صياد ، أنه سمع سعيد

ابن المسيب يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : الله أكبر . وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني ابن البرقي . قال : ثنا ابن أبي مريم . قال : أخبرنا يحيى بن أيوب . قال : ثنا ابن عجلان ، عن عمارة بن صياد ، قال : سألت سعيد بن المسيب ، عن الباقيات الصالحات ، فقلت : الصلاة والصيام ، قال : لم تصب ، فقلت : الزكاة والحج ، فقال : لم تصب ، ولكنهن الكلمات الخمس : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ذكر من قال : هي العمل بطاعة الله عز وجل

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً) قال : الأعمال الصالحة : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني عليّ . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنا معاوية . عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (والباقيات الصالحات) قال : هي ذكر الله قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وأستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعق والجهاد والصلاة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات ، التي تبنى لأهلها في الجنة مادامت السموات والأرض .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً) قال : الأعمال الصالحة .

ذكر من قال : هي الكلم الطيب

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي . عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والباقيات الصالحات) قال : الكلام الطيب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هن جميع أعمال الخير . كالذي روى عن عليّ بن أبي طالب . عن ابن عباس . لأن ذلك كله من الصالحات التي تبنى لصاحبها في الآخرة . وعليها يجازى ويثاب ، وإن الله عز ذكره لم يخص من قوله (والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً) بعضاً دون بعض في كتاب ، ولا يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي روينا عن أبي هريرة . عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول : سبحان الله ، والحمد لله . ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هن من الباقيات الصالحات . ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ، ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البر أيضاً باقيات صالحات .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَعُرْضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا
لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ

يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) عن الأرض ، فنسبها بسا ، ونجعلها هباء منبثا (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ، وظهورها لرأى أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) قال : لا تخمر فيها ولا غيابة ولا بناء ، ولا حجر فيها .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ليس عليها بناء ولا شجر . وقيل : معنى ذلك : وترى الأرض بارزا أهلها الذين كانوا في بطنها ، فصاروا على ظهرها وقوله (وَحَشَرْنَاهُمْ) يقول : جمعناهم إلى موقف الحساب (فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) : يقول : فلم نترك ، ولم نبق منهم تحت الأرض أحدا ، يقال منه : ما غادرت من القوم أحدا ، وما أغدرت منهم أحدا ، ومن أغدرت قول الراجز :

هَلْ لَكَ وَالْعَارِضُ مِنْكَ عَائِضٌ فِي هَجْمَةٍ يُغْدِرُ مِنْهَا الْقَابِضُ ۱

وقوله (وَعُرْضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا) يقول عز ذكره : وعرض الخلق على ربك يا محمد صففا (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول عز ذكره : يقال لهم إذ عرضوا على الله : لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة ، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام وقوله (بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، من ثلاثة أبيات أوردها (اللسان : عرض) والثالث قبلهما ، وهو « ياليل أسقاك البريق الوامض » وهي لأبي محمد الفقعسي قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها ، ورغبتها أن تنكحه ، فقال : هل لك رغبة في مئة من الإبل أو أكثر من ذلك لأن الهجمة أولها الأربعون ، إلى ما زدت ، يجعلها لها مهرا . قال : وفيه تقديم وتأخير ، والمعنى هل لك في مئة من الإبل أو أكثر ، يستر منها قابضها الذي يسوقها ، أي يبقى ، لأنه لا يقدر على سوقها ، لكثرتها وقوتها ، لأنها تفرق عليه . ثم قال والعارض منك عائض ، أي المعطى بذل بضمك أي معطى بدل بضمك عرضا عائض ، أي أخذ عوضا منك بالتزويج ، يكون كفاء لما عرض منك . ويقال عرضت أعاض : إذا اعتضت عوضا ، (بكسر العين في الماضي) وعرضت أعوض (بضم عين الماضي) : إذا عوضت عوضا ، أي دفعت . فقوله عائض من عرضت (بالكسر) لامن عرضت (بالضم) . ومن روى « يندر » : أراد يترك ، من قولم غادرت الشيء . قال ابن بري : والذي في شعره : « والعائض منك عائض » : أي والعوض منك عوض ، كما تقول : الهبة منك هبة ، أي لها موقع . اهـ . - قلت : في رواية اللسان لهذا الرجز « يستر » أي يبقى ، في موضع « يندر » .

به الجميع ، والمراد منه الخصوص ، وذلك أنه قد يرد القيامة خالق من الأنبياء والرسل ، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث . ومعلوم أنه لا يقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا ، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة . بل زعمتم أن لن يجعل لكم البعث بعد الممات . والحشر إلى القيامة بوعدا . ، أن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٠﴾

يقول عز ذكره : ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم ، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله (فتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) يقول عز ذكره : فتري المجرمين المشركين بالله مشفقين : يقول : خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) يعني أنهم يقولون إذا قرعوا كتابهم . ورأوا ما قد كتب عليهم فيه من صفات ذنوبهم وكبائرهم ، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله ، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الحبيثة التي قد أحصاها كتابهم ، ولم يقدرُوا أن ينكروا صحتها . كما حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد : قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء ، ولم يشك أحد ظلما . فإياكم والمحقرات من الذنوب ، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلا ، يقول : كمثل قوم انطلقوا يسرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض ، وحضر صنيع القوم ، فانطلق كل رجل يحتطب ، فجعل الرجل يجيء بالعود ، ويجيء الآخر بالعود ، حتى جمعوا سوادا كثيرا وأججوا نارا ، فإن الذنب الصغير ، يجتمع على صاحبه حتى يهلكه . وقيل : إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضع : الضحك .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا محمد بن موسى : عن الزيال بن عمرو ، عن ابن عباس (لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) قال : الضحك . حدثنا أحمد بن حازم : قال : ثنا أبي ، قال : حدثني أمي حمادة ابنة محمد ، قالت : سمعت أبي محمد ابن عبد الرحمن يقول في هذه الآية في قول الله عز وجل (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) قال : الصغيرة : الضحك .

ويعنى بقوله (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ) : ما شأن هذا الكتاب (لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) يقول : لا يبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها (إِلَّا أَحْصَاهَا) يقول : إلا حفظها (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا)

في الدنيا من عمل (حاضراً) في كتابهم ذلك مكتوباً مثبتاً ، فجوزوا بالسيئة مثلها ، والحسنة ما الله جازيهم بها (وَلَا يَنْظِلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) يقول : ولا يجازي ربك أحداً يا محمد بغير ما هو أهله ، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان ، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة ، وذلك هو العدل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَدُرِّبَتُهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له ، وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم : (وَ) اذكر يا محمد (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) الذي يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره ، ويخالفون أمر الله ، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله ، وحسداً لآدم (كَانَ مِنَ الْجِنِّ) . واختلف أهل التأويل في معنى قوله (كَانَ مِنَ الْجِنِّ) فقال بعضهم : إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن . وقال آخرون : بل كان من خزّان الجنة ، فنُسب إلى الجنة . وقال آخرون : بل قيل من الجن لأنه من الجن الذين استجنتوا عن أعين بني آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً ، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر ، وكان من حتى يسمى جناً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حتى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خزّان الجنة . قال : وخلقّت الملائكة من نور غير هذا الحى . قال : وخلقّت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قال : كان إبليس من خزّان الجنة ، وكان يدبر أمر سماء الدنيا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج : قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض . وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله : فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود . فلغنه وأخره إلى يوم الدين . قال : قال ابن عباس : وقوله (كان من الجن) إنما سمي بالجنان أنه كان خازنا عليها . كما يقال للرجل : مكى . ومدنى . وكوفى . وبصرى : قاله ابن جريج . وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قبيلة ، وكان اسم قبيلته الجن .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما ، عن ابن عباس : قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن . وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخط الله عليه فسخه شيطانا رجيا ، لعنه الله مموخا . قال : وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه . وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه ، وكانت خطيئة آدم في معصية . وخطيئة إبليس في كبر .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قبيل من الملائكة يقال لهم الجن . وقال ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ، وكان على خزانة السماء الدنيا . قال : وكان قتادة يقول : جن عن طاعة ربه . وكان الحسن يقول : ألقاه الله إلى نسبه .

حدثنا الحسن بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قال : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس .

حدثنا ابن حميد : قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان إبليس على السماء الدنيا وعلى الأرض وخازن الجنان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض ، وكان مما سوت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله ، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم ، فاستكبر وكان من الكافرين ، فذلك قوله للملائكة (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) يعني : ما أسر إبليس في نفسه من الكبر .

وقوله (كان من الجن) كان ابن عباس يقول : قال الله (كان من الجن) لأنه كان خازنا على الجنان ، كما يقال للرجل : مكى ، ومدنى ، وبصرى ، وكوفى .

وقال آخرون : كان اسم قبيلة إبليس الجن ، وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجن ، فإذلك قال الله عز وجل (كان من الجن) فنسبه إلى قبيلته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (كان من الجن) قال : من الجنان الذين يعملون في الجنان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو سعيد اليماني إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا سوار بن الجعد اليماني ، عن شهر بن حوشب ، قوله (من الجن) قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة ، فذهب به إلى السماء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) قال : كان خازن الجنان فسمى بالجنان .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن سفيان بن أبي المقدم ، عن سعيد ابن جبير ، قال : كان إبليس من خزنة الجنة .

وقد بينا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (ففسق عن أمر ربه) يقول : فخرج عن أمر ربه ، وعدل عنه ومال ، كما قال رؤبة :

يَهْوِينِ فِي نَجْدٍ وَغَمُورًا غَائِرًا فَوَاسِقًا عَن قَصْدِهَا جَوَائِرًا ۱

يعنى بالفواسق : الإبل المتعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعزال عن القصد ، والميل عن الاستقامة ، ويحكى عن العرب سماعا : فسقت الرطبة من قشرها : إذا خرجت منه ، وفسقت الفأرة : إذا خرجت من جحرها . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل (ففسق عن أمر ربه) لأنه مراد به : ففسق عن رده أمر الله ، كما تقول العرب : اتخمت عن الطعام ، بمعنى : اتخمت لما أكلته . وقد بينا القول في ذلك ، وأن معناه : عدل وجار عن أمر الله ، وخرج عنه . وقال بعض أهل العام بكلام العرب : معنى الفسق : الاتساع . وزعم أن العرب تقول : فسق في النفقة : بمعنى اتسع فيها . قال : وإنما سمي الفاسق فاسقا ، لاتساعه في محارم الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة ، أوردهما صاحب مجموع أشعار العرب ج ٣ في ملحق ديوان رؤبة ص ١٩٠ والبيت

الثاني في (اللسان : فسق) . والشاهد في قوله : فواسقا بمعنى خوارج . وقد استشهد بهما أبو عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤٠٦) قال : « فسق عن أمر ربه » : جار عنه ، وكفر به ، وقال رؤبة : « يهوين . . . الخ » ، وما قاله المؤلف شبيه بما قال أبو عبيدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (فَتَمَسَّقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) قال : في السجود لآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (فَتَمَسَّقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) قال : عصي في السجود لآدم .

وقوله (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) يقول تعالى ذكره : أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده ، وكفر نعمتي عليه ، وغره حتى أخرجته من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها ، وتطبعونه وذريته من دون الله مع عداوته لكم قديما وحدثا ، وتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم ، بأن أعبد لوالدكم ملائكته ، وأسكنه جناته ، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده ، وذرية إبليس : الشياطين الذين يفترون بني آدم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) قال : ذريته : هم الشياطين ، وكان يعدّهم « زلنبور » صاحب الأسواق ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض ، و« ثبر » صاحب المصائب ، و« الأعور » صاحب الزنا و« مسوط » صاحب الأخبار ، يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس ، ولا يجدون لها أصلا ؛ و« داسم » الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : سمعت الأعمش يقول : إذا دخلت البيت ولم أسلم ، رأيت مطهرة ، فقلت : ارفعوا ارفعوا ، وخاصمتهم ، ثم أذكر فأقول : داسم داسم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هم أربعة ثبر ، وداسم ، وزلنبور ، والأعور ، ومسوط : أحدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) . . . الآية ، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وهم لكم عدو .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) وهو أبو الجن كما آدم أبو الإنس . وقال : قال الله لإبليس : إني لا أذرا لآدم ذرية إلا ذرات لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به .

وقوله (بئسَ للظَّالِمِينَ بَدَلًا) يقول عز ذكره : بئس البديل للكافرين بالله اتخذ إبليس وذريته أولياء من دون الله ، وهم لكم عدو من تركهم اتخذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه ، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم ، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا .

(١) زلنبور وما عطف عليه من أسماء أولاد إبليس : مذكورة في (التاج : زلنبور) ، نقل عن الأزهري في التهذيب في الحماسي ، والغزالي في الإحياء ، والصاغاني في التكملة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بئسَ للظالمينَ بَدَلًا) بئسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾

يقول عز ذكره : ما أشهدت إبليس وذريته (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها (وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ) يقول : ولا أشهدت بعضهم أيضا خالق بعض منهم ، فأستعين به على خلقه ، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير ، يقول : فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني . وهم خالق من خالق أمثالهم ، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم ، وخالق من يوالونه من دوني منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير .

وقوله (وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ عَصَدًا) يقول : وما كنت متخذ من لا يهدى إلى الحق ، ولكنه يضل . فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا . وهو من قولهم : فلان يعصد فلانا إذا كان يقويه ويعينه .

وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ عَصَدًا) : أي أعوانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثاه ، وإنما يعنى بذلك أن إبليس وذريته يضاون بني آدم عن الحق ، ولا يهدونهم للرشد ، وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة ، وأصحاب على غير هدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾
وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

يقول عز ذكره : (وَيَوْمَ يَقُولُ) الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد (نادوا شركائي)

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) يقول لهم : ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويمنعوكم مني (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) يقول : فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) .
فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك . فقال بعضهم : معناه : وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذ عداوة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع . قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : جعل بينهم عداوة يوم القيامة .
حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن عوف ، عن الحسن (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : عداوة .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : مهلكا .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مَوْبِقًا) قال : هلاك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : الموبق : المهلك ، الذي أهلك بعضهم بعضا فيه ، أوبق بعضهم بعضا . وقرأ (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) .

حدثت عن محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (مَوْبِقًا) قال : هلاك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عرفة بن ربيعة ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : مهلكا .

وقال آخرون : هو اسم واد في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عمرو البكالي : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : واد عميق فُصِّلَ به بين أهل الضلالة وأهل الهدى ، وأهل الجنة ، وأهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) ذكر لنا أن عمرا البكالي حدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو واد عميق فُرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الحجاج بن أرطاة ، قال : قال مجاهد (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : واديا في النار .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس ابن مالك يقول في قول الله عز وجل (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) قال : واد في جهنم من قيح ودم .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، ومن وافقه في تأويل الموبق : أنه المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلانا : إذا أهلكته . ومنه قول الله عز وجل (أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ) بمعنى : يهلكهن . ويقال للمهلك نفسه : قد وبق فلان فهو يوبق وبقا . ولغة بني عامر : يابق بغير همز . وحكى عن تميم أنها تقول : يديق . وقد حكي وبق يبق وبقا : حكاها الكسائي . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : الموبق : الموعد ، ويستشهد لقبيله ذلك بقول الشاعر :

وَحَادَ شَرَوْرَى فَالَسْتَارَ فَلَمْ يَدَعْ تِعَارًا لَهُ وَالْوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِ

ويتأوله بموعد . وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جل ثناؤه بين هؤلاء المشركين ، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو . وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن .

وقوله (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) يقول : وعابن المشركون النار يومئذ (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) يقول : فعلموا أنهم داخلوها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) قال : علموا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّ الْكَافِرَ يَرَى جَهَنَّمَ فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةٍ أُرْبَعِينَ سَنَةً » .

(١) البيت في (اللسان : وبق) قال : وبق الرجل يبق وبقا ووبقا (من باب ضرب) ووبق (من باب حسب) وبقا ، واستوبق هلك . وأوبقه هو . والموبق : مفعل (بكسر العين) منه ، كالموعد مفعل من وعد يعد . ومنه قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقا » قال القراء : يقول جعلنا توصلهم في الدنيا موبقا : أي مهلكا لهم في الآخرة . وقال ابن الأعرابي : موبقا : أي حاجزا ، وكل حاجز بين شيئين فهو موبق . وقال أبو عبيد : الموبق : الموعد ، في قوله « وجعلنا بينهم موبقا » واحتج بقوله : « وحاد شروري . . . » البيت معناه : بموعد . وحاد شروري : نأى عنها وهي جبل بين العمق والمعدن ، في طريق مكة إلى الكوفة ، بين بني أسد وبني عامر . والستار : جبل بالحجاز معروف ، أسفل من النباج . وتعار : جبل أيضا ، بهلاد قيس .

وقوله (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) يقول : ولم يجدوا عن النار التي رأوا مدلا يعدلون عنها إليه ، يقول : لم يجدوا من واقعها بدا . لأن الله قد حتم عليهم ذلك : ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهذلي :
 أَزْهَبُ هَلْ عَنْ شَيْبَةِ مِينَ مَصْرِفٍ أَمْ لَأَخْلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفًا
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿١٠١﴾

يقول عز ذكره : ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، ووعظناهم فيه من كل عظة ، واحتجنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينبوا ، ويعتبروا فيتعتظوا . وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) يقول : وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة ، لا ينبى لحق ، ولا ينزجر لموعظة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . في قوله (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) قال : الجدل : الخصومة . خصومة القوم لأنبيائهم ، وردتهم عليهم ما جاءوا به . وقرأ : (مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ) منه (وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) . وقرأ : (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) . وقرأ (حَتَّى تُوَفَّى) . . . الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ) . . . الآية . وقرأ (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَنَظَلُّوا فِيهِ يَعْزُجُونَ) قال : هم ليس أنت (لَقَالُوا : إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿١٠٢﴾

يقول عز ذكره : وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله ، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته ، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم . إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم ، أو إتيانهم العذاب قبلاً .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معناه : أو يأتيتهم العذاب فجأة .

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، وهو في القسم الثاني من ديوان الهذليين طبعة دار الكتب ص ١٠٤ مطلع قصيدة له . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٥٠٧) قال في تفسير قوله تعالى : « ولم يجدوا عنها مصرفاً » : أى معدلاً . وقال أبو كبير الهذلي : أزهر . . . الخ البيت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) قال فجأة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون : معناه : أو يأتيهم العذاب عيانا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) قال : قبلا معاينة ذلك القبيل . وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة ذات عدد (أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) بضم القاف والباء ، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ، ووجهوا القبيل إلى جمع قبيل . كما يجمع القتل القتل ، والجديد الحُدُود . وقرأ جماعة أخرى (أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم : كلمته قِبَلًا . وقد بيّنت القول في ذلك في سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يقول عز ذكره : وما نرسل رسلنا إلا لنبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة . ولننذروا أهل الكفر به والتكذيب ، عظيم عقابه ، وأليم عذابه ، فينتهوا عن الشرك بالله ، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه (ومجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) يقول : ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل ، ذلك كقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم ، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمون به ، يبتغون إسقاطه ، تعنيتم له صلى الله عليه وسلم ، فقال الله لهم : إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجدال والخصومات ، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة ، ومنذرين أهل الكفر بالنار ، وأنتم تجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي ، وعنى بقوله (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الحق ويزيواه ويذهبوا به ، يقال منه : دحض الشيء : إذا زال وذهب ، ويقال : هذا مكان دحض : أي مزل مزلتيق لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم ، ومنه قول الشاعر :

رَدَيْتُ وَنَجَّيْتُ الْبَشْكُرِيَّ حِدَارُهُ وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدُّحْضِ ۱
وبروى : ونجى ، وأدحضته أنا : إذا أذهبت وأبطلته .

وقوله (وَاَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا) يقول : واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم ، وكتابه الذي أنزله إليهم : والنذر التي أنذرهم بها بخريا يسخرون بها ، يقولون (إن هذا إلا أساطير الأولين اكتتبها . فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) و (لو شئنا لقلنا مثل هذا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٣٧﴾

يقول عز ذكره : وأى الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعها ممن ذكره بآياته وحججه ، فدل به على سبيل الرشاد ، وهداه بها إلى طريق النجاة ، فأعرض عن آياته وأدلتها التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك (ونسي ما قدمت يداؤه) يقول : ونسى ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم ينب ، ولم ينب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله (ونسي ما قدمت يداؤه) : أى نسي ما سلف من الذنوب .

وقوله (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) يقول تعالى ذكره : إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ هُزُوعًا الَّذِينَ يَعْرَضُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا أَغْطِيَةً لئَلَّا يَفْقَهُوهُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنْ يَفْقَهُوهُ مَا ذُكِّرُوا بِهِ . وقوله (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) يقول : فِي آذَانِهِمْ ثِقْلًا لئَلَّا يَسْمَعُوهُ (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وَإِنْ تَدْعُ يَا مُحَمَّدُ هُزُوعًا الْمَعْرُضِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى مَحْجَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ (فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) يقول : فَلَنْ يَسْتَقِيمُوا إِذَا أَبْدَأُوا عَلَى الْحَقِّ ، وَلَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ .

(١) البيت في (اللسان : دحض) وفي التاج وأساس البلاغة ، منسوباً إلى طرفة ، ولا يوجد في شعر الشعراء الستة (مختار الشعر الجاهل) وغيره . وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين في الملحق بشعر طرفة مقطوعة ضادية مطلعها :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غَرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة ، وإن كان شائعا في كتب الأدب واللغة . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١) : (٤٠٨) قال في تفسير قوله تعالى : « ليدحضوا به الحق » : مجازه : ليزيلوا به الحق ، ويذهبوا به . ويقال مكان دحض البيت أى مزل مزلق ، لا يثبت فيه خف ولا قدم ولا حافر . قال طرفة « رديت ونجى . . . » .
وفي (اللسان : دحض) ، وشاهد الدحض قول طرفة : « رديت . . . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بغموه عنهم إذا تابوا منهم (ذُو الرَّحْمَةِ بِهِمْ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا) هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام ، (لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) ولكنه لرحمته بخاقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وأجلهم ، (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) يقول : لكن لهم موعد ، وذلك ميقات محل عذابهم ، وهو يوم بدر (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) يقول تعالى ذكره : لن يجد هؤلاء المشركون ، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ، ملجئا ياجئون إليه ، ومنجى ينجون معه ، يعنى أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله ، يقال منه : وألت من كذا إلى كذا ، أثل وءولا ، مثل وعولا ؛ ومنه قول الشاعر :

لَا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلِيَّتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَلَمْ تُكَلِّمِ

يقول : لانبجت ؛ وقول الأعشى :

وَقَدْ أَخَالَسَ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يُجَادِرُ مِثِّيَ شَمَّ مَا يَثِيلُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَوْئِلًا) قال : محرزا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثاه .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) : يقول : ملجأ .

يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) : يقول : ملجأ .

(١) البيت : من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة : ١٨٧) قال : وقوله : «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» : المائل : المنجى وهو الملجأ والمعنى واحد . والعرب تقول : إنه ليوائل إلى موضعه . يريدون : يذهب إلى موضعه وحرزه . وقال الشاعر : «لَا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ» البيت . يريدون : لانبجت . وفي (اللسان : وأل) قال أبو الهيثم : يقال : وأل يثل وألا ووألة ، ووأل يوائل موألة ووألا . وقال الليث : المائل والمائل : الملجأ .

(٢) البيت من لامية الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩) قال : خلس الشيء سرقة وأخذة خفية . ما يثل : ما ينجو ، والماضى وأل : أى نجاء . يقول : وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه مني الحذر وهو أيضا من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٤٠٨) كالشاهد السابق ، في تفسير قوله تعالى : «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» ، قال : وقال الأعشى : «وقد أخالس . . .» البيت . أى لا ينجو .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً) : أى
لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا وَلَا مَلْجَأً .
حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد في قوله (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ
مَوْئِلاً) قال : ليس من دونه ما جئنا يلجئون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكتنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا
بالله وآياته ، (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا) يعنى ميقانا وأجلا ، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم
به ، يقول : فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا ، إذا جاءهم
ذلك الموعد أهلكتناهم سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضرباتهم .

كما حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا) قال : أجلا .
حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لِمَهْلِكِهِمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (لِمَهْلِكِهِمْ)
بضم الميم وفتح اللام على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكتوا إهلاكا . وقرأه عاصم (لِمَهْلِكِهِمْ)
بفتح الميم واللام على توجيهه إلى المصدر من هلكتوا هلاكا ومهلكا .

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه (لِمَهْلِكِهِمْ) بضم الميم وفتح اللام لإجماع
الحجة من القراء عليه ، واستدللا بقوله (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ) فإن يكون المصدر من أهلكتنا ،
إذ كان قد تقدم قبله أولى . وقيل : أهلكتناهم ، وقد قال قبل : (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ) ، لأن الهلاك إنما
جلّ بأهل القرى ، فعاد إلى المعنى ، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ .

وقال بعض نحوي البصرة : قال (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) يعنى أهلها ، كما قال
(وَأَسْئَلُ الْقَرْيَةَ) ولم يجيء بلفظ القرى ، ولكن أجرى اللفظ على القوم ، وأجرى اللفظ في القرية عليها
إلى قوله (التي كُنَّا فِيهَا) ، وقال (أَهْلَكْنَاهُمْ) ولم يقل : أهلكتناها حمله على القوم ، كما قال : جاءت
تميم ، وجعل الفعل لبنى تميم ، ولم يجعله لميم ، ولو فعل ذلك لقال : جاء تميم ، وهذا لا يحسن في نحو هذا ،
لأنه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضع ، فجعله اسما ، ولم يحتمل إذا اعتل أن يحذف ما قبله كله معنى التاء
من جاءت مع بنى تميم ، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئا قبل تميم . وقال بعضهم : إنما جاز
أن يقال : تلك القرى أهلكتناهم ، لأن القرية قامت مقام الأهل ، فجاز أن ترد على الأهل مرة وعليها مرة ،
ولا يجوز ذلك في تميم ، لأن القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة ، وإنما عرفت القبيلة به ، ولو كانت القبيلة

قد سميت بالرجل لجرت عليه ، كما تقول : وقعت في هود ، تريد في سورة هود وليس هود اسما للسورة وإنما عرفت السورة به ، فلو سميت السورة بهود لم يجر ، فقلت وقعت في هود يا هذا ، فلم يجر ، وكذلك لو سمي بنى تميم تميما لقبيل : هذه تميم قد أقبلت ، فتأويل الكلام : وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا ، وجعلنا لإهلاكهم موعدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٠﴾

يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع : (لا أبرح) يقول : لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا أبرح) قال : لا أتنبى . وقيل : غنى بقوله (مجمع البحرين) اجتماع بحر فارس والروم ، والمجمع : مصدر من قولهم : جمع يجمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) والبحران : بحر فارس وبحر الروم ، وبحر الروم مما يلي المغرب ، وبحر فارس مما يلي المشرق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . قوله (مجمع البحرين) قال : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مجمع البحرين) قال : بحر الروم ، وبحر فارس ، أحدهما قبيل المشرق ، والآخر قبيل المغرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس : قال (مجمع البحرين) ١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، في قوله (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) قال : طنجة .

وقوله (أو أَمْضِيَ حُقُبًا) يقول : أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد ، ويجمع كثيره وقاياه : أحقاب وقد تقول الغرب : كنت عنده حقة من الدهر ، ويجمعونها حُقُبًا . وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله (لا أبرح) : أى لا أزول ، ويستشهد لقوله ذلك بيت الفرزدق :

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَهَادَتْ نِسَاؤُهُمْ بِيَطْحَاءِ ذِي قَارِ عِيَابِ اللَّطَائِمِ ١

يقول : ما زالوا .

(١) يياض بالأصل ، وفي الدر عن ابن عباس « تفسير مجمع البحرين : بملتق البحرين » .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي ص ٧٧٣ من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، عدتها تسعة أبيات .

وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحقب في لغة قيس : سنة . فأما أهل التأويل فإنهم يقولون :
في ذلك ما أنا ذاكره . وهو أنهم اختلفوا فيه : فقال بعضهم : هو ثمانون سنة .
ذكر من قال ذلك

حدثت عن هشيم : قال : ثنا أبو بلج : عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الحقب :
ثمانون سنة .

وقال آخرون : هو سبعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين : قال : ثنى حجاج : عن ابن جريج ، عن مجاهد (أو أمضي حقباً)
قال : سبعين خريفاً .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ؛ جميعاً عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : مثله .
وقال آخرون في ذلك : بنحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ . قال : ثنا أبو صالح : قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أو
أمضي حقباً) قال : دهرًا .

حدثنا أحمد بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق : قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : في قوله (حقباً)
قال : الحقب : زمان .

حدثنا يونس : قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله : (أو أمضي حقباً)
قال : الحقب : الزمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَهَا بَلْعًا مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا نِسْيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾

يعنى تعالى ذكره : فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين ، كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا
أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن
أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا) قال : بين البحرين .
حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقوله (نِسْيَا حُوتَهُمَا) يعنى بقوله : نسيا : تركا .

= والواو في برحوا عائدة على بنى تميم الذين فخر بأعمالهم في يوم ذي قار ؛ والعياب : جمع عيبة ، وهى الحقيبة ، واللطائم : جمع لطيمة ،
وهى الإبل يحمل عليها البز والطيب خاصة . والبيت شاهد على أن بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله « لا أبرح » أى لا أزال .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نَسِيًا حَوْتَهُمَا) قال : أضلاه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أضلاه .
قال بعض أهل العربية : إن الحوت كان مع يوشع ، وهو الذي نسيه ، فأضيف النسيان إليهما ، كما قال (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) وإنما يخرج من الملح دون العذب .
وإنما جاز عندي أن يقال (نَسِيًا) لأنهما كانا جميعا تزوداه لسفرهما ، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما ، كما يقال : خرج القوم من موضع كذا ، وحملوا معهم كذا من الزاد ، وإنما حملاه أحدهم ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم ، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع قيل نسي القوم زادهم ، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك ، فيجري الكلام على الجميع ، والفعل من واحد ، فكذلك ذلك في قوله (نَسِيًا حَوْتَهُمَا) لأن الله عز ذكره خاطب العرب بأغتها ، وما يتعارفونه بينهم من الكلام .

وأما قوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) فإن القول في ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه ، وسنبينه إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه .

وأما قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيًّا فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سربا .
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَاتَّخَذَ سَبِيًّا فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) قال : الحوت اتخذ . ويعني بالسرب : المسلك والمذهب ، يسرب فيه : يذهب فيه ويسلكه .

ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبياه في البحر سربا ، فقال بعضهم : صار طريقه الذي يسلك فيه كالحجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (سَرَبًا) قال : أثره كأنه حجر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « ما انجاب ماء مُنْذُ كَانَ النَّاسُ غَيْرَهُ تُسْتَمَّ مَكَانُ الْحَوْتِ الَّذِي فِيهِ ٢ فَأَنْجَابَ كَالْكُوَّةِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ مُوسَى ، فَرَأَى مَسْلَكَهُ ، فَقَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر ،

(١) هذا كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ الورقة ١٨٩) .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في الدر هكذا : غير بيت ماء كان الحوت دخل منه . . الخ . وفي تفسير ابن كثير : غير مسير

مكان الحوت الخ .

عن ابن عباس ، في قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) قال : جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء ، قال ابن عباس (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) وحلق بيده ١ .
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر ماء جامدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سرب : من البحر حتى أفضى إلى البحر . ثم سلك . فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا .
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر حجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد : قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة .
وقال آخرون : بل إنما اتخذ سبيله سربا في البر إلى الماء ، حتى وصل إليه لاني البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي السَّحْرِ سَرَبًا) قال : قال : حشر الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله . قال ابن زيد ، وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال : أتيت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة ، وشق آخر ليس فيه شيء .
والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل : واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا .
وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض ؛ وجائز أن يكون كان بجمود الماء ؛ وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا .

وأصح الأقوال فيه ما روى الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا عن أبي عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : (فلما جاوز) موسى وفتاه مجمع البحرين ، (قال) موسى (لفتاه) يوشع (آتينا غداءنا) يقول : جئنا بغدائنا وأعطانا ، وقال : آتينا غداءنا ، كما يقال : أتى الغداء وأتته ، مثل ذهب وأذهبته ، (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا ، وقال ذلك موسى ، فيما ذكر ، بعد ما جاوز الصخرة ، حين أتى عليه الجوع ليتذكر الحوت ، ويرجع إلى موضع مطلبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَءَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ

فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٦﴾

(١) في (البخاري : كتاب التفسير ، من رواية سعيد بن جبير) : وحلق بين إبهاميه واللتين تليانها .

(٢) لعل المراد بالبحر هنا : الوهدة من الأرض ، كما في (اللسان : جر) .

❦ يقول تعالى ذكره : قال فتي موسى لموسى حين قال له : آتنا غداءنا لننطعم : أرأيت إذ أوفينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك (وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يقول : وما أنساني الحوت إلا الشيطان (أنْ أذْكَرَهُ) فأن في موضع نصب ردّاً على الحوت ، لأن معنى الكلام : وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل ، وردّ عاياه قوله (أنْ أذْكَرَهُ) وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله : وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان .

حدثني بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ؛ حدثني العباس بن الوليد قال : سمعت محمد بن معقل ، يحدث عن أبيه ، أن الصخرة التي أوى إليها موسى هي الصخرة التي دون نهر الذئب على الطريق (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) يُعْجَبُ مِنْهُ .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها ، فوجد عندها خضراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى لما اتخذ سبيله في البحر عجباً ، يعجب من سرب الحوت .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : عجب والله حوت كان يؤكل منه أدهر ، أي شيء أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه ، ثم صار حياً حتى حشر في البحر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا ييس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجباً .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَزْتِدَا عَلَىٰ أَثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٢١﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (قال) موسى لفتاه (ذلك) يعني بذلك : نسيانك الحوت (ما كُنَّا نَسْبِغُ) يقول : الذي كنا نلتمس ونطاب ، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت .

(١) في (عرائس المجالس للثعلبي المفسر ، طبعة الحلبي ص ٢١٨) : دون نهر الزيت .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ، قوله (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) قال موسى : فذلك حين أخبرت أنى واجد خضرا حيث يفوتنى الحوت .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ؛ إلا أنه قال : حيث يفارقنى الحوت .

وقوله (فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) يقول : فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكاها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَصَصًا) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت ، فشق البحر راجعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر ، وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر ، ودوراته التي غاب فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : رجعا عودهما على بدئهما (فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) أَيْ يَقْصُصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى مَدْخَلِ الْحُوتِ » .

وقوله (فَوَجَدَا عَبِيدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِينَاهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) يقول : وهبنا له رحمة من عندنا (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) يقول : وعلمناه من عندنا أيضا علما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) : أى من عندنا علما . وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر : أن موسى سئل ، هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال : لا ، أو حدثته نفسه بذلك ، فكره ذلك له : فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه ، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به ، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه .

وقال آخرون : بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدلّه على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : «سأل موسى ربه وقال : ربّ أيّ عبادك أحبّ إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني ؛ قال : فأىّ عبادك أقضى؟ قال : الذي يقضى بالحقّ ولا يتبع الهوى ؛ قال : أيّ ربّ أيّ عبادك أعلم؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علم نفسه ، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردى ؛ قال : ربّ فهل في الأرض أحدا؟ قال : نعم ؛ قال : ربّ ، فمن هو؟ قال : الخضر ؛ قال : وأين أطلبه؟ قال : على الساحل عند الصخرة التي ينفثات عندها الحوت ؛ قال : فخرج موسى يطلبه ، حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى إليه موسى عند الصخرة ، فسلم كلّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إني أريد أن تستصحبني ، قال : إنك لن تطيق صحبتي ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتي (فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقنها . قال : أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا إمراً ، قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . فانطلقا حتى إذا لقينا غلاما فقمتاه ، قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) . . . إلى قوله (لا تأخذت عابه أجرة) قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ، ولطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله ، (قال هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) فأخبره بما قال أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار ، قال : فسار به في البحر حتى انتهى إلى مجمع البحور ، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه ، قال : وبعث ربك الخطّاف فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقيل لموسى كم ترى هذا الخطّاف رزأ^٢ من هذا الماء؟ قال : ما أقلّ ما رزأ ، قال : يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الخطّاف من هذا الماء ؛ وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثمّ أمر أن يأتي الخضر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خطب موسى بنى إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره مني ، فأوحى الله إليه أن يأتي هذا الرجل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أنه قيل له : إن آية لقيك إياه أن تنسى بعض متاعك ، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون ، وتزوّدا حوتا مملوحا ، حتى إذا كانا حيث شاء الله ، ردّ الله إلى الحوت روحه ، فسرب في البحر ، فاتخذ الحوت طريقه سرّبا في البحر ، فسرب فيه (فلما جاوزا قال ليفتاه آتينا غداً لنا لقينا من سفرينا هذا نصبا) . . . حتى

(٢) رزأ : أصاب أو نقص .

(١) أي أعلم ، فتنبه .

بلغ (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ، فكان يعجب من سرب الحوت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما اقتصر موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل ، راقد قد سجد على ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب ورد عليه السلام وقال : من أنت ؟ قال : موسى ، قال : صاحب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : أو ما كان لك في بني إسرائيل شغل ؟ قال : بلى ، ولكني أمرت أن أتيتك وأصحبك ، قال : إنك لن تستطيع معي صبراً ، كما قص الله ، (حتى) بلغ فاما (رَكِبًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) صاحب موسى (قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : نكرا (قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوحاً يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى ، فقال : كذب عدو الله . حدثنا أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ مُوسَى قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيبًا فَقِيلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : بَلَى عَبْدٌ لِي عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ بِهِ ؟ فَقِيلَ : تَأْخُذُ حُوتًا ، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ ، ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ : إِذَا فَقَدْتَ هَذَا الْحُوتَ فَأَخْبِرْنِي ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى أَتِيَا صَخْرَةً ، فَرَقَدَ مُوسَى ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ ، فَخَرَجَ فَوَقَعَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَّةَ الْمَاءِ ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ ، فَصَارَتْ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لهُمَا عَجَبًا ، ثُمَّ انْطَلَقَا ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ الْغَدِ ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، قَالَ : وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ، قَالَ : فَقَالَ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ، فارتدداً على آثارهما قصصاً ، قال : يَقْصَانِ آثَارَهُمَا ، قَالَ : فَأَتِيَا الصَّخْرَةَ ، فَادَّارَ رَجُلٌ نَائِمٌ مُسْتَجِيًّا بِثَوْبِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَقَالَ : وَأَنْتَ يَا بَارِئُ السَّلَامِ ؟ فَقَالَ : أَنَا مُوسَى ، قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ : عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَأَعْلَمَهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِهِ عَلَّمَكُهُ لَأَعْلَمَهُ . قَالَ : فَإِنِّي أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ، قَالَ : فَانِ اتَّبِعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ ، فَعُرِفَ الْخَضِرُ ، فَحُمِلَ بِغَيْرِ تَوَلٍّ ، فَجَاءَ عَصْفُورٌ ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَنَقَرَ ، أَوْ فَتَقَدَّ فِي الْمَاءِ ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى : مَا نَقَصَ

عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مَقْدَارَ مَا نَقَرَ أَوْ نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ» .
 أبو جعفر الطبري يشك ، وهو في كتابه نقر ، قال : فَبَيْنَمَا هُوَ إِذْ لَمْ يَفْجَأَهُ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ
 يَتَدُّ وَتَدًّا أَوْ يَنْزِعُ تَخْتًا مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : حَمَلْنَا بَغِيرَ نَوَلٍ وَتَخْرُقُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ :
 لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، قَالَ : وَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ؛ قَالَ : ثُمَّ خَرَجَا فَانْطَلَقَا
 يَمْشِيَانِ ، فَأَبْصَرَ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَفَقَتَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى :
 أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ
 مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا . قَالَ : فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا ، فَلَمْ
 يَجِدَا أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيهِمْ ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ، فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ ،
 قَالَ : مَسَحَهُ بِيَدِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ مُوسَى : لَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُنْزِلُونَا ، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
 أَجْرًا ، قَالَ : هَذَا فِرْقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ
 صَبْرًا حَتَّى يَقْضَى عَلَيْنَا قَصَصَهُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ،
 عن سعيد بن جبير ، قال : جلست فأسند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب . فقال بعضهم : يا أبا العباس
 إن نوحا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب ، أن موسى النبي الذي طلب العالم ، إنما هو موسى بن ميثا ، قال
 سعيد ، قال ابن عباس : أنوف يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له نعم ، أنا سمعت نوحا يقول ذلك ، قال :
 أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نوح ، ثم قال ابن عباس : حدثني أني بن كعب أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مُوسَى ، هُوَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ : أَيُّ
 رَبِّ إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَأَدُلُّنِي عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ فِي عِبَادِي
 مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، ثُمَّ نَعَمْتَ لَهُ مَكَانَهُ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي لُقَيْيِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتَوَّاهُ
 وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : إِذَا حَسِيَ هَذَا الْحُوتُ فِي مَكَانٍ فَصَاحِبُكَ هُنَاكَ وَقَدْ
 أَدْرَكَتْ حَاجَتَكَ ؛ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَوَّاهُ ، وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحُوتُ يَحْمِلَانَهُ ، فَسَارَ حَتَّى
 جَهَدَهُ السَّيْرُ ، وَأَنْتَهَى إِلَى الصَّخْرَةِ وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، مَاءَ الْحَيَاةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ ،
 وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا حَيِيَ ؛ فَلَمَّا نَزَلَا ، وَمَسَّ الْحُوتُ الْمَاءَ حَسِيًا ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي
 الْبَحْرِ سَرَبًا ، فَانْطَلَقَا ، فَلَمَّا جَاوَزَا مُنْقَلَبَهُ قَالَ مُوسَى : آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ
 سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، قَالَ الْفَتَى وَذَكَرَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا
 أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا » قال ابن عباس : فظهر موسى
 على الصخرة حين انبها إليها ، فإذا رجل متلفف في كساء له ، فسلم موسى ، فرد عليه العالم ، ثم قال له :

وما جاء بك ؟ إن كان لك في قومك لشغل ؟ قال له موسى : جئتك لتعلمني مما علمت رشدا ، (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) ، وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى (قال وكيف تصبر على ما لم تحيط به خبرا) : أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ، ولم تحيط من علم الغيب بما أعلم (قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) وإن رأيت ما يخالفني ، (قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكرا) ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، يتعرضان الناس ، يلتزمان من يحملهما ، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجهل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها ، وبلت بهما مع أهلها ، أخرج منقارا له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ، ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها ، قال له موسى ورأى أمرا فظع به (أخرقتهما لتغرق أهلها لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال : لا تأخذني بما نسيت) : أي ما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسرا) ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس في الغلمان أظرف منه ، ولا أثرى ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده ، وأخذ حجرا ، قال : فضرب به رأسه حتى دمهغه فقتله ، قال : فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه ، صبي صغير لا ذنب له (قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس) أي صغيرة بغير نفس (لقد جئت شيئا نكرا ، قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال إن سألتك عن شيء بعد ما فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) : أي قد أعذرت في شأني (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدآ فيها جدارا يريد أن ينقض) فهدهمه ، ثم قعد بينه ، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر ، فقال (لو شئت لا اتخذت عليه أجرا) : أي قد استطعناهم فلم يطعمونا ، وضيفناهم فلم يضيفونا ، ثم قعدت في غير صنعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله (قال هذآ فراق بيبي وبيبيك سأنبئك بتأويل ما لم تستطيع عليه صبرا ، أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ، وفي قراءة أبي بن كعب : كل سفينة سالحة ، وإنما عيبها لأرددها عنها ، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها . (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلناهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن نفسي) : أي ما فعلته عن نفسي (ذلك تأويل ما لم تستطيع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن أبيه ، عن
عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى^(١) بذكر من حديث ، وقد كان معه ا فقال ابن عباس
فيما يذكر من حديث الفتى قال : شرب الفتى من الماء فخلد ، فأخذ العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله في
البحر ، فلما لتوج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) قال : لما ظهر
موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر ؛ فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عليه أن (ذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ)
فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة . وذكرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكرهم هلاك
عدوهم ، وما استخلفهم الله في الأرض ، وقال : كَلِمَ اللَّهُ نَبِيِّكُمْ تَكْلِيمًا ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل على محبة
منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرعون التوراة ، فلم يترك نعمة
أنعمها الله عليهم إلا ذكرها ، وعرفها إياهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي الله ، قد
عرفنا الذي تقول : فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ، قال : لا ، فبعث الله جبرئيل إلى موسى
عليهما السلام ، فقال : إن الله يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلى إن على شط البحر رجلا أعلم
منك ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فسأل موسى ربه أن يريه إياه ، فأوحى الله إليه أن ات البحر ،
فإنك تجد على شط البحر حوتا ، فخذ فادفعه إلى فتاك ، ثم الزم شط البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك
منك ، فثم تجد العبد الصالح الذي تطلب ؛ فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه ، سأل فتاه عن
الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا
الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربا ، فأعجب ذلك موسى
فرجع حتى أتى الصخرة ، فوجد الحوت يضرب في البحر ، ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه
يفرّج بها عن الماء يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا تمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل
نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها فسلم عليه ،
فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ، ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال
له الخضر : أصحاب بني إسرائيل ؟ قال : نعم فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك على أن تعلمني
مما علمت رشدا (قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قال : لا تطيق ذلك ، قال : موسى (سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) قال : فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتى
أبين لك شأنه ، فذلك قوله (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) فركبا في السفينة يريدان البر ، فقام الخضر
فخرق السفينة ، فقال له موسى (أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) .

(١) الذي في الدر بدل هذا : لم نسمع : يعني موسى يذكر من حديث فتاه ، وقد كان . . . الخ .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا) ذُكِرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَطَعَ الْبَحْرَ وَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، جَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَعْلَمُهُ ، قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّكُمْ ، وَأَقَطَعَكُمْ الْبَحْرَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ التَّوْرَةَ ؛ قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : إِنْ هَهُنَا رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ : فَاَنْطَاقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ يَطْلُبَانَهُ ، وَتَرَوُودًا سَمَكَةً مَمْلُوحَةً فِي مِكَتَلٍ لَهَا . وَقِيلَ لَهَا : إِذَا نَسَيْتُمَا مَا مَعَكُمْمَا لَقِيْتُمَا رَجُلًا عَالِمًا يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ ؛ فَلَمَّا أَتَى ذَلِكَ الْمَكَانَ . رَدَّ اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ رُوحَهُ ، فَسَرِبَ لَهُ مِنَ الْجَسْرِ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ سَلَكَ فَجَعَلَ لَا يَسْلُكُ فِيهِ طَرِيقًا إِلَّا صَارَ مَاءً جَامِدًا . قَالَ : وَهَضَى مُوسَى وَفَتَاهُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ) . . . ثُمَّ تَلَا إِلَى قَوْلِهِ (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) فَلَقِيَ رَجُلًا عَالِمًا يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ . فَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِيرًا لِأَنَّهُ قَعَدَ عَلَى فِرْوَةِ بَيْضَاءَ ، فَاهْتَزَّتْ بِهِ خَضْرَاءُ » ١ .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرث بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضير ، فرآهما أبا بن كعب ، فدعا ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؛ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ تَعَلَّمْ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : بَلَى عَبَدْنَا خَضِيرًا ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْبِهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا فَتَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، قَالَ مُوسَى : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ، فَوَجَدَ عَبَدْنَا خَضِيرًا ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الله بن عمر النميري ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهري يحدث ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، أنه تمارى هو والحرث بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى ، ثم ذكر نحو حديث العباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) في (عرائس المجالس للثعلبي المفسر ص ٢٢٠ طبعة الحلبي) : فإذا هي تهتز تحته خضراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى للعالم : (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق ، ودليل على هدى؟ (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) يقول تعالى ذكره قال العالم : إنك لن تطيق الصبر معي ، وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله ، ولا علم لك إلا بالظاهر من الأمور ، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال ، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قَبْلُ من أنه كان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾

يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى : وكيف تصبر يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا أعلم لك بوجوه صوابها ، وتقيم معي عليها ، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك ، وبمبلغ علمك وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها ، لأنها تُبْتَدَأُ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة ، لا أعلم لك بالحادث عنها ، لأنها غيب ، ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما ، قال (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا) على ما أرى منك وإن كان خلافا لما هو عندي صواب (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) يقول : وأنتهى إلى ما تأمرني ، وإن لم يكن موافقا هوأى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾

يقول تبارك وتعالى : قال العالم لموسى : فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، فإنني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما (حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) يقول : حتى أحدث أنا لك ما ترى من الأفعال التي أفعالها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها ، وأبتدئك الخبر عنها .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) يعني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره : فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركباها . حتى إذا أصابها ركبا في السفينة ، فلما ركباها ، خرق العالم السفينة . قال له موسى : أخرقتها بعد ما بلحجنا في البحر (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : لقد جئت شيئا عظيما ، وفعلت فعلا منكرا .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة : قوله (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) : أى عجبا . إن قوما لججوا سفينتهم فخرقها . كأحوج مانكون إليها ، ولكن علم من ذلك . ألم يعلم نبي الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه ، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : نكرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) قال : منكرا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . مثله . والإمر : في كلام العرب : الداهية ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الْأَقْرَانَ مِثْنِي نُكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : أصله : كل شيء شديد كثير ، ويقول منه : قيل للقوم : قد أمروا : إذا كثروا واشتد أمرهم . قال : والمصدر منه : الأمر ، والاسم : الإمر .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالتاء في لغزق . ونصب الأهل ، بمعنى : لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذي خرقت فيها . وقرأه عامة قراء الكوفة (لِیَغْرِقَ) بالياء أهلها بالرفع ، على أن الأهل هم الذين يغرقون .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن) ١ : ٤٠٩ قال في تفسير قوله تعالى : « جئت شيئا إمرًا » : أى داهية نكرا عظيمة . وفي آية أخرى شيئا إذا . قال : « قد بقى الأقران . . . البيت » . وفي (اللسان : إمرًا) : الأخفش : يقال : أمر أمره يأمر إمرًا (الفعل كفرح يفرح) أى اشتد . والاسم : الإمر بكسر الهمزة . قال الراجز : « قد لقي . . . البيت » ويقال : عجبا . وأمر إمرًا : منكر ، وفي التنزيل العزيز : « لقد جئت شيئا إمرًا » قال أبو إسحاق : أى جئت شيئا عظيما من المنكر . وقيل : الإمر بالكسر ، الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجيب . قال : ونكرا أقل من قوله : إمرًا ؛ لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة . قال ابن سيده : وذهب الكسائي إلى أن معنى إمرًا : شيئا داهيا منكرا عجبا ، واشتقه من قولهم : أمر القوم : إذا كثروا . اهـ .

❖ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قرأتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما ، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وإنما قلنا : هما متفقتا المعنى ، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالثناء ونصب الأهل ، أو بالياء ورفع الأهل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي

عُسْرًا ۗ

❖ يقول عز ذكره : (قَالَ) العالم لموسى إذ قال له ما قال (أَمْ أَقُلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) على ما ترى من أفعالي ، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبراً ، قال له موسى (لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ) . فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة ، لأنه كان نسي عهده . وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله (فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن زياد ، قال : ثنا يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي ابن كعب الأنصاري في قوله (لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ) قال : لم ينس ، ولكنها من معارض الكلام . وقال آخرون : بل معنى ذلك : لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ . ووجه أن معنى النسيان : الترك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير . عن ابن عباس (قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ) : أي بما تركت من عهده .

❖ والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذ به بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه . وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . بأن ذلك معناه من الخبر ، وذلك ما حدثنا به أبو كريب . قال : ثنا يحيى بن آدم . قال : ثنا ابن عيينة . عن عمرو بن دينار . عن سعيد بن جبير . عن ابن عباس . عن أبي بن كعب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ) قال : كانت الأوكى من موسى نسياناً .

وقوله (وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) يقول : لَا تُغْشِيْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ، يقول : لَا تُضِيقْ عَلَيَّ أَمْرِي مَعَكَ . وصحبتى إياك .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿١٠٠﴾

✽ يقول تعالى ذكره : (فانطاما حتى إذا لقا غلاما فقتله) العالم ، (فقال) له موسى : (أقتلت نفسا زكية) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة (أقتلت نفسا زكية) وقالوا معنى ذلك : المطهرة التي لا ذنب لها ، ولم تذب قط لصغرهما . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (نفسا زكية) بمعنى : التائبة المغفور لها ذنوبها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أقتلت نفسا زكية) والتائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال أقتلت نفسا زكية) قال : الزكية : التائبة .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر (أقتلت نفسا زكية) قال : قال الحسن : تائبة ، هكذا في حديث الحسن وشهر زكية . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (نفسا زكية) قال : تائبة .

ذكر من قال : معناها المسلمة التي لا ذنب لها

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، أنه سمع سعيد بن جبير يقول : وجد خضر غلاما نال يلعبون ، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين . قال : وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبتي قال : اسم الغلام الذي قتله الخضر : جيسور (قال أقتلت نفسا زكية) قال : مسلمة . قال : وقرأها ابن عباس (زكية) كقولك : زكيا . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول : معنى الزكية والزكية واحد ، كالقاسية والقسية ، ويقول : هي التي لم تجن شيئا وذلك هو الصواب عندي لأنني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب ، لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد .

وقوا : (بغير نفس) يقول : بغير قصاص بنفس قتلت ، فلزمها القتل قودا بها . وقوله (لقد جئت شيئا نكرا) يقول : لقد جئت بشيء منكرو ، وفعلت فعلا غير معروف . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا) والنُّكْرُ أَشَدُّ مِنَ الْإِمْرِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

* قَالَ لِرَأْفَلٍ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قال العالم لموسى (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) على ما ترى من أفعالي التي لم تُحط بها خبرا ، قال موسى له : (إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) يقول : بعد هذه المرة (فَلَا تُصَلِّحْنِي) يقول : ففارقني ، فلا تكن لي مصاحبا (قَدْ بَلَغْتَ مِنِّي لَدُنِّي عُذْرًا) يقول : قد بلغت العذر في شأني .

واختلفت القراء في قراءة ذلك : فقراءته عامة قراء أهل المدينة (مِنِّي لَدُنِّي عُذْرًا) بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون . وقراءه عامة قراء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضم الدال وتشديد النون . وقراءه بعض قراء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون . وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة ، إذ كانت في الأصل ساكنة ، ولو لم تشدّد لتحرّكت ، فشدّدوها كراهة منهم تحريكها ، كما فعلوا في « من ، وعن » إذ أضافوهما إلى مكني الخبر عن نفسه ، فشدّدوهما ، فقالوا مني وعني . وأما الذين خفّفوها ، فإنهم وجدوا مكني الخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها لا نون معها . فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك مع سائر الأشياء غيرها .

❦ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان ، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء بالقرآن ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى في ذلك قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدّد النون ، لعلتين : إحداهما أنها أشهر اللغتين ، والأخرى أن محمد بن نافع البصري حدثنا . قال : ثنا أمية بن خالد ، قال : ثنا أبو الجارية العبدى ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (قَدْ بَلَغْتَ مِنِّي لَدُنِّي عُذْرًا) مثقاة .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد : عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق . عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال « اسْتَحْيَا فِي اللَّهِ مُوسَى » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : ثنا داود ، في قول

الله عز وجل (إن سألتك عن شئ بعندها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استحبيا في الله موسى عندها » .
 حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير : عن ابن عباس : عن أبي بن كعب ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه : فقال ذات يوم : « رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى ، لَو لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لَأَبْصَرَ الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا » مُثَقَلَةٌ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فانطلق موسى والعالم (حتي إذا آتيتا أهل قرية استطعما أهلها) من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم (فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) يقول : وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط ويقع ؛ يقال منه : انقضت الدار : إذا انهدمت وسقطت ؛ ومنه انقضاض الكوكب . وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ؛ ومنه قول ذي الرمة :
 فانقضَّ كالكوكب الدررى منصلتا

وقد روى عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك (يريد أن ينقض) .

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرئ ذلك كذلك في معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم : مجاز ينقض : أي ينقلع من أصله ، ويتصدع بمنزلة قولهم : قد انقضت السن : أي تصدعت ، وتصدعت من أصلها ، يقال : فراق كقبض السن : أي لا يجتمع أهله . وقال بعض أهل الكوفة منهم : الانقياض : الشق في طول الحائط في طي البئر وفي سن الرجل ، يقال : قد انقضت سنه : إذا انشقت طولاً . وقيل : إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه ، فأبوا أن يضيفوهما : الأيلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الدارع ، قال : ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي ، قال : ثنا حماد أبو صالح ، عن محمد بن سيرين ، قال : انتابوا الأيلة ، فإنه قل من يأتيها فيرجع منها خائبا ، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما ، وهي أبعد أرض الله من السماء .

(١) هذا صدر بيت لذي الرمة . وفي (اللسان : قض) : انقض الجدار : تصدع من غير أن يسقط . وقيل : انقض : سقط . وفي التزليل العزيز : « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض » هكذا عدده أبو عبيد وغيره ثنائيا ، وجعله أبو علي ثلاثيا من نقض ، فهو عنده « افعل » بتشديد اللام . وفي التهذيب : ينقض : أي ينكسر ، يقال : قضفت الثي : إذا دقت . والمنصلت : المبرع من كل شيء .

(٢) هو الفراء (انظر معاني القرآن له ، مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ١٩٠) .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قريّة) ، وتلا إلى قوله (لا تأخذت عليه أجرا) شرّ القرى التي لا تُضيف الضيف . ولا تعرف لابن السبيل حقه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عزّ وجلّ (يريد أن ينقض) فقال بعض أهل البصرة : ليس للحائظ إرادة ولا للموات ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته . وهذا كقول العرب في غيره :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْعَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ ١

وقال آخر منهم : إنما كلم القوم بما يعقلون . قال : وذلك لما دنا من الانقضاء . جاز أن يقول : يريد أن ينقض ، قال : ومثله (تكادُ السّمواتُ يتفطرن) وقولهم : إني لأكاد أطير من الفرح . وأنت لم تقرب من ذلك . ولم تهّم به ، ولكن لعظيم الأمر عندك . وقال بعض الكوفيين منهم : من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط ؛ قال : ومثله من قول العرب قول الشاعر :

إِنَّ ذَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ ٢

وقول الآخر :

يَشْكُو إِلَى جَمَلِي طُولَ السَّرَى صَبْرًا جَمِيلًا فَكِلَانَا مُبْتَلَى ٣

قال : والجمل لم يشك ، إنما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك ؛ قال : وكذلك قول عنزة :
وَأَزُورَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَى بَعْسِرَةٍ وَتَحْمُحُمِ ؛
قال : ومنه قول الله عزّ وجلّ (ولما سكّست عن موسى الغضب) والغضب لا يسكت ، وإنما يسكت

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٠) قال في تفسير قوله تعالى : « يريد أن ينقض » ليس للحائظ إرادة ولا للموات ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة ، فهو إرادته . وهذا قول العرب في غيره ، قال الخارثي : « يريد الرمح . . . البيت » . وفي « اللسان : رود » : وقوله عز وجل « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » أي أقامه الخضر ، وقال : يريد ، والإرادة إنما تكون من الحيوان ، والجدار لا يريد إرادة حقيقية ؛ لأن تهيوه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريرين ، فوصف الجدار بالإرادة ، إذا كانت الصورتان واحدة ، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر ، قال الراعي :

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفئوس إذا أردن نصولا

وقال الآخر : « يريد الرمح صدر أبي براء » . . . البيت .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (البودقة ١٩٠ من مصورة الجامعة) قال : « يريد أن ينقض » : يقال : كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قول الله : « ولما سكّست عن موسى الغضب » والغضب لا يسكت ، إنما يسكت صاحبه ، ومعناه : سكن . وقوله : فإذا عزم الأمرم : إنما يعزم الأمر أهله . وقال الشاعر : « إن دهرا . . . البيت » . وقال الآخر « شكّا إلى حملي . . . البيت » . (وسيجيء بعد هذا) . والجمل م يشك ، إنما تكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك ، وكذلك قول عنزة : « وأزور من وقع القنا . . . البيت » ؛ (سيجيء بعد هذا) . . . وقال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١١) : ومجاز « أن ينقض » مجاز : يقع . يقال : انقضت الدار إذا تهدمت وسقطت ، وقرأ قوم « أن ينقض » ، ومجازه : أن ينقلع من أصله ويتصدع ؛ بمنزلة قولهم : قد انقضت السن : أي انصدعت ، وتقلعت من أصلها .

(٣) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق عليه وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن .

(٤) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق على الذي قبله . ولبانه : صدره : والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح . وهو من شواهد الفراء .

صاحبه . وإنما معناه : سكن . وقوله (فَبِإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) إنما يعزم أهله . وقال آخر منهم : هذا من أفصح كلام العرب . وقال : إنما إرادة الجدار : ماله . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تترأى ناراً أهماً » وإنما هو أن تكون نار ان كل واحدة من صاحبها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القرب ؛ قال : وهو كقول الله عز وجل في الأصنام (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : والعرب تقول : دارى تنظر إلى دار فلان . تعنى : قرب ما بينهما : واستشهد بقول ذى الرمة في وصفه حوضاً أو منزلاً دارساً :
قَدَّ كَادَ أَوْ قَدَّ هَمَّ بِالْبُيُودِ
قال : فجعله بهم . وإنما معناه : أنه قد تغير للبلبل . والذي تقول به في ذلك أن الله عز ذكره بلطفه . جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم . ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم . مما لا تحسسه أبصارهم . وقد عقلت العرب معنى القائل :

فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتِهَا قَلَقَ الْفُئُوسِ إِذَا أَرَدَنْتَ نَصُولاً ٢

وفهمت أن الفئوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياها بأنها تريد . وعلمت ما يريد القائل بقوله :

كَمَثَلِ هَيْسِ النَّقَا طَافَ الْمَشَاةُ بِهِ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ السَّثْرَى حِينًا ٣

وإنما لم يرد أن الثرى نطق . ولكنه أراد به أنه تلبّد بالندى . فمنعه من الإنهال . فكان منعه إياه من ذلك كالتهمي من ذوى المنطق فلا ينهال . وكذلك قوله (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) قد علمت أن معناه : قد قارب من أن يقع أو يسقط . وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه . وقد عقلوا ما عني به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى . وضلّ فيه ذوو الجهالة والغبا .
وقوله (فَأَقَامَهُ) ذكر عن ابن عباس أنه قال : هدمه ثم قعد يبنيه .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة . قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة . عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار . عن سعيد بن جبير (فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض) قال : رفع الجدار بيده فاستقام .

والصواب من القول في ذلك أن يُقال : إن الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجددا جداراً يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى ، بمعنى : عدّل ميباه حتى عاد مستويا . وجائز أن يكون كان

(١) هذا بيت من الرجز . لذى الرمة . والبيود : مصدر باد يبيد : إذا هلك . والشاهد فيه مثل الشواهد السابقة عليه .

(٢) هذا البيت للرأعي ، وقد سبق الكلام عليه قبل في أكثر من موضع .

(٣) حال التراب والرمل هيبلاً وأهاله فأنهال ، وميله فتهيل أى دفعه فأنهال . والنقا : الكثيب من الرمل النقي . والبيت كالشواهد السابقة عليه في أن قوله ينهال الثرى : أى يمسه الثرى عن التهيل ، جعل ذلك بمنزلة هيبه عن السقوط ، مع أن الثرى لا ينهى ولا يأمر ، ولكنه جاء كذلك على لسان العرب ، كما جاء قوله تعالى في القرآن « يريد أن ينقض » . وقد اتضح معناه بما لا مزيد عليه في الشواهد السابقة قريباً .

ذلك بإصلاح بعد هدم . وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده : فاستوى بقدره الله، وزال عنه مبيدته بلطفه ، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأى ذلك كان من أى .

وقوله (قال لَوُ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول : قال موسى لصاحبه : لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على إقامتك أجرا : فقال بعضهم : إنما عني موسى بالأجر الذى قال له (لَوُ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا) القيرى : أى حتى يتقرونا : فإنهم قد أبوا أن يضيفونا .

وقال آخرون : بل عنى بذلك العيوض والخزاء على إقامته الحائظ المسائل .
واختلف القراء فى قراءة ذلك : فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة (لَوُ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا) على التوجيه منهم له إلى أنه لا فتعلت من الأخذ . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة (لَوُ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ) بتخفيف التاء وكسر الحاء ، وأصله : لا فتعلت . غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة . ولأن الكلام عندهم فى فعل ويفعل من ذلك : تخذ فلان كذا يتخذُه تتخذُ . وهى لغة فيما ذكره لهدّيل . وقال بعض الشعراء :
وَقَدْ تَخَذْتُ رَجُلِي لَدَى جَنْبِ غَمْرَزِيهَا نَسِيفًا كَأُفْحُوصِ الْقَطَاةِ الْمُطَّرَّقِ
والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد : فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . غير أنى أختار قراءته بتشديد التاء على لا فتعلت . لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما ، وأكثرهما على ألسن العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

يقول تعالى ذكره : قال صاحب موسى لموسى : هذا الذى قلته وهو قوله (لَوُ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا) (فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) . يقول : فرقة ما بيني وبينك : أى مفرق بيني وبينك . (سَأُنَبِّئُكَ) يقول : سأخبرك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقول : بما يثول إايه عاقبة أفعالى التى فعلتها : فلم تستطع على ترك المسئلة عنها : وعن التكبير على فيها صبرا : والله أعلم .

(١) البيت للمزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، شاعر جاهلى قديم . وهو من شواهد أبى عبدة فى مجاز القرآن (١ : ٤١١) قال : « لوشئت لتخذت عليه أجرا » : الحاء مكسورة ، ومعناها معنى أخذت ، فكان مخرجها مخرج فعلت تفعل (من باب فرح يفرح) قال المزق العبدى (من عبد القيس) : « وقد تخذت رجلى . . . البيت » . وفى اللسان : والغرز للجمل مثل الركاب للبعل ، وهو ما يضع الركاب فيه قدمه عند الركوب . والأفحوص : مجثم القطاة ، لأنها تفحص الموضع ، ثم تبيض فيه ، وكذلك هو للدجاجة ، قال المزق العبدى : « وقد تخذت رجلى . . . البيت » . والنسيف : أثر عض الغرز فى جنب الناقة ، من عضه أو انحصاص وبر . والمطرق من وصف القطاة . يقال : طرقت المرأة وكل حامل تطرق : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب فيقال : طرقت ثم خلصت . وقيل التطريق للقطاة : إذا فحصت للبيض ، كأنها تجعل له طريقا .

تمّ الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري .
ويليه : الجزء السادس عشر
وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (أمّا السفينة)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِمِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء السادس عشر

دار الفكر

تذکرہ اہل بیت

زینہ

تذکرہ اہل بیت

اولاد و اقوال و فتوح و مناقب و...

تذکرہ

تذکرہ اہل بیت

تذکرہ

تذکرہ

تذکرہ

فهارس الجزء السادس عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

-
- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين . . .	١	١٠٢	أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا . . .	٣١
٨٠	وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين . . .	٢	١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . . .	٣٢
٨١	فأردنا أن يبدلها ربهما . . .	٢	١٠٤	الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا . . .	٣٢
٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين . . .	٥	١٠٥	أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . .	٣٥
٨٣	ويسألونك عن ذى القرنين . . .	٨	١٠٦	ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا . . .	٣٥
٨٤	إنا مكّنا له في الأرض . . .	٨	١٠٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٣٦
٨٥	فأتبع سببا . . .	٨	١٠٨	خالدين فيها لا يبغون عنها حولا . . .	٣٦
٨٦	حتى إذا بلغ مغرب الشمس . . .	١٠	١٠٩	قل لو كان البحر مدادا لكلمات . . .	٣٩
٨٧	قال أما من ظلم فسوف نعذّبه . . .	١٢	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ . . .	٣٩
٨٨	وأما من آمن وعمل صالحا . . .	١٣	تفسير سورة مريم عليها السلام		
٨٩	ثم أتبع سببا . . .	١٣	١	كهيصص . . .	٤١
٩٠	حتى إذا بلغ مطلع الشمس . . .	١٣	٢	ذكر رحمة ربك عبده زكريا . . .	٤٥
٩١	كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا . . .	١٣	٣	إذ نادى ربه نداء خفيا . . .	٤٥
٩٢	ثم أتبع سببا . . .	١٥	٤	قال ربّ إني وهن العظم مني . . .	٤٥
٩٣	حتى إذا بلغ بين السدين . . .	١٥	٥	وإني خفت الموالي من ورائي . . .	٤٦
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج . . .	١٥	٦	يرثني ويرث من آل يعقوب . . .	٤٦
٩٥	قال ما مكنى فيه ربي خير . . .	٢٣	٧	يا زكريا إنا نبشرك بغلام . . .	٤٩
٩٦	آتوني زُبُر الحديد . . .	٢٤	٨	قال ربّ أئني يكون لي غلام . . .	٥٠
٩٧	فما استطاعوا أن يظهروه . . .	٢٤	٩	قال كذلك قال ربك . . .	٥١
٩٨	قال هذا رحمة من ربي . . .	٢٧	١٠	قال ربّ اجعل لي آية . . .	٥١
٩٩	وتركنا بعضهم يومئذ يموج . . .	٢٨	١١	فخرج على قومه من المحراب . . .	٥٣
١٠٠	وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين . . .	٢٨	١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوة . . .	٥٤
١٠١	الذين كانت أعينهم في غطاء . . .	٣١			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	وحنانا من لدنا وزكاة . . .	٥٤	٤١	واذكر في الكتاب إبراهيم . . .	٨٩
١٤	وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . . .	٥٨	٤٢	إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد . . .	٨٩
١٥	وسلام عليه يوم ولد . . .	٥٨	٤٣	يا أبت إني قد جاعني من العلم . . .	٩٠
١٦	واذكر في الكتاب مريم . . .	٥٩	٤٤	يا أبت لا تعبد الشيطان . . .	٩٠
١٧	فاتخذت من دونهم حجابا . . .	٥٩	٤٥	يا أبت إني أخاف أن يمسك . . .	٩٠
١٨	قالت إني أعوذ بالرحمن منك . . .	٦١	٤٦	قال أراغب أنت عن آلهتى . . .	٩٠
١٩	قال إنما أنا رسول ربك . . .	٦١	٤٧	قال سلام عليك سأستغفر لك . . .	٩٢
٢٠	قالت أتىّ يكون لى غلام . . .	٦١	٤٨	وأعزلكم وما تدعون من دون الله . . .	٩٢
٢١	قال كذلك قال ربك . . .	٦١	٤٩	فلما اعتزلهم وما يعبدون . . .	٩٣
٢٢	فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . . .	٦٢	٥٠	ووهبنا له من رحمتنا . . .	٩٣
٢٣	فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة . . .	٦٢	٥١	واذكر في الكتاب موسى . . .	٩٤
٢٤	فناداها من تحتها ألا تحزنى . . .	٦٧	٥٢	وناديناه من جانب الطور الأيمن . . .	٩٤
٢٥	وهزى إليك بجذع النخلة . . .	٦٧	٥٣	ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون . . .	٩٤
٢٦	فكلى واشربى وقرى عينا . . .	٧٣	٥٤	واذكر في الكتاب إسماعيل . . .	٩٥
٢٧	فأنت به قومها تحمله . . .	٧٦	٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة . . .	٩٦
٢٨	يا أخت هارون ما كان أبوك . . .	٧٧	٥٦	واذكر في الكتاب إدريس . . .	٩٦
٢٩	فأشارت إليه . . .	٧٨	٥٧	ورفعناه مكانا عليا . . .	٩٦
٣٠	قال إني عبد الله آتاني الكتاب . . .	٧٩	٥٨	أولئك الذين أنعم الله عليهم . . .	٩٧
٣١	وجعلنى مباركا أينما كنت . . .	٧٩	٥٩	فيخلف من بعدهم خلف . . .	٩٨
٣٢	وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا . . .	٨١	٦٠	إلا من تاب وآمن وعمل صالحا . . .	١٠١
٣٣	والسلام على يوم ولدت . . .	٨١	٦١	جنات عدن التى وعد الرحمن . . .	١٠١
٣٤	ذلك عيسى ابن مريم . . .	٨٢	٦٢	لا يسمعون فيها لغوا . . .	١٠٢
٣٥	ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . . .	٨٤	٦٣	تلك الجنة التى نورث من عبادنا . . .	١٠٣
٣٦	وإن الله ربى وربكم فاعبدوه . . .	٨٤	٦٤	وما ننزّل إلا بأمر ربك . . .	١٠٣
٣٧	فاختلف الأحزاب من بينهم . . .	٨٥	٦٥	رب السموات والأرض . . .	١٠٥
٣٨	أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا . . .	٨٦	٦٦	ويقول الإنسان إذا مامت . . .	١٠٦
٣٩	وأنذرهم يوم الحسرة . . .	٨٧	٦٧	أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه . . .	١٠٦
٤٠	إن نحن نرث الأرض . . .	٨٩	٦٨	فوزربك لنحشرنهم والشیاطين . . .	١٠٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٩	ثم لنزعنّ من كلّ شيعة . . .	١٠٧	٩٧	فلنّما يسرّناه بلسانك . . .	١٣٢
٧٠	ثمّ لنحنّ أعلم بالذين هم . . .	١٠٨	٩٨	وكمّ أهلكنّا قبلهم من قرن . . .	١٣٤
٧١	وإنّ منكمّ إلا واردها . . .	١٠٨		<u>تفسير سورة طه</u>	
٧٢	ثمّ ننجي الذين اتّقوا . . .	١١٤	١	طه . . .	١٣٥
٧٣	وإذا تلىّ آياتنا . . .	١١٥	٢	ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . . .	١٣٥
٧٤	وكمّ أهلكنّا قبلهم من قرن . . .	١١٧	٣	إلا تذكرة لمن يخشى . . .	١٣٥
٧٥	قل من كان في الضلالة . . .	١١٩	٤	تنزيلاً ممن خلق الأرض . . .	١٣٨
٧٦	ويزيد الله الذين اهتدى هُدًى . . .	١١٩	٥	الرحمن على العرش استوى . . .	١٣٨
٧٧	أفرأيت الذي كفر بآياتنا . . .	١٢٠	٦	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٣٨
٧٨	أطاع الغيب أم اتخذ عند الرحمن . . .	١٢٠	٧	وإنّ تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ . . .	١٣٩
٧٩	كلا سنكتب ما يقول ونعدّ له . . .	١٢٢	٨	الله لا إله إلا هو . . .	١٣٩
٨٠	ونرثه ما يقول ويأتينا فردا . . .	١٢٢	٩	وهل أتاك حديث موسى . . .	١٤١
٨١	واتخذوا من دون الله آلهة . . .	١٢٣	١٠	إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا . . .	١٤١
٨٢	كلا سيكفرون بعبادتهم . . .	١٢٣	١١	فلما آتاها نودى يا موسى . . .	١٤٣
٨٣	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين . . .	١٢٥	١٢	إني أنا ربك فاخلع نعليك . . .	١٤٣
٨٤	فلا تعجل عليهم إنّما نعدّ . . .	١٢٥	١٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى . . .	١٤٧
٨٥	يوم نحشر المتقين إلى الرحمن . . .	١٢٦	١٤	إنّني أنا الله لا إله إلا أنا . . .	١٤٧
٨٦	ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا . . .	١٢٦	١٥	إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها . . .	١٤٨
٨٧	لا يملكون الشفاعة . . .	١٢٨	١٦	فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها . . .	١٤٨
٨٨	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . . .	١٢٩	١٧	وما تلك بيمينك يا موسى . . .	١٥٣
٨٩	لقد جتّم شيئا إدا . . .	١٢٩	١٨	قال هي عصاى أتوكأ عليها . . .	١٥٤
٩٠	تكاد السموات يتفطرن منه . . .	١٢٩	١٩	قال ألقها يا موسى . . .	١٥٦
٩١	أن دعوا للرحمن ولدا . . .	١٣١	٢٠	فألقاها فإذا هي حية تسعى . . .	١٥٦
٩٢	وما ينبغي للرحمن . . .	١٣١	٢١	قال خذها ولا تخف . . .	١٥٦
٩٣	إنّ كلّ من في السموات . . .	١٣١	٢٢	واضمم يدك إلى جناحك . . .	١٥٧
٩٤	لقد أحصاهم وعدّهم عدداً . . .	١٣٢	٢٣	لنريك من آياتنا الكبرى . . .	١٥٧
٩٥	وكلهم آتية يوم القيامة فردا . . .	١٣٢	٢٤	اذهب إلى فرعون إنه طغى . . .	١٥٨
٩٦	إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٢			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	قال رب اشرح لي صدري . . .	١٥٨	٥٣	الذي جعل لكم الأرض متهددا . . .	١٧٤
٢٦	ويسر لي أمري . . .	١٥٨	٥٤	كاوا وارعوا أنعامكم . . .	١٧٤
٢٧	واخلل عقدة من لساني . . .	١٥٨	٥٥	منها خلقناكم . . .	١٧٥
٢٨	يفقهوا قولي . . .	١٥٨	٥٦	ولقد أرينا آياتنا كلها . . .	١٧٥
٢٩	واجعل لي وزيرا من أهلي . . .	١٥٨	٥٧	قال أجيئنا لتخرجنا . . .	١٧٥
٣٠	هارون أخي . . .	١٥٨	٥٨	فلنأتينك بسحر مثاه . . .	١٧٥
٣١	أشدد به أزرى . . .	١٦٠	٥٩	قال موعدكم يوم الزينة . . .	١٧٧
٣٢	وأشركه في أمري . . .	١٦٠	٦٠	فتولى فرعون فجمع كيده . . .	١٧٧
٣٣	كفى نسبحك كثيرا . . .	١٦٠	٦١	قال لهم موسى ويلكم . . .	١٧٨
٣٤	ونذكرك كثيرا . . .	١٦٠	٦٢	فتنازعوا أمرهم بينهم . . .	١٧٩
٣٥	إنك كنت بنا بصيرا . . .	١٦٠	٦٣	قالوا إن هذان لساحران . . .	١٧٩
٣٦	قال قد أوتيت سؤالك يا موسى . . .	١٦٠	٦٤	فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا . . .	١٨٣
٣٧	ولقد مننا عليك مرة أخرى . . .	١٦٠	٦٥	قالوا يا موسى إما أن تلقى . . .	١٨٤
٣٨	إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي . . .	١٦٠	٦٦	قال بل ألقوا فإذا حبالهم . . .	١٨٤
٣٩	أن اقدفيه في التابوت . . .	١٦١	٦٧	فأوجس في نفسه خيفة . . .	١٨٦
٤٠	إذ تمشى أختك فتقول . . .	١٦٢	٦٨	قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . . .	١٨٦
٤١	واصطنعتك لنفسى . . .	١٦٨	٦٩	وألقي ما في يمينك . . .	١٨٦
٤٢	اذهب أنت وأخوك بآياتي . . .	١٦٨	٧٠	فألقي السحرة سجدا . . .	١٨٧
٤٣	اذهبا إلى فرعون إنه طغى . . .	١٦٨	٧١	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	١٨٧
٤٤	فقولا له قولا لينا . . .	١٦٩	٧٢	قالوا لن نؤثر على ما جاءنا . . .	١٨٩
٤٥	قالا ربنا إننا نخاف . . .	١٦٩	٧٣	إنا آمنة بربنا ليغفر لنا . . .	١٨٩
٤٦	قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى . . .	١٧٠	٧٤	إنه من يأت ربه مجرما . . .	١٩٠
٤٧	فأتياه فقولا إنا رسولا ربك . . .	١٧٠	٧٥	ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات . . .	١٩٠
٤٨	إنا قد أوحى إلينا أن العذاب . . .	١٧١	٧٦	جنات عدن تجري من تحتها الأنهار . . .	١٩٠
٤٩	قال فن ربكما يا موسى . . .	١٧١	٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى . . .	١٩١
٥٠	قال ربنا الذي أعطى . . .	١٧١	٧٨	فأتبعهم فرعون بجنوده . . .	١٩٢
٥١	قال فما بال القرون الأولى . . .	١٧٣	٧٩	وأضل فرعون قومه وما هدى . . .	١٩٢
٥٢	قال علمها عند ربي في كتاب . . .	١٧٣	٨٠	يا بني إسرائيل قد أنجيناكم . . .	١٩٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨١	كلوا من طيبات ما رزقناكم	١٩٢	١٠٩	يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن	٢١٥
٨٢	وإني لغفار لمن تاب وآمن	١٩٤	١١٠	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم	٢١٥
٨٣	وما أعجلك عن قومك يا موسى	١٩٥	١١١	وعنت الوجوه للحى القيوم	٢١٥
٨٤	قال هم أولاء على أثرى	١٩٥	١١٢	ومن يعمل من الصالحات	٢١٧
٨٥	قال فإنا قد فتننا قومك	١٩٦	١١٣	وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا	٢١٩
٨٦	فرجع موسى إلى قومه	١٩٦	١١٤	فتعالى الله الملك الحق	٢١٩
٨٧	قالوا ما أخلفنا موعدك	١٩٧	١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل	٢٢٠
٨٨	فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار	١٩٧	١١٦	وإذ قانا للملائكة اسجدوا لآدم	٢٢٢
٨٩	أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا	٢٠٢	١١٧	فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك	٢٢٢
٩٠	ولقد قال لهم هارون	٢٠٢	١١٨	إن لك ألا تجوع فيها ولا تعمرى	٢٢٢
٩١	قالوا لن نبرح عليه عاكفين	٢٠٢	١١٩	وأنتك لا تنظما فيها ولا تضحى	٢٢٢
٩٢	قال يا هارون ما منعك	٢٠٢	١٢٠	فوسوس إليه الشيطان	٢٢٢
٩٣	ألا تتبعن أف عصيت أمرى	٢٠٢	١٢١	فأكلامها فبدت لهما سوءا هما	٢٢٤
٩٤	قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى	٢٠٣	١٢٢	ثم اجتباه ربه فتاب عليه	٢٢٤
٩٥	قال فما خطبك يا سامرى؟	٢٠٤	١٢٣	قال اهبطا منها جميعا	٢٢٤
٩٦	قال بصرت بما لم يبصروا به	٢٠٤	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى	٢٢٥
٩٧	قال اذهب فإن لك فى الحياة	٢٠٦	١٢٥	قال رب لم حشرتنى أعمى	٢٢٥
٩٨	إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو	٢٠٦	١٢٦	قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها	٢٢٥
٩٩	كذلك نقص عايبك من أنباء	٢٠٩	١٢٧	وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن	٢٣٠
١٠٠	من أعرض عنه فإنه يحمل	٢٠٩	١٢٨	أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم	٢٣٠
١٠١	خالدين فيه وساء لهم	٢١٠	١٢٩	ولولا كلمة سبقت من ربك	٢٣٢
١٠٢	يوم يُنفخ فى الصور ونحشر	٢١٠	١٣٠	فاصبر على ما يقولون	٢٣٢
١٠٣	يتخافتون بينهم إن لبثتم	٢١٠	١٣١	ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به	٢٣٥
١٠٤	نحن أعلم بما يقولون	٢١١	١٣٢	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر	٢٣٦
١٠٥	ويستأونك عن الجبال	٢١١	١٣٣	وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه	٢٣٧
١٠٦	فيذرهما قاعا صفصفا	٢١١	١٣٤	ولو أنا أهلكناهم بعذاب	٢٣٧
١٠٧	لا ترى فيها عوجا ولا أماتا	٢١١	١٣٥	قل كل متربص فتر بصوا	٢٣٨
١٠٨	يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له	٢١٣			

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٤	١
ما جرى بين مريم ويوسف النجار .	تأويل قوله تعالى « أما السفينة » ، وبيان أن
٦٧	كلمة « وراء » من حروف الأضداد ،
ذكر الذي نادى مريم من تحتها ، وبعض	والشاهد عليه .
فوائد للتمر والعجوة .	٦
٧٣	المراد بالكنز الذي كان تحت جدار اليتيمين ،
تأويل قوله تعالى « فكلوا واشربوا... الآية	وأن الكنز كان في شربعتهم حلالا .
٧٦	٨
ما دار بينها وبين قومها من المحاورة .	خبر ذي القرنين ، ومسيره ، وما لقي من
٧٧	العجائب ، والخلاف فيه هل هو ملك ،
وجه كون مريم أخت هارون .	أو آدمي ؟
٨٢	١٧
اختلاف الناس في أمر عيسى عليه السلام .	بناء السد وإيراد الأخبار عن يأجوج ومأجوج .
٨٧	٢٨
تأويل قوله تعالى « وأنذرهم يوم الحسرة »	تأويل قوله تعالى « وتركنا بعضهم... الآية .
... الآية ، وبيان ما يراه أهل الموقف من	٣٠
صورة الموت .	حقيقة الصور وما في القيامة من الأحوال .
٨٩	٣٢
ذكر إبراهيم عليه السلام ، ومحاورته لأبيه .	من هم الأنخسرون أعمالا ؟
٩٤	٣٦
ذكر موسى عليه السلام ، وبيان المراد	تأويل قوله « إن الذين آمنوا »... الآية ،
بتقريبه .	والخلاف في معنى الفردوس .
٩٦	٤٠
ذكر إدريس عليه السلام ، وما قيل	الرياء من جملة الإشراك بالله .
في رفعه .	٤١
٩٨	تفسير سورة مريم
ما قيل في معنى إضاعة الصلاة .	٤٥
١٠٣	٤٦
تأويل قوله تعالى « وما ننزل إلا بأمر	خبر زكريا ودعائه .
ربك »... الآية ، وما جرى بين رسول	سبب سؤاله ربه الولد .
الله صلى الله عليه وسلم وجبريل .	٥٤
١٠٨	تأويل قوله تعالى « يا يحيى خذ الكتاب » ،
ما ورد في ورود الناس جهنم .	وما أوتي به يحيى عليه السلام من معاني الأحوال
١٢٠	والشواهد على معنى الحنان .
تأويل قوله تعالى « أفرايت الذي كثر آياتنا »	٥٩
... الآية ، وأسباب نزولها .	قصة مريم عليها السلام ، والمكان الذي اتخذته
١٢٦	وإرسال الملك إليها ، والسبب الذي من أجله
ما ورد في ركوب بعض أهل الموقف النوق .	اتخذ النصراني المشرق قبلة .

الصفحة	الصفحة
١٧٧ يوم الزينة	١٣٢ تأويل قوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا
١٨٤ ما حصل بين موسى والسحرة .	الصالحات » . . . الآية ، وبيان أنه ما يقبل
١٨٧ ما حصل بين السحرة وفرعون	أحد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب
١٩٧ فتنة السامريّ لبنى إسرائيل .	الناس إليه .
٢٠٣ ما فعله موسى بأخيه هارون ، واعتذار	١٣٥ تفسير سورة طه
هارون له .	١٣٩ بيان ما هو أخفى من السرّ .
٢٠٤ ما رآه السامريّ من أثر جبريل .	١٤١ خروج موسى بأهله ، وما لاقاه من الشدة .
٢٠٦ ما فعله موسى بالسامريّ وعجله .	١٤٣ السبب في كون موسى أمر بخلع نعليه .
٢١١ ما يفعل بالخيال عند قيام الساعة .	١٤٧ تأويل قوله تعالى « وأنا اخترتك » ، وبيان
٢٢٠ العهد الذي عهد إلى آدم عليه السلام .	أن الصلاة ذكر لله .
٢٢٨ معيشة الضنك التي تكون للكافر	١٥٤ فوائد عصا موسى .
٢٣٢ تأويل قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت » . . .	١٥٧ لون موسى ، وذكر بعض حيلاه
الآية ، ومعنى الأجل والالزام .	١٦٣ امتناع موسى عايه السلام من المراضع ،
٢٣٥ ما أمر به صلى الله عليه وسلم من إعراضه	وما تمّ لأمه دعه
عن الدنيا وزهرتها .	١٧١ ما حصل بين موسى وفرعون من المحاوره .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٥٢	أضمرًا				أ
١٤٩	غميرًا		د		
		١٥٠	لا نَقْعُدْ	٦٤	والرجاءُ
٢٠٧	شوسُ	١٤١	بأوحدِ		ب
١٥١	يتنقّسُ	١٤٥	المستردّدِ	١٨١	لتغريبُ
١٢٦	جيساسِ	١٣٠	إدّا	١٥٢	أقاربهُ
٢١٤	كليسًا	١٢٢	وولدا	١٨١	الأعْضَبِ
		١٢٢	ولدا	١١٧	المكعَبِ
٥٦	بعضِ	١٣١	القرّدا	٩٠	ناصبِ
٥٧	ونخضًا			١٥٢	والخطبَا
١٥١	مامضى		ر	١٨١	شهريةُ
		١٦٨	غبرُ		
	ع	٩٣	سخرُ		ت
١٨٣	مجمعُ	٩٣	والحدّرُ	٥٧	وبيتِ
١٤٨	النقيعُ	٢٢٣	فيخصرُ	٢١٣	أمتِ
١٦	تبعا	١١٥	جزرِ	٢٦	المنعّتِ
١٨٨	بأجدعا	١٣١	الصدّرِ	٦٦	تبيلتِ
	ف	١٧٦	والفيزرِ		ج
١٧٨	مجلّفُ	١٦٨	قدرِ		
	ق	١٢١	جمارِ	٧٩	الأرنّدجِ
١٨٥	وصديقُ	١٤١	أطهارِ	٤	تعوّجا
١٥٣	طليقُ	٤٧	مخصرِ		ح
	ل	١٤٧	نارا	١٥١	يتبرخُ
١٣١ ، ٨٤	جبتلُ	١٢٩	إمرًا	١٥٧	والجنّاحِ

الجزء السادس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٣٧	المَلَاعِينِ	١٣٥	سَقَامُهَا	٣٦	والبَصَلُ
٣٠	مَصَلَتِينَا	٧١	قَلَامُهَا	٢٣٣	يَنْتَعِلُ
٢٠٨	يَجْرُقُونَا	٢٣	تَوَهُمُ	٢٢٥	أَنْزَلَ
		١٥٤	وَالشَّامِ	٢٣٦	وَجَسَدَلِ
	هـ	١٨٠	لَصَمَمَا	١٤٦	الْأَبْطَالِ
٧٣	فِيهِ	١٠١	لَا تُمَّا	٢١٦	اِخْتِيَا لِمَا
	س	٦٦	حَرَامَا	٥٧	مَقَالَا
			ن	١٣٧	مُوَائِلَا
٦٣	لَقَلْبِي	٢٤	الرُّكْنَيْنِ	٢١٦	امْتَقَالَا
٧٦	الْفَرِيَا	٥٧	الْحَنَانِ		
١	وَرَائِيَا	٧٢	وَالشَّيْبَانِ	٩٠	يَتَوَسَّمُ

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
			أتدرون فيم نزلت هذه الآية
٢٧	جنات الفردوس أربعة: اثنتان من ذهب حليتها وآنيتهما...	٢٢٨	﴿ فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴾ ...
٣٧	جنات الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتها وآنيتهما وما فيها...	٣٧	إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس...
٣٧	الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض...	٧٨	ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم...
٣٧	الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة...	٢٩	أن أعرابياً سأله عن الصور، قال...
١١١	خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه...	٣٨	أن الفردوس هي أعلى الجنة وأحسنها...
٤٨	رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله...	١٢٨	إن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً.
٤٨	رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته...	١٢٨	إن في أمتي رجلاً سيدخلن الله بشفاعته الجنة...
١١١	الزآلون والزآلات يومئذ كثير...		إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض...
٣	الغلام الذي قتله الخضر...	٣٧	إنكم راؤون ربكم كما ترون هذا (يعني القمر) لا تضامون في رؤيته...
٣٨	الفردوس من ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها.	٢٣٣	إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي...
٥٨	كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب...	١١١	إن للجنة مائة درجة، كل درجة منها كما بين السماء والأرض...
٢٣٣	كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر...	٣٨	إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ...
٣٠، ٢٩	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن...	١٦٤	إنهم كانوا يسمون بأسماء من كان قبلهم.
٣٠، ٢٩	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن...	٧٨	إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم...
٢٩	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن...	٢١	إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بديراً...
١١٢	لا يدخل النار أحد شهد بديراً والحديبية...	١١٢	أي جبرائيل لقد زنت عليّ حتى لقد ظن...
٢٢	لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل.	١٠٤	بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا...
١٣٠	(يعني يأجوج ومأجوج).	٧٨	جاء رجل فقال يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله...
٢٧	لقتوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله...	٤٠	جلس النبي ﷺ ذات يوم، فأخذ عوداً يابساً...
٣٠	لقت ليلة الإسراء إبراهيم وموسى وعيسى...	١٢٠	
	لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض...		

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١١٣	يؤتى بالجسر — يعني يوم القيامة ...	١٠٠	لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها ...
٣٨	يا أم حارثة إنها جنان ...	١٠٤	ما جئت حتى اشتقت إليك ...
	يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار	٥٨	ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب ...
٨٧	كأنه كبش ...	١٠٣	ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ ...
٢٣٨	يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: ...	١١٤	من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً ...
٤٨	يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثته؟ ...	١١٤	من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة ...
٢١	يفتح بأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس ...	١٤٨	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ...
٨٨	ينادي يا أهل الجنة، فيشرثبون، فينظرون ...	٢٣٥	نزل برسول الله ﷺ ضيف، فأرسلني إلى يهودي ...
	يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك	١٢	نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال ...
١١٣	كحسك السعدان ...	١١٣	هو الدخول، يردون النار حتى يخرجوا منها ...
١٤٤	يوم كلم الله موسى، كانت عليه جبة صوف ..		يؤتى بالأكل الشروب الطويل فيوزن فلا يزن
		٣٥	جناح بعوضة ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

يقول : أما فعلى ما فعلت بالسفينة ، فلأنها كانت لقوم مساكين (يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) بالخرق الذي خرقتها .

كما حدثني ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) قال : أخرقتها .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) وكان أمامهم وقد أمهم ملك .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) قال قتادة : أمهم . ، ألا ترى أنه يقول (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) وهي بين أيديهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان في القراءة : وكان أمامهم ملك

يأخذ كل سفينة صهيحة غصبا . وقد ذكر عن ابن عيينة ، عن عمرو : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قرأ ذلك : وكان أمامهم ملك .

قال أبو جعفر : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب « وراء » من حروف الأضداد ، وزعم أنه

يكون لما هو أمامه ولما خلفه ، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أَيْرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمِعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَسْلَاةُ وَرَائِيَا

(١) البيت لسوار بن المضرب (اللسان : وري) . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤١٢) قال في تفسير قوله

تعالى : « وكان وراءهم ملك » : أي بين أيديهم وأمامهم . قال : « أترجو بنو مروان . . . البيت » : أي أممي . اه . وفي

(اللسان : وري) : وقوله عز وجل : « وكان وراءهم ملك » أي أمامهم . قال ابن بري : ومثله قول سوار بن المضرب : « أيرجو

بنو مروان . . . البيت » .

بمعنى أمامي ، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائي ، لأنك من ورائه ، فانت ملاقيه كما هو ملائيك ، فصار : إذ كان ملائيك ، كأنه من ورائك وأنت أمامه . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائي ، ولا إذا كان ورائك أن يقال : هو أمامي ، ويقول : إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل : ورائك برد شديد ، وبين يديك حر شديد ، لأنك أنت ورائه ، فجاز لأنه شيء يأتي ، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

وقوله (يَا أَخِذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) فيقول القائل : فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، معيها وغير معيها ، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها ، لأن ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ؟ قيل : إن معنى ذلك ، أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، ويدع منها كل معيبة ، لأنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها . فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) فأبان بذلك أنه إنما عابها ، لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتمى بذلك من أن يقال : وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : هي في حرف ابن مسعود : (وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا الحسن بن دينار ، عن الحكم بن عيينة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : في قراءة أبي : (وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) وإنما عتبها لأرددها عنها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وكان ورائهم ملك) "يأخذ كل سفينة غصبا" فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها . قال ابن جريج : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجبسي ، أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا : هدد بن بدد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الغلام ، فإنه كان كافرا ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما : يقول بغشيهما طغيانا ، وهو الاستكبار على الله ، وكفرا به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وقد ذكر ذلك في بعض الحروف . وأما الغلام فكان كافرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : (وأما الغلام فكان

كافراً) في حرف أُبِي ، وكان أبواه مؤمنين (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) وكان كافراً في بعض القراءة ، قوله (فَخَشِينَا) وهى في مصحف عبد الله (فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني : عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا » . والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن ، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشئ الذى يُدرك من غير جهة الحس والعيان . وقد بيّنا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى قوله (خَشِينَا) في هذا الموضع : كرهنا ، لأن الله لا يخشى . وقال في بعض القراءات : فخاف ربك ، قال : وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا ، وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما .

وقوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا) : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من قراء المكين والمدنيين والبصريين (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا) . وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدداً في عامة القرآن ، كقول الله عز وجل (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) ، وقوله (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) ، فألحق قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا بِهِ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا) بتخفيف الدال . وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول : أبدل يُبدل بالتخفيف وبَدَّل يُبدل بالتشديد : بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيبي . وقيل : إن الله عز وجل أبدل أبوى الغلام الذى قتله صاحب موسى منه بجارية .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا المبارك بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن قيس في قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) قال : بلغنى أنها جارية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، أخبرني سليمان بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول : أُبدل مكان الغلام جارية .

قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أنه سمع سعيد بن جبیر يقول : أبدل مكان الغلام جارية .

وقال آخرون : أبدلها ربهما بسلام مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) قال : كانت أمه حبلى يومئذ بسلام مسلم .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه ذكر الغلام الذي قتله الحضرمي ، فقال : قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب .

وقوله (خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) يقول : خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) قال : الإسلام .

وقوله (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) : أبرّ بوالديه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) : أي أقرب خيرا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقرب أن يرجمه أبواه منهما للمقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) : أرحم به منهما بالذي قتل الحضرمي . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : وأقرب أن يرجماه ، والرُّحْمُ : مصدر رحمت ، يقال : رَحِمْتَهُ رَحْمَةً وَرُحْمًا . وكان بعض البصريين يقول : من الرَّحِيمِ والقُرَابَةِ . وقد يقال : رُحْمٌ وَرُحْمٌ مثل عُسْرٍ وَعُسْرٍ ، وهَلْكَ وهَلْكَ ، واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج :

وَلَمْ تُعْرَجْ رُحْمٌ مِّنْ تَعْوَجًا

ولا وجه للرَّحِيمِ في هذا الموضع ، لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبوي المقتول ، فقربتهما من والديه ، وقربهما منه في الرَّحِيمِ سواء . وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرجم والديه فيبرهما كما

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٠) وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٣) قال في تفسير قوله تعالى : « وَأَقْرَبَ رُحْمًا » : معناها : معنى رحما ، مثل عسر ويسر ، وهلك وهلك قال العجاج : « ولم تعرج . . . البيت . » وفي (اللسان : رحم) : الرحم ، بالضم : الرحمة . وفي التنزيل : « وَأَقْرَبَ رُحْمًا » ، وقرئت رحما (بضمين) . وقال أبو إسحاق : أي أقرب عطفًا وأمس بالقرباية . والرحم والرحم (بضم الراء المشددة فيهما ، مع سكون الحاء أو ضحا) في اللغة : العطف والرحمة .

قال قتادة . وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه : وأقرب أن يرجمه ، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوله كذلك ، فإذا لم يكن فيه قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بيننا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَالِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى : وأما الحائط الذي أقمته ، فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز ، فقال بعضهم : كان مضمنا فيها عليم مدفونة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : كان تحته كنز علم .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبیر (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : كان كنز علم .

حدثنا محمد بن يشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : علم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : صحف لغلامين فيها علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : صحف علم . حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : ثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحبني حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : سطران ونصف ، لم يتم الثالث : «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح» وقد قال (وإن كان ميثقال حبة من خردل أتينا

بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) قالت : وذكر أنهما حَفِظَا بِصِلَاحِ أَبِيهِمَا ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حَفِظَا بِهِ سبعة آباء . كان ناسجا .

حدثني يعقوب . قال : ثنا الحسن بن حبيب بن ندبة . قال : ثنا سلمة بن محمد ، عن نعيم العنبري ، وكان من جلساء الحسن . قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم : عجبت لمن يؤمن كيف يحزن ؟ وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها ، كيف يطمئن إليها ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبيرة . عن ابن عباس أنه كان يقول : ما كان الكنز إلا علما :

حدثنا الحسن بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، في قوله (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : صُحُفٌ مِنْ عِلْمٍ :

حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، عن عمر مولى غُفْرَانِ ، قال : إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : كان لوحا من ذهب مصمت . مكتوبا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . عَجَبٌ مِمَّنْ عَرَفَ الْمَوْتَ ثُمَّ ضَحِكَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ نَصَبَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ أَمِنَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وقال آخرون : بل كان مالا مكنوزا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : كنز مال :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، مثله . حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا أبو داود ، عن شعبة ، قال : أخبرني أبو حصين ، عن عكرمة ، مثله ، قال شعبة : ولم نسمعه منه :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) قال : مال لهما ، قال قتادة : أُحِلَّ الْكَنْزُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَحُرِّمَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِلُّ مَنْ أَمْرَهُ مَا يَشَاءُ ، وَيُحَرِّمُ ، وَهِيَ السَّنَنُ وَالْفَرَائِضُ ، وَيُحِلُّ لِأُمَّةٍ ، وَيُحَرِّمُ عَلَى أُخْرَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مَضَى إِلَّا الْإِخْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ لَهُ .

❦ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله عكرمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما يكنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك ، لعل قد بيناها في غير موضع :

(١) عمر بن عبد الله المدني ، مولى غفرة ، بضم المعجمة ، قيل : هي أخت بلال بن رباح . توفي سنة ١٤٥ هـ (الحرزجي) .

وقوله (أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) يقول : فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته ، رحمة من ربك بهما ، يقول : فعلت فعل هذا بالجدار ، رحمة من ربك للقيمين .

وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) قال : حَفِظًا بِصَالِحِ أَبِيهِمَا ، وما ذكر منهما صلاح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بمثله .

وقوله (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) يقول : وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي ، ومن تلقاء نفسي ، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) كان عبدا مأمورا ، فمضى لأمر الله .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي .

وقوله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقول : هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني ، تأويل . يقول : ما تتول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها ، وإنكارك لها صبورا .

وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانا لأولياته ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها ، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى ، إذ لم يكن عالما بعواقبها ، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآثلة إلى الصواب في العاقبة ، ينبي عن صحة ذلك قوله : (وَابْتَكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا) . ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين ، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يحسب من لاعلم له بما الله مدبر فيهم ، نظرا منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الجزى الدائم .

القول في تاويل قوله تعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٤٩﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَأَلَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٥٠﴾ فَاتَّبِعْ سَبَبًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين ما كان شأنه ، وما كانت قصته ، فقل لهم : سأتلو عليكم من خبره ذكرا : يقول : سأقص عليكم منه خبرا . وقد قيل : إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين ، كانوا قوما من أهل الكتاب . فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل .

وأما الخبر بأن الذين سألوه ، كانوا قوما من أهل الكتاب ، فحدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب عن ابن هبيبة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب ، قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبه بن عامر نتحدث ، قال : فأتياه فقالا : جئنا لتحدثنا ، فقال : « كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت من عنده ، فلقيني قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه ، فأخبرته ، فقال ما لي وما لهم ما لي علم إلا ما علمني الله ، ثم قال : اسكب لي ماء ، فتوضأ ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه ، ثم قال : أدخلهم علي ، ومن رأيت من أصحابي فدخلوا فقاموا بين يديه ، فقال : إن شئتم سألتهم فأخبرتكم عما نجدونه في كتابكم مكتوبا ، وإن شئتم أخبرتكم ، قالوا : بلى أخبرنا ، قال : جئتم تسألوني عن ذى القرنين ، وما تجدونه في كتابكم : كان شابا من الروم ، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية ؛ فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في الساء ، فقال له ما ترى ، فقال : أرى مدينتي ومدائن ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتي ، ثم علا به فقال : ما ترى ؟ قال : أرى الأرض ، قال : فهذا اليم محيط بالدنيا ، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل ، وثبت العالم ، فأتى به السد ، وهو جبالان لينان يزلق عنهما كل شيء ، ثم مضى به حتى جاوز بأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى ، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون بأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد ساهم .

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين : ذوالقرنين ، فقال بعضهم : قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك ، ثم أُحْيِي فُضْرِبَ على القرن الآخر فهلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبيد المكتيب ، عن أبي الطُّفَيْلِ ، قال : سألت ابن الكواء عليا عن ذى القرنين ، فقال : هو عبد أحب الله فأحبه ، وناصح الله فنصحته ، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه ، ثم بعثه الله ، فضربوه على قرنه فمات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، قال : سئل عليّ رضوان الله عليه عن ذى القرنين ، فقال : كان عبدا ناصح الله فناصحه ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه فمات ، فسمى ذا القرنين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا وسألوه عن ذى القرنين أنبيا كان؟ قال : كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه ، وناصح الله فنصحته ، فبعثه الله إلى قومه ، فضربوه ضربتين في رأسه ، فسمى ذا القرنين ، وفيكم اليوم مثله . وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين ملكا ، فقيل له : فلم سمي ذا القرنين؟ قال : اختلف فيه أهل الكتاب ، فقال بعضهم : ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين . وقال آخرون : إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا من لآتهم عن وهب بن منبه اليماني ، قال : إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس . وقوله (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول : إنا وطأنا له في الأرض . (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول : وآتيناه من كل شيء : يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول : علما . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) : أي علما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) قال : من كل شيء علما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) قال : علم كل شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) علما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول : علما .

وقوله (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) اختلفت القراءة في قراءة ذلك . فقراءته عامة قرآء المدينة والبصرة . فاتَّبَعَ بوصول الألف . وتشديد التاء . بمعنى : سلك وسار ، من قول القائل : اتبعت أثر فلان : إذا قفوتته ؛ وسرت وراءه . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (فَاتَّبَعَ) بهمز الألف . وتخفيف التاء ، بمعنى لحق . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه (فَاتَّبَعَ) بوصول الألف . وتشديد التاء ؛ لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين في الأرض التي مكن له فيها ، لاعتن لحاقه السبب . وبذلك جاء تأويل أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد : قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) يعنى بالسبب : المنزل .
حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : في قوله (سَبَبًا) قال : منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : طريقا في الأرض .
حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) : اتبع منازل الأرض ومعالمها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون (يا هامان ابن لي صرّحا لعلّي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات) قال : طرق السموات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : منازل الأرض .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : المنازل .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ ۖ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُخَذِّفُهُمْ حَسَنًا ﴿١٠﴾

(١) عبارة الدر : هذه الآن الطرق ، ثم قال : والشئ يكون اسمه واحدا ، وهو متفرق في المعنى .

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : (حتى إذا بَلَغَ) ذو القرنين (مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ، فاختلقت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) بمعنى : أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة ، وقرأته جماعة من قراء المدينة ، وعامة قراء الكوفة (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يعنى أنها تغرب في عين ماء حارّة .

واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته :

ذكر من قال (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قال : في طين أسود .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قال : ذات حمأة .

حدثنا الحسين بن الجعيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن عثمان بن حاضر ، قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : قرأ معاوية هذه الآية ، فقال : (عَيْنٍ حَامِيَةٍ) فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، قال : فجعلنا كعبا بينهما ، قال : فأرسلنا إلى كعب الأحمار ، فسألاه ، فقال كعب : أما الشمس فإنها تغيب في ثأط ، فكانت على ما قال ابن عباس ، والثأط : الطين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ثنى نافع بن أبي نعيم : قال : سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول : كان ابن عباس يقول (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ثم فسرها : ذات حمأة ، قال نافع : وسئل عنها كعب ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قال : هي الحمأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قال : ثأط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله عز ذكره (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قال : ثأط .

قال : وأخبرني عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : قرأت (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) وقرأ عمرو بن العاص (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) فأرسلنا إلى كعب ، فقال : إنها تغرب في حمأة طينة سوداء . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) والحمئة : الحمأة السوداء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .

وقال آخرون : بل هي تغيب في عين حارة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يقول : في عين حارة .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) قال : حارة .

حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) قال : حارة ، وكذلك قرأها الحسن .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأملار ، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم ، وكلا وجهيه غير منفسد أحدهما صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حماة وطين ، فيكون القارئ في عين حامية بصفتها التي هي لها ، وهي الحرارة ، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حماة وطين . وقد روى بكلا صيغتيها اللتين قلت إنهما من صفتيها أخبار .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوام ، قال : ثنا مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله ، قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت ، فقال : في نار الله الحامية ، في نار الله الحامية ، لولا ما يزرعها من أمر الله لا حترقت ما على الأرض » .

حدثني الفضل بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه (حَمِيَّة) .

وقوله (وَوَجَدَهَا عِنْدَهَا قَوْمًا) ذكر أن أولئك القوم يقال لهم : ناسك . وقوله (قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) يقول : إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله ، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم (وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) يقول : وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿١٧﴾

يقول جل ثناؤه (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) يقول : أما من كفر فسوف نقتله . كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) قال : هو القتل . وقوله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) يقول : ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله ، فيعذب به عذاباً عظيماً ، وهو النكر ، وذلك عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

يقول : وأما من صدق الله منهم ووجده ، وعمل بطاعته ، فله عند الله الحسنى ، وهي الجنة ، جزاء يعني ثوابا على إيمانه ، وطاعته ربه .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فله جَزَاءُ الْحُسْنَى) برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى .

وإذا قرئ ذلك كذلك ، فله وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يجعل الحسنى مرادا بها إيمانه وأعماله الصالحة ، فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك :

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها ، يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة .

والوجه الثاني : أن يكون معنيا بالحسنى : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها ، كما قيل (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

خَيْرٌ) والدار : هي الآخرة ، وكما قال (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) والدين : هو القيم .

وقرأ آخرون : (فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى) بمعنى : فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر ،

بمعنى : يجازيهم جزاء الجنة :

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه (فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى) بنصب الجزاء وتنوينه

على المعنى الذي وصفت ، من أن لهم الجنة جزاء ، فيكون الجزاء نصبا على التفسير .

وقوله (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) يقول : وسنعلمه نحن في الدنيا ما نيسر لنا تعليمه مما يقربه

إلى الله ويلين له من القول : وكان مجاهد يقول نحو مما قلنا في ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني احارث ، قال : ثنا

الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) قال معروف ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا

﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم سار وسلك ذوالقرنين طرقا ومنازل .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قوله (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا) يعني منزلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا) منازل الأرض ومعالمها

(حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلُّع على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً) :
يقول تعالى ذكره : ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ، وذلك أن أرضهم
لا جبل فيها ولا شجر . ولا تختمل بناء . فيسكنوا البيوت . وإنما يغورون في المياه ، أو يتسربون في الأسراب .
كما حدثني إبراهيم بن المستمر . قال : ثنا سليمان بن داود وأبو داود ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت
السراج . عن الحسن (تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : كانت أرضاً لا تختمل
البناء . وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء ، فإذا غربت خرجوا يتراءعون ، كما ترعى البهائم ،
قال : ثم قال الحسن : هذا حديث سمرة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَانٍ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ ،
وَأِنَّمَا يَكُونُونَ فِي أَسْرَابٍ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا زَالَتْ عَنْهُمْ ، الشَّمْسُ خَرَجُوا إِلَى مَعَايِشِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ ، قَالَ : كَذَلِكَ
وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَبْرًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج في قوله (وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى
قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : لم يبنوا فيها بناء قط ، ولم يُسَبَّنْ عليهم فيها بناء قط ، وكانوا
إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم ليس
فيها جبل ، وجاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلعنَّ عليكم الشمس وأنتم بها ، فقالوا : لا نبرح حتى
تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا ، قال : فذهبوا
هاربين في الأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (تَطْلُعُ
عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء ،
فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس ، حتى تزول عنهم ، ثم يخرجون إلى معاشهم .
وقال آخرون : هم الزنج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (تَطْلُعُ
عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : يقال : هم الزنج .
وأما قوله (كَذَلِكَ) فإن معناه : ثم أتبع سبباً كذلك ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس ؛ وكذلك : من
صلة أتبع . وإنما معنى الكلام : ثم أتبع سبباً . حتى بلغ مطلع الشمس ، كما أتبع سبباً حتى بلغ مغربها :
وقوله (وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَبْرًا) يقول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علماً ، لا يخفى علينا
ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ، ولا من غيرهم ، شيء .
وبالذی قلنا فی معنی الخبر ، قال أهل التأویل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قوله (خُسْبِرًا) قال : علما .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) قال : علما .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : ثم سار طرقا ومنازل ، وسلك سبلا (حتى إذا بلغ بين السدَّينِ) .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (حتى إذا بلغ بين السدَّينِ) بضم السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين . وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله . وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين في هذه السورة ، ويضم السين في يس ، ويقول : السد بالفتح : هو الحاجز بينك وبين الشيء ؛ والسد بالضم : ما كان من غشاوة في العين . وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله (حتى إذا بلغ بين السدَّينِ) فإنهم ضموا السين في ذلك خاصة .
وروي عن عكرمة في ذلك ، ما حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما كان من صنعة بني آدم فهو السد ، يعني بالفتح ، وما كان من صنع الله فهو السد . وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء ، وعكرمة بين السد والسد ، لأننا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكى عنهما . ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذي روي لنا عنهم في ذلك قول ، لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ، ولو كانا مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله ، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق ، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك . وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك ، فإن الذي نقل ذلك عن أيوب هارون ، وفي نقله نظر ، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه . والسد والسد جميعا : الحاجز بين الشيتين ، وهما ههنا فيما ذكر جبلان سد ما بينهما ، فردم ذوالقرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ، ليقطع ماد غوائلهم وعيهم عنهم .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (حتى إذا بلغ بين السدّين) قال : الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج ، أمتين من وراء ردم ذي القرنين ، قال : الجبلان : أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد : قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى إذا بلغ بين السدّين) وهما جبلان . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بين السدّين) يعني بين جبلين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بين السدّين) قال : هما جبلان .

وقوله (وجدّ من دونيهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) يقول عزّ ذكره : وجد من دون السدّين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (يفقهون) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (يفقهون قولا) بفتح القاف والياء ، من فقه الرجل يفقهه فقها . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يفقهون قولا) بضم الياء وكسر القاف : من أفقته فلانا كذا أفقته إفاها : إذا فهمته ذلك . والصواب عندي من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، غير دافعة إحداهما الأخرى ، وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم ، فيكون صوابا القراءة بذلك . وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعل : إما بألسنتهم ، وإما بمنطقهم ، فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا .

وقوله (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) اختلفت القراء في قراءة قوله (إن يأجوج ومأجوج) فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم (إن يأجوج ومأجوج) بغير همز على فاعول من يمجج ومججت ، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين ، غير عاصم بن أبي النجود والأعرج ، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا ، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام ، وكأنهما جعلتا يأجوج : يفعل من أججت ، ومأجوج : مفعول .

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ، أن (يأجوج ومأجوج) بألف بغير همز لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج .

لَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مَعًا وَعَادًا عَادُوا وَاسْتَجَاشُوا تَبَعًا

رهم أمتان من وراء السدّ .

(١) البيت لرؤبة بن العجاج (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٩٢) قال : « يأجوج ومأجوج ، لا ينصرفان . وبعضهم يهمز ألفيهما ،

وقوله (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأممين ، فقال بعضهم : كانوا يأكلون الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) قال : كانوا يأكلون الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض ، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون .

ذكر من قال ذلك ، وذكر صفة اتباع ذى القرنين الأسباب التي ذكرها الله

في هذه الآية ، وذكر سبب بنائه للردم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ، ممن قد أسلم ، مما توارثوا من علم ذى القرنين ، أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزيبا بن مردبة اليوناني ، من ولد يونن بن يافث بن نوح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، وكان خالد رجلا قد أدرك الناس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَّحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ » قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول : يا ذا القرنين ، فقال : اللهم غفرا ، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء ، حتى تسموا بأسماء الملائكة ؟ فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فالحق ما قال ، والباطل ما خالفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من لا أتهم عن وهب ابن منبه اليماني ، وكان له علم بالأحاديث الأولى ، أنه كان يقول : ذوالقرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمي ذا القرنين . أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ؛ فلما بلغ وكان عبدا صالحا ، قال الله عز وجل له : يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض ، وهي أمم مختلفة ألسنتهم ، وهم جميع أهل الأرض ؛ ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ؛ ومنهم أمتان

= وبعضهم لا يهزها ؛ قال رؤبة : « لو أن يأجوج ومأجوج معا » فلم يصر فهما . (وفي اللسان : أجاج) . ويأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله ، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز . قال : وجاء في الحديث « إن الخلق عشرة أجزاء ، تسعة منها يأجوج ومأجوج . وهما اسمان أعجميان ، واشتقاق مثلهما من كلام العرب ، يخرج من أجت النار ، ومن الماء الأجاج ، وهو الشديد الملوحة ، المحرق من ملوحته . قال : ويكون التقدير في يأجوج : « يفعل » . وكذلك مأجوج . قال : وهذا لو كان الاسمان عربيان ، لكان هذا اشتقاقهما ؛ فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية . ومن لا يهز وجعل الألفين زائدتين ، يقول : يأجوج : من يججت ، وماجوج : من مججت وهما غير مصروفين ؛ قال رؤبة : لو أن يأجوج وماجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تبعا . ٥١

بينهما عرض الأرض كله ، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض : فأمة عند مغرب الشمس ، يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض ، فأمة في قطر الأرض الأيمن ، فقال لها : هاويل . وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها : تاويل ؛ فلما قال الله له ذلك ، قال له ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يتقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها ، بأى قوة أكابريهم ، وبأى جمع أكابريهم ، وبأى حيلة أكابريهم ، وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أعي قولهم ، وبأى بصر أفقدهم ، وبأى حجة أخاصمهم ، وبأى قلب أعقل عنهم . وبأى حكمة أدبر أمرهم ، وبأى قسط أعدل بينهم ، وبأى حلم أصابهم ، وبأى معرفة أفصل بينهم ، وبأى علم أتقن أمورهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطوهم ، وبأى طاقة أخصمهم ، وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أستألفهم ، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم ، وأنت الرب الرحيم ، الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يحملها إلا طاقتها ، ولا يعنتها ولا يفدحها ، بل أنت ترأفها وترحمها . قال الله عز وجل : إني سأطوئك ما حملت لك ، أشرح لك صدرك ، فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء ، وأبسط لك لسانك ، فتتطق بكل شيء ، وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء ، وأمد لك بصرك ، فتنفذ كل شيء ، وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء ، وأحصي لك فلا يفوتك شيء ، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء ، وأشد لك ظهرك ، فلا يهدك شيء ، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء ، وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء ، وأسخر لك النور والظلمة ، فأجعلهما جندا من جنودك ، يهديك النور أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك ، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء ، وأبسط لك من بين يديك ، فتسطو فوق كل شيء ، وأشد لك وطأتك ، فتهد كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء .

ولما قيل له ذلك ، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس ، فلما بلغهم ، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله ، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة ، وقلوبا متفرقة ؛ فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها ، فأحاطتهم من كل مكان ، وحاشتهم حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور ، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته ، فمنهم من آمن له ، ومنهم من صد ، فعمد إلى الذين تولوا عنه ، فأدخل عليهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم ودورهم ، وغشيتهم من فوقهم ، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم ، فاجوا فيها وتحيروا ؛ فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ، فدخلوا في دعوته ، فجنّد من أهل المغرب أمما عظيمة ، فجعلهم جندا واحدا ، ثم انطلق بهم يقودهم ، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم ، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم ، وهو يسير في ناحية الأرض النبي ، وهو يريد الأمة

(١) يقال : رأف به يرأف : إذا رحمه ، وهو بوزن فتح وكرم وفرح ، ويعدى بالباء ، كما في اللسان ، ولعل هنا مضمن معنى رثمه ، فعدى بنفسه ، أو محرف عن ترأفها .

التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقابه ونظره واثمارة ، فلا يخطئ إذا ائتمر ، وإذا عمل عملا أتقنه . فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه ، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال ، فنظمها في ساعة ، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود ، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ، ثم دفع إلى كل إنسان لوحا فلا يكرثه حملة ، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ، فعمل فيها كعمله في ناسك . فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها وجند منها جنودا ، كفعله في الأمتين اللتين قبلها ، ثم كرم مقبلا في ناحية الأرض اليسرى ، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بجبال هاويل ، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله ؛ فلما بلغها عمل فيها ، وجند منها كفعله فيما قبلها ؛ فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس ، ويأجوج ومأجوج ؛ فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق ، قالت له أمة من الإنس صالحة : ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للإنس^١ ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع ، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب ، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد ، ولا يزداد كزيادتهم ، ولا يكثر ككثرتهم ، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نماءهم وزيادتهم ، فلا شك أنهم سيملثون الأرض ، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها ، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم ، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين (فهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ : مَا مَكِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أعدوا إلى الصخور والحديد والنحاس حتى ارتاد بلادهم ، وأعلم علمهم ، وأقيس ما بين جبالهم . ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم ، فوجدهم على مقدار واحد ، ذكرهم وأنثاهم ، مبالغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا ، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا ، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحنك كأحنك الإبل ، قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل ، أو كقضم الفحل المسن ، أو الفرس القوى ، وهم هلب ، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم ، وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم ؛ ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان : إحداهما وبرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما ، يلتحف إحداهما ، ويفترش الأخرى ، ويصيف في إحداهما ، ويشتي في الأخرى ، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجاه الذي يموت فيه ، ومنقطع عمره ، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت ، وهم يرزقون التين أيام الربيع ، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث حينه ، فيقذفون منه كل سنة بواحد ، فيأكاونه عامهم كاه إلى مثاه من العام القابل ، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم ، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا ، ورؤى أثره عليهم ، فدرت عليهم الإناث ، وشبقت منهم الرجال

(١) في (عرائس المجالس للثعلبي المفسر ، طبعة : الحلبي ص ٣٦٥) ليس فيهم مشابهة من الإنس ، وهو أليق بالمقام .

الذكور ، وإذا أخطأهم هزّلوا وأجدبوا ، وجفرت الذكور ، وحالت الإناث ، وتبين أثر ذلك عليهم ، وهم يتداعون تداعى الحمام ، ويعوون عواء الكلاب ، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم .

فلما عاين ذلك منهم ذوالقرنين انصرف إلى ما بين الصّدّفين ، ففاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس ، فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ ؛ فلما أنشأ في عمله ، حفر له أساسا حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ، وجعل حشوه الصخور ، وطينه النحاس ، يذاب ثم يُصبّ عليه ، فصار كأنه عيرق من جبل تحت الأرض ، ثم علاه وشرّفه بزُبُر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عيرقا من نحاس أصفر ، فصار كأنه بُرد محبّر من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد ؛ فلما فرغ منه وأحكمه ، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن ، فبينما هو يسير ، دفع إلى أمة صالحه يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، فوجد أمة مقسطة مقتصدة ، يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ، ويتأسون ويتراخون ، حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة ، وأخلاقهم مشتبّهة ، وطريقتهم مستقيمة ، وقلوبهم متألّفة ، وسيرتهم حسنة ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ، وليس على بيوتهم أبواب . وليس عليهم أمراء ، وليس بينهم قضاة ، وليس بينهم أغنياء ، ولا ملوك ، ولا أشراف ، ولا يتفاوتون ، ولا يتفاضلون ، ولا يختلفون ، ولا يتنازعون ، ولا يستبّون ، ولا يقتتلون ، ولا يتفحطون ، ولا يحدون ، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ، ولا فقير ، ولا فظّ ، ولا غليظ ؛ فلما رأى ذلك ذوالقرنين من أمرهم ، عجب منه ؛ وقال : أخبروني أيها القوم خبركم ، فلما قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها ، وشرقها وغربها ، ونورها وظلمتها ، فلم أجد مثلكم ، فأخبروني خبركم ؛ قالوا : نعم ، فسلنا عما تريد ، قال : أخبروني ، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ، ولا يخرج ذكره من قلوبنا ؛ قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا : ليس فينا منهم ، وليس منا إلا أمين مؤتمن ؛ قال : فما لكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لا ننظام ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم حكام ؟ قالوا : لا نختم ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لا نتكاثر ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لا نتكابر ؛ قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قبيل ألفة قلنا وصلاح ذات بيننا ؛ قال : فما بالكم لا تستبّون ولا تقتتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعا بالعزم ، وفسنا أنفسنا بالأحلام ؛ قال : فما بالكم كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة مستوية ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب ، ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا ؛ قال : فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سيرتكم ؟ قالوا : صحّت صدورنا ، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أنا نقسم بالسوية ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذلّ والتواضع ؛ قال : فما جعلكم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل ؛ قال : فما بالكم لا تتفحطون ؟ قالوا : لا نغفل عن الاسغفار ؛ قال : فما بالكم لا تحردون ؟ قالوا : من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا ، وأحببناه وحرصنا عليه ، فعربنا منه ؛ قال : فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس ؟ قالوا : لا نتوكل على غير الله ، ولا نعمل

بالأنواء والنجوم ؛ قال : حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويؤاسون فقراءهم ، ويعفون عن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلمون عن جهل عليهم ، ويستغفرون لمن سبهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدون أماناتهم ، ويحفظون وقتهم لصلاتهم ، ويؤفون بعهودهم ، ويصدقون في مواعيدهم ، ولا يرغبون عن أكفأهم ، ولا يستنكفون عن أقاربهم ، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم ، وحفظهم ما كانوا أحياء ، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا ، فيعيده الله وهو كهيئته يوم تركوه ، حتى إذا جاء الوقت قال : إن شاء الله ، فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فينشفون المياه ، ويتحصن الناس في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فيرجع فيها كهيئة الدماء ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ، فبغت الله عليهم نغفا في أقطابهم فتقتلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من الحومهم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ثم الظفرى ، عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون ، فيغشون الأرض ، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم ، فيشربون مياه الأرض ، حتى إن بعضهم ليتمر بالنهر فيشربون ما فيه ، حتى يتركوه يابسا ، حتى إن من بعدهم ليتمر بذلك النهر ، فيقول : لقد كان هاهنا ماء مرة ، حتى لم يبق من الناس أحد إلا انحاز إلى حصن أو مدينة ، قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ، بقى أهل السماء ، قال : ثم يهزأ أحدهم حربته ، ثم يرمى بها إلى السماء ، فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة ، فبيناهم على ذلك ، بعث الله عليهم دودا في أعناقهم كالنغف ، فتخرج في أعناقهم فيصيحون موتى ، لا يسمع لهم حس ، فيقول المسلمون : ألا رجل يشرى لنا نفسه ، فينظر ما فعل العدو ، قال : فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه ، قد وطنها على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى ، بعضهم على بعض ، فينادى : يا معشر المسلمين ، ألا أبشروا ، فإن الله قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ، ويسرحون مواشيهم ، فما يكون لها رعى إلا الحومهم ، فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شئ من النبات أصابت قط » .

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية ، عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد : أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف : صنف طولهم كطول الأرز ، وصنف طوله وعرضه سواء ، وصنف يفتش أحدهم أذنه . وياتحف بالأخرى فتغطى سائر جسده .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) قال : كان أبو سعيد الخدري يقول : « إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل » . قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صابه .

فالحبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج ، يدل على أن الذين قالوا لذي القرنين (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد في الأرض ، لأنهم شككوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم . والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض ، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد .

فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيننا ، فالصحيح من تأويل قوله (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض .

وقوله (فهل نجعل لك خراجا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (فهل نجعل لك خراجا) كأنهم نحووا به نحو المصدر من خراج الرأس ، وذلك جعله . وقراءته عامة قراء الكوفيين (فهل نجعل لك خراجا) بالألف ، وكأنهم نحووا به نحو الاسم ، وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم .

وأولى القراءتين في ذلك عدنا بالصواب قراءة من قرأه (فهل نجعل لك خراجا) بالألف ، لأن القوم فيما ذكر عنهم ، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد ، وقد بين ذلك بقوله (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) ولم يعرضوا عليه جزية رعوهم . والخراج عند العرب : هو الغلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (فهل نجعل لك خراجا) قال : أجرا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فهل نجعل لك خراجا) قال : أجرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خِرَاجًا) قال : أجرا .

وقوله (عَلَيَّ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن نجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ، ويمنعهم من الخروج إلينا ، وهو السد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال ذو القرنين : الذي مكنتني في عمل ما سألتوني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي ، ووطأه لي ، وقواني عليه ، خير من جعلكم ، والأجرة التي تعرضونها علي لبناء ذلك ، وأكثر وأطيب ، ولكن أعينوني منكم بقوة ، أعينوني بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ما مكنتني فيه ربي خيرا) فأعينوني بقوة) قال : برجال (أجعل بينكم وبينهم ردا) وقال ما مكنتني ، فأدغم إحدى النونين في الأخرى ، وإنما هو ما مكنتني فيه . وقوله : (أجعل بينكم وبينهم ردا) يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردا . والردم : حاجز الحائط والسد ، إلا أنه أمتع منه وأشد ، يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردا ما وردا ما ويقال أيضا : ردا ثم ثوبه يردمه ، وهو ثوب مردم : إذا كان كثير الرقاع ؛ ومنه قول عنتره :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُرْدَمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ ٢
ويتحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أجعل بينكم وبينهم ردا) قال : هو كأشد الحجاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : انشعته لي ، قال : كأنه البرد المحبر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء ، قال : قد رأيتته » .

(١) الردام : مصدر ردم يردم (بالضم في المضارع) رداما : ضرب . (عن اللسان) .

(٢) البيت لعنتره بن عمرو بن شداد العبسي ، من معلقته المشهورة (انظره في شرح الزوزني للمعلقات السبع ، وشرح التبريزي للقوائد العشر ، وختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفي السقا طبعة الحلبي ص ٣٦٩) قال شارحه : مردم : موضع يسترقع ويستفليح لوهنه ووهيه ، من قولهم : ردمت الشيء إذا أصلحته ، وقويت ما وهى منه . ويروي : مترم ، من الترم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول : هل ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد أصلحوه ، أو هل تركت الشعراء شيئا إلا رجعوا نغماته بإنشاء الشعر في وصفه ؟ والمعنى : لم يترك الأول للآخر شيئا . ثم أضرب عن ذلك ، وسأل نفسه : هل عرفت دار عشيتك ، بعد شكك فيها ؟ وفي (اللسان : ردم) : والمتردم : الموضع الذي يرقع . ويقال : تردم الرجل ثوبه : أي رقعته يتعدى ، ولا يتعدى . ابن سيده : ثوب مردم ، ومرتدم ، ومتردم ، وملوم : خلق مرقع ؛ قال عنتره : * هل غادر الشعراء من مردم * ... البيت . معناه : أي مستفليح . قال ابن سيده : أي من كلام يلصق بعضه ببعض ويلبِق : أي قد سبقونا إلى القول فلم يدعوا مقالا لقائل .

القول في تاويل قوله تعالى :

ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٤١﴾
فَمَا اسْطَعُوا أَن يَصُرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٤٢﴾

يقول عز ذكره : قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين ياجوج ومأجوج سدًا (آتوني) : أى جيئوني بزُبَرَ الحديد . وهى جمع زُبْرَة ، والزُبْرَة : القطعة من الحديد .

كما حدثني عليّ . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) يقول : قطع الحديد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عليّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني محمد بن شمارة الأسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آتوني زُبَرَ الحديدِ) : أى فَلَاقَ الحديدِ . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :

(آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد . وقوله (حتى إذا ساوى بين الصدفين) يقول عز ذكره : فآتوه زُبَرَ الحديدِ ، فجعلها بين الصدفين

حتى إذا ساوى بين الجباين بما جعل بينهما من زُبَر الحديدِ ، ويقال : سوى . والصدفان : ما بين ناحيتي الجباين ورؤوسهما ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ أَخَذَتْ مَا بَيْنَ عَرْضِ الصَّدْفَيْنِ نَاحِيَتَيْهَا وَأَعَالَى الرَّكْنَيْنِ^١

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٤١٤) قال : « بين الصدفين » : فبعضهم يضمها ، وبعضهم يفتحها (الصاد المشددة) يحرك الدال . ومجازهما : ما بين الناحيتين من الجباين . وقال : « قد أخذت . . . البيتين » . ولم ينسبها . وفى (اللسان : صدف) : والصدفان (بالتحريك) والصدفان بضمهما : جبلان متلاقيان بيننا وبين ياجوج ومأجوج . وفى التنزيل العزيز : « حتى إذا ساوى بين الصدفين » : قرئ الصدفين (بالتحريك) والصدفين بضمهما ، والصدفين (بضم الأول وفتح الثانى) . وفى هامش اللسان : « وبقيت رابعة : الصدفين كعضوين كما فى القاموس . (ثم قال فى اللسان : وفى الحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا مر بصدف أو هدف مائل أسرع المشى » . ابن الأثير : هو بفتحيتين وضميتين . قال أبو عبيدة : الصدف والهدف : واحد ، وهو كل بناء مرتفع عظيم . قال الأزهرى : وهو مثل صدف الجبل ، شبه به ، وهو ما قابلك من جانبه . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بين الصّدّ قَتَيْنِ) يقول : بين الجبلين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (حتى إذا بلغ بين السّدَيْنِ) قال : هو سدّ كان بين صدّفين ، والصدفان : الجبلان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصّدّ قَتَيْنِ) رءوس الجبلين . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (بين الصّدّ قَتَيْنِ) يعني الجبلين ، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى إذا ساوى بين الصّدّ قَتَيْنِ) وهما الجبلان .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قرأها (بين الصّدّ قَتَيْنِ) منصوبة الصاد والداد ، وقال : بين الجبلين ، وللعرب في الصدفين : لغات ثلاث ، وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القراء الفتح في الصاد والداد ، وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة والكوفة ؛ والضمّ فيهما ، وهي قراءة أهل البصرة ؛ والضمّ في الصاد وتسكين الدال ، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة . والفتح في الصاد والداد أشهر هذه اللغات ، والقراءة بها أعجب إلىّ ، وإن كنت مستجيزا القراءة بجميعها ، لاتفاق معانيها . وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة .

وقوله (قال انفخُوا) يقول عزّ ذكره ، قال للفعلة : انفخوا النار على هذه الزُّبر من الحديد .

وقوله (حتى إذا جعله ناراً) وفي الكلام متروك ، وهو : فنفخوا ، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد ناراً (قال آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) فاختلقت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (قال آتُونِي) بمدّ الألف من (آتُونِي) بمعنى : أعطوني قطرا أفرغ عليه . رقرأه بعض قراء الكوفة ، قال (ائتُونِي) بوصل الألف ، بمعنى : جيئوني قِطْرًا أفرغ عليه ، كما يقال : أخذت الحطام ، وأخذت بالحطام ، وجئتك زيدا ، وجئتك بزيد . وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرئ كذلك إلى معنى أعطوني ، فيكون كأنّ قارئه أراد مدّ الألف من آتوني ، فترك الهمزة الأولى من آتوني ، وإذا سقطت الأولى همز الثانية .

وقوله (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) يقول : أصبّ عليه قِطْرًا ، والقِطْرُ : النُّحاس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أفرغ عليه قطراً) قال : القطر : النحاس .
 حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (أفرغ عليه قطراً) : يعني النحاس .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفرغ عليه قطراً) أي النحاس ليلزمه به .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أفرغ عليه قطراً) قال : نحاس .
 وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : القطر : الحديد المذاب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

حُساما كَدَوْنَ المِلْحِ صَافٍ حَديدُهُ جُرَّازًا مِنْ أَقْطَارِ الحَديدِ المُنْعَتِ ١

وقوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) يقول عز ذكره : فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ، الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم ، وبين من دونهم من الناس ، فيصبروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس ، يقال منه : ظهر فلان فوق البيت : إذا علاه ؛ ومنه قول الناس : ظهر فلان على فلان : إذا قهره وعلاه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) يقول : ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) من فوقه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) : أي من أسفله .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : ما استطاعوا أن ينزعوه .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٥) عند تفسير قوله تعالى : (أفرغ عليه قطرا) قال : أي أصب عليه حديدا ذاتيا ، قال : « حساما . . . البيت » : جمع قطر ، وجعله بعضهم الرصاص النقرة . اه . وفي (اللسان : قطر) والقطر بالكسر : النحاس الذائب ، وقيل ضرب منه آه . وفي (اللسان : جرز) : وسيف جراز : قاطع . قال : ويقال : سيف جراز : إذا كان مستأصلا . والحراز من السيوف : الماضي النافذ . اه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : أن يرتقوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : أن يرتقوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : يعلوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) : أي ينقبوه من أسفله .

واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا) فقال بعض نحوي البصرة : فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول : استطاع يسطيع ، يريدون بها : استطاع يسطيع ، ولكن حذفوا التاء إذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد . قال : وقال بعضهم : استاع ، فحذف الطاء لذلك . وقال بعضهم : استطاع يسطيع ، فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع ، فجعل السين عوضاً من إسكان الواو ١ . وقال بعض نحوي الكوفة : هذا حرف استعمل فكثير حتى حذف .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٤١﴾

يقول عز ذكره : فلما رأى ذوالقرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم ، ولا يقدر على نقبه ، قال : هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الأمة ، ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس ، فأعاني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم . وقوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) يقول : فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم ، جعله دكاء ، يقول : سواه بالأرض ، فألزقه بها من قولهم : ناقة دكاء : : مستوية الظهر لاسنام لها . وإنما معنى الكلام : جعله مدكوكا ، فقيل : دكاء .

وكان قتادة يقول في ذلك : حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) قال : لأدرى الجبلين يعني به ، أو ما بينهما . وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال .

ذكر الخبر بذلك

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفارة العبدي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَقَبْتُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَسَدَّ أَكْرُؤُا مَرَّ السَّاعَةِ ، وَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَاعِلَّمْ لِي بِهَا ، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : لَاعِلَّمْ لِي بِهَا ،

(١) أي عوضاً من ذهاب حركة الواو ، كما في اللسان .

فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ عَيْسَىٰ ۖ قَالَ عَيْسَىٰ : أَمَّا قِيَامُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنَّ رَبِّي قَدْ
عَهَدَ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا دُونَ وَقْتِهَا . عَهْدَ إِلَىٰ أَنَّهُ الدَّجَالُ خَارِجٌ ، وَأَنَّهُ مُهْبِطِي إِلَيْهِ ،
فَذَكَرَ أَنَّهُ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ ، فَإِذَا رَأَىٰ أُمَّةً مِنْكُمْ ، فَذَكَرَ أَنَّهَا كَمَا يَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ ،
حَتَّىٰ إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَتَّقُونَ : يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ ، فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ ، وَيَرْجِعُ
النَّاسُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ،
لَا يَأْتُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىٰ ،
فَيَشْكُونَهُمْ ، فَأَدْعُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُمِيتُهُمْ حَتَّىٰ تَجُودِي الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِهِمْ ، فَيَنْزِلُ
الْمَطَرُ ، فَيَجْعَلُ أَجْسَادَهُمْ ، فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَنْسِفُ الْجِبَالَ حَتَّىٰ تَكُونَ الْأَرْضُ
كَالْأَدِيمِ ، فَعَهْدَ إِلَىٰ رَبِّي أَنَّهُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ السَّيِّئِ
لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَىٰ تَفْجَأُوهُمْ بِوِلَادِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا .

حدثني عبيد بن إسماعيل ، قال : ثنا المحاربي ، عن أصعب بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة
ابن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم
التي هو إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . فتذاكروا أمر الساعة « فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقي
عن هشيم ، وزاد فيه : قال العوام بن حوشب : فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ، قال الله عزَّ
وجلَّ (حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ
الْحَقُّ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ،
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) يقول : وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في ذلك هذا الردم ، وخروج هؤلاء القوم
على الناس ، وعيبتهم فيه ، وغير ذلك من وعده حقا ، لأنه لا يخالف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ۖ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرْضًا ﴾

يقول تعالى ذكره : وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم ، بأنا نذكركم الجبال وتنتسيفها عن
الأرض نسفا ، فنذرنا قاعا صافصفا ، بعضهم يمج في بعض ، يقول : يختلط جنهم بإنسهم .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن شيخ من بني فزارة ، في
قوله (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) قال : إذا ماج الجن والإنس ، قال إبليس : فأنا
أعلم لكم علم هذا الأمر ، فيظعن إلى المشرق ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب ،
فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة قطعوا الأرض ،
فيقول : ما من محيص ، فيينا هو كذلك ، إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذريته ، فيينا هم

عليه ، إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنا من خزان النار ، قال : يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ، ألم تكن في الجنان ؟ فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض على فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه ، فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة ، فيقول : ماهي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار ، فيتلكأ عليه ، فيقول ١ به وبذريته بجناحيه ، فيقذفهم في النار ، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا جثي لركبتيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَرَكَنَا بِبَعْضِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) قال : هذا أول القيامة ، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ، (وَتُفِخُ فِي الصُّورِ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور ، وما هو ، وما عني به . واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع ، غير أننا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصور ، قال : « قَرْنٌ يُسْفَخُ فِيهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن العجلي ، عن بشر ابن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثنا محمد بن الحارث القنطري ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول ، فحدثنا عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ وَحَتَّى الْجِسْمَةَ ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ مِثْنِي مَا أَقَالُوا ذَلِكَ الْقَرْنَ » كذا قال ، وإنما هو ما أقولوا .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى ظَهْرَهُ ، وَجَحَّظَ بَعَيْنَيْهِ ، قَالُوا : مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى جِبْهَتَهُ ، يَسْتَمِيعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَسْفَخُ فِيهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ نَقُولُ ؟ قَالَ : تَقُولُونَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

(١) يقول : بمعنى يدفع به ويحركه .

حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة ، قالوا : ثنا أسباط ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني يعقوب : قال : ثنا شعيب بن حرب : قال : ثنا خالد أبو العلاء ، قال : ثنا عطية العوفى ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الشَّقَمَ الْقَرْنِ وَحَتَّى الْجَبْهَةَ ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ مِثْنِي اجْتَمَعُوا عَلَى الْقَرْنِ عَلَى أَنْ يُقْلُوهُ مِنَ الْأَرْضِ ، مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : فَأُبْلِسَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن فلان ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا فَرَّخَ اللَّهُ مِنَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهَوَّ وَضَعَهُ عَلَى فِيهِ شَاحِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الصُّورُ ؟ قَالَ : قَرْنٌ ، قَالَ : وَكَيْفَ هُوَ ؟ قَالَ : قَرْنٌ عَظِيمٌ يَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفْخَاتٍ : الْأُولَى : نَفْخَةُ الْفَرْعِ ، وَالثَّانِيَّةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . »

وقوله (فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) يقول : فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا . وقوله (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) يقول : وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ؛ ولو جعل الفعل لها قيل : أعرضت إذا استبان ، كما قال عمرو بن كلثوم :

وَأَعْرَضْتَ الْيَمَامَةَ وَأَشْمَخَرْتَ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور ، قيام رجل واحد ، ثم يتمثل الله

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي في (جبهة أشعار العرب ٧٤ - ٨٤ ، وفي شرحي الزوزني والتبريزي للمعلقات) . وأعرضت : ظهرت ، وعرضت الشيء : أظهرته ، ومنه قوله عز وجل (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وهذا من النوادر عرضت الشيء فأعرض ، ومثله كيبته فأكب ، وأشمخرت : طالت وارتفعت . والمعنى بدت مستطيلة . والكاف في قوله كأسياف : في موضع نصب ، على أنها نعت لمصدر مخذوف . والمصلت الشاهر سيفه ، يقال : أصلت السيف : إذا سلته . والمعنى : ظهرت لنا قرى اليمامة ، وارتفعت في أعيننا ، كأسياف بأيدي رجال سالفين سيوفهم ، فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذي تصير إليه . والشاهد في قوله : أعرضت بمعنى ظهرت .

عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون ؟ قال : فيقولون : نعبد عزيراً ، قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، قال : فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً ، ثم قرأ عبد الله (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله ، فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه ، فيعتبرون بها ، فيتذكرون وينبيون إلى توحيد الله ، وينقادون لأمره ونهيه ، وكانوا لا يستطيعون سماعاً ، يقول : وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكرهم به ، وبيانه الذي بيّنه لهم في آي كتابه ، بخذلان الله إياهم ، وغلبة الشقاء عليهم ، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان ، فيتعظون به ، ويتدبرونه ، فيعرفون الهدى من الضلالة ، والكفر من الإيمان .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) قال : لا يعقلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) قال : لا يعلمون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي) . . . الآية ، قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَجْعَدُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٧﴾

يقول عز ذكره : أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح ، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء ، يقول : كلا بل هم لهم أعداء . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) قال : يعنى من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة ، وهم عباد الله ، ولم يكونوا للكفار أولياء . وبهذه القراءة ، أعنى بكسر السين من (أَفَحَسِبَ) بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قرآء الأمصار . ورؤى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد أنهم قرءوا ذلك (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتسكين السين ، ورفع الحرف بعدها ، بمعنى : أفحسبهم ذلك : أى أفكفاهم أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء من عباداتى وموالاتى .

كما حدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : أفحسبهم ذلك ، والقراءة التى نقرؤها هى القراءة التى عليها قرآء الأمصار (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بكسر السين ، بمعنى أفظن ، لإجماع الحجة من القرآء عليها .
وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا) يقول : أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٤﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا ﴿١٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويمجادلونك بالباطل ، ويمحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ) أيها القوم (بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) يعنى بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربنا وفضلاً ، فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً ، كالمشترى سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً ، فخاب رجاؤه ، وخسر بيعه ، ووكس في الذى رجا فضله .

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بذلك ، فقال بعضهم : عُنَى به الرهبان والقنوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا المقبرى ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : أخبرني السكن بن أبى كريمة ، أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميسة عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول في هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت حيوة يقول : ثنا السكن بن أبى كريمة ، عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول ، فذكر نحوه .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ،

عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبي (وَهَمُّ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) أهم الحرورية ؟
قال : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا فضالة بن الفضل ، قال : قال بزيغ : سألت رجل الضحاك عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) قال : هم القسيسون والرهبان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن هلال
ابن يساف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن سعد ، قال : قلت لسعد : يا أبت (هَلْ
نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) أهم الحرورية ، فقال : لا ، ولكنهم أصحاب الصوامع ، ولكن
الحرورية قوم زاغوا ، فأزاغ الله قلوبهم .
وقال آخرون : بل هم جميع أهل الكتابين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب
ابن سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أهم الحرورية ؟ قال : لا ، هم أهل الكتاب ، اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا
بمحمد . وأما النصارى فكفروا بالحنة وقالوا : ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الحرورية (الَّذِينَ
يَسْتَفْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن إبراهيم بن أبي حرة
عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، في قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا)
قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي حرب بن أبي الأسود
عن زاذان ، عن علي بن أبي طالب ، أنه سئل عن قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) قال
هم كفرة أهل الكتاب ، كأن أوائلهم على حق ، فأشركوا بربهم ، وابتدعوا في دينهم ، الذين يجتهدون
في الباطل ، ويحسبون أنهم على حق ، ويجتهدون في الضلالة ، ويحسبون أنهم على هدى ، فضل سعيهم
في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ثم رفع صوته ، فقال : وما أهل النار منهم ببعيد .
وقال آخرون : بل هم الخوارج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان بن سالم ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ،

قال : سألت عبد الله بن الكوّاء عاليا عن قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) قال : أنتم يا أهل حروراء .

حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، عن أبي صخر : عن أبي معاوية البجلي ، عن أبي الصهباء البكري . عن علي بن أبي طالب : أن ابن الكوّاء سأله ، عن قول الله عز وجل (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) فقال علي : أنت وأصحابك .

حدثنا الحسن بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري : عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل : قال : قام ابن الكوّاء إلى علي ، فقال : مَنْ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، قال : ويترك أهل حروراء منهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد ابن عثمة ، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله ، قال : ثنا أبو الحويرث ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال ابن الكوّاء لعلي بن أبي طالب : ما الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ قال : أنت وأصحابك .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن يقال : إن الله عز وجل عني بقوله (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا ، وأنه لله بفعاله ذلك مطيع مرض ، وهو بفعاله ذلك لله مسخط ، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهبانية والشامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم ، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفر ، من أهل أي دين كانوا .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (أَعْمَالًا) ، فكان بعض نحوي البصرة يقول : نصب ذلك لأنه لما أدخل الألف واللام والنون في الأَخْسَرِينَ لم يوصل إلى الإضافة ، وكانت الأعمال من الأَخْسَرِينَ فلذلك نصب ، وقال غيره : هذا باب الأفعال والفُضَّلَى ، مثل الأفضل والفضلي ، والأخسر والأخسري ، ولا تدخل فيه الواو ، ولا يكون فيه مفسر ، لأنه قد انفصل بمن هو كقوله الأفضل والفضلي ، وإذا جاء معه مفسر كان للأول والآخر ، وقال : ألا ترى أنك تقول : مررت برجل حسن وجهها ، فيكون الحسن للرجل والوجه ، وكذلك كبير عقلا ، وما أشبهه قال : وإنما جاز في الأَخْسَرِينَ ، لأنه رده إلى الأفعال والأفعلة . قال : وسمعت العرب تقول : الأولات دخولا ، والآخيرات خروجا ، فصار للأول والثاني كسائر الباب قال : وعلى هذا يقاس .

وقوله (الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : يقول : وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون ، وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدهانيته ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم

(١) هي أم محمد ، وخالد أبوه ، فيلزم إثبات الألف اه .

في هذه الآية ، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا ، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك ، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم ، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ، كانوا مثابين مأجورين عابها ، ولكن القول بخلاف ما قالوا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة ، وأن أعمالهم حابطة . وعنى بقوله (أَسْمُهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا ، والصنع : والصنعة والصنيع واحد ، يقال : فرس صنيع بمعنى مصنوع .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبَّطْتَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُنْقِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، الأخسرون أعمالا ، الذين كفروا بحُجج ربهم وأدلتهم ، وأنكروا لقاءه (فَحَبَّطْتَ أَعْمَالَهُمْ) يقول : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة ، بل لهم منها عذاب ونخيزى طويل (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) يقول تعالى ذكره : فلا نجعل لهم ثقلا . وإنما عنى بذلك : أنهم لا تثقل بهم موازينهم ، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة ، وليس هؤلاء شيء من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن أبي يحيى عن كعب ، قال : يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرعوا (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن الصلت ، قال : ثنا ابن أبي الزناد ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤْتَى بِالْأَكْوَلِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، ثُمَّ قَرَأَ (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله ، واتخاذهم آيات كتابه ، وحجج رساله سُخْرِيًا ، واستهزائهم برسله .

القول في تاويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأقرّوا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته ، كانت لهم بساتين الفردوس ، والفردوس : معظم الجنة ، كما قال أمية :
كَانَتْ مَسَاوِيَهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً فِيهَا الْفَرَادِيسُ وَالْفُومَانُ وَالْبَصَلُ
واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس ؛ فقال بعضهم : عنى به أفضل الجنة وأوسطها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : الفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .
حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي ، قال : ثنا الهيثم أبو بشر ، قال : أخبرنا الفرّج بن فضالة ، عن لقمان ، عن عامر ، قال : سئل أبوسامة عن الفردوس ، فقال : هي سرّة الجنة .
حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا حماد بن عمرو النصببي ، عن أبي عليّ ، عن كعب ، قال : ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، وفيها الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر .
وقال آخرون : هو البستان بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سهل الرملي ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : الفردوس : بستان بالرومية .
حدثنا العباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله عن مجاهد ، مثله .
وقال آخرون : هو البستان الذي فيه الأعناب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب ، قال : جنات الفردوس التي فيها الأعناب .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفى (اللسان : فوم) . قال : وقال أمية في جمع الفوم ، « كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة » . . .
البيت . قال : ويروى الفراريس . قال أبو الإصبع الفراريس : البصل . وقال : الزجاج : الفوم الحنطة ويقال الحبوب ، لاختلاف بين أهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها اسم الفوم ، قال : ومن قال : الفوم ههنا الثوم ، فإن هذا لا يعرف .
وقال أبو منصور : فإن قرأها ابن مسعود بالثاء ، فعناه الفوم وهو الحنطة . وفي « (اللسان : فردس) الفردوس : البستان . قال الفراء : هو عربي . وقال ابن سيده : الفردوس : الوادي الخصيب عند العرب ، كالبستان وهو بلسان الروم : البستان . والفردوس : الروضة عن السيرا في . والفردوس : خضرة الأعناب . قال الزجاج : وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين ، وكذلك هو عند أهل كل لغة . والفردوس : حديقة في الجنة . والفردوس : أصله رومي عرب ، وهو البستان .

❦ والصواب من القول في ذلك ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا همام بن يحيى ، قال :
ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الْجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ عَامٍ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ ، وَمِنْهَا
الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حدثنا موسى بن سهل ، قال : ثنا موسى بن داود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن زيد بن أسلم ، عن
عطاء بن يسار ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الْجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ
مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ
الْأَرْبَعَةُ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو يحيى بن سليمان ، عن هلال بن أسامة ، عن
عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، أو أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ،
عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، إلا أنه قال : « وَسَطُ الْجَنَّةِ » وقال أيضا : « وَمِنْهُ
تُفَجَّرُ أَوْ تَتَفَجَّرُ » .

حدثني عمار بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا عبد العزيز بن محمد ، قال : ثنا
زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ
فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ
وَأَوْسَطُهَا ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا الحارث بن عمير ، عن
أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعَةٌ ، اثْنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ
حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ ، وَاثْنَتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا
فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ » .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو قدامة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي بكر
ابن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ :
ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا
وَمَا فِيهِمَا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب . عن حفص . عن شمر ، قال : خلق الله جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها في كل يوم خميس . فيقول : ازدادى طبيا لأولياي ، ازدادى حسنا لأولياي .
 حدثنا ابن البرقي . قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردي ، قالا :
 ثنا زيد بن أسلم . عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ
 لِلْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْهَا الْفِرْدَوْسُ » .
 حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا أحمد بن الفرغ الطائي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد
 ابن بشير . عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « الْفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الْجَنَّةِ ، هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا » .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أنبأنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة بن
 جندب ، قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ الْفِرْدَوْسَ هِيَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَحْسَنُهَا
 وَأَرْفَعُهَا » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك
 أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال للربيع ابنة النضر : « يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّمَا جِنَانٌ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ
 الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى » . والفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

وقوله (نَزُلًا) يقول : منازل ومساكن ، والمنزل : من النزول ، وهو من نزول بعض الناس على
 بعض . وأما النَّزْلُ : فهو الرَّيْعُ ، يقال : ما لطعامكم هذا نَزْلٌ ، يراد به الرَّيْعُ ، وما وجدنا عندكم
 نزلا : أي نزولا .

وقوله (خَالِدِينَ) يقول : لا يثين فيها أبدا (لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا حَوْلًا) يقول : لا يريدون عنها
 تحولا ، وهو مصدر تحولت ، أخرج إلى أصله ، كما يقال : صَغُرُ يَصْغُرُ صِغْرًا ، وعاج يعوج عِوَجًا .
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا حَوْلًا) قال : متحولا .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : سمعت مخرم بن الحسين يقول : وسئل عنها ، قال : سمعت
 بعض أصحاب أنس يقول : قال : يقول : « أَوْلَهُمْ دَخُولًا إِنَّمَا أَدْخَلَنِي اللَّهُ أَوْلَهُمْ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنِّي ،
 وَيَقُولُ آخِرُهُمْ دَخُولًا : إِنَّمَا أَخْرَنِي اللَّهُ . لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَانِي » .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٤﴾

يقول عز ذكره لنبينه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد : (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) لَمَقْلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ (كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ) ماء (الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) يقول : ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا ، من قول القائل : جئتك مددا لك ، وذلك من معنى الزيادة . وقد ذكر عن بعضهم : ولو جئنا بمثله مددا ، كأن قارئ ذلك كذلك أراد : لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربِّي ، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) للقلم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) يقول : إذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٥﴾

يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المشركين يا محمد : إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحى إلي أن معبودكم الذي يجب عابكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، معبود واحد لا ثاني له ، ولا شريك (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) يقول : فمن يخاف ربه يوم لقائه ، ويراقبه على معاصيه ، ويرجو ثوابه على طاعته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) يقول : فليخلص له العبادة ، وليفرد له الربوبية .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن أبي راشد ، عن سعيد بن جبير (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) قال : ثواب ربه .

وقوله (وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) يقول : ولا يجعل له شريكاً في عبادته إياه ، وإنما يكون جاعلاً له شريكاً بعبادته إذا رآى بعماله الذى ظاهره أنه لله وهو يريد به غيره .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)^١ .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان (وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)
قال : لا يرأى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ،
عن طاوس ، قال : « جاء رجل ، فقال : يا نبي الله إني أحبّ الجهاد فى سبيل الله ، وأحبّ أن يرى موطنى
ويرى مكاني ، فأنزل الله عزّ وجلّ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ومسلم بن خالد
الزنجى عن صدقة بن يسار ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وزاد فيه :
وإني أعمل العمل وأتصدق وأحبّ أن يراه الناس » وسائر الحديث نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، قال : ثنا حمزة أبو عمارة
مولى بنى هاشم ، عن شهر بن حوشب ، قال : « جاء رجل إلى عبادة بن الصامت ، فسأله فقال : أنبئنى عما
أسألك عنه ، أرأيت رجلاً يصلى يبتغى وجه الله ويحبّ أن يُحمّد ويصوم ويبتغى وجه الله ويحبّ أن يُحمّد ،
فقال عبادة : ليس له شيء ، إن الله عزّ وجلّ يقول : أنا خير شريك ، فمن كان له معى شريك فهو له
كاه ، لا حاجة لى فيه » .

حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكونى ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا
عمرو بن قيس الكندى ، أنه سمع معاوية بن أبى سفيان تلا هذه الآية (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ،
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) وقال : إنها آخر آية أنزلت من القرآن .

آخر تفسير سورة الكهف

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، بدار الكتب المصرية ، وفى الدر عن سعيد : لا يشرك : لا يرأى بعبادة ربه أحدا .

(١٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مِنْ ذِكْرِ مَكِّيَّةٍ
وَأَيُّهَا الْهَائِكَانِ وَتَسْبِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

كَهَيْعَصَ ﴿١٩﴾

❖ اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره : كَافٍ مِنْ (كَهَيْعَصَ) فقال بعضهم : تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير ، دلَّ به عليه ، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم .
ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (كَهَيْعَصَ) قال : كبير ، يعني بالكبير : الكاف من (كَهَيْعَصَ) .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كبير .
حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير في (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كبير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير . عن ابن عباس ، نحوه .

وقال آخرون : بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كَافٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، في قوله (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم في قوله (كَهَيْعَصَ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن الكلبي مثله .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كَرِيمٌ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (كهيعص) قال :
كاف من كريم .

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص : حرف من حروف اسمه الذي هو هاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس ، قال : كان يقول في الهاء من (كهيعص) هاد .

حدثنا أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : ها : هاد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله
(كهيعص) قال : ها : هاد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن الكلبي ، مثله .

واختلفوا في تأويل الياء من ذلك ، فقال بعضهم : هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس ، قال : « يا » من (كهيعص) ياء يمين .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس ، قال : « يا » من (كهيعص) ياء يمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد
ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير

ياء : يمين .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو حكيم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (كهيعص) قال :
يا : من حكيم .

وقال آخرون : بل هي حرف من قول القائل : يا من يجير .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا إبراهيم بن الضريس ، قال : سمعت الربيع بن
أنس في قوله (كهيعص) قال : يا من يجير ولا يجار عليه .
واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين ، فقال بعضهم : هي حرف من حروف اسمه الذى
هو عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (كهيعص) قال : عين من عالم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبة ، عن الكلبي ، مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد
ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .
حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبيه ، في قوله
(كهيعص) قال : عين : من عالم .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عزيز .
ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس (كهيعص) عين : عزيز .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس ، مثله .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .
حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله
(كهيعص) قال : عين عزيز .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاک بن مزاحم ، في قوله (كهيعص) قال : عين : عدل .
وقال الذين تأولوا ذلك هذا التأويل : الصاد من قوله (كهيعص) : حرف من حروف اسمه الذي هو صادق .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول في (كهيعص) صاد : صادق .
حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر مثله .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبیر ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاک بن مزاحم ، قال : صاد : صادق .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : صادق ، يعني الصاد من (كهيعص) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (كهيعص) قال : صاد صادق .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن الكلبي ، قال : صادق .
وقال آخرون : بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عائكة ، عن فاطمة ابنة عليّ قالت : كان عليّ يقول : يا (كهيعص) : اغفر لي .
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (كهيعص) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .
وقال آخرون : كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عز وجل .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهدي ، عن عبد العزيز بن مسلم القسملی ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (كهيعص) ليس منها حرف إلا وهو اسم . وقال آخرون : هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (كهيعص) قال : اسم من أسماء القرآن .

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا نظير القول في (الم) وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أو أتاها بحروف المعجم ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل ، فأغني عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ﴿٥١﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٥٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٥٣﴾

اختلف أهل العربية في الرفع للذكر ، والناصب للعبد . فقال بعض نحوي البصرة في معنى ذلك كأنه قال : مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده ، وانتصب العبد بالرحمة كما تقول : ذكر ضرب زيد عمرا . وقال بعض نحوي الكوفة : رفعت الذكر بكهيعص ، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك ، قال : والمعنى ذكر ربك عبده برحمته تقديم وتأخير .

قال أبو جعفر : والقول الذي هو الصواب عندى في ذلك أن يقال : الذكر مرفوع بمضمر محذوف ، وهو هذا كما فعل ذلك في غيرها من السور ، وذلك كقول الله (بِرَأْءَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وكقوله : (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا) ونحو ذلك . والعبد منصوب بالرحمة ، وذكرها في موضع نصب ، لأنه بيان عن العبد ، فتأويل الكلام : هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا .

وقوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) يقول حين دعا ربه ، وسأله بندا خفي ، يعني : وهو مستسر بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) أى سرا ، وإن الله يعلم القلب النقي ، ويسمع الصوت الخفي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) قال : لا يريد رياء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : رغب زكريا

في التوند . فقام فصلي . ثم دعا ربه سرا . فقال (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) . . . إلى (وَأَجْعَلْنِي رَبِّ رَضِيًّا) . . . وقوله (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) يقول تعالى ذكره ، فكان نداؤه الخفي الذي نادى به ربه أن قال : (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) يعني بقوله (وَهَنَ) ضعف ورق من الكبر : كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أي ضعف العظم مني .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . في قوله (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) قال : انحَلَّ العظم ، قال عبد الرزاق ، قال الثوري : وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة .

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشَّيْب ، فقال بعض نحوِّي البصرة : نصب على المصدر من معنى الكلام : كأنه حين قال : اشتعل ، قال : شاب ، فقال : شَيْبًا على المصدر . قال : وليس هو في معنى : تَفَقَّأت شحما وامتلاأت ماء ، لأن ذلك ليس بمصدر . وقال غيره : نصب الشيب على التفسير ، لأنه يقال : اشتعل شيبُ رأسي ، واشتعل رأسي شيبا ، كما يقال : تَفَقَّأت شحما ، وتَفَقَّأت شحمي . وقوله (وَكَمْ أَكُنُّ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) يقول : ولم أشق يا رب بدعائك ، لأنك لم تحيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك ، بل كنت تحيب وتقضى حاجتي قبلك . كما حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قوله (وَكَمْ أَكُنُّ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) يقول : قد كنت تعرفني الإجابة فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١٠﴾ بِرْثُنِي
وَبِرْثُ مَنْ أَلِ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١١﴾

يقول : وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي : يقول : من بعدى أن يرثوني ، وقيل : عنى بقوله (مِنْ وَرَائِي) من قدّامى ومن بين يدي ؛ وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) يعني بالموالى : الكلالة الأولياء أن يرثوه ، فوهب الله له يحيى . حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) قال : العصبه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) قال : خاف موالى الكلاله .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح بنحوه .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) قال : يعنى الكلاله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) قال : العصبه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) قال : العصبه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي) والموالى : هن العصبه ، والموالى : جمع مولى ، والمولى والولى في كلام العرب واحد . وقرأت قراء الأمصار (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) بمعنى : الخوف الذى هو خلاف الأمن . وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه : (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) بتشديد الفاء وفتح الحاء من الخفة ، كأنه وجه تأويل الكلام : وإني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بنى أعمامى . وإذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالى مسكنة غير متحركة ، لأنها تكون في موضع رفع بخيفت .

وقوله (وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا) يقول : وكانت زوجتى لاتلد ، يقال منه : رجل عاقر ، وامرأة عاقر بلفظ واحد ، كما قال الشاعر :

لَبِئْسَ الْفَتَى أَنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرٍ

وقوله (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) يقول : فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا .
وقوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يقول : يرثني من بعد وفاتي مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوة ، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يقول : يرث مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل ، طبعة ليدن سنة ١٩١٣ . والرواية فيه « فبئس » في مكان : « لبئس » . وفي اللسان : العاقر التى لاتحمل ، ورجل عاقر : لا يولده ، ونساء عقر ، ورجال عقر ، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة . وقد استشهد به المؤلف على معنى العاقر ، في سورة آل عمران (٣ : ٢٥٧) وأعادته في هذا الموضوع ، ومحل الاستشهاد في الموضعين واحد .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرث مالي . ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم . قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرثني مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم . قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يكون نبيا كما كانت أبائهم أنبياء .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : وكان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : كان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : نبوته وعلمه .

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَحْسَى زَكَرِيَّا ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ مَالِهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : كان الحسن يقول : يرث نبوته وعلمه . قال قتادة : « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، وأتى على (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَرَحِمُ اللَّهُ زَكَرِيَّا وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ ، وَيَرَحِمُ اللَّهُ لُوطًا إِنْ كَانَ لَبِيًّا وَيُؤَيِّ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب .

واختلفت القراء في قراءة قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) فقراءت ذلك عامة قراء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) برفع الحرفين كليهما . بمعنى : فهب الذي يرثني ويرث من آل يعقوب . على أن يرثني ويرث من آل يعقوب ، من صلة الولي . وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة والبصرة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) بجزم الحرفين على الجزاء والشرط . بمعنى : فهب لي من لَدُنْكَ وَلِيًّا فَإِنَّهُ

يرثني إذا وهبته لي . وقال الذين قرعوا ذلك كذلك : إنما حسُن ذلك في هذا الموضع ، لأن يرثني من آية غير التي قبلها : قالوا ، وإنما يحسُن أن يكون مثل هذا صلة ، إذا كان غير منقطع عما هو له صلة . كقوله (رِدَاءٌ أَيْصَدَّقْتَنِي) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة لأولى ، لأنّ الولي نكرة ، وأن زكريا إنما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه سأله وليا ، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفة ، لأن ذلك لو كان كذلك ، كان ذلك من زكريا دخولا في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه .
وقوله (وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) يقول : واجعل يا ربّ الولي الذي تمهيه لي مرضيا ترضاه أنت وترضاه عبادك دينا وخلقا وخلقا . والرضى : فعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يٰۤاَيُّهَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فاستجاب له ربه ، فقال له : يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى . كان قتادة يقول : إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) عبد أحياه الله للإيمان .

وقوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه لم تلد مثله عاقر قط .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس : قوله ليحيى (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) يقول : لم تلد العواقر مثله ولدا قط .
وقال آخرون : بل معناه : لم نجعل له من قبله مثلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا أبو الربيع ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : شديها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : مثلا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يسمّ باسمه أحد قبله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) لم يسم به أحد قبله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : لم يسم يحيى أحد قبله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .
حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) لم يسم أحد قبله يحيى .
قال أبو جعفر : وهذا القول أعنى قول من قال : لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك ، وإنما معنى الكلام : لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه ، والسمي : فعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره : قال زكريا لما بشره الله بيحيى : (ربّ أنى يكون لى غلام) ، ومن أى وجه يكون لى ذلك ، وامرأتى عاقرة لا تحبل ، وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء أبان تقوينى على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتى ولودا ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتى العاقرة ، يستثبت ربه الخبير ، عن الوجه الذى يكون من قبله له الولد ، الذى بشره الله به ، لا إنكارا منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكارا لأن يرزقه الولد الذى بشره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك بقوله (فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنى وَيَرِثُ مِنْ آلِ بَعْقُوبَ) بعد قوله (إِنّى وَهَمَنَ الْعَظْمُ مِنى وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) .

وقال السدي في ذلك : ما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : نادى جبرائيل زكريا (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) فلما سمع النداء ، جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله ، إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحى إليك غيره من الأمر ، فشك وقال : (أَنّى يَكُونُ لى غلام) يقول : من أين يكون (وَقَدْ بَلَغْتِى الْكِبَرَ وَامْرَأَتى عَاقِرٌ) .

وقوله (وَقَدْ بَلَغْتِى الْكِبَرَ عَتِيًّا) يقول : وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام

يابسها ، يقال منه للعود اليابس : عود عاتٍ وعاسٍ ، وقد عتا يعنو عَتِيًّا وَعُتُوًّا ، وعسى يعسو عِسِيًّا وعسواً ، وكلّ متناه إلى غايته في كبر أو فساد ، أو كفر ، فهو عات وعاس .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قد علمت السنة كلها ، غير أني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ، ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا) أو (عِسِيًّا) .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا) قال : يعني بالعتي : الكبر . . .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَتِيًّا) قال : نُحُولُ الْعِظَمِ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا) قال : سنّاً ، وكان ابن بضع وسبعين سنة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا) قال : العتي : الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا) قال : هو الكبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ

✽ يقول تعالى ذكره : قال الله لذكره يا مجيباً له (قال كذلك) يقول : هكذا الأمر كما تقول من أن أمراً لك عاقراً ، وأنت قد بلغت من الكبر العتي ، ولكن ربك يقول : خلقت ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى عليّ هين ، فهو إذن من قوله (قال ربك هو عليّ هين) كناية عن الخلق .
وقوله (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك ، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك ، فإني قد خلقتك ، فأنشأتك بشراً سويّاً من قبل خلقتي ما بشرتك بأني وأهبه لك من الولد ، ولم تكن شيئاً ،

فكذلك أخاق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر . مع عيتيك ووهن عظامك : واشتعال شيب رأسك .
وقوله (قال رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) يقول تعالى ذكره : قال زكريا : يا رب اجعل لي علما ودليلا
على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك . ليطمئن إلى ذلك قلبي .
كما حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد . في قوله (قال رَبِّ اجْعَلْ لِي
آيَةً) قال : قال رب اجعل لي آية أن هذا منك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط . عن السدي : قال رب ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل
لي آية (قال) الله (آيَتِكَ) لذلك (أَلَّا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) يقول جل ثناؤه : علامتك لذلك ،
ودايلك عاياه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوى صحيح ، لاعة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (ثلاث ليالٍ
سَوِيًّا) قال : اعتقل لسانه من غير مرض .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثلاث
ليالٍ سَوِيًّا) يقول : من غير خرس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ثلاث ليالٍ سَوِيًّا) قال : لا يمنعك من الكلام مرض .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَلَّا تَكَلَّمُ
النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) قال : صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال آيَتِكَ أَلَّا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَ
ليالٍ سَوِيًّا) من غير بأس ولا خرس ، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة ،
أُخِذَ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أوها إيماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، في قوله
(ثلاث ليالٍ سَوِيًّا) قال : سويا من غير خرس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قال آيَتِكَ أَلَّا تَكَلَّمُ
النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) وأنت صحيح ، قال : فحبس لسانه ، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا ، وهو
في ذلك يسبح ، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل ، فاذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه البجلي ، قال :
أخذ الله بلسانه من غير سوء ، فجعل لا يطبق الكلام ، وإنما كلامه لقومه بالإشارة ، حتى مضت الثلاثة
الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) يقول : من غير خرس إلا رمزا ، فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال .
وقال آخرون : السوي من صفة الأيام ، قالوا : ومعنى الكلام : قال : آتتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) : قال : ثلاث ليال متتابعات .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١

يقول تعالى ذكره : فخرج زكريا على قومه من مُصَلَّاه حين حُبس لسانه عن كلام الناس ، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد .

فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) قال : أشرف على قومه من المحراب .
قال أبو جعفر : وقد بينا معنى المحراب فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) قال : المِحْرَاب : مُصَلَّاه ، وقرأ (فَتَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ) : وقوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) يقول : أشار إليهم ، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك ، مما يفهم به عنه ما يريد . وللعرب في ذلك لغتان : وَحَى ، وَأَوْحَى ؛ فمن قال : وَحَى ، قال في يفعل : يَحْيَى ؛ ومن قال : أَوْحَى ، قال : يُوْحِي ، وكذلك أَوْمَى وَوَمَى ، فمن قال : وَمَى ، قال في يفعل : يَمِي ؛ ومن قال أَوْمَى ، قال يُومِي .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه ، فقال بعضهم : أوحى إليهم إشارة باليد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَوْحَى) : فأشار زكريا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) قال : الوحي : الإشارة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) قال : أوحى إليهم .

وقال آخرون : معنى أوحى : كتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمود بن خداش . قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد . في قول الله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : كتب لهم في الأرض .

حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) قال : كتب لهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) فكتب لهم في كتاب (أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ، وذلك قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) . وقال آخرون : معنى ذلك : أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : ما أدري كتابا كتبه لهم ، أو إشارة أشارها ، والله أعلم ، قال : أمرهم أن سَبَّحُوا بكرة وعشيا ، وهو لا يكلمهم .

وقوله (أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح ، وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عَسَى به التسبيح الذي هو ذكر الله ، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ، ويجوز أن يكون معنى به الصلاة ، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين . وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : أَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ صَلُّوا بكرة وعشيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَيْنَاهُ الْحُكْمُ صَبِيًّا ﴿١٦﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فولد لذكر يا يحيى ، فلما ولد ، قال الله له : يا يحيى ، خذ هذا الكتاب بقوة ، يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى ، وهو التوراة . بقوة ، يقول : بجدة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) قال : بجدة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) قال : يجدد .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) قال : القوة : أن يعمل ما أمره الله به ، ويجانب فيه ما نهاه الله .
قال أبو جعفر : وقد بينت معنى ذلك بشواهد في ما مضى من كتابنا هذا ، في سورة آل عمران ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
وقوله (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال .
وقد حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني معمر ، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) قال : باغنى أن الصبيان قالوا ليحيى : اذهب بنا نلعب ، فقال : ما للعب خلقت ، فأنزل الله (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) .
وقوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) يقول تعالى ذكره : ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا .
وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان ، فقال بعضهم : معناه : الرحمة ، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذى وجهناه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) يقول : ورحمة من عندنا .
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، في هذه الآية (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : رحمة .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : رحمة من عندنا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، قوله : (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : رحمة من عندنا لا يملك عطاها أحد غيرنا .
حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) يقول : رحمة من عندنا ، لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ورحمة من عندنا لذكريا ، آتيناه الحكم صبيا ، وفضلنا به الذى فعلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) يقول : رحمة من عندنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : وتعطفنا من عندنا عليه ، فعلنا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : تعطفنا من ربه عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقال آخرون : بل معنى الحنان : المحبة . ووجهوا معنى الكلام إلى : ومحبة من عندنا فعلنا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : محبة عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحَنَانًا) قال : أما الحنان فالمحبة .

وقال آخرون معناه تعظيما منا له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء بن أبي رباح (وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا) قال : تعظيما من لدنا . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لأدري ما الحنان .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله ما أدري ما حنانا . وللعرب في حنانك لغتان : حنانك ياربنا ، وحنانك ؛ كما قال طرفة بن العبد في حنانك :

أبا مُنذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وقال امرؤ القيس في اللغة الأخرى :

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري (اللسان : حنن) . والشاهد في قوله حنانك ، أي تحننا على بعد تحنن . وحكى الأزهري عن الليث : حنانك يافلان أفعل كذا . ولا تفعل كذا ، يذكره الرحمة والبر ، وأنشد بيت طرفة . قال ابن سيده : وقد قالوا حنانا ، فسلوه من الإضافة في حد الإفراء ، وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل .

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمْجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمْ حَنَانِكَ ذَا الْحَنَانِ ١

وقد اختلف أهل العربية في « حنانك » فقال بعضهم : هو تثنية « حنان » . وقال آخرون : بل هي لغة

ليست بتثنية ؛ قالوا : وذلك كقولهم : حَوَالِيكَ ؛ وكما قال الشاعر:

ضَرَبَا هَذَا ذَيْكَ وَطَعْنَا وَخَضَا ٢

وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانك تثنية ، في أن كل ذلك تثنية . وأصل ذلك أعني الحنان، من قول القائل : حنّ فلان إلى كذا ، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق ، ثم يقال : تحنّ فلان على فلان ، إذا وصف بالتعطف عليه والرقبة به ، والرحمة له ، كما قال الشاعر :

تَحَنَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ٣

بمعنى : تعطف عليّ . فالحنان : مصدر من قول القائل : حنّ فلان على فلان ، يقال منه : حننت عليه ، فأنا أحنّ عليه حنينا وحنانا ، ومن ذلك قيل لزوجته الرجل : حننته ، لتحننه عليها وتعطفه ، كما قال الراجز :-

وَلَيْلَةَ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ وَكَمْ تَضَرَّتِي حَنَّةٌ وَبَيْتُ ٤

وقوله (وَزَكَاةً) يقول تعالى ذكره : وآتينا يحيى الحكيم صبيا ، وزكاة : وهو الطهارة من الذنوب ،

واستعمال بدنه في طاعة ربه ، فالزكاة عطف على الحكم من قوله (وآتيناها الحكيم) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَزَكَاةً) قال : الزكاة : العمل الصالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَزَكَاةً) قال : العمل

الصالح الزكيّ .

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (اللسان : حنن) و (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١١٠) قال شارحه ويمنحها : هذه رواية الأصمعي ، أي يعطيها . ويروي : ويمنحها ، وهي أشبه بمعنى البيت . وقوله حنانك ذا الحنان : فسرّه ابن الأعرابي : رحمتك يا رحمن ، فأعنى عنهم . وعلى أية حال . فالشاعر برم بمجاورة بني شمجى بن جرم ، متسخط فعلهم ، زار عليهم ، إذ منعه المعزى . فأما إذا منحوه إياها (على رواية الأصمعي) فإنه يكون ساخطا ، لا اضطارره إلى أن يقبل منح أمثالهم ، مع ماله من الشرف والعراقة في الملك ؛ كأنه يقول في نفسه : أبعد ما كان لنا من العز الشامخ ، تذل نفسي وتضطر إلى قبول المنح والصلوات من الناس . وفي اللسان : فرواية ابن الأعرابي تسخط ودم ، وكذلك تفسيره ؛ ورواية الأصمعي : تشكر وحمد ودعاء لهم ، وكذلك تفسيره .

(٢) البيت في (اللسان : هذذ) غير منسوب . قال : الهذذ والهدذ : سرعة القطع ، وسرعة القراءة . قال : ضربا هذا ذيك : أي هذا بعد هذ ، يعني قطعاً بعد قطع . وعلى هذا استشهد به المؤلف . . . والوخض : قال الأصمعي : إذا خالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ ، فذلك الوخض ، والوخض . اهـ . يقال : وخضه بالرمح وخضاً .

(٣) البيت للحطيئة (لسان العرب : حنن) . قال : وتحنن عليه : ترحم ، وأنشد ابن بري للحطيئة : تحنن على . . . البيت .

(٤) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبي محمد الفقعسي ، وبينهما بيت ثالث ، وهو قوله « ولم يلتني عن سراها ليت (اللسان : حنن) . وقد استشهد بالبيتين الأولين منهما صاحب اللسان في (ليت) . واستشهد بهما المؤلف في أول الجزء الخامس عشر عند تفسير قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده » وموضع الشاهد هنا في البيت الثالث وهو قوله : « حنة » . قال : وحنة الرجل : امرأته ، قال أبو محمد الفقعسي : « وليلة » . . . الخ الأبيات الثلاثة . قال : وهي طلته وكنيته ونهضته وحاصنته وحاضنته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَزَكَاتٌ) يعنى العمل الصالح الزاكي .

وقوله (وَكَانَ تَقِيًّا) يقول تعالى ذكره : وكان لله خائفا مؤدبا فرائضه ، مجتنباً محارمه مسارعا في طاعته . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَزَكَاتٌ وَكَانَ تَقِيًّا) قال : طهر فلم يعمل بذنب . حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَزَكَاتٌ وَكَانَ تَقِيًّا) قال : أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبِرَّآبَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره : وكان برآ بوالديه ، مسارعا في طاعتها ومحبتها ، غير عاقّ بهما (ولم يكن جَبَّارًا عَصِيًّا) يقول جل ثناؤه : ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ، ولكنه كان لله ولو لوالديه متواضعا متذللا ، يأتمر لما أمر به ، وينتهي عما نهى عنه ، لا يعصيه ربه ، ولا والديه

وقوله (عَصِيًّا) فعيل بمعنى أنه ذوعصيان ، من قول القائل : عصى فلان ربه ، فهو يعصيه عصيا ؛ وقوله (سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من سوء ، بما ينال به بني آدم ، وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَحْتِي بَنِي زَكَرِيَّا » . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (جَبَّارًا عَصِيًّا) قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْتَقِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْتِي بَنِي زَكَرِيَّا » . قال : وقال قتادة : ما أذنب ، ولا هم بإمرأة .

وقوله (وَيَوْمَ يَمُوتُ) يقول : وأمان من الله تعالى ذكره له من فتاتى القبر ، ومن هول المطلع (وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) يقول : وأمان له من عذاب الله يوم القيامة ، يوم الفرع الأكبر ، من أن يروعه شيء ، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق .

وقد ذكر عن ابن عيينة في ذلك ما حدثني أحمد بن منصور القيروزي ، قال : أخبرني صدقة بن الفضل

قال : سمعت ابن عطية يقول : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم ، قال : فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن قال : إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى : استغفر لي ، أنت خير مني ، فقال له الآخر : استغفر لي ، أنت خير مني ، فقال له عيسى : أنت خير مني ، سَأَمْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَسَلَّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَعَرَفَ وَاللَّهِ فَضْلَهَا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم بنت عمران ، حين اعتزلت من أهلها ، وانفردت عنهم ، وهو افتعل من التنبذ ، والتنبذ : الطرح ، وقد بينا ذلك بشواهد في ماضي قبل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ) أي انفردت من أهلها .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) قال : خرجت مكانا شرقيا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها ، وهو قوله : فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا : في شرق المحراب .

وقوله (مَكَانًا شَرْقِيًّا) يقول : فتنحت واعتزلت من أهلها في موضع قبيل مَشْرِقِ الشَّمْسِ دُونَ مَغْرِبِهَا كَمَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ (مَكَانًا شَرْقِيًّا) قَالَ : مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : إني لأعلم خلق الله لأى شيء اتخذت النصراني المشرق قبلة ؟ لقول الله : فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة .

(١) كذا هنا ، وفي موضعين بعد : فانتبذت ، والقراءة : إذ انتبذت .

حدثنا ابن المثنى . قال : ثنا عبد الأعلى . قال : ثنا داود . عن عامر ، عن ابن عباس . مثله .
 حدثني سليمان بن عبد الجبار . قال : أخبرنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة . عن قابوس . عن
 أبيه ، عن ابن عباس . قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت : والحج لله ، وما صرفهم
 عنهما إلا قيل ربك (انتبذت من أهلها مكانا شرقياً) فصلوا قبل مطلع الشمس .
 حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً)
 قال : شاسعا متنجيا . وقيل : إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس ، لأن ما يلي المشرق عندهم كان
 خيرا مما يلي المغرب . وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب .

وقوله (فانتخذت من دونهم حجابا) يقول : فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن
 الناس . وذكر عن ابن عباس ، أنها صارت بمكان يلي المشرق ، لأن الله أظلمها بالشمس ، وجعل لها
 منها حجابا .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثنا أبي . قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،
 قوله (انتبذت من أهلها مكانا شرقياً) قال : مكانا أظلمها الشمس أن يراها أحد منهم .
 وقال غيره في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فانتخذت
 من دونهم حجابا) من الجدران .

وقوله (فأرسلنا إليها روحنا) يقول تعالى ذكره : فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ،
 واتخذت من دونهم حجابا : جبريل .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأرسلنا إليها روحنا) قال :
 أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة : عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : وجدت
 عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فأرسلنا إليها
 روحنا) قال : جبريل .

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل بن أخي
 وهب : قال : سمعت وهب بن منبه ، قال : أرسل الله جبريل إلى مريم ، فمَثَّلَ لها بشرا سويا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فلما طهرت ، يعني مريم من
 حيضها ، إذا هي برجل معها ، وهو قوله (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) يقول
 تعالى ذكره : فتشبه لها في صورة آدمي سوى الخلق منهم ، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : فخافت مريم رسولنا ، إذ تمثل لها بشرا سويا ، وظنته رجلا يريد لها على نفسها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا) قال : خشيت أن يكون إنما يريد لها على نفسها . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) فلما رآته فزعت منه وقالت : (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا) فقالت : إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك ، تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقى محارمه . وتجتنب معاصه ؛ لأن من كان لله تقيا ، فإنه يجتنب ذلك . ولو وجه ذلك إلى أنها عسنت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقى الله في استجارتى واستعاذتى به منك كان وجهها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا) ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : قال ابن زيد : وذكر قصص مريم فقال : قد علمت أن التقى ذونهيّة حين قالت (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا) . قال إنما أنا رَسُولُ رَبِّكِ) يقول تعالى ذكره : فقال لها روحنا : إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلني إليك (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو (لِأَهَبَ لَكِ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك ؛ يقول : أرسلني إليك لأهب لك (غُلَامًا زَكِيًّا) على الحكاية . وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء (لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) بمعنى : إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قراء الأمصار ، وهو (لِأَهَبَ لَكِ) بالألف دون الياء ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين ، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم ، غير أبي عمرو ، وغير جائر خلافهم فيما أجمعوا عليه ، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم ، والغلام الزكيّ : هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب : غلام زكٍ وزكيّ ، وعالٍ وعليّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَ لِرَبِّكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : قالت مريم لجبريل (أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ) من أيّ وجه يكون لي غلام ؟ أمن قبل زوج أنزوج . ذُرزقه منه ، أم يبتدئ الله في خلقه ابتداء (وَاَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا) من ولد آدم بنكاح حلال (وَاَلَمْ أَكُ) إذ لم يمسنى منهم أحد على وجه الحلال (بَغِيًّا) بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام ، فحملته من زنا .

كما حدثنا موسى . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) يقول : زانية (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئًا) يقول تعالى ذكره : قال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسنك بشر ولم تكوني بغيا ، ولكن ربك قال : هو عليّ هين : أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك عليّ هين لا يتعدّر عليّ خلقه وهبته لك من غير فعل يفتحلك .

(وَكُنْتُمْ لَكُمُ آيَةٌ لِلنَّاسِ) يقول : وكى يجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك . (وَرَحْمَةً مِنَّا) يقول : ورحمة منا لك ، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) يقول : وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى من لآتهم ، عن وهب بن منبه (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) أي إن الله قد عزم على ذلك ، فليس منه بد .

القول في تأويل قوله تعالى :

*** فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَكَلِّتُنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿١٤﴾**

وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه (فَتَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا) بغلام (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل بن أخي وهب بن منبه ، قال : سمعت وهبا قال : لما أرسل الله جبريل إلى مريم تمثل لها بشرا سويا فقالت له (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه البياي ، قال : لما قال ذلك ، يعني لما قال جبريل (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئًا) . . . الآية استسلمت لأمر الله ، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها ، فأخذ جبريل بكميها ، فنفخ في جيب درعها ، وكان مشقوقا من قدامها ، فدخلت النفخة صدرها ، فحملت ، فأتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة

زكريا : يا مريم أشعرت أني حبلى ، قالت مريم : أشعرت أيضا أني حبلى ، قالت : امرأة زكريا : إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى بججاج ، قال : قال ابن جريج : يقولون : إنه إنما نفخ في جيب درعها وكها .

وقوله (فانتبذت به مكانا قصيبا) يقول : فاعتزلت بالذي حملته ، وهو عيسى ، وتنحّت به عن الناس مكانا قصيبا : يقول : مكانا نائبا قاصيا عن الناس ، يقال : هو بمكان قاص ، وقصى بمعنى واحد ، كما قال الراجز :

لَتَقْعُدَنَّ مَقْعَدَ الْقَصِيِّ مِثْنِي ذِي الْقَاذُورَةِ الْمَقْلِيِّ^١

يقال منه : قصا المكان يقصو قصوا : إذا تباعد ، وأقصيت الشيء : إذا أبعدته وأخرته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فانتبذت به مكانا قصيبا) قال : مكانا نائبا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مكانا قصيبا) قال : قاصيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى بججاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأبت أقصاه .

وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) يقول تعالى ذكره : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة ، ثم قيل : لما أسقطت الباء منه أجاءها ، كما يقال : أتيتك بزيد ، فإذا حذف الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جل ثناؤه (آتوني زُبُرَ الحديدِ) والمعنى : آتوني بزُبُر الحديد ، ولكن الألف مُدَّت لما حذف الباء ، وكما قالوا : خرجت به وأخرجته ، وذهبت به وأذهبت ، وإنما هو أفعل من المجيء ، كما يقال : جاء هو ، وأجأته أنا : أي جئت به ، ومثل من أمثال العرب : « شرّ ما أجأني إلى مُحَنَّة عرقوب » ، وأشاء ويقال : شرّ ما يُجِيئُكَ وَيُشِيئُكَ إلى ذلك ؛ ومنه قول زهير :

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج الراجز (انظر فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد للعيني ص ١١٥ - ١١٦) وبعدهما بيتان آخران وهما :
أو تحلني بربك العلى أني أبو ذيا لك الصبي

ومقعد القصي : إما مفعول مطلق ، على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه ، أي في مقعد القصي ، أي البعيد ، من قصا المكان يقصو : إذا بعد . ويقال رجل قاذورة : أي لا يخالط الناس ، لسوء خلقه . والمقل المبغض من قلاه يقلبه قلى بالكسر . وهما صفتان للقصي . وفي (لسان العرب : قصا) قصا عنه قصوا ، وقصوا وقصاء ، وقصى (بكسر الصاد) : بعد . وقصا المكان يقصو قصوا (على فعول) : بعد . والقصى والقاصي : البعيد ، والجمع : أقصاء فيهما ، كشاهد وأشهد ، ونصير وأنصار .

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ ۝
 يعنى : جاء به . وأجاءه إلينا وأشاءك : من لغة تميم . وأجاءك من لغة أهل العالية ، وإنما تأول من تأول ذلك
 بمعنى : ألبأها . لأن الخاض لما جاءها إلى جذع النخلة : كان قد ألبأها إليه .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث : قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء . جميعا . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فأجاءها المخاض) قال : المخاض ألبأها .
 حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ألبأها
 المخاض . قال ابن جريج : وقال ابن عباس : ألبأها المخاض إلى جذع النخلة .
 حدثنا موسى : قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فأجاءها المخاض إلى جذع
 النخلة) يقول : ألبأها المخاض إلى جذع النخلة .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأجاءها المخاض إلى جذع
 النخلة) قال : اضطرها إلى جذع النخلة :

واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت مريم بعبسى لوضعه ، وأجاءها إليه المخاض ، فقال بعضهم : كان
 ذلك فى أدنى أرض مصر ، وآخر أرض الشام ، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت ، فتوجهت نحو
 مصر هاربة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع
 وهب بن منبه يقول : لما اشتملت مريم على الحمل ، كان معها قرابة لها ، يقال له يوسف النجار ، وكانا
 منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون ، وكان ذلك المجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم ، فكانت
 مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد ، فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا
 يلبان معالجته بأنفسهما ، تحبيرة وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد
 أشد اجتهادا وعبادة منهما ، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ؛ فلما رأى الذى بها استفظعه ،
 وعظم عليه ، وفطع به ، فلم يدر على ماذا يضع أمرها ، فإذا أراد يوسف أن يتهنئها ، ذكر صلاحها وبراعتها ،
 وأنها لم تغب عنه ساعة قط ؛ وإذا أراد أن يبرئها ، رأى الذى ظهر عليها ؛ فلما اشتد عليه ذلك كلمها ،

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (اللسان : جيا) . قال : وأجاءه إلى شىء : جاء به ، وإجاءه ، واضطره إليه . قال زهير بن
 أبي سلمى : « وجار . . . » البيت . قال القراء : أصله من جئت ، وقد جعلته العرب إجاء . وفى المثل : « شر ما أجاءك إلى نخة
 العرقوب . وشر ما يجيئك إلى نخة عرقوب » قال الأصمعى : وذلك أن العرقوب لا يخ فيه ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شىء .
 ومنهم من يقول : شر ما ألبأك : والمعنى واحد . وتميم تقول : شر ما أشاءك .

فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته ، وقد حرّصت على أن أميته وأكتمه في نفسي ، فغلبني ذلك ، فرأيت الكلام فيه أشنى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول لك إلا ذلك ، فحدثيني ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خاق كل واحد منهما وحده ، أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟ قال يوسف لها : لأقول هذا ، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون ، قالت مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خاق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك ، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ، ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفها كل عمل كانت تعدل فيه . وذلك لما رأى من رقة جسمها ، واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيروك ، وقتلوا ولدك ، فأفضت ذلك إلى أختها ، وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى ، فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خراً لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى ، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء ، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها ، أدرك مريم النفاس ، أبلجها إلى أرى حمار ، يعنى مذود الحمار ، وأصل نخلة . وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً « الشك من أبي جعفر » ، فاشتد على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محققين بها .

وقد روى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا ، وذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما حضر ولادها ، يعنى مريم ، ووجدت ما تجد المرأة من الطاق ، خرجت من المدينة مغربة من إيباء ، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيباء على ستة أميال يقال لها بيت لحم ، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتمها ربيع من الماء ، فوضعت عندها . وقال آخرون : بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه ، فأتت أقصاه فأبلجها المخاض إلى جذع النخلة ، وذلك قول السدى ، وقد ذكرت الرواية به قبل .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ما هي إلا أن حملت فوضعت .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول : ليس إلا أن حملت فولدت .

وقوله (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس .
كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قالت وهي تطلق من
الجل استحياء من الناس (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا) تقول : يا ليتني مت قبل
هذا الكرب الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بععل ، وكنت نسيًا منسيا : شيئًا نسي فترك
طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب
فهو نسي . ونسي بفتح النون وكسرهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد ، مثل الوتر والوتر ،
والحسر والحسر ، وبأيتهما قرأ القارئ فصيبي عندنا ؛ وبالكسر قرأت عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة
وبعض أهل الكوفة ؛ وبالفتح قرأه أهل الكوفة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ إِذَا مَا غَدَتُ وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ

ويعني بقوله : تقصه : تطلبه ، لأنها كانت نسيته حتى ضاع ، ثم ذكرته فطلبته ، ويعني بقوله : تبلت :
تحسن وتصدق ، ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صوابا ، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها
تقول : نسيته نسيانا ونسيا ، كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصى الشيطان ، يعني وعصيان ، وكما تقول
أبيته إتيانا وأتيا ، كما قال الشاعر :

أَتَى الْفَوَاحِشَ فِيهِمْ مَعْرُوفَةٌ وَيَرَوْنَ فِعْلَ الْمَكْرُمَاتِ حَرَامًا

وقوله (مَنْسِيًّا) مفعول من نسبت الشيء كأنها قالت : ليتني كنت الشيء الذي ألقى ، فترك ونسي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني
عن ابن عباس ، قوله (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا) لم أخلق ، ولم أك شيئًا ،
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا) يقول :
نسيًا : نسي ذكرى ، ومنسيا : تقول : نسي أثرى ، فلا يرى لي أثر ولا عين .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا) : أي شيئًا
لا يعرف ولا يذكر .

(١) البيت للشنفرى (اللسان : نسي) قال : والنسي : الشيء المنسى الذي لا يذكر . وقال الأخصى : النسي : ما أغفل من شيء
حقير ونسي . وقال الزجاج النسي في كلام العرب الشيء المطروح ، لا يؤبه له . وقال الشنفرى : « وكان لها . . . البيت » قال
ابن بري : بلى ، بالفتح : إذا قطع ، وبلى بالكسر : إذا سكن . وقال الفراء : النسي والنسي (بكسر النون المشددة وفتحها)
لغتان فيما تلقى المرأة من خرق اعتلاها (حيضها) مثل وتر وتر . قال ولو أراد بالنسي (بالفتح) مصدر النسيان ، كان صوابا .
(٢) في (اللسان : أتى) : الإتيان : المجيء . أتيت : المجيء . أتيت إتيانا وإتيانا ومأناة : جئته . واستشهد المؤلف بالبيت على
أن العرب تقول نسيته نسيانا ونسيا ، كما تقول أتيت إتيانا وأتيا . وقوله معروفة : أنت الخبر بالتاء مع أن المبتدأ وهو الأتى مذكر ،
لكنه لما أضيف إلى الفواحش ، وهي جمع فاحشة . اكتسب منها التأنيث ، فلذلك أنت الخبر بالتاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (وَكُنْتُ نَسِيًا مِّنْسِيًّا) قال : لا أعرف ولا يدري من أنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (نَسِيًا مِّنْسِيًّا) قال : هو السقط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مِّنْسِيًّا) لم أكن فى الأرض شيئاً قط .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴿١٤﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ
تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطَبًا جَنِيًّا ﴿١٥﴾

اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) بمعنى : فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم فى تأويله ؛ فمن متأول منهم إذا قرأه (مِن تَحْتِهَا) كذلك ؛ ومن متأول منهم أنه عيسى ، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته . وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة (فَنَادَاهَا مِّن تَحْتِهَا) بفتح التاءين من تحت ، بمعنى : فناداها الذى تحتها ، على أن الذى تحتها عيسى ، وأنه الذى نادى أمه .

ذكر من قال : الذى ناداها من تحتها الملك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت ابن عباس قرأ (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) يعنى : جبرائيل .

حدثني أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس ، قال : أخبرنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودى ، قال : الذى ناداها الملك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة . أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا الرفاعى ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأها كذلك . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) قال : جبرائيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) : أى من تحت النخلة .
حدثنا موسى . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَنَادَا هَا) جبرائيل (مِنَّا تَحْتِهَا) أن لا تحزني .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) قال : الملائك .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) يعنى : جبرائيل كان أسفل منها .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) قال : ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها .
ذكر من قال : ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) قال : عيسى بن مريم .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) ابنها .
حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هو ابنها .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه (فَنَادَا هَا) عيسى (مِنَّا تَحْتِهَا) أن لا تحزني .
حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان ، عن سعيد بن جبير ، قوله (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) قال عيسى : أما تسمع الله يقول : (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَنَادَا هَا مِنَّا تَحْتِهَا) قال عيسى : ناداها (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) .
حدثت عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي ابن كعب قال : الذى خاطبها هو الذى حملته في جوفها ودخل من فيها .
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال : الذى ناداها ابنها عيسى ، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل ، فردّه على الذى هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذى هو أبعد منه . ألا ترى في سياق قوله (فحَمَلْتَهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) يعنى به : فحملت عيسى فانتبذت

به ، ثم قيل : فنأداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه . ولعله . أخرى ، وهي قوله (فأشارتُ إليه) ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناظر في حاله تلك ، وللهذا كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرية) وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيرى للقوم إليه ، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل ، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر ، مبيناً أن عيسى سينطق ، ويحتج عنها للقوم ، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله .

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بيننا ، فبين أن كلتا القراءتين ، أعني (من تحتها) بالكسر ، و (من تحتها) بالفتح صواب . وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله (فنأداها) ذكر من عيسى . وإذا قرئ (من تحتها) بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى . فتأويل الكلام إذن : فنأداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه (قد جعل ربك تحتك سرية)

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فنأداها من تحتها أن لا تحزني) قالت : وكيف لأحزن وأنت معي ، لا ذات زوج فأقول من زوج ، ولا مملوكة فأقول من سيدي ، أي شيء عذري عند الناس (يا ليتني ميت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالسري في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني به : النهر الصغير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب (قد جعل ربك تحتك سرية) قال : الجدول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية (قد جعل ربك تحتك سرية) قال : الجدول .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قد جعل ربك تحتك سرية) وهو نهر عيسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قد جعل ربك تحتك سرية) قال : السري : النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سرياً .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال في هذه الآية (قد جعل ربك تحتك سرية) قال : السري : نهر يشرب منه .

حدثنا يعقوب وأبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، في قوله (قد جعل ربك تحتك سرية) قال : هو الجدول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سريًا) قال : نهر بالسريانية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : نهر إلى جنبها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن : إن السرى : الجدول ، فقال : غلبتنا عليك الأمراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : هو الجدول ، النهر الصغير ، وهو بالنبطية : السرى .

حدثني أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان قال : سألت سعيد بن جبيرة ، عن السرى ، قال : نهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : النهر الصغير .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : هو النهر الصغير : يعني الجدول ، يعني قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک ، قال : جدول صغير بالسريانية : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تَحْتَكِ سَرِيًّا) : الجدول الصغير من الأنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : هو الجدول ، تسميه أهل الحجاز .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله (سَرِيًّا) قال : هو جدول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم وعن وهب بن منبه (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني ربيع الماء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : هو النهر .

وقال آخرون : عني به عيسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : عيسى نفسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا)

تَحْتِكَ سَرِيًّا) يعنى نفسه ، قال : وأى شىء أسرى منه ، قال : والذين يقولون : السرى : هو النهر ليس كذلك النهر ، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها ، ولا يكون النهر تحتها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قيل من قال : غنى به الجدول ، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذى جعله عندها ، وقال لها (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي) من هذا الرطب (وَأَشْرَبِي) من هذا الماء (وَقَرِّي عَيْنًا) بولدك ، والسرى معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامُهَا^١

ويروى مساجورة ، ويروى أيضا : فغادرا .

وقوله (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ) ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا ، وأمرها أن تهزه ، وذلك فى أيام الشتاء ، وهزه إياه كان تحريكه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ) قال : حركها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ) قال : كان جذعا يابسا ، فقال لها : هزىه (تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقول : كانت نخلة يابسة .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ) وكان جذعا منها مقطوعا فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها فى الحراب نهر ، فتساقطت النخلة رطبا جنيا فقال لها (كَلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) .

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامرى ، من معلقته المشهورة (انظره فى شرح الزوزنى على المعلقات السبع ، وفى شرح التبريزى على القصائد العشر ، وفى جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤) . قال صاحب الجمهرة : توسط ؛ أى دخلا وسطه . وعرض السرى : أى ناحية النهر ، وأهل الحجاز يسمون النهر سريا . وصدعا : أى فرقا . ومسجورة : أى عينا مملوءة ؛ قال الله تعالى : « والبحر المسجور » . وأقلامها ، ويروى قلامها ، وهو ضرب من شجر الحمض ، والأقلام : قصب اليراع . وقال الزوزنى : يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير ، وشقا عينا مملوءة ماء ، قد تجاوز قلامها ، أى قد كثر هذا الضرب من النبات عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عينا مملوءة ماء ، فدخلا فيها من عرض نهرها ، وقد تجاوز نبتها . والشاهد فى قوله « السرى » ، وهو اسم للنهر الصغير . (٢) كذا فى المخطوطة بغير نقط ، ولم نقف على هذه الرواية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهزى إليك بالنخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال مجاهد (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : النخلة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : العجوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، أنه تلا هذه الآية (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا) قال : فقال عمرو : ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ، وأدخلت الباء في قوله (وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كما يقال : زوجتك فلانة ، وزوجتك بفلانة ؛ وكما قال (تَنَبَّتُ بِالذُّهْنِ) بمعنى : تنبت الدهن . وإنما فعل العرب ذلك ، لأن الأفعال تكتى عنها بالباء ، فيقال إذا كئيت عن ضربت عمرا : فعلت به ، وكذلك كل فعل ، فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى ، فعنى الكلام : وهزى إليك جذع النخلة ، وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك : وهزى إليك رطبا يجذع النخلة ، بمعنى : على جذع النخلة وجها صحيحا ، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك . ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر :

بِوَادِ يَمَانَ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّهْبَانَ ١

واختلاف القراء في قراءة قوله (تَسَاقِطُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة (تَسَاقِطُ) بالتاء من تساقط وتشديد السين ، بمعنى : تساقط عليك النخلة رطبا جنيا ، ثم تدغم إحدى التاءين في الأخرى فتشد د ٢ ، وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام : إلى وهزى إليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة (تَسَاقِطُ) بالتاء وتخفيف السين ، ووجه معنى

(١) في (اللسان : سدر) السدر : شجر النبق ، واحدها سدره . . والمرخ : شجر كثير الورى سريع . وفي (اللسان : شبه) الشهبان : نبت يشبه الثمام ، ويقال له الشهبان . قال ابن سيده : والشهبان (بالتحريك) والشهبان (بضمين) : ضرب من الغضاه ؛ وقيل : هو الثمام ، يمانية ، حكاه ابن دريد . قال رجل من عبد القيس : * بواد يمان ينبت الشث صدره . . . البيت . قال ابن بري قال أبو عبيدة : البيت للأحول اليشكري . واسمه يعلى . قال : وتقديره : وينبت أسفل المرخ . على أن تكون الباء زائدة . وإن شئت قدرته : وينبت أسفل المرخ ، فتكون الباء للتعدية . لما قدرت الفعل ثلاثيا . وفي الصحاح : وقيل : الشهبان : هو الثمام من الرياحين . و (في اللسان : شث) الشث : ضرب من الشجر عن ابن دريد ، وأنشد البيت : * بواد يمان ينبت الشث فرعه * الخ . وقيل : الشث : شجر طيب الريح ، مر الطعم ، يدبغ به . قال أبو الدقيش : وينبت في جبال النور وتهامة ونجد . والبيت شاهد على أن الباء في قوله « بالمرخ » زائدة ، دخولها كخروجها وهي مثل الباء في قوله تعالى : وهزى إليك بجذع النخلة . قال في (اللسان : هز) الهز : تحريك الشيء ، كما تهز القناة ، فتضطرب وتهز . وهزه يهزه هزا وهز به ، وفي التنزيل العزيز « وهزى إليك بجذع النخلة » أي حركى . والعرب تقول : هزه وهز به إذا حركه . ومثله : خذ الخطام ، وخذ بالخطام ، وتعلق زيدا وتعلق بزيدا . قال ابن سيده :

(٢) عبارة الجلالين ، بتأوين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين .

الكلام ، إلى مثل ما وجه إليه مشدّ دوها ، غير أنهم خالفوه في القراءة . ورؤى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك (يساقط) بالياء .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام : إلى وهزى إليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا .

ورؤى عن أبي نهبك أنه كان يقرؤه (تُسْقِطُ) بضم التاء وإسقاط الألف .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام إلى : تسقط النخلة عليك رطبا جنيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن هذه القراءات الثلاث ، أعني (تَسَاقَطُ) بالتاء وتشديد السين ، وبالتاء وتخفيف السين ، وبالياء وتشديد السين ، قراءات متقاربات المعاني ، قد قرأ بكل واحدة منهنّ قراء أهل معرفة القرآن ، فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه ، وذلك أن الجذع إذا تساقط رطبا ، وهو ثابت غير مقطوع ، فقد تساقطت النخلة رطبا ، وإذا تساقطت النخلة رطبا ، فقد تساقطت النخلة بأجمعها ، جذعها وغير جذعها ، وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها ، فإنما هي جذع وجريد وسعف ، فإذا قطعت صارت جذعا ، فالجذع الذي أمرت مريم بهزه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدى ، وقد زعم أنه عاد بهزها إياه نخلة ، فقد صار معناه ومعنى من قال : كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا ، فتبين بذلك صحة ما قلنا .

وقوله (جنيا) يعني مجنيا ، وإنما كان أصله مفعولا فصرف إلى فاعل ، والمجنى المأخوذ طريا ، وكل ما أخذ من ثمرة ، أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتنى ، ولذلك قيل : فلان يجتنى الكمأة ؛ ومنه قول ابن أخت جذيمة :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كَلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ^١

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك ، واشربي من ماء السرى الذي جعله ربك

(١) البيت في (اللسان : جنى) قال : قال أبو عبيد : يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده . قال أبو عبيد : وذكر ابن الكلبي أن المثل لعمر بن عبد اللطيف ابن أخت جذيمة ، وهو أول من قاله ، وإن جذيمة نزل منزلا ، وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة ، فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجده ، ويأكل طيبها ، وعمره يأتيه بخير ما يجده ، ولا يأكل منها شيئا ، فلما أتى خاله جذيمة قال : هذا . . . البيت . والجنى : ما يجنى من الشجر . ويروى : * هذا جنائى وهجانه فيه * أى خياره . اهـ . وقال : وجنيت الثمرة أجنتها واجتنيتها : بمعنى . ابن سيده : جنى الثمرة ونحوها وتجنها ، كل ذلك : تناولها من شجرتها . وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت

تمنك ، لا نَحْشَى جوعاً ولا عطشاً (وَقَرَّيْ عَيْنَا) يقول: وطبى نفساً وافرحتى بولادتك إياى ولا تمنزنى ونصبت العين لأنها هى الموصوفة بالقرار . وإنما معنى الكلام : ولتقرر عينك بولدك ، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين ، فنصبت العين إذ كان الفعل لها فى الأصل على التفسير ، نظير ما فعل بقوله (فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) وإنما هو : فإن طابت أنفسهن لكم . وقوله (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) ومنه قوله (يُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا) إنما هو يساقط عليك رطب الجذع ، فحوّل الفعل إلى الجذع ، فى قراءة من قرأه بالياء . وفى قراءة من قرأه (تُسَاقِطُ) بالتاء ، معناه : يساقط عليك رطب النخلة ، ثم حوّل الفعل إلى النخلة .

وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله (وَقَرَّيْ) فأما أهل المدينة فقرأوه (وَقَرَّيْ) بفتح القاف على لغة من قال : قَرَّرت بالمكان أَقَرَّ به ، وَقَرَّرت عينا ، أَقَرَّ به قُرورا ، وهى لغة قريش فيما ذكر لى وعليها القراءة وأما أهل نجد فلإنها تقول قررت به عينا أقربه قرارا ، وقررت بالمكان أقربه ، فالقراءة على لغتهم (وَقَرَّيْ عَيْنَا) بكسر القاف ، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف .
وقوله (فَلَمَّا تَرَيْنَ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) يقول : فإن رأيت من بنى آدم أحدا يكلمك أو يسألك عن شىء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك (فَقُولِي لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) يقول : فقولى : إني أوجبت على نفسى لله صمتاً ألا أكلم أحدا من بنى آدم اليوم (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) .
وبنحو الذى قلنا فى معنى الصوم ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول فى هذه الآية (لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) صمتاً .
حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول (لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : صمتاً .
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس ، قوله (لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : يعنى بالصوم : الصمت .
حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمي ، قال : سمعت أنسا قرأ (لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا وَصَمْتًا) .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (لِأَنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أما قوله (صَوْمًا) فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : كان من بنى إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله ، فقال لها ذلك ، فقالت : إني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله ؛

فلما كلموها أشارت إليه ، فقالوا (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) فأجابهم فقال : (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ) حتى بلغ (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .
واختلفوا في السبب الذى من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر ، فقال بعضهم : أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة ، وذلك أنها جاءت وهى أُمُّ بُولَدٍ بالكفِّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها . . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن جارية ، قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ فقال أصحابه : حاف أن لا يكلم الناس اليوم ، فقال عبد الله : كلم الناس وسلم عليهم ، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعنى بذلك مريم عليها السلام .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم (لا تحزني) قالت : وكيف لأحزن وأنت معي ، لا ذات زوج ولا مملوكة ، أى شئ عذرى عند الناس (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام (فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَانْأُكَلِّمِ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) قال : هذا كله كلام عيسى لأمه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه (فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَانْأُكَلِّمِ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) فإني سأكفيك الكلام وقال آخرون : إنما كان ذلك آية لمريم وابنها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال في بعض الحروف : صمتا ، وذلك أنك لا تأتي امرأة جاهلة تقول : نذرت كما نذرت مريم ، ألا تكلم يوما إلى الليل ، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ، ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فقرأ (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) وكانت تقرأ في الحرف الأول : صمتا ، وإنما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها .
وقال آخرون : بل كانت صائمة في ذلك اليوم ، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس ، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهى صائمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا)

يكلمك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يعسى ، فقيل لها : لا تزيدى على هذا .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَأْتَتْ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ ۗ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها ، وسأمت لأمر الله ، وحملته حتى أتت به قومها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذا كآمها ، يعنى عيسى ، وجاءها مصداق ما كان الله وعدا احتملته ثم أقبات به إلى قومها .

وقال السدى في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ولدته ذهب الشيطان ، فأخبر بنى إسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشددون ، فدعوها (فَأَتَتْ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ)

وقوله (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) يقول تعالى ذكره : فلما رأوا مريم ، ورأوا معها الولد الذى ولدته ، قالوا لها : يا مريم لقد جئت بأمر عجيب ، وأحدثت حدثا عظيما ، وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه ، كما قال الراجز :

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقْلًا حُجْرِيًّا قَدْ كُنْتُ تَفْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا ١

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى (فَرِيًّا) قال : عظيما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) فى (اللسان : دقل) : الدقل من التمر : معروف ، قيل : هو أردأ أنواعه . وفى (اللسان : فرى) : التهذيب : ويقال للرجل إذا كان جادا فى الأمر قويا : تركته يفرى الفراء ويقدر . والعرب تقول : تركته يفرى الفرى : إذا عمل العمل أو السقى فأجاد . . . وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية :

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقْلًا حَوْلِيًّا مُسَوِّسًا مُدَوِّدًا حَجْرِيًّا

قَدْ كُنْتُ تَفْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا

أى كنت تكثرين فيه القول وتعظيميه . يقال : فلان يفرى الفرى : إذا كان يأتي بالعجب فى عمله . ثم قال : وفى التنزيل العزيز فى قصة مريم : « لقد جئت شيئا فريا » . قال الفراء : الفرى الأمر العظيم ، أى جئت شيئا عظيما . وقيل : جئت شيئا فريا : أى مصنوعا مخلقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)
قال : عظيما .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)
قال : عظيما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رأوها
ورأوه معها ، قالوا : يا مريم (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) : أي الفاحشة غير المقاربة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيَنَّكَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴿٢٨﴾

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها : يا أخت هارون ، ومن كان هارون هذا الذي
ذكره الله ، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته ، فقال بعضهم : قيل لها (يا أخت هارون) نسبة منهم لها إلى
الصلاح ، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وليس بهارون أخى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يا أخت
هارون) قال : كان رجلا صالحا في بني إسرائيل يسمى هارون ، فشبهوها به ، فقالوا : يا شبيهة هارون
في الصلاح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أخت هارون ما كان أبوك
امرا سؤء وما كانت أمك بعثا) قال : كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ، ولا يعرفون بالفساد
ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به ، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به ، وكان هارون
مصلحا محبا في عشيرته ، وليس بهارون أخى موسى ، ولكنه هارون آخر . قال : وذكر لنا أنه شيع جنازته
يوم مات أربعون ألفا ، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن
كعبا قال : إن قوله (يا أخت هارون) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ،
قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإني أجد بينهما ست مئة
سنة ، قال : فسكت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أخت هارون) قال :
اسم واطأ اسما ، كم بين هارون وبينهما من الأمم أم كثيرة .

حدثنا أبو كريب وابن المنثي وسفيان وابن وكيع وأبو السائب ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس الأودي ،
قال : سمعت أبي يذكر عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : بعثني

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران، فقالوا لى: ألسم تقرأون (يا أخت هارون)؟ قلت: بلى وقد علمت ما كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتتهم أنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبائلهم».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة، قال: أرسلنى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حوائجه إلى أهل نجران، فقالوا: أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى؟ فلم أدر ما أردت عليهم حتى رجعت إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال: «لأنهم كانوا يُسمون بأسماء من كان قبيلتهم».

وقال بعضهم: عنى به هارون أخو موسى، ونُسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده، يقال للتميمى: يا أخت تميم، وللْمُضَرِّى: يا أخت مضر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى (يا أخت هارون) قال: كانت من بنى هارون أخى موسى، وهو كما تقول: يا أخت بنى فلان.

وقال آخرون: بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معلى الفسق، فنسبوا إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه، وأنها نسبت إلى رجل من قومها.

وقوله (ما كان أبوك امرأ سوء) يقول: ما كان أبوك رجلاً سوء يأتى الفواحش (وما كانت أمك بغياً) يقول: وما كانت أمك زانية.

كما حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى (وما كانت أمك بغياً) قال: زانية. وقال (وما كانت أمك بغياً) ولم يقل: بغية، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم: ملحفة جديدة وامرأة قتيل.

القول فى تأويل قوله تعالى:

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَهْدِ صَبِيًّا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقبيله لهم، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه.

كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى، قال: لما قالوا لها (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) قالت لهم: ما أمرها الله به، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه، إلى عيسى.

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأشارت إليه) قال : أمرتهم بكلامه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه (فأشارت إليه) يقول : أشارت إليه أن كلموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فأشارت إليه) أن كالموه .

وقوله (قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبيياً) يقول تعالى ذكره ، قال قومها لها : كيف نكلم من وجد في المهدي ؟ ، وكان في قوله (من كان في المهدي صبيياً) معناها التمام ، لا التي تقتضي الخبر ، وذلك شبهه المعنى بكان التي في قوله (هل كنت إلا بشراً رسولاً) وإنما معنى ذلك : هل أنا إلا بشر رسول ؟ وهل وجدت أو بعثت ؛ وكما قال زهير بن أبي سلمى :

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدِّدُ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ^١

بمعنى : وقد صار أو وجد . وقيل : إنه عنى بالمهد في هذا الموضع : حجر أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (من كان في المهدي صبيياً) والمهد : الحجر . قال أبو جعفر : وقد بينا معنى المهدي فيما مضى بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : فلما قال قوم مريم لها (كيف نكلم من كان في المهدي صبيياً) وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم ، قال عيسى لهم متكلماً عن أمه (إني عبد الله آتاني الكتاب) وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا ، وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبيياً) .

(١) البيت في (ديوان زهير بن أبي سلمى طبعة دار الكتب المصرية بشرح أبي العباس ثعلب ، ص ٣٢٣) ورواية الأصل : أجرت تحريف . وقوله عليه : على ذلك الطريق . وحره : كريمة . وأرحبية : منسوبة إلى أرحب ، وأرحب بطن من همدان ، تنسب إليهم النجائب الأرحبية ، وقيل : هو موضع . وقال الأزهري : يحتمل أن يكون أرحب فحلاً تنسب إليه النجائب لأنها من نسله . والأرندج واليرندج : السواد يسود به الخف ، أو هو الجلد الأسود . أي زجرت على هذا الطريق هذه الناقة ، والليل أسود مثل الأرندج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه (قالوا كيف نكأتم من كان في المهدي صبياً) فأجابهم عيسى عنها فقال لهم (إني عبدُ الله آتاني الكتاب ، وجعلني نبياً) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قالوا كيف نكأتم من كان في المهدي صبياً) قال لهم : (إني عبدُ الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) فقرأ حتى بلغ (ولم يجعلني جباراً شقياً) فقالوا : إن هذا لأمر عظيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول (كيف نكأتم من كان في المهدي صبياً قال إني عبدُ الله) لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين (قالوا كيف نكأتم من كان في المهدي صبياً) وقوله (آتاني الكتاب) يقول القائل : أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظن ، وإنما معناه : وقضى يوم قضى أمور خلقه إلى أن يؤتيني الكتاب .

كما حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاک ، يعني ابن مخلد ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (قال آتاني الكتاب) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (إني عبدُ الله آتاني الكتاب) قال : القضاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قول الله (إني عبدُ الله آتاني الكتاب) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب .

وقوله (وجعلني نبياً) وقد بينت معنى النبي واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وكان مجاهد يقول في معنى النبي وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال النبي وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل .

وقوله (وجعلني مباركاً) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلني نفاعاً ، ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي ، قال : ثنا العلاء ، عن عائشة امرأة ليث ، عن ليث ، عن مجاهد (وجعلني مباركاً) قال : نفاعاً .

وقال آخرون : كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخزومي ، قال : سمعت وهيب بن

ابن الورد مولى بنى مخزوم ، قال : لقي عالم عالما لما هو فوفقه في العلم ، فقال له : يرحمك الله ، ما الذى أعلن من علمي ، قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله (وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّمَا كُنْتُمْ) وقيل : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان .

وقال آخرون : معنى ذلك : جعلني معلما للخير .

ذكر من كان ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان في قوله (وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّمَا كُنْتُمْ) قال : معلما للخير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّمَا كُنْتُمْ) قال : معلما للخير حينما كنت .

وقوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) يقول : وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة ، يعنى المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها على . وفي الزكاة معنيان : أحدهما : زكاة الأموال أن يؤدبها . والآخر : تطهير الجسد من دنس الذنوب ؛ فيكون معناه : وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي . وقوله (مَا دُمْتُ حَيًّا) يقول : ما كنت حيا في الدنيا موجودا ، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع : تطهير البدن من الذنوب ، لأن الذى يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئا لغد ، فتجب عليه زكاة المال ، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته ، فيكون ذلك وجهها صحيحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿

يقول تعالى ذكره : مخبرا عن قيل عيسى للقوم : وجعلني مباركا وبرا : أى جعلني برا بوالدتي . والبر هو البر ، يقال : هو بر بوالده ، وبار به ، وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الأمصار .

وروى عن أبي نهيك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبي نهيك أنه قرأ (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) من قول عيسى عليه السلام ، قال أبو نهيك : أوصاني بالصلاة والزكاة والبر بالوالدين ، كما أوصاني بذلك ، فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام إلى قوله (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) هو من خبر عيسى ، عن وصية الله إياه به ، كما أن قوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) من خبره عن وصية الله إياه بذلك . فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البر بمعنى عمل الوصية فيه ، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللفظ ، فإنهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما .

وقوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) يقول : ولم يجعلني مستكبرا على الله فيما أمرني به ، ونهاني عنه . شقيا ، ولكن ذللتني لطاعته ، وجعلني متواضعا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه يعني عيسى ، كان يقول : سلوني ، فإن قلبي لئين ، وإنى صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع .

وحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن . فقالت : طوبى للبطن الذي حملك ، والثدى الذي أرضعت به ، فقال نبي الله ابن مريم يحيها ، طوبى لمن تلا كتاب الله ، واتبع ما فيه (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا شَقِيًّا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء ، عن بعض أهل العلم ، قال : لا تجد عاقبا إلا وجدته جبارا شقيا . ثم قرأ (وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) قال : ولا تجد سيئ الملائكة إلا وجدته مختالا فخورا ، ثم قرأ (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) .

وقوله (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقول : والأمنة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة ، من الطعن فيه ، ويوم أموت ، من هول المطلع ، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفرع الذي ينال الناس بمعابنتهم أهوال ذلك اليوم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لائيم ، عن وهب بن منبه (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) قال : يخبرهم في قصة خبره عن نفسه ، أنه لأب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا ، يقول الله تبارك وتعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بينت لكم صفته ، وأخبرتكم خبره ، من أمر الغلام الذي حملته مريم ، هو عيسى ابن مريم ، وهذه الصفه صفته ، وهذا الخبر خبره ، وهو (قَوْلُ الْحَقِّ) يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره ، لا خبر غيره ، الذي يقع فيه الزم والشك ، والزيادة والنقصان ، على ما كان يقول الله تعالى ذكره : فقولوا في عيسى أيها الناس ، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه ، لا ما قالته اليهود ، الذين زعموا أنه لغير رشدة ، وأنه كان ساحرا كذابا ، ولا ما قاله النصارى ، من أنه كان لله ولدا ، وإن الله لم يتخذ ولدا ، ولا ينبغي ذلك له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) قال : الله الحق .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن جدّه . عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله ، قال : (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) ، قال : كلمة الله . ولو وُجِّهَ تأويل ذلك إلى : ذلك عيسى بن مريم القول الحق ، بمعنى ذلك القول الحق ، ثم حذفت الألف واللام من القول ، وأضيف إلى الحق ، كما قيل : (إِنَّ هَذَا كَلِمَةُ الْحَقِّ الْيَقِينِ) . وكما قيل : (وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ، كان تأويلا صحيحا .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق (قَوْلُ الْحَقِّ) ، برفع القول ، على ما وصفت من المعنى ، وجعلوه في إعرابه تابعا لعيسى ، كالنعت له ، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى ، إلا أن يكون معنى القول الكلمة ، على ما ذكرنا عن إبراهيم ، من تأويله ذلك كذلك ، فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى ، وإلا فرغعه عندي بمضمر ، وهو هذا قول الحق على الابتداء ، وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ثم ابتداء الخبر بأن الحق فيما فيه تسمى الأمم من أمر عيسى ، هو هذا القول ، الذي أخبر الله به عنه عباده ، دون غيره . وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب ، وكأنهما أرادا بذلك المصدر : ذلك عيسى ابن مريم قولاً حقا ، ثم أدخلت فيه الألف واللام . وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) ، فإنه بمعنى قول الحق ، مثل العاب والعيب ، والذام والذيم .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وأما قوله تعالى ذكره (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) فإنه يعني : الذي فيه يختصمون ويختلفون ، من قولهم : ماريت فلانا : إذا جادلته وخاصمته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) امتّرت فيه اليهود والنصارى ؛ فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب ؛ وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وإله ، وكذبوا كلهم ، ولكنه عبد الله ورسوله ، وكلمته وروحه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) قال : اختلفوا ، فقالت فرقة : هو عبد الله ونبيه ، فأمنوا به . وقالت فرقة : بل هو الله . وقالت فرقة : هو ابن الله . تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . قال : فذلك قوله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ)

والتي في الزخرف ، قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب . قال أحدهم حين رفع الله عيسى : هو الله ، وقال الآخر : ابن الله ، وقال الآخر : كلمة الله وعبده ، فقال المنثريان : إن قولي هو أشبه بقولك ، وقولك بقولي من قول هذا ، فهلم فلنقاتلهم . فقاتلوهم وأوطنوهم إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رفع ، فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية ، فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال اثنان منهم للثالث ، قل أنت فيه ، قال : هو ابن الله وهم النسطورية . فقال الاثنان : كذبت ، ثم قال أحد الاثنان للآخر : قل فيه ، قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى ، قال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ، وهم المسلمون ، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال ، فاقتلوا ، فظهر على المسلمين ، وذلك قول الله (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) قال قتادة : هم الذين قال الله (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كفرت الذين قالوا : إن عيسى ابن الله ، وأعظموا الفرية عليه ، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا ، ولا يصلح ذلك له ولا يكون ، بل كل شيء دونه فخلقه ، وذلك نظير قول عمرو بن أحرر : في رأس خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةً لَا يُبْتَسَغَىٰ دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ وَأَنْ مِنْ قَوْلِهِ (أَنْ يَتَّخِذَ) فِي مَوْضِعِ رَفْعِ بَكَانٍ . وَقَوْلِهِ (سُبْحَانَهُ) يَقُولُ : تَنْزِيهَا لِلَّهِ وَتَبَرُّةً لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْكَافِرُونَ الْقَائِلُونَ : عَيْسَىٰ ابْنُ اللَّهِ . وَقَوْلِهِ (إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) يَقُولُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّمَا ابْتَدَأَ اللَّهُ خَلْقَ عَيْسَىٰ ابْتِدَاءً ، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً ، مِنْ غَيْرِ فَحَلَّ افْتِحَلَّ أُمَّهُ . وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُ (كُنْ فَيَكُونُ) لِأَنَّهُ كَذَلِكَ يَبْتَدِعُ الْأَشْيَاءَ وَيَخْتَرِعُهَا ، إِنَّمَا يَقُولُ : إِذَا قَضَىٰ خَلْقَ شَيْءٍ أَوْ إِنْشَاءَهُ : كُنْ فَيَكُونُ مَوْجُودًا حَادِثًا ، لَا يَعْظُمُ عَلَيْهِ خَلْقُهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُهُ بِمَعَانَاةٍ وَكَلْفَةٍ ، وَلَا يَنْشِئُهُ بِمَعَالِجَةٍ وَشِدَّةٍ .

وقوله (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) واختلف أهل العربية في وجه فتح « أن » إذا فتحت ، فقال

(١) البيت لعمر بن أحرر . (اللسان : عنق) قال : وأما قول ابن أحرر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةً لَا يُبْتَسَغَىٰ دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ

فإنه يصف جبلا ، يقول : لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحسن منها . اه . قلت : والخلقاء : الصخرة المسماة بالعنقاء : البعيدة في السماء . والمشرقة : العالية . ورواية الشطر الثاني في الأصل : * ما ينبغي دونها سهل ولا جبل *

بعض نحوِّي الكوفة : فُتحت ردّا على عيسى وعطفا عليه ، بمعنى : ذلك عيسى ابن مريم : وذلك أن الله ربي وربكم . وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا ، وتكون بتأويل خفض ، كما قال (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَى بِظُلْمٍ) قال : ولو فتحت على قوله (وَأَوْصَانِي) بأن الله ، كان وجهها ، وكان بعض البصريين يقول : وذكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل (وَقَضَى) أن الله ربي وربكم . وكانت عامة قراء الكوفيين يقرءونه (وَإِنَّ اللَّهَ) بكسر إن بمعنى النسق على قوله (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ) وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ، (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) بغير واو .

قال أبو جعفر : والقراءة التي نختار في ذلك : الكسر على الابتداء . وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع ، وقد يجوز أن يكون عطفا على « إن » التي مع قوله (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ - وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) ولو قال قائل ، ممن قرأ ذلك نصبا : نصب على العطف على الكتاب ، بمعنى : آتاني الكتاب ، وآتاني أن الله ربي وربكم ، كان وجهها حسنا . ومعنى الكلام : وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد ، فإياه فاعبدوا دون غيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ، قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه (أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعبُدوه) ، هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (أَي إِنِّي وَإِيَّاكُمْ عبيد الله ، فاعبُدوه ولا تعبدوا غيره .

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : هذا الذي أوصيتكم به ، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم ، الذي من سلكه نجا ، ومن ركبته اهتدى ، لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : فاختلف المختلفون في عيسى ، فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال : أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) ذكر لنا أنه لما رفع ابن مريم ، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم ، فقالوا للأول : ماتقول

في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى؛ وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى؛ وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه؛ فاختلف القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهم نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فخصمهم المسلم؛ قال: فاقتل القوم. قال: فدكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن (إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقيسط من الناس، فبشرهم بعباب اليم).

حدثنا الحسن. قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فاختلف الأحزاب من بينهم) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا.. .
وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يقول: فوادى جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه، وذلك يوم القيامة.

وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) شهدوا هولاء إذا عظيما.

القول في تأويل قوله تعالى:

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به، الجاعلين له أندادا، والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة، لأن كانوا في الدنيا عميا عن إِبصار الحق، والنظر إلى حجج الله التي تدل على وحدانيته صما عن سماع آي كتابه، وما دعيتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أسمع بهم وأبصر) ذاك واقع يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) قال : أَسْمِعْ قَوْمٍ وَأَبْصِرْهُمْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا) يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (أَسْمِعْ) بجديهم اليوم (وَأَبْصِرْ) كيف يصنع بهم (يَوْمَ يَأْتُوتُنَا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا) قال : هذا يوم القيامة ، فأما الدنيا فلا ، كانت على أبصارهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر في الدنيا ؛ فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا ، وقرأ (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) .

وقوله (لَكِنَّ الظَّالِمُونَ اليَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول تعالى ذكره : لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته ، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا ، في ضلال مبين : يقول : في ذهاب عن سبيل الحق ، وأخذ على غير استقامة ، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى ، لمن تأمله وفكر فيه ، فهدي لرشده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم ، على ما فرطوا في جنب الله ، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له ، وادخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار ، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم ، والحياة التي لاموت بعدها ، فيالها حسرة وندامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها ، قال : ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة ، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا ، فيقال لهم : لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة ، فتأخذهم الحسرة ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، فيقال : لولا أن منّ الله عليكم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبَبٌ »

أَمْلَحُ ، قَالَ : فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، قَالَ : فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وَأَشَارَ بِيَدِهِ فِي الدُّنْيَا .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قَالَ : « يُنَادَى يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَيْبُونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَيْبُونَ فَيَنْظُرُونَ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُقَالُ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ ، قَالَ : ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قَالَ : يَصُورُ اللَّهُ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُذْبَحُ ، قَالَ : فَيَأْسُ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَلَا يَرْجُوهُ ، فَتَأْخُذُهُمُ الْحَسْرَةُ مِنْ أَجْلِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ، وَفِيهَا أَيْضًا الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ، وَيَأْمَنُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَوْتَ ، فَلَا يَخْشَوْنَهُ ، وَأَمِنُوا الْمَوْتَ ، وَهُوَ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ، لِأَنَّهُمْ يَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : يَحْشُرُ أَهْلَ النَّارِ حِينَ يذْبَحُ الْمَوْتَ وَالْفَرِيقَانِ يَنْظُرُونَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) قَالَ : ذَبْحُ الْمَوْتِ (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عَمِيرٍ فِي قِصَصِهِ يَقُولُ : يَأْتِي بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ دَابَّةٌ ، فَيُذْبَحُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) قَالَ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقَرَأَ (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ) مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، عَظَّمَهُ اللَّهُ ، وَحَذَّرَهُ عِبَادَةَ . وَقَوْلُهُ (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) يَقُولُ : إِذْ فُرِغَ مِنَ الْحُكْمِ لِأَهْلِ النَّارِ بِالْخُلُودِ فِيهَا ، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِمَقَامِ الْأَبَدِ فِيهَا ، بِذَبْحِ الْمَوْتِ . وَقَوْلُهُ (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) يَقُولُ : وَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ يَأْتُونَهُ خَارِجِينَ إِلَيْهِ مِنْ قُبُورِهِمْ ، مِنْ تَخْلِيدِهِ إِيَّاهُمْ فِي جَهَنَّمَ ، وَتَوْرِيثِهِ مَسَاكِنَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرِهِمْ (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَهُمْ لَا يَصْدَقُونَ بِالْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ . وَمَجَازَاةُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ ، بِمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ مَجَازِيهِمْ بِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نُزْرِتُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق ، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم ، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس ، بفنائهم منها ، وبقائها لامالك لها غيرنا ، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله ، عند مرجعه إلينا ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : (وَأَذْكُرُ) يا محمد في كتاب الله (إِبْرَاهِيمَ) خليل الرحمن ، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه ، (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) يقول : كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب ، والصديق هو الفعيل من الصدق .

وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع (نَبِيًّا) يقول : كان الله قد نبأه وأوحى إليه . وقوله (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) يقول : اذكره حين قال لأبيه (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ) يقول : ما تصنع بعبادة الوثن الذى لا يسمع (وَلَا يُبْصِرُ) شيئاً (وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) يقول : ولا يدفع عنك ضرراً شيئاً ، إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع . يقول : ما تصنع بعبادة ما هذه صفته ؟ اعبد الذى إذا دعوته سمع دعائك ، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك ، وإذا نزل بك ضرر دفع عنك .

واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله (يَا أَبَتِ) فكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : إذا وقفت عليها قلت : يا أبة ، وهى هاء زيدت نحو قولك : يا أمه ، ثم يقال : يا أم إذا وصل ، ولكنه لما كان الأب على حرفين ، كان كأنه قد أُخِلَّ به ، فصارت الهاء لازمة ، وصارت الياء كأنها بعدها ، فلذلك قالوا : يا أبة أقبل ، وجعل التاء للتأنيث ، ويجوز الترخيم من يا أب أقبل ، لأنه يجوز أن تدعو ماتضيفه إلى نفسك في المعنى مضموماً ، نحو قول العرب : يا رب اغفر لي ، وتقف في القرآن : يا أبة في الكتاب . وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء . وقال بعض نحويي الكوفة : الهاء مع أبة وأمة هاء وقف ، كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث ، وأدخلوا عليها الإضافة ، فن طلب الإضافة ، فهى بالتاء لاغير ، لأنك تطلب بعدها الياء ، ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء ، كقولك : يا أبت لاغير ، ومن قال : يا أبة ، فهو الذى يقف بالهاء ، لأنه لا يطلب بعدها ياء ؛ ومن قال : يا أبتا ، فإنه يقف عليها بالتاء ، ويجوز بالهاء ؛ فأما

بالتاء ، فلطلب ألف الندبة ، فصارت الهاء تاء لذلك ، والوقف بالهاء بعيد ، إلا فيمن قال : « يا أميمة ناصب »^١ فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم ، وكان هذا طرف الاسم ، قال : وهذا بعيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه : يا أبت إنى قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعنى : يقول : فأقبل منى نصيحتى (أهدك صراطا سويًا) يقول : أبصرك هدى الطريق المستوى الذى لا تنصل فيه إن لزمته ، وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيَنِي لَأَتَعْبُدَ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٣﴾

✽ يقول تعالى ذكره : يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصيا ، والعصى هو ذوالعصيان ، كما العليم ذوالعلم . وقد قال قوم من أهل العربية : العصى : هو العاصى ، والعليم هو العالم ، والعريف هو العارف ، واستشهدوا لقولهم ذلك ، بقول طريف بن تميم العنبرى .

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَىٰ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُونَ^٢

وقالوا : قال عريفهم وهو يريد : عارفهم ، والله أعلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيَنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٤﴾

✽ يقول : يا أبت إنى أعلم أنك إن مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله (فتكون للشيطان وليًا) يقول : تكون له وليا دون الله ، ويتبرأ الله منك ، فهلك ، والخوف فى هذا الموضع بمعنى العلم ، كما الخشية بمعنى العلم ، فى قوله (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْ نِي مَلِيًّا ﴿٤٥﴾

✽ يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم لإبراهيم ، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان ، والبراءة من الأوثان والأصنام : (أراغب أنت) يا إبراهيم عن عبادة آلهتى ؟ (لئن) أنت (لم تنته) عن ذكرها بسوء (لأرجمَنَّكَ) يقول : لأرجمك بالكلام ، وذلك السب ، والقول القبيح .

(١) هذا جزء من بيت للنابغة (سبق الاستشهاد به فى ١٤ : ٢١) وهو :

كَلَيْبِنِي لِهَمِّ يَأْمِيْمَةٍ نَّاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

(٢) البيت فى (اللسان : عرف) ونسب إلى طريف بن مالك العنبرى ، وقيل طريف بن عمرو . قال : والعريف والعارف بمعنى ،

مثل عليم وعالم . قال سيبويه : هو فعيل بمعنى فاعل ، كتولهم ضرب قذاح . والجمع عرفاء .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قال : أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك) بالشتيمة والقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله (لئن لم تنته لأرجمنك) قال : بالقول ؛ لأشتمك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لأرجمنك) يعني : رجم القول .

وأما قوله (وأهجرني ملكياً) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأهجرني حيناً طويلاً ودهراً . ووجهها معنى الملى إلى الملاءة من الزمان ، وهو الطويل منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله (وأهجرني ملكياً) قال : دهرًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ملكياً) قال : حيناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وأهجرني ملكياً) قال طويلاً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله :

(وأهجرني ملكياً) قال : زماناً طويلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأهجرني ملكياً) يقول : دهرًا ، والدهر : الملى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر

(وأهجرني ملكياً) قال دهرًا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وأهجرني ملكياً) قال : أبداً .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأهجرني سويًا سالماً من عقوبتي إياك ، ووجهها معنى الملى إلى قول

الناس : فلان ملى بهذا الأمر : إذا كان مضطرباً به غنياً فيه . وكأن معنى الكلام كان عندهم : وأهجرني

وعرضك وافر من عقوبتي ، وجسمك معافى من أذى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن

أبي طلحة ، عن ابن عباس (وأهجرني ملكياً) يقول : اجتنبني سويًا .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاهْجُرْتِي مَلِيًّا) قال : اجتنبني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة .
 حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَاهْجُرْتِي مَلِيًّا) قال : سالما .
 حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر : عن قتادة ، مثله .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان ، قال : ثنا قره بن خالد ، عن عطية الجذلي (وَاهْجُرْتِي مَلِيًّا) قال : سالما .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَاهْجُرْتِي مَلِيًّا) : اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرة .
 قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال : معنى ذلك : واهجرني سويا ، سلما من عقوبتي ، لأنه عقيب قوله (لَيْسَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ) وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آفته بالسوء أن يرحمه بالقول السيئ ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقديم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه حين توعده على نصيحتة إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة : سلام عليك يا أبت ، يقول : أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت ، ولدعائك إلى ما توعدتني عليه بالعقوبة ، ولكني (سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي) يقول : ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) يقول : إن ربي عهدته بي لطيفا يجب دعائي إذا دعوته ، يقال منه : تحفى بي فلان . وقد بينت ذلك بشواهد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) يقول : لطيفا .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) قال : إنه كان بي لطيفا ، فإن الحفي : اللطيف .
 وقوله (وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وأجتنبكم وما تدعون من دون الله

من الأوثان والأصنام (وأدعو ربِّي) يقول : وأدعو ربِّي ، بإخلاص العبادة له . وإفراده بالربوبية (عَسَى) أن لا أكون بدعاء ربِّي شَقِيًّا) يقول : عسى أن لأشقى بدعاء ربِّي ، ولكن يجب دعائي ، ويعطيني ما أسأله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم ، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم ، فوهبنا له ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق (وكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) يقول : وجعلناهم كلهم ، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء ، وقال تعالى ذكره (وكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) فوحد ، ولم يقل أنبياء ، لتوحيد لفظ كل (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا) يقول جل ثناؤه : ورزقنا جميعهم ، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا ، وكان الذي وهب لهم من رحمته ، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه ، وأغناهم بفضله .
وقوله (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول تعالى ذكره : ورزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل من الناس .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول : الثناء الحسن ، وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم ، والعرب تقول : قد جاءني لسان فلان ، تعني ثناءه أو ذمه ؛ ومنه قول عامر بن الحارث .

إِنِّي أَتَتَّنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَدُوِّ لَاعَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ

وَيُرَوَّى : لَا كَذِبَ فِيهَا وَلَا سَخَرَ .

جَاءَتْ مُرْجَمَةً قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي الْإِشْفَاقُ وَالْحَذَرُ

مُرْجَمَةٌ : يظنُّ بها .

(١) البيت لأعشى باهله واسمه عامر ابن الحارث (جهرة أشعار العرب ص ١٣٥) وهي إحدى المراثي الجياد . وفي (اللسان : لسن) اللسان : جارحة الكلام ، وقد يكتفى بها عن الكلمة ، فيؤنث حينئذ . قال أعشى باهله : « إِنِّي أَتَتَّنِي لِسَانٌ . . . البيت » . قال ابن بري اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام . ثم قال : قال اللحياني : اللسان في الكلام يذكر ويؤنث ، يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن ، أي ثناؤهم . اهـ . واللسان : الثناء ، وقوله عز وجل : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » : معناه : اجعل لي ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر . اهـ . وفي (تاج العروس : علا) : وأما قول أعشى باهله « من علو » فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها ، أي أتاني خبر من أعالي نجد . اهـ . وفي جهرة أشعار العرب : السخر : الاستهزاء . اهـ . وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يجيء بمعنى الثناء ، مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة .

(٢) هذا البيت لأعشى باهله أيضا ، وهو بعد البيت السابق عليه في القصيدة نفسها ، كافي (جهرة أشعار العرب ص ١٣٦) . ومعنى =

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى ابن عمران ، واقصص على قومك أنه كان مخلصا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام من المُخْلِص ، بمعنى : إنه كان يخلص لله العبادة ، ويفرده بالألوهة ، من غير أن يجعل له فيها شريكا ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم (إنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بفتح اللام من مُخْلَص ، بمعنى : إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته ، وجعله نبيا مرسلا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أنه كان صلى الله عليه وسلم مُخْلِصًا عبادة الله ، مُخْلَصًا للرسالة والنبوة ، فبأيهما قرأ القارى فمصيب الصواب :

(وكان رَسُولًا) يقول : وكان لله رسولا إلى قومه بنى إسرائيل ، ومن أرسله إليه نبيا .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٤٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : وناديناه من ناحية الجبل ، ويعنى بالأيمن : يمين موسى ، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ) جانبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) قال : جانب الجبل الأيمن . وقد بينا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ، ودلنا على الصواب من القول فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) يقول تعالى ذكره : وأدنيناه مناجيا ، كما يقال : فلان نديم فلان ومنادمه ، وجليس فلان ومجالسه ، وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه ، حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : أدنى حتى سمع صريف القلم .

= مرجمة : أى مظنونة ، لا يوقف على حقيقتها . ويقال : كلام مرجم : عن غير يقين . ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذه الفاجعة التى نزلت بهم ، فهم بين مصدق ومكذب .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال : أراه عن مجاهد ، في قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : بين السماء الرابعة ، أو قال : السابعة ، وبين العرش سبعون ألف حجاب : حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمة ؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، وسمع صريف القلم (قال رَبِّ ارِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ) .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : قرّبه منه حتى سمع صريف القلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : أدّني حتى سمع صريف القلم في اللوح ، وقال شعبة : أردفه جبرائيل عليه السلام .

وقال قتادة في ذلك ، ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : نجا بصدقه .

وقوله (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ) يقول : ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون (نَبِيًّا) يقول : أيدناه بنبوته ، وأعناها بها .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب له نبوته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في هذا الكتاب إسماعيل بن إبراهيم ، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده ، ولا يخلف ، ولكنه كان إذا وعد ربه ، أو عبدا من عباده وعدا وفي به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) قال لم يعد ربه عدا إلا أنجزها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل ، حدثه أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظلّ به إسماعيل ، وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا ؟ قال : لا ، قال : إني نسيت ، قال : لم أكن لأبرح حتى تأتي ، فبذلك كان صادقا .

(١) عبارة الدر المنثور للسيوطي : حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع . . . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿١٠٠﴾

﴿١٠٠﴾ يقول تعالى ذكره (وكان يأمر أهله بـ) إقامة (الصلاة) و (إيتاء) الزكاة (وكان عند ربه مَرْضِيًّا) عمله . محمودا فيما كلفه ربه : غير مقصر في طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١٠١﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿١٠٢﴾

﴿١٠١﴾ يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) لا يقول الكذب ، (نَبِيًّا) نوحى إليه من أمرنا ما نشاء (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ذكر أن الله رفعه وهو حى إلى السماء الرابعة ، فذلك معنى قوله (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) يعنى به إلى مكان ذى علو وارتفاع . وقال بعضهم : رُفِعَ إلى السماء السادسة . وقال آخرون : الرابعة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر ، فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قال كعب : أما إدريس ، فإن الله أوحى إليه : إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم ، فأحب أن تزاد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إن الله أوحى إلى كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت ، فليؤخرني حتى أزداد عملا ، فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء : فلما كان في السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا ، فكلم ملك الموت في الذى كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هوذا على ظهري ، قال ملك الموت ، فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قال : إدريس رُفِعَ فلم يميت ، كما رُفِعَ عيسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ولم يميت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قال : رفع إلى السماء السادسة ، فمات فيها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ورفعناه مكانا عليا) إدريس أدركه الموت في السماء السادسة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ورفعناه مكانا عليا) قال : السماء الرابعة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى (ورفعناه مكانا عليا) قال : في السماء الرابعة .

حدثنا علي بن سهيل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي هريرة أو غيره « شك أبو جعفر الرازي » قال : لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم صعد به جبريل إلى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قالوا : ومن معه ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المحيي جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال : هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال : حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على إدريس في السماء الرابعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد ، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه ، فهداهم لطريق الرشده من الأنبياء من ذرية آدم ، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك ، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن ، ومن ذرية إسرائيل ، ومن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتنبنا : يقول : ومن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا ، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس ، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم ، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، والذي عنى به من ذرية إسرائيل : موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم ، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، وإدريس جد نوح .

وقوله تعالى ذكره (إذا تلى عليهم آيات الرحمن) يقول : إذا تلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه ، خروا لله سجدا ، استكانة له وتذلا وخضوعا

لأمره وانقيادا ، (وَبُكِّيًّا) يقول : خروا سجدا وهم باكون ، والبُكِّيُّ : جمع بك ، كما العُتِيُّ جمع عات والْحُتِيُّ : جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فعول ، كما يجمع القاعد قعودا ، والجالس جلوسا ، وكان القياس أن يكون : وُبُكُوا وعتوا ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء ، كما قيل في جمع دلو أدل . وفي جمع البهو أبه ، وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو ، فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالا ، وفي ذلك لغتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحد علماء من القراء بالقرآن بكيا وعتوا بالضم ، وبكيا وعتيا بالكسر . وقد يجوز أن يكون البكِّي هو البكاء بعينه .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال : هذا السجود ، فأين البكِّي ، يريد : فأين البكاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

* فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم ، ووصفت صفتهم في هذه السورة ، خلف سوء خلفوهم في الأرض أضاعوا الصلاة . ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة ، فقال بعضهم : كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواعيدها ، وتضييعهم أوقاتها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعد الكندي ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، في قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) قال : إنما أضاعوا المواعيت ، ولو كان تركا كان كفرا .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي ، قال : ثنا الفريابي ، عن الأوزاعي ، عن القاسم بن مخيمرة ، نحوه . حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : أضاعوا المواعيت ، ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن القاسم ، نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن الأوزاعي ، عن إبراهيم بن يزيد ، أن همر ابن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين ، فخرج إلى حرسه ، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوهوا إذا رأوه ، قال : فأوسعوا له ، فجلس بينهم فقال : أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا : كلنا نعرفه ، قال : فليقم أحدثكم سنا ، فليدعه ، فأتاه الرسول فقال : لا تعجلني أشد علي ثيابي ، فأتاه فقال : إن اليوم الجمعة ، فلا تبرحن حتى تصلي ، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين ، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك مصليها لاحتالة ، ثم قرأ (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً) ثم قال : لم يكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، والحسن بن مسعود ، عن ابن مسعود ، أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - وَ- عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ - وَ- عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) فقال ابن مسعود رضي الله عنه : على مواقيتها ، قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذلك الكفر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عمر أبو حفص الأبار ، عن منصور بن المعتمر ، قال قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس ، فيكتب من الغافلين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن . وقال آخرون : بل كانت إضاعتهموها : تركها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القرظي ، أنه قال في هذه الآية (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) يقول : تركوا الصلاة . قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية ، قول من قال : إضاعتهموها تركهم إياها للدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك ، وذلك قوله جل ثناؤه (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن ، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، وقد قيل : إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً) قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة . قال محمد بن عمرو : زنا . وقال الحارث : زناة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، وقال : زنا كما قال ابن عمرو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو ثميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) . . . الآية ، قال : هم أمة محمد . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا شريك ، عن أبي تميم بن مهاجر في قول الله : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) قال : هم في هذه الأمة يترابون تراكب الأنعام والحمر في الطرق ، لا يخافون الله في السماء ، ولا يستحيون الناس في الأرض .

وأما قوله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) فإنه يعنى أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخاون غيا . وهو اسم واد من أودية جهنم ، أو اسم بر من آبارها .
كما حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد بن رزان ، قال : ثنا شريك بن قنينة ،
عن لقمان بن عامر الخزاعي . قال : جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثنا حديثا سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدعا بطعام : ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ زَيْتَةٍ عَشْرَ أَوْاقٍ قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيْفًا ،
ثُمَّ تَدْتَهِي إِلَى غَيٍّ وَأَثَامٍ . قال : قُلْتُ وَمَا غَيٌّ وَمَا أَثَامٌ ؟ قال : بَثْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ
فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وَهُمَا اللَّتَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ، وقوله في الضُرْقَانِ (وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن قتادة ،
عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : واديا في جهنم .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن
عبد الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : واديا في النار .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ،
عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر .
حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ،
في قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ
غَيًّا) قال : الغي : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ،
في قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)
قال : الغي : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن
عبد الله (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : نهر في النار يقذف فيه
الذين اتبعوا الشهوات .

وقال آخرون : بل عنى بالغى في هذا الموضع : الحسران .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَوْفَ
يَلْقَوْنَ غَيًّا) يقول : خسرا .

(١) ذكر صاحب تاج العروس : المحافظ أبا بكر : محمد بن علي بن عاصم بن رزان ، بسند أصبهان المعروف بابن المقرئ ،

بألف بعد الراء ، فلعل « رزان » هنا محرف عن « رازان » .

وقال آخرون : بل غنى به الشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : الغي : الشر ؛ ومنه قول الشاعر :

فَمَنْ يَلْتَقِ خَسِيرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمَّا
قال أبو جعفر : وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني ، وذلك أن من ورد البئر اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم ، فدخل ذلك ، فقد لاقى خسرانا وشرًا . جسبه به شرًا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : فسوف يلقي هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا ، إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله ، والإيمان به وبرسوله (وعمل صالحاً) يقول : وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه ، وأدى فرائضه ، واجتنب محارمه (فأولئك يدخلون الجنة) يقول : فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره ، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات . وقوله (وَلَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا) يقول : ولا يُبَخَسُونَ من جزاء أعمالهم شيئاً ، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالتهم ، وقبل إنبابهم إلى طاعة ربهم في جهنم ، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : فأولئك يدخلون الجنة (جنات عدن) . وقوله (جنات عدن) نصب ترجمة عن الجنة . ويعنى بقوله (جنات عدن) : بساتين إقامة . وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) يقول : هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب . لأنهم لم يروها ولم يعاينوها ، فهي غيب لهم . وقوله (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان وعده ، ووعدته في هذا الموضع موعوده ، وهو الجنة مأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلونها الله . وقال بعض نحوي الكوفة : خرج الخبر على أن الوعد هو المأتى ، ومعناه : أنه هو الذي يأتي ، ولم يقل : وكان وعده آتياً ، لأن كل ما أتاك فأنت تأتية ،

(١) البيت للمرقش الأصغر : ربعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو ابن أخي المرقش الأكبر ، وعم طرفة بن العبد (المفضليات طبع القاهرة ص ١١٨) . وفي (اللسان : غوى) قال : الغي : الضلال والخيبة . غوى (بالفتح) غيا ، وغوى (بالكسر) غواية . الأخيرة عن أبي عبيد : ضل . ورجل غاو ، وغو ، وغوى ، وغيان : ضال . وأغواه هو . وأنشد للمرقش : « فن يلق البيت » .

وقال : ألا ترى أنك تقول : أتيت على خمسين سنة ، وأنت على خمسون سنة ، وكل ذلك صواب ، وقد بينت القول فيه ، والهاء في قوله (إنّه) من ذكر الرحمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا ، وهو الهدى والباطل من القول والكلام (إلا سلاماً) وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومعناه : ولكن يسمعون سلاماً ، وهو تحية الملائكة إياهم . وقوله (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا) يقول : ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا ، وإنما يعنى أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه ، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار ، وذلك كقوله (خلت الأرض في يومين - خلت السموات والأرض في ستة أيام) يعنى به : من أيام الدنيا .

كما حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت زهير بن محمد ، عن قول الله : (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا) قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبداً ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب ، وفتح الأبواب .

حدثنا علي ، قال : ثنا الوليد ، عن خلبد ، عن الحسن ، وذكر أبواب الجنة ، فقال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، فتكلم وتكلم ، فتمهمم انفتحى انغلقى ، فتفعل .
حدثني ابن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا عامر بن يساف ، عن يحيى ، قال : كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء ، فذاك الناعم في أنفسهم ، فأنزل الله (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا) : قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا) قال : كانت العرب إذا أصاب أحدٌهم الغداء والعشاء عجب له ، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا ، قدر ذلك الغداء والعشاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ليس بكرة ولا عشي ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا) فيها ساعتان بكرة وعشي ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل ، إنما هو ضوء ونور .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها ، هي الجنة التي نورثها ، يقول : نورث مساكن أهل النار فيها (مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) يقول : من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٧﴾

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي ، وقد ذكرت بعض الرواية ، ونذكر إن شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا عبد الله بن أبان العجلي ، وقبيصة ووكيع ؛ وحدثنا سفیان بن وكيع قال : ثنا أبي ، جميعا عن عمر بن ذر ، قال : سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن محمدا قال لجبرائيل : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) » قال : هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن ذر ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ فَنَزَلَتْ (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) . . . إلى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) قال : احتبس جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن ، فأناه جبرائيل فقال : يا محمد (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لبث جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكأن النبي استبطأه ، فلما أتاه قال له جبرائيل (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) . . . الآية .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا) قال : هذا قول جبرائيل ، احتبس جبرائيل في بعض الوحي ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « مَا جِئْتُ حَتَّى اسْتَنْقَتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيلُ : (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا) » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) قال : قول الملائكة حين استراهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كالتي في الضحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : لبث جبرائيل عن محمد اثني عشرة ليلة . ويقولون : قُلِي ، فلما جاءه قال : أَيُّ جِبْرَائِيلُ لَقَدْ رِثْتَ عَلِيَّ حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنَّ . فنزلت (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) احتبس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك ، واشتد ذلك على نبي الله ، فأناه جبرائيل ، فقال : اشتد عليك احتباسنا عنك ، وتكلم في ذلك المشركون ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، إذا أمرني بأمر أطيعه (وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) يقول : بقول ربك . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) فقال بعضهم : يعني بقوله (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) من الدنيا ، وبقوله (وَمَا خَلْفَنَا) الآخرة (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) النفختين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) يعني الدنيا (وَمَا خَلْفَنَا) الآخرة (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) النفختين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) من الدنيا (وَمَا خَلْفَنَا) من أمر الآخرة (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) ما بين النفختين . وقال آخرون : (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) ما بين الدنيا والآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بَيْنَ أَيْدِينَا) الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) من أمر الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) من أمر الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) ما بين الدنيا والآخرة (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (له ما بين أيدينا) من الآخرة (وما خلفنا) من الدنيا (وما بين ذلك) ما بين النفختين .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ما بين أيدينا) من الآخرة (وما خلفنا) من الدنيا .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (ما بين أيدينا) قال : ما مضى أمامنا من الدنيا (وما خلفنا) ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة (وما بين ذلك) قال : ما بين ما مضى أمامهم ، وبين ما يكون بعدهم .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك له (ما بين أيدينا) قبل أن نخلق (وما خلفنا) بعد الفناء (وما بين ذلك) حين كنا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : له ما بين أيدينا من أمر الآخرة ، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء ، فهو بين أيديهم ، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا هذا الأمر بين يديك . أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاء ، فلذلك قلنا : ذلك أولى بالصواب : وما خلفنا من أمر الدنيا . وذلك ما قد خلفوه فمضى ، فصار خلفهم بتخليفهم إياه ، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه ، ووراءه وما بين ذلك : ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ، لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له . فتأمل الكلام إذن : فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك ، فإنا لا ننتزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها ، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية ، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا . وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة . بيده ذلك كله ، وهو مالكة ومصرفه . لا يملك ذلك غيره . فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به (وما كان ربك نسيما) يقول : ولم يكن ربك ذا نسيان ، فيتأخر ، نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضى في خاقه . جل ثناؤه وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وما كان ربك نسيما) قال : ما نسيك ربك .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا

يقول تعالى ذكره : لم يكن ربك يا محمد رب السموات والأرض وما بينهما نسيا ، لأنه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ، ولهلك لولا حفظه إياه ، فالرب مرفوع رداً على قوله (رَبُّكَ) . وقوله (فاعْبُدْهُ) يقول : فالزم طاعته ، وذلّ لأمره ونهيه (وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) يقول : واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فانه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيهه في جوده وكرمه وفضله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده ، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ، ما ذلك بموجود .
و بنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) يقول : هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً .
حدثني سعيد بن عثمان التنوخي ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي عن عباد بن عوام ، عن شعبة ، عن الحسن بن عمار ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال : شبيهاً .
حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مجاهد في هذه الآية (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال : هل تعلم له شبيهاً ، هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) لا سمى لله ولا عدل له ، كل خلقه يقرّ له ، ويعترف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية (وَلَسِنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ) .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال : يقول : لا شريك له ولا مثل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَمَّ مَاتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (ويقول الإنسان) الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حياً ، فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكاراً منه ذلك ، يقول الله تعالى ذكره (أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه ، وإيجاده بعد عدمه في خاق نفسه ، أن الله خلقه من قبل مماته ، فأنشأه بشراً سوياً من غير شيء (ولم يك) من قبل إنشائه إياه (شيئاً) فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته ، وإيجاده بعد فنائه .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ) فقراه بعض قراء المدينة والكوفة : (أَوْ لَا يَذْكُرُ) بتخفيف الذال ، وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز (أَوْ لَا يَذْكُرُ) بتشديد الذال والكاف ، بمعنى : أو لا يتذكر ، والتشديد أعجب إلى ، وإن كانت الأخرى جائزة ، لأن معنى ذلك : أو لا يتفكر فيعتبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَوَرِّبِكْ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٣٨

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين : أنذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم ، مقرنين بأوليائهم من الشياطين (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) والجي : جمع الجاثي .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) يعني : القعود ، وهو مثل قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً)

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۝٣٩

يقول تعالى ذكره ، ثم لنأخذن من كل جماعة منهم أشدهم على الله عتوا ، وتمردا فلنبدأن بهم . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علي بن الأقرم ، عن أبي الأحوص (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) قال : نبدا بالأكابر فالأكابر جرما . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس . قوله (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : أيهم أشد للرحمن معصية ، وهي معصيته في الشرك .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : عصيا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) قال : أمة . وقوله (عِتِيًّا) قال : كفرا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه ابن جريج : فلنبدان بهم .

قال أبو جعفر : والشيعه هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور . يقال من ذلك : تشايح القوم : إذا تعاونوا ؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع : إنه لمشيح : أى معان . فعنى الكلام : ثم لنزعت من كل جماعة تشايحت على الكفر بالله . أشدهم على الله عتوا ، فلنبدان بإصلاثة جهنم . والتشايح فى غير هذا الموضع : التفرق ؛ ومنه قول الله عز ذكره (وكانوا شيعا) يعنى : فرقا ؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد ؛ إني أكره أن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : شيعت بين أمتى . بمعنى : فرقت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ

يقول تعالى ذكره : ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين نزعهم من كل شيعه أولاهم بشدة العذاب ، وأحقهم بعظيم العقوبة .

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا) قال : أولى بالخاود فى جهنم .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، قول لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعه من الكفرة أشدهم كفرا ، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مخلد فى النار ، فلا وجه ؛ وجميعهم مخلدون فى جهنم . لأن يقال : ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين ، ولكن المعنى فى ذلك ما ذكرنا . وقد يخطر على بال من أن يكون معناه : ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صايا . والصلى : مصدر صليت تصلى صايا ، والصلى : فعول ، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت فى الياء التى بعدها التى هى لام الفعل . فصارت ياء مشددة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ

يقول تعالى ذكره : وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم . كان على ربك يا محمد لإيرادهموها قضاء مقضيا . قد قضى ذلك وأوجبه فى أم الكتاب .

واختلف أهل العلم فى معنى الورد الذى ذكره الله فى هذا الموضع . فقال بعضهم : الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ، قال : أخبرني

من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورد : الدخول ، وقال نافع لا ، فقرأ

ابن عباس (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) أزروود هو أم لا ؟ وقال (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) أزروود هو أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك ، قال : فضحك نافع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : قال أبو راشد الحروري : ذكروا هذا فقال : الحروري لا يسمعون حسيها ، قال ابن عباس : ويلك أمجنون أنت ؟ أين قوله تعالى (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) . (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غانما .

قال ابن جريج : يقول : الورود الذي ذكره الله في القرآن : الدخول ، ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أوراد (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَحَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ؛ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) يعرف البرّ والفاجر ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) ، وقال (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) فسمى الورود في النار دخولا ، وليس بصادر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن بكار بن أبي مروان ، عن خالد بن معدان ، قال : قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة . قال ابن عرفة ، قال مروان بن معاوية ، قال بكار بن أبي مروان ، أو قال : جامدة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا مرحوم بن عبد العزيز ، قال : ثنى أبو عمران الجزي ، عن أبي خالد قال : تكون الأرض يوما نارا ، فإذا أعددت لها ؟ قال : فذلك قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن الجري ، عن أبي السليل ، عن غنيم بن قيس ، قال : ذكروا ورود النار ، فقال كعب : 'تمسك النار للناس كأنها متن إهالة ، حتى يستوي عليها أقدام الحلائق برّهم وفاجرهم ، ثم يناديها مناد : أن أمسكي أصحابك ، ودعي أصحابي ، قال : فيخسف بكلّ ولي لها ، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده ، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم . قال : وقال كعب : ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة ، مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان ، يدفع به الدفعة ، فيصرع به في النار سبع مئة ألف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق ، قال : كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه ، قال : يا ليت أمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل : وما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ قال : أخبرنا أنا واردة ها ، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : بكى عبد الله بن رواحة في مرضه ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ، قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : ابن رواحة : إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) قال : داخلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) قال : يدخلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ابن أبي حازم ، قال : كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته ، فبكي ، فبكت امرأته ، قال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فلا أدري أنجو منها ، أم لا ؟ .

وقال آخرون : بل هو المرء عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) يعني جهنم مرّ الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) قال : هو المرء عليها .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) قال : الصراط على جهنم مثل حدّ السيف فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم . ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهمّ سلم سلم .

وقال آخرون : بل الورود : هو الدخول ، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عبد الله بن السائب ، عن رجل سمع ابن عباس يقرأها (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) يعني الكفار ، قال : لا يردها مؤمن .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن الوليد الشَّشَنِي ، قال : سمعت عكرمة يقول (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) يعني الكفار .
وقال آخرون : بل الورود عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المؤمن المرور ، وورود الكافر الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَحَاطَ الْجِسْرُ سِمَاطَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، دَعَوْاهُمْ يَوْمَئِذٍ يَا اللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ » .

وقال آخرون : ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : الحمى حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) .

حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه ، ثم قال : إن الله يقول : هي نارى أسلطها على عبدي المؤمن ، لتكون حظه من النار في الآخرة .

وقال آخرون : يردُّها الجميع ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا السدي ، عن مرة ، عن عبد الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) قال : يردُّونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ، كان على ربك حتما مقضيا قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسردها ، فانظر هل تصدر عنها أم لا ؟ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريح ، قال : أخبرني أبو الزبير « أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : نحن يوم القيامة على كوى أو كرى ، فوق الناس ، فتدعى الأمم

بأوثانها . وما كانت تعبد الأول فالأول . فينطلق بهم ويتبعونه ، قال : ويعطى كل إنسان منافق ومؤمن نورا ، ويفشى ظلمة ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاب تأخذ من شاء الله ، فيطفا نور المنافق ، وينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر ، وسبعون ألفا لاحساب عليهم ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء . ثم كذلك ثم ، تحل الشفاعة فيشفعون ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير ، ثم يلقون تلقاء الجنة ، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون نبات الشيء في السيل ، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن المبارك ، عن الحسن ، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك بأئك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال : فقيم الضحك ؟ قال : فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر ابن سعيد : إن فلانا يقول : إن ورود النار القيام عليها . قال بسر : أما أبوهريرة فسمعتة يقول : « إذا كان يوم القيامة ، يجتمع الناس نادى مناد : ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون ، فيقوم هذا إلى الحجر ، وهذا إلى الفرس ، وهذا إلى الحشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله ، فيأتيهم الله ، فإذا رأوه قاموا إليه ، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط ، وفيه عليق ، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة ، فيمر الناس ، والنبيون يقولون : اللهم سلم سلم . قال بكير : فكان ابن عميرة يقول : فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش ، ثم ناج » .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوى فيها الكفار وورودهموها هو ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناج مسلم ومكسد فيها .

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة : « لا يدخل النار أحد شهيداً بدرأ والحديبية » ، قالت : فقالت حفصة : يا رسول الله ، أليس الله يقول (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمه (ثُمَّ يَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا) .

حدثنا الحسن بن مدرك ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن حفصة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهيداً بدرأ والحديبية » ، قالت : فقلت يا رسول الله ، أليس الله يقول (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ؟ قال : فلم تسمعيه يقول (ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جثياً) ؟

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا عبيد الله بن المغيرة ابن معيقب ، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتوارى ، أخذ بنى ليث ، وكان في حجر أبي سعيد ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يوضع الصراط بين ظهرى جهنم ، عليه حسك كحسك السعدان ، ثم يستجيز الناس ، فتناج مسلم ومجروح به ، ثم ناج ومحتبس ومكذس فيها ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالاً كانوا معهم في الدنيا يصلون صلواتهم ، ويذكرون ذكواتهم ويصومون صيامهم ، ويحجون حجهم ، ويغزون غزواتهم ، فيقولون : أى ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا ، يصلون صلواتنا ، ويذكرون ذكواتنا ، ويصومون صيامنا ، ويحجون حجنا ، ويغزون غزواتنا ، لانراهم ، فيقولون : اذهبوا إلى النار ، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه ، فيسجدونهم وقد أخذتهم النار على قدر أعمالهم ، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه ، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ، ومنهم من أخذته إلى ثدييه ، ومنهم من أخذته إلى عنقه ولم تغش الوجوه ، فيستخرجونهم منها ، فيطرحونهم في ماء الحياة ؛ قيل : وماء الحياة يارسل الله ؟ قال غسل أهل الجنة ، فيندبتون كما تنبت الزرعة في غناء السيل ، ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، فيستخرجونهم منها ، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها ، فما يترك فيها عبداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو وشيع بن الليث ، عن الليث بن خالد ، عن يزيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالجنس - يعنى يوم القيامة - فيجعل بين ظهرى جهنم ، قلنا يارسل الله وما الجنس ؟ قال : مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلايب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد ، يقال لها السعدان ، يمر المؤمنون عليها كالطرف والبرق والريح ، وكأجود الخيل والركاب ، فتناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكذوس في جهنم ، ثم يمر آخرهم يسحب سحبا ، فما أنتم بأشد مناشدة لي في الحق قد تبين لكم ، من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى ، إذا رأوهم قد نجوا وبقي إخوانهم .

حدثني أحمد بن عيسى ، قال : ثنا سعيد بن كثير بن عفير ، قال : ثنا ابن كهيعة ، عن أبي الزبير ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هو الدخول ، يزدون النار حتى يخرجوا منها ، فأخبر من يبقى رجل على الصراط يزحف ، فيرفع الله

لَهُ شَجَرَةٌ ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدْنَيْي مِنْهَا ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : سَلْ ، قَالَ : فَيَسْأَلُ ، قَالَ : فَيَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أضعافِهِ أَوْ نَحْوُهَا ؛ قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ تَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قَالَ : فَيَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُو لَهُوَاتُهُ وَأَضْرَاسُهُ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب « ح » ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن زيد ، عن رشدين جميعا ، عن زياد بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُتَطَوِّعًا ، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ بِحَرَسٍ ، لَمْ يَرَ النَّارَ بَعَيْنِهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) . »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » يعني : الورد .

وأما قوله (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم معناه : كان على ربك قضاء مقضيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَتْمًا) قال : قضاء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (حَتْمًا مَقْضِيًّا) قال : قضاء . وقال آخرون : بل معناه : كان على ربك قسما واجبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبير قان ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) قال : قسما واجبا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) يقول : قسما واجبا .

قال أبو جعفر : وقد بينت القول في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٦٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره: ثم ننجى من النار بعد ورود جميعهم إياها، الذين اتقوا فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) يقول جل ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النار. جثيا، يقول: بروكا على ركبهم. وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم. حدثنا الحسن ابن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) قال: الجِثِيُّ: شرّ الجلوس لا يجلس، الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) إن الناس وردوا جهنم وهى سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ

❦ يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على الناس آياتنا التى أنزلناها على رسولنا محمد بينات، يعنى واضحات لمن تأملها وفكّر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده، قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته، وهم قريش، للذين آمنوا فصدّقوا به، وهم أصحاب محمد (أى الفريقين خيرٌ مقامًا؟) يعنى بالمقام: موضع إقامتهم، وهى مساكنهم ومنازلهم (وأحسنٌ نديًّا) وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم نَدَوْا: إذا جمعهم فى مجلس، ويقال: هو فى ندى قومه وفى ناديتهم: بمعنى واحد، ومن الندى قول حاتم:

ودُعيتُ فى أولى النديِّ ولمْ يُنظَرْ إلىَّ بأعينٍ خُزْرًا

(١) البيت لحاتم الطائى، من شعره فى كتاب (شعراء النصرانية: القسم الأول ص ١١٥) وفى (اللسان: ندى): والندى: المجالسة وناديتة: جالسته، وتنادوا: تجالسوا فى النادى، والندى: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندى. وقيل: الندى: مجلس القوم نهارا عن كراع. والنادى: كالندى. التهذيب: النادى المجلس، يندو إليه من حوالبه، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن ناديا، وهو الندى، والجمع الأنديّة. اهـ. والخزر: جمع خزراء من الخزر، وهو كما فى (اللسان خزر): كسر العين بصرها خلقة. وقيل: هو ضيق العين وصغرها. وقيل هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين، ثم استشهد بيت حاتم، وقد استشهد المؤلف به، على أن معنى الندى: مجلس القوم.

وتأويل الكلام : وإذا تُلِي عليهم آياتنا بيِّنات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا ، وأنعم بالا ، وأفضل مسكنا ، وأحسن مجلسا ، وأجمع عددا وغاشية في المجلس ، نحن أم أنتم ؟ وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قوله (خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) قال : المقام : المنزل ، والندى : المجلس .
حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس بمثله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَإِذَا تُلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً؟) قال : المقام : المسكن ، والندى : المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها ، وهو كما قال الله لقوم فرعون ، حين أهلكهم وقص شأنهم فى القرآن فقال (كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا يَخْتَصِمِينَ) فالمقام : المسكن والنعيم ، والندى : المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه ، وقال الله فيما قص على رسوله فى أمر لوط إذ قال (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) ، والعرب تسمى المجلس : النادى .

حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قام : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) يقول : مجلسا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَى الْفَرِيقَيْنِ) قال : قرىش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) قال : مجالسهم ، يقولونه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا تُلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً؟) رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة ، وفيهم قسافة ، فعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله (وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) يقول : مجلسا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) قال : الندى : المجلس ، وقرأ قول الله تعالى (فَلْيَسِدْ عُ نَادِيَهُ) قال : مجلسه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئِيَا ۖ

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن ، أي الفريقين خير مقاما ، وأحسن نديا ، مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء ، وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا ، فأهلكنا أموالهم ، وغيرنا صورهم ؛ ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

كُمَيْتٌ كَلَوْنَ الْأُرْجُوَانَ نَشْرَتُهُ ۖ ابْيَيْعَ الرَّئِي فِي الصَّوَانِ الْمُكْعَبِ ۖ

يعنى بالصوان : التخت الذى تصان فيه الثياب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا مؤمل . قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش . عن أبي ظبيان . عن ابن عباس (أحسن أثاثا ورئيا) قال : الرئى : المنظر ، والأثاث : المتاع .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الرئى المنظر .

حدثني عليّ . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (أحسن أثاثا ورئيا) يقول : منظرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أحسن أثاثا ورئيا) الأثاث : المال ، والرئى : المنظر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (أثاثا ورئيا) قال :

الأثاث : أحسن المتاع ، والرئى : المال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، يقول الله تبارك وتعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) : أى أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا ، فأهلك الله أموالهم . وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (أحسن أثاثا ورئيا) قال : أحسن صوراً ، وأكثر أموالاً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعلقمة بن عبدة وهو الثانى والعشرون من قصيدته التى مطلعها : « ذهب من الهجران فى غير مذهب » (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبي بشرح مصطفى السقا ص ٤٣٦) وفيه « الزداء » فى موضع الرئى . قال شارحه : الكيت : الفرس الذى لونه بين السواد والحمرة . والأرجوان : صبغ أحمر مشبع . والمراد هنا : ثوب أحمر . والصوان : ثوب تصان فيه الثياب ، ويقال له التخت . والمكعب هنا : الموشى من الثياب ، وهو من صفة الرداء . ويقال : المكعب : المطوى المشدود ، وكل ما ربعته فقد كعبته ، ومنه الفتاة الكاعب : التى تكعب ثديها وبرز . وفى (اللسان : رأى) : الرئى (على فمىل) والبرئى (على فعل بكسر أوله) الثوب ينشر للبيع . عن على . التهذيب : الرئى ، بهمزة مسكنة : الثوب الفاخر الذى ينشر ليرى حسنه .

قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (أثاثا) قال : المتاع (ورتنيا) قال : فيما يرى الناس . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حمجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . بنحوه . حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ ، قالوا : ثنا جرير بن قابوس ، عن أبيه . عن ابن عباس : الأثاث : المال . والرثى : المنظر الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حمجاج . عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (ورتنيا) منظر في اللون والحسن .

حدثنا القاسم . قال : ثنى حمجاج . عن ابن جريج . عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (ورتنيا) منظر في اللون والحسن .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . في قوله (أحسن أثاثا ورتنيا) قال : الرثى : المنظر ، والأثاث : المتاع ، أحسن متاعا ، وأحسن منظرا . حدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله (أحسن أثاثا) يعني المال (ورتنيا) يعني : المنظر الحسن .

واختلفت القراء في قراءة ذلك : فقرأته عامة قراء أهل المدينة (ورتيا) غير مهموز ، وذلك إذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين : أحدهما : أن يكون قارئه أراد الهمزة . فأبدل منها ياء ، فاجتمعت الياء المبدلة من الحمز والياء التي هي لام الفعل ، فأدغمتا ، فجعلتا ياء واحدة مشددة ليُسَلِّحَ حِقْوُ ذَلِكَ ، إذ كان رأس آية ، بنطائره من سائر رموس الآيات قبله وبعده ، والآخر أن يكون من رويت أروى روية ورتيا ، وإذا أريد به ذلك كان معنى الكلام : وكم أهلكنا قبلهم من قرن . هم أحسن متاعا ، وأحسن نظرا لماله ، ومعرفة لتدبيره ، وذلك أن العرب تقول : ما أحسن رؤية فلان في هذا الأمر إذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به . وقرأ ذلك عامة قراء العراق والكوفة والبصرة (ورتنيا) بهمزها ، بمعنى : رؤية العين ، كأنه أراد : أحسن متاعا ومراءة . وحكى عن بعضهم أنه قرأ : أحسن أثاثا وزيا . بالزاي . كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا . وذلك أن الزى هو الهيئة والمنظر من قولهم : زويت الجارية . بمعنى : زينتها وهيأتها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ (أثاثا ورتنيا) بالراء والهمز ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه : المنظر ، وذلك هو من رؤية العين ، لا من الروية ، فإذ كان المهوز أولى به ، فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز ، وهو يريد هذا المعنى ، فغير مخطئ في قراءته . وأما قراءته بالزاي ، فقراءة خارجة ، عن قراءة القراء ، فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم في التأويل وجه صحيح .

واختلف أهل العربية في الأثاث أجمع هو أم واحد ، فكان الأحرر فيما ذكر لي عنه يقول : هو جمع واحدتها أثاثة ، كما الحمام جمع واحدتها حمامة ، والسحاب جمع واحدتها سحابة . وأما القراء فإنه كان يقول :

لاواحد له ، كما أن المتاع لاواحد له . قال : والعرب تجمع المتاع : أمتعة ، وأمتيع ، ومتع . قال : ولو جمعت الأثاث لقلت : ثلاثة آتة وأث . وأما الرئي فإن جمعه : آراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره انبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهبهم ، القائلين : إذا تلى عليهم آياتنا ، أي الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا ، من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحق . سالكا غير سبيل الهدى ، فليمدد له الرحمن مدّا : يقول : فليطول له الله في ضلالته ، وليله فيها إملاء .

و بنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) فليدعه الله في طغيانه .

وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ) يقول تعالى ذكره : قل لهم : من كان منا ومنكم في الضلالة ، فليمدد له الرحمن في ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله ، إما عذاب عاجل ، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها ، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا) ومسكنا منكم ومنهم (وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أهم أم أنتم ؟ ويتبينون حينئذ أي الفريقين خير مقاما ، وأحسن نديا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ويزيد الله من سالك قصد المحجة ، واهتدى لسبيل الرشده ، فآمن بربه ، وصدق بآياته ، فعمل بما أمره به ، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه ، ويقرّ بلزوم فرضها إياه ، ويعمل بها ، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه ، وذلك نظير قوله (وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَفِيهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ يَقُولٍ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هُدًى إِيْمَانًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) . وقد كان بعضهم يتأول ذلك : ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

بنسخ القرآن وندوخه . فيؤمن بالناسخ . كما آمن من قبل بالندوخ . فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً) يقول تعالى ذكره : والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم . انباقيات لهم غير الفانيات الصالحات . خير عند ربك جزاء لأهلها (وخير . مرداً) عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله . وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا . وقد بيننا معنى الباقيات الصالحات . وذكرنا اختلاف المختلئين في ذلك . ودلنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا عمر بن راشد . عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف . قال : «جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم . فأخذ عوداً يابساً . فحط ورقه ثم قال : إن قول لا إله إلا الله . والله أكبر . والحمد لله وسبحان الله . تحط الخطايا . كما تحط ورق هذه الشجرة الريح . خذهن يا أبا الدرداء قبيل أن يحال بينك وبينهن . هن الباقيات الصالحات . وهن من كنوز الجنة .» قال أبو سلمة : فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأهلن الله . ولأكبرن الله . ولأسبحن الله . حتى إذا رأى الجاهل حسب أنى مجنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ آوُلِدْ ۖ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أفرايت) يا محمد (الذي كفر بآياتنا) حججنا فلم يصدق بها . وأنكر وعيدنا من أهل الكفر (وقال) وهو بالله كافر ورسوله (لأوتين) في الآخرة (ما لم آولد) . وذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص .

ذكر الرواية بذلك .

حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى . قالا : ثنا أبو معاوية . عن الأعمش . عن مسلم . عن مسروق . عن خباب . قال : كنت رجلاً قيناً . وكان لي على العاص بن وائل دين . فأتيته أتقاضاه . فقال : والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فمات : والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال : فقال : فإذا أنا مت ثم تبعثت كما تقول . جئتني ولي مال وولد . قال : فأنزل الله تعالى (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين ما لم آولد) . أطالع الغيب . أم اتخذ عند الرحمن عهداً . . . إلى قوله : (ويأتينا فرداً) .

حدثني به أبو السائب . وقرأ في الحديث : وولدا .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس .

أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهْمِيَّ بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألسم تزعمون أن في الجنة فضة وذهبا وحريرا، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتين مالا وولدا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا) . . . إلى قوله (وَيَأْتِينَا فَرْدًا). حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) قال: العاص بن وائل يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) فذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه ديننا، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال: فيعاديكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأوتين مالا وولدا، يقول الله (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال حبيب بن الأرت: كنت قينا بمكة، فكنت أعمل للعاص بن وائل، فاجتمعت لي عليه دراهم، فجئت لأتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا؟) . . . إلى (وَيَأْتِينَا فَرْدًا).

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَوَلَدًا) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَوَلَدًا) بفتح الواو من الولد في كل القرآن، غير أن أبو عمرو بن العلاء خصّ التي في سورة نوح بالضم، فقرأها (مَالُهُ وَوَلَدُهُ). وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرعوا من هذه السورة من قوله (مَالًا وَوَلَدًا) إلى آخر السورة، واللّتين في الزخرف، والتي في نوح، بالضم وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العُدْم والعَدَم، والحُزْن والحَزَن. واستشهدوا لقليلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدًا حِمَارًا

(١) البيت في (اللسان: ولد). ولم ينسبه. قال: الولد والولد: واحد، مثل العرب والعرب، والعجم والعجم، ونحو ذلك. وأنشد الفراء: «فليت فلانا . . .» البيت. فهذا واحد. قال: وقيس تجعل الولد جمعا، والولد (بالتحريك) واحدا. ابن السكيت يقال في الولد: الولد (بكسر أوله) والولد (بضم أوله). قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحدا وجمعا، قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد. (وهذا قريب مما نقله المؤلف عن الفراء في معاني القرآن).

ويقول الحارث بن حلزة :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدِ تَمَرُّوا مَالًا وَوُلْدًا ۱

وقول رؤبة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ فَرْدًا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدٍ شَيْءًا وَوُلْدًا ۲

وتقول العرب في مثلها : **وُلْدُكَ مِنْ دَمِي عَقَبَيْكَ** ، قال : وهذا كاه واحد ، بمعنى الولد . وقد ذكر لي أن قيسا يجعل الولد جمعا ، والولد واحدا . ولعل الذين قرعوا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم ، إنما قرعوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد .

✽ قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي أن الفتح في الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد ، وهما لغتان . فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها . فالقراءة به أعجب إلى لذلك .

وقوله (**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ**) يقول عز ذكره : أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب ، فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه (**أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**) يقول : أم آمن بالله وعمل بما أمر به ، وانتهى عما نهاه عنه ، فكان له بذلك عند الله عهدا أن يؤتبه ما يقول من المال والولد . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ** ، **أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**) بعمل صالح قدمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۗ وَنَرِيهِمْ مَا يَقُولُ ۗ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۗ

✽ يعني تعالى ذكره بقوله : **كَلَّا** ليس الأمر كذلك ، ما اطلع الغيب ، فعلم صدق ما يقول ، وحققة ما يذكر ، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بطاعته ، بل كذب وكفر ، ثم قال تعالى ذكره (**سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ**) : أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه ، القائل (**لَأُوتِينَ**) في الآخرة (**مَالًا وَوُلْدًا وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا**) يقول : ونزيده من العذاب في جهنم بقبيله الكذب والباطل في الدنيا ، زيادة على عذابه بكفره بالله .

وقوله (**وَنَرِيهِمْ مَا يَقُولُ**) يقول عز ذكره : ونسلب هذا القائل : **لَأُوتِينَ** في الآخرة مالا وولدا .

ماله وولده ، ويصير لنا ماله وولده دونه ، ويأتينا هو يوم القيامة فردا ، وحده لا مال معه ولا ولد .

(١) البيت للحارث بن حلزة الشكري ، وهو من شواهد (لسان العرب : ولد) مثل الشاهد الذي قبله . واستشهد به الفراء أيضا في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٩٥) ثم قال : والولد والولد : لغتان مثل ما قالوا : العدم والعدم .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج ، وهما من مشطور الرجز ، والفرد : المتفرد بالربوبية ، وبالأمردون خلقه ، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ثاني . والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه . شواهد على أن الولد ، بضم الواو وسكون اللام ، بمعنى الولد ، بالتحريك . وأنه مفرد ، وقد يجيء بمعنى الجمع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ) : ماله وولده ، وذلك الذي قال العاصي بن وائل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا) :
لامال له ولا ولد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ) قال : ما عنده ، وهو قوله (لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) وفي حرف ابن مسعود : ونرثه ما عنده .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ) قال :
ما جمع من الدنيا وما عمل فيها . قال (وَيَأْتِينَا فَرْدًا) قال : فردا من ذلك ، لا يتبعه قليل ولا كثير .
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ) : نرثه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿١٠﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدًّا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : واتخذوا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله ، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًا ، يمنعونهم من عذاب الله ، ويتخذون عبادتهم موها عند الله زُلْفَى . وقوله (كَلَّا) يقول عزّ ذكره : ليس الأمر كما ظنوا وأمّلوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، في أنها تنقذهم من عذاب الله ، وتنجيهم منه ، ومن سوء إن أرادهم ربهم . وقوله (سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) يقول عزّ ذكره : ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها ، وكفرهم بها قيلهم لربهم : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، فجحّدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمرؤهم بذلك ، وتبرّءوا منهم ، وذلك كفرهم بعبادتهم . وأما قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وتكون آلهتهم عليهم عونًا ، وقالوا : الضدّ : العون .

(١) كذا في ابن كثير أيضا ، والذي في الدر عن ابن عباس : ونرثه ما يقول : ماله وولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس : قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) يقول : أعوانا .

حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن : قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : عونا عليهم نخاصمهم وتكذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : أوثانهم يوم القيامة في النار .

وقال آخرون : بل عنى بالضدّ في هذا الموضع : القرناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس . قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) يقول : يكونون عليهم قرناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قرناء في النار ، يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (ضِدًّا) قال : قرناء في النار .

وقال آخرون : معنى الضدّ ههنا : العدو .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : أعداء .

وقال آخرون : معنى الضدّ في هذا الموضع : البلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : يكونون عليهم بلاء . الضدّ : البلاء ، والضدّ في كلام العرب : هو الخلاف ، يقال : فلان يضادّ فلانا في كذا . إذا كان يخالفه في صنيعه ، فيفسد ما أصلحه ، ويصالح ما أفسده ، وإذا كان ذلك معناه ، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكروهم الله في هذا الموضع يتبرعون منهم ، وينتفون يومئذ ، صاروا لهم أضدادا ، فوصفوا بذلك .

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضدّ ، وهو صفة لجماعة . فكان بعض نحوّي البصرة يقول :

وحد لأنه يكون جماعة ، وواحد مثل الرصد والأرصاد . قال : ويكون الرصد أيضا لجماعة . وقال بعض نحوي الكوفة واحد ، لأن معناه عوننا ، وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ (كَلَّا سَيَكْفُرُونَ) يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا ﴿٥٦﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله (تَؤُوزُهُمْ) يقول : تحركهم بالإغواء والإضلال ، فزعجهم إلى معاصي الله ، وتغريهم بها حتى يواقعوها (أَرْزَاقًا) إزعاجا وإغواء .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْزَاقًا) يقول : تغريهم لإغراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : تؤوز الكافرين لإغراء في الشرك ، امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار ، امضوا في الغي امضوا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا) قال : تغريهم لإغراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا) قال : تزعجهم لإزعاجا في معصية الله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة في قول الله (تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا) قال : تزعجهم إلى معاصي الله لإزعاجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا) قال : تزعجهم لإزعاجا في معاصي الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُوزُهُمْ أَرْزَاقًا) فقرأ (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال : تؤوزهم أَرْزَاقًا ، قال : تشليهم لإشلاء على معاصي الله تبارك وتعالى ، وتغريهم عليها ،

كما يغري الإنسان الآخر على الشيء . يقال منه : أَرَزَتْ فلانا بكذا . إذا أغرته به أَوْزُهُ أَرَا وَأَرِيزَا ، وسمعت أَرِيزَ القدر : وهو صوت غليانها على النار ؛ ومنه حديث مطرف عن أبيه ، أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي . ولخوفه أَرِيزَ كَأَرِيزَ الرجل .

وقوله (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) يقول عز ذكره : فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والملاك . يا محمد إنما نعد لهم عدًّا . يقول : فإنما تؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثماً . ونحن نعد أعمالهم كلها ونخصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها . ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية . عن علي . عن ابن عباس . قوله (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) يقول : أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا . فهي معدودة كسنتهم وآجالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ۖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ۖ

يقول تعالى ذكره : يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه . فاجتنبوا لذلك معاصيه ، وأدوا فرائضه إلى ربهم (وَفَدًّا) يعني بالوفد : الركبان ، يقال : وفدت على فلان : إذا قدمت عليه ، وأوفد القوم وفدا على أميرهم . إذا بعثوا من قبلهم بعثا . والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع ، ولكنه وحده : لأنه مصدر واحدهم وافد ، وقد يجمع الوفد : الوفود ، كما قال بعض بني حنيفة :

إِنِّي لَمُتَّسِدِحٌ فَمَا هُوَ صَانِعٌ رَأْسُ الْوُفُودِ مُزَاحِمٌ بِنِ جِسَاسٍ

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد ، كما الجلوس جمع جالس . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعد ، عن علي ، في قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا) قال : أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا يساقون سوفا ، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة .

(١) البيت لبعض بني حنيفة ، كما قال المؤلف . وفي (تاج العروس : جث : جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمي ، ابن عمرو بن عبد الله بن لوى بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مناة بن أد : أبو قبيلة ، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج ابن الحارث بن عمرو بن جساس عن شعبة عنه أبو الربيع الزهراني ، وأخوه عثمان بن زفر ، حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره . وفي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي : مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفي ، عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه شعبة وسفيان ، وثقه ابن معين . وفي (اللسان : وفد) : قال الله تعالى : « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا » : قيل الوفد : الركبان المكرمون وهم الوفد والوفود . فأما الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافد وجمع الوفد : أوفاد ووفود

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) قال : على الإبل .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) يقول : ركبانا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة ، وأطيبها ريحا ، فيقول : هل تعرفني فيقول : لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عمك الصالح طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ، وتلا (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إلى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) قال : وفدا إلى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) قال : على النجائب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً) قال : على الإبل النوق .

وقوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) يقول تعالى ذكره : ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا . والورد : مصدر من قول القائل : وردت كذا أرده وردا ، ولذلك لم يجمع ، وقد وصف به الجمع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) يقول : عطاشا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) قال : عطاشا .

حدثني يعقوب والفضل بن صباح ، قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) قال : عطاشا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إلى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) قال : ظمأ إلى النار .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا)
سوقوا إليها وهم ظمء عطاش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : سمعت سفيان يقول في قوله (وَتَسْؤُقُ
الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا) قال : عطاشا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد ، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة ،
حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ، فيشفع بعضهم لبعض (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ) منهم (عِنْدَ
الرَّحْمَنِ) في الدنيا (عَهْدًا) بالإيمان به ، وتصديق رسوله : والإقرار بما جاء به ، والعمل بما أمر به .
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى يعاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا
مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة
ولا يرجو إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ
إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : عملا صالحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ
اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) : أى بطاعته ، وقال في آية أخرى (لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ
لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، ذكر لنا أن
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنْ فِي أُمَّتِي رَجُلًا لَمَيِّدٌ خَلِنَ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » . وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن عوف بن مالك ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا »
و « مَنْ » في قوله (إِلَّا مَنْ) في موضع نصب على الاستثناء ، ولا يكون خفضا بضمير اللام ، ولكن قد
يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل : أردت المرور اليوم إلا العدو ، فإني لا أمر
به ، فيستثنى العدو من المعنى ، وليس ذلك كذلك في قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ عَهْدًا) لأن معنى الكلام : لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله ، فالؤمنون ليسوا من أعداد
الكافرين ، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة
للمتقين ، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، لا يملكون الشفاعة ، إلا من اتخذ

عند الرحمن عهدا . فيكون معناه عند ذلك : إلا لمن اتخذه عند الرحمن عهدا . فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين : فإن « من » تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع ، فيكون معنى الكلام : لا يملكون الشفاعة ، لكن من اتخذه عند الرحمن عهدا يملكه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلَشُّوْنَ الْأَرْضُ
وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه : لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (شَيْئًا إِدًّا) يقول : قولا عظيما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) يقول : لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَيْئًا إِدًّا) قال : عظيما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (شَيْئًا إِدًّا) قال : عظيما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا)

قال : جئتم شيئا كبيرا من الأمور حين دعوا للرحمن ولدا . وفي الإدّ لغات ثلاث ، يقال : لقد جئت شيئا إدّا ، بكسر الألف ، وأدّا بفتح الألف ، وآدّا بفتح الألف ومدّها ، على مثال مادّ فاعل . وقرأ قرآء الأمصار ، وبها نقرأ ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك بفتح الألف ، ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرآء الأمصار . والعرب تقول لكلّ أمر عظيم : إدّ ، وإمر ، ونكر ، ومنه قول الراجز :

قَدُّ لَقِيْبِي الْأَعْمَدَاءُ مِثْنِي نُكْرًا دَاهِيَّةٌ دَهِيَاءَ إِدًّا إِمْرًا

(١) هذان بيتان من مشطور الراجز . وقد سبق استشهاد المؤلف بهما عند قوله تعالى في سورة الكهف (١٥ : ١٨٤) « لقد جئت

شيئا إمرا » . وقد شرحناهما ثم .

ومنه قول الآخر : فِي لَهْتٍ مِنْهُ وَحَتْلٍ إِذَا
 وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشتتْنَ : قطعاً من
 قلوبهم (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) ، ومنه قيل : فطَّرَ نابه : إذا انشقَّ .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ
 يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا . أَنْ دَعَوْا الرَّحْمَنَ وَكَدًّا) قال : إن الشرك فزعت
 منه السموات والأرض والجبال ، وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينفع مع
 الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « لَقَنُوا مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، قَالُوا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ قَالَهَا فِي صِحَّتِهِ ؟ قَالَ : تِلْكَ أَوْجَبُ وَأَوْجَبُ . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُ
 جِبِيءٌ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ ، فَوُضِعْنَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ ،
 وَوُضِعَتْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (تَكَادُ السَّمَوَاتُ
 يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا) ذكر لنا أن كعباً كان يقول : غضبت
 الملائكة ، واستعرت جهنم ، حين قالوا ما قالوا .
 وقوله (وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ) يقول : وتكاد الأرض تنشق ، فتصدع من ذلك (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
 هَدًا) يقول : وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطاً ، والهد : السقوط ، وهو مصدر هددت ،
 فأنا أهدد هداً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًا) يقول : هدماً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :
 (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا) قال : الهد : الانقضاء .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله . واللهث واللهاث : حر العطش في الجوف . وفي (اللسان : لهث) ابن سيده :
 لهث الكلب بالفتح ، ولهث يلهث فيما لهث : دلع لسانه من شدة العطش والحر ، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش . ولهث
 الرجل ولهث (بفتح الهاء في الأول وكسرها في الثاني) يلهث (بالفتح) في اللغتين جميعاً ، لهثاً فهو لهثان : أعيا . وأما الحثل فلم أجد
 في مادة (حثل) في المعاجم معنى يناسب البيت ، ولعله محرف عن الحبل ، وهو فساد الأعضاء . أو عن الحتل ، وهو التخادع عن غفلة ،
 ولعل الراجز يصف كلب صيد أو فرساً . وأما الإد فهو العجب ، والأمر الفظيخ ، وهو محل الشاهد في كلام المؤلف ، كالبيتين قبله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا) قال : غضبا لله ، قال : ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السموات والأرض والجبال من قولهم : لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة ، فقال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ) قالوا : هو وصاحبه وابنه ، جعلوهما إلهين معه (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ) . . . إلى قوله (وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾

﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره : وتكاد الجبال أن تخِرَّ انقضاضا . لأنَّ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، فد « أن » في موضع نصب في قول بعض أهل العربية ، لاتصالها بالفعل ، وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الحافظ - وقد بيننا الصواب من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا - بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقال (أن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) يعنى بقوله (أن دَعَا) : أن جعلوا له ولدا ، كما قال الشاعر :

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُونَ نَصِيحًا وَإِنْ تَغَيَّبُ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ

وقال ابن أحر :

أَهْوَى لَهَا مَشْقَصًا حَشْرًا فَشَبَّرَقَهَا وَكُنْتُ أَدْعُو قَدَاهَا الْإِثْمِدَ الْقَرْدَا

وقوله (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول : وما يصلح لله أن يتخذ ولدا ، لأنه ليس كالمخلوق الذين تغلبهم الشهوات ، وتضطربهم اللذات إلى جماع الإناث ، ولا ولد يحدث إلا من أنثى ، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه ، وذلك كقول ابن أحر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةٍ مَا يَنْبَغِي دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ

يعنى : لا يصلح ولا يكون .

(١) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح تاليه .

(٢) البيت في (اللسان : دعا) . ونسبه إلى ابن أحر الباهلي . قال : ودعوته بزيد . ودعوته إياه : خميته به ، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف ؛ قال ابن أحر الباهلي : « أهوى لها . . . » البيت . أى اسميه ، وأراد : أهوى لها بمشقص ، فجذف الحرف وأوصل . وقوله عز وجل « أن دعوا للرحمن ولدا » : أى جعلوا ، وأنشد بيت ابن أحر أيضا وقال : أى كنت أجعل وأنسى ؛ ومثله قول الشاعر : « ألا رب من تدعو نصيحا . . . البيت » . والمشقص من النصال : ما كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضا فهو المعيلة (اللسان : شقص) . وسهم محشور وحشر : مستوى قذ الريش ، وكل لطيف دقيق حشر . وشبرقها : مزقها ، يقال : ثوب مشبرق : مقطوع بمزق . وفي كتاب (المعاني الكبير لابن قتيبة طبع حيدر أباد ص ٩٨٨) : يقول : كنت من إشفاق عليها اسمى ما يصلحها قذى ، فكيف ما يؤذيها . وقوله « أدعو » أى اسمى ؛ تقول : ما تدعون هذا فيكم ؟ أى ما تسمونه؟ والحشر : السهم الخفيف الريش الذى قد شد قصبه ورصافه . والإثمد الكحل الأسود . والقرد : هو الذى ينقطع فى العين ؛ وقيل القرد : الذى لصق بعضه ببعض . والمعنى : كنت اسمى الإثمد قذى ، من حذرى عليها .

(٣) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريبا فى هذا الجزء ص ٨ ؛ وشرحناه ثمة .

(إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبِيدًا) يقول : ما جميع من في السموات من الملائكة ، وفي الأرض من البشر والإنس والجن (إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبِيدًا) يقول : إلا يأتي ربه يوم القيامة عبداً له ، ذليلاً خاضعاً ، مقرّاً له بالعبودية ، لانسب بينه وبينه . وقوله (آتَى الرَّحْمَنَ) إنما هو فاعل من أتته ، فأنا آتته .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم ، وعدّهم عدداً ، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ، وعرف عددهم ، فلا يعزب عنه منهم أحد (وكلُّهم آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) يقول : وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لا ناصر له من الله ، ولا دافع عنه ، فيقضى الله فيه ما هو قاض ، ويصنع به ما هو صانع .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا لِبَلْسَانَكَ تُلْتَكِمُ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله وورسله ، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم ، فعملوا به ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) في الدنيا ، في صدور عباده المؤمنين . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مسلم الملائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في الناس في الدنيا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : حبا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عُمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : الودّ من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن ، واللسان الصادق . حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن عبيد المكنيب ، عن مجاهد ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في المسلمين في الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : يحبهم ويحبهم إلى خلقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : يحبهم ويحبهم إلى المؤمنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يحبهم ويحبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ، وزاده من عنده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) : إى والله فى قلوب أهل الإيمان . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَرِيمَ بْنَ حَيَّانَ كَانَ يَقُولُ : مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَرْزُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عثمان بن عفان كان يقول : ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا شرا ، إلا كساه الله رداء عمله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة . وذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ .

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى ، قال : أخبرنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن أمه أم إبراهيم ابنة أبي عبيدة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيها ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه لما هاجر إلى المدينة ، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة ، منهم شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميمة بن خلف ، فأنزل الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) .

وقوله (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : فإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه ، لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصبه ، بالحنّة . (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) يقول : ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش ، فإنهم أهل لُدٍّ وجدل بالباطل ، لا يقبلون الحق ، واللُدُّ : شدة الحصومة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لُدًّا) قال : لا يستقيمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) يقول : لتنذر به قوما ظلمة .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) : أي جدالا بالباطل ،
 ذوى لُدّ وخصومة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله
 (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) قال : فُجَّارًا .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَوْمًا لُدًّا)
 قال : جدالا بالباطل .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)
 قال : الألدّ : الظلوم ، وقرأ قول الله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) .
 حدثنا أبو صالح الضراري ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن الحسن
 في قول الله عز وجل (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) قال : صمًا عن الحق .
 حدثني ابن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن هارون ، عن الحسن ، مثله .
 وقد بينا معنى الألدّ فيما مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكتنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش . من قرن ، يعني من جماعة من
 الناس ، إذ سلکوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم ، هل تحس منهم من أحد : يقول : فهل تحس
 أنت منهم أحدا يا محمد ، فراه وتعابنه (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يقول : أوتسمع لهم صوتا ، بل بادوا
 وهلكوا ، وختلت منهم دورهم ، وأوحشت منهم منازلهم ، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من
 عمل قدموه ، فكذلك قومك هؤلاء ، صائرون إلى ماصار إليه أولئك ، إن لم يُعاجِلوا التوبة قبل الهلاك .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ تَسْمَعُ
 لَهُمْ رِكْزًا) قال : صوتا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (هَلْ
 يُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) قال : هل ترى عينا ، أوتسمع صوتا .

(١) أبو صالح الضراري : بالصاد المعجمة . كما في (تاج العروس : ضرر) . وفي الأصل : بالصاد المهملة . تحريف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) يقول : هل تسمع من صوت ، أو ترى من عين ؟ .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يعني : صوتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : رِكْزُ النَّاسِ : أصواتهم . قال أبو كريب : قال سفيان : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) ؟
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) قال : أو تسمع لهم حيسًا . قال : والركز : الحس .
قال أبو جعفر : والركز في كلام العرب : الصوت الخفي ، كما قال الشاعر :
فَتَوَجَّسْتُ ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْبِيَاءِ سَقَامُهَا
آخر تفسير سورة مريم ، والحمد لله رب العالمين

(٢٠) سُورَةُ طٰهٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَسْبٌ وَثَلَاوُنٌ وَمَائِنَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طه) فقال بعضهم : معناه يارجل . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : طه : بالنسب طية : يارجل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فإن قومه قالوا : لقد شقي هذا الرجل بربه ، فأنزل الله تعالى ذكره (طه) يعني : يارجل (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) .

(١) البيت من معلقة لبديع بن ربيعة العامري (جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤ وشرح الزوزني للمعلقات السبع . وشرح التبريزي للقصائد العشر) . والرواية في الجمهرة : « وتسمعت رجز الأنيس » . قال : والرجز الصوت الخفي . قال الله تعالى : « أو تسمع لهم ركزا » . ويروي (رزا بالتشديد . والأنيس : الإنس . عن ظهر غيب : أي مكان خفي . والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم . وفي التبريزي : وتسمعت رز الأنيس . قال : ويروي : توجست رجز الأنيس . أي تسمعت البقرة صوت الناس . فأفزعها ، ولم تر الناس . والرز والرجز الصوت الخفي . وقوله « عن ظهر غيب » معناه : من وراء حجاب ، أي تطمع من حيث لا ترى . « الأنيس سقامها » : معناه : والأنيس هلاكها ، أي يصيدها . وراعها أي أفزعها . وفاعل تسمعت : ضمير البقرة . وفاعل راعها : ضمير الرز ، وفي الزوزني وتوجست رز الأنيس ، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزي له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن مسلم : أو يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير أنه قال : طه : يا رجل بالسريانية .

قال ابن جريج : وأخبرني زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بذلك أيضا . قال ابن جرير ، وقال مجاهد ، ذلك أيضا .

حدثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله : (طه) قال : يا رجل ، كلمه بالنبطية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله ، عن عكرمة ، في قوله (طه) قال : بالنبطية : يا إنسان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن قررة بن خالد ، عن الضحاك ، في قوله (طه) قال : يا رجل بالنبطية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة في قوله (طه) قال : يا رجل :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طه) قال : يا رجل ، وهي بالسريانية :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله (طه) قالوا : يا رجل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، يعني ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (طه) قال : يا رجل .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء الله ، وقسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (طه) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : هو حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى ، واختلفوا في ذلك اختلافهم في الم ، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه ، وبيننا ذلك بشواهد .

والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه : قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل ، أنشدت لمتهم بن نويرة :

هَتَفَتْ بَطْنَهُ فِي الْقِتَالِ فَلَسَمَ يُجِيبُ فَخَفِنْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلًا
وقال آخر :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَّ مِنْ خَدَائِقِكُمْ^١ لَابَارِكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ^٢

فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا ، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين .

فتأويل الكلام إذن : يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشتى ، ما أنزلناه عليك فنكلك ما لا طاقة لك به من العمل ، وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقي من النَّصَبِ والعناء والسهر في قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشتى) قال : هي مثل قوله (فاقْرَأْهُ وَمَا تَيْسَّرَ مِنْهُ) فكانوا يعلقون الحبال في صدورهم في الصلاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشتى) قال في الصلاة كقوله (فاقْرَأْهُ وَمَا تَيْسَّرَ مِنْهُ) فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشتى) لا والله ما جعله الله شقيا ، ولكن جعله رحمة ونورا ، ودليلا إلى الجنة .

وقوله (إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى) يقول تعالى ذكره : ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله ، فيتميه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى) وإن الله أنزل كتبه ، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ، ليتذكر ذاكره ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، فقال (تَنْزِيلًا لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى) قال : الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى .

(١) البيت لمتعم بن نويرة كما قال المؤلف . وفي (اللسان : طه) : الليث في تفسير (طه) مجزومة أنها بالحشية : يا رجل قال : ومن قرأ (طه) فحرفان . وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف ، حتى قام على أصابع قدميه خوفا ، فقال الله عز وجل . (طه) أي اطمئن . الفراء : (طه) حرف هجاء . قال : وجاء في التفسير (طه) يا رجل : يا إنسان . قال : وحدث قيس عن عاصم عن زر ، قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله : (طه) بكسرتين ، فقال الرجل : أليس إنما أمر أن يطأ قدمه ، فقال له عبد الله : هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الفراء : وكان بعض القراء يقطعها (طه) وروى الأزهري عن أبي خاتم قال : (طه) : افتتاح سورة ، ثم استقبال الكلام فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشتى » . وقال قتادة : (طه) بالسريانية : يا رجل . وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هي بالنبطية : يا رجل ، وروى ذلك عن ابن عباس . اهـ . (اللسان) .

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن معنى (طه) في كلام العرب : يا رجل . ولم أقف على قائل البيت .

فمعى الكلام إذن : يارجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى .
وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة ، فكان بعض نحوي البصرة يقول : قال : إلا تذكرة
بدلا من قوله لتشقى ، فجعله : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : نصبت
على قوله : ما أنزلناه إلا تذكرة . وكان بعضهم ينكر قول القائل : نصبت بدلا من قوله (لِيَتَشَقَّى) ،
ويقول : ذلك غير جائز ، لأن (لِيَتَشَقَّى) فى الجحد ، و (إِيَّاءَ تَذَكِيرَةٍ) فى التحقيق ، ولكنه تكرير .
وكان بعضهم يقول : معنى الكلام : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، لالتشقى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿١٠﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الأرض
والسموات العلى . والعلى : جمع عليا .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (تَنْزِيلًا) فقال بعض نحوي البصرة : نصب ذلك بمعنى :
نزل الله ذلك تنزيلا . وقال بعض من أنكرو ذلك من قبله هذا من كلامين ، ولكن المعنى : هو تنزيل ، ثم أسقط
هو ، واتصل بالكلام الذى قبله ، فخرج منه ، ولم يكن من لفظه .
قال أبو جعفر : والقولان جميعا عندي غير خطأ .

وقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا .
وقد بيّنا معنى الاستواء بشواهد فى ما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا
الموضع . وللرفع فى الرحمن وجهان : أحدهما بمعنى قوله : تنزيلا ، فيكون معنى الكلام : نزل من خلق
الأرض والسموات ، نزله الرحمن الذى على العرش استوى . والآخر بقوله (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) لأن
فى قوله استوى ، ذكرا من الرحمن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿١٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : لله ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى ، ملكا له ، وهو
مدبر ذلك كله ، ومصرف جميعه . ويعنى بالثرى : الندى ، يقال للتراب الرطب المبتلى : ثرى منقوص ،
يقال منه : ثريت الأرض ثرى ، ثرى منقوص ، والثرى : مصدر .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا تَحْتِ الثَّرَى) والثَّرَى : كل شيء مبتل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمَا تَحْتِ الثَّرَى) ما حفر من التراب مبتلا ، وإنما عنى بذلك : وما تحت الأرضين السبع . كالذى حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب (وَمَا تَحْتِ الثَّرَى) قال : الثرى : سبع أرضين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإن تجهر يا محمد بالقول ، أو تخف به ، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ) يقول : فإنه لا يخفى عليه ما استسررت في نفسك ، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك ، ولم تنطق به وأخفى .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (وَأَخْفَى) فقال بعضهم : معناه : وأخفى من السر ، قال : والذي هو أخفى من السر ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : السر : ما عملته أنت وأخفى : ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) يعني بأخفى : ما لم يعمله ، وهو عامله ؛ وأما السر : فيعني ما أسر في نفسه . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : السر : ما أسر ابن آدم في نفسه . وأخفى : قال : ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله ، فالله يعلم ذلك ، فعلمه فيما مضى من ذلك ، وما بقي علم واحد ، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة ، وهو قوله (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُقُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : السر : ما أسر الإنسان في نفسه ؛ وأخفى : ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو ، قالوا : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : أخفى : الوسوسة . زاد ابن عمرو والحارث في حديثيهما : والسر : العمل الذي يسرون من الناس .

(١) في الخلاصة للخزرجي : محمد بن إبراهيم بن صدران ، بضم المهملة الأولى ، الأزدي ، السليمي ، بفتح التانية بعد اللام المكسورة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وأخفى) قال : الوسوسة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : أخفى حديث نفسك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدّينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : السرّ : ما يكون في نفسك اليوم . وأخفى : ما يكون في غد وبعد غد ، لا يعلمه إلا الله .

وقال آخرون : بل معناه : وأخفى من السرّ ما لم تحدث به نفسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : السرّ : ما أسررت في نفسك ؛ وأخفى من ذلك : ما لم تحدث به نفسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) كنا نحدث أن السرّ ما حدثت به نفسك ، وأن أخفى من السرّ : ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا أبو قتادة ، قوله في (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : يعلم ما أسررت في نفسك ، وأخفى : ما لم يكن وهو كائن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : أخفى من السرّ : ما حدثت به نفسك ، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) أما السرّ : فما أسررت في نفسك . وأما أخفى من السرّ : فما لم تعمله وأنت عامله ، يعلم الله ذلك كله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه يعلم سرّ العباد ، وأخفى سرّ نفسه ، فلم يطلع عليه أحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال : يعلم أسرار العباد ، وأخفى سرّه فلا يعلم .

قال أبو جعفر : وكان الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أن السرّ هو ما حدثت به الإنسان غيره سرا . وأن أخفى : معناه : ما حدثت به نفسه ، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفى . وقال بعضهم : قد توضع أفعال موضع الفاعل ، واستشهدوا لقليلهم ذلك بقول الشاعر :

تَمَتَّنِي رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتُ فَتَلَكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ١

❖❖❖ والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : معناه : يعلم السرّ وأخفى من السرّ ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ؛ ولو كان معنى ذلك ماتأوله ابن زيد ، لكان الكلام : وأخفى الله سرّه ، لأن أخفى : فعل واقع متعدّ ، إذ كان بمعنى فعل على ماتأوله ابن زيد ، وفي انفراد أخفى من مفعوله ، والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعال . وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السرّ وأخفى منه . فإذا كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ، ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن ، لأن ما ظهر وكان فغير سرّ ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء ، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، ثم من أعلمه ذلك من عباده . وأما قوله تعالى ذكره (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فإنه يعني به : المعبود الذي لاتصلح العبادة إلا له ، يقول فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ماسواه من الآلهة والأوثان (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) يقول جلّ ثناؤه : لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى ، فقال : الحسنى ، فوحد ، وهونعت للأسماء ، ولم يقل الأحاسن ، لأن الأسماء تقع عليها هذه ، فيقال : هذه أسماء ، وهذه في لفظة واحدة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ رَبِّ غَفُورٌ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارٍ ٢

فوجد ذات ، وهونعت للبيض لأنه يقع عليها هذه ، كما قال (حِدَائِقُ ذَاتَ بَهْجَةٍ) ومنه قوله جلّ ثناؤه (مَا رَبُّ أُخْرَى) فوجد أخرى ، وهي نعت لما رب ، والمآرب : جمع ، واحدها : مأربة ، ولم يقل أُخْر ، لما وصفنا ، ولوقيل : أُخْر ، لكان صوابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلِيًّا ۖ أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُعًا ۖ إِنِّي أَخَذْتُ مِنَ النَّارِ هُدًى ۖ

❖❖❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقي من الشدة من مشركي قومه ، ومعرفة ما إليه صائر أمره وأمرهم ، وأنه معلية عليهم ، وموهن كيد الكافرين ، ويحثه على الجدة في أمره ، والصبر

(١) ورد هذا البيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمى موته ، لماله من العهد بعده ، فعاتبه الوليد في كتاب وفيه هذه الأبيات ، وأولها : « تمى رجال . . . الخ » . ذكرها المسعودي في (مروج الذهب طبعة دار الرجاء ٣ : ١٠٣) . والشاهد في قوله بأوحد ، فإنه بمعنى : بواحد .

(٢) في (اللسان : عقب) يقال : أعقبه الله بإحسانه خيرا : والاسم العقبى ، وهو شبه العوض . واستعقب منه خيرا أو شرا : اعتاضه ، فأعقبه خيرا ، أى هوضه وأبدله . والشاهد في البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء ، بكلمة (ذات) وهي واحدة ، ولم يطابق بين النعت والمنعوت في العدد . وتأويل ذلك عند المؤلف أنه كلمة البيض وإن كانت جمعا فإنها يشار إليها بكلمة هذه وهذه في الأصل إشارة للواحدة فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع جاز أن أن ينعت البيض بذات التي هي للواحدة ، وذلك نظير قول القرآن : ه له الأسماء الحسنى ، والأسماء جمع ، والحسنى صفتها وهي واحدة .

على عبادته ، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم ، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ، ثم من قومه ، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلاً صغيراً ، ثم يافعا مترعراً ، ثم رجلاً كاملاً (وَهَلْ أَتَاكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) ابن عمران (إِذْ رَأَى نَارًا) ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلاً ، وأن موسى كان أضلّ الطريق ؛ فلما رأى ضوء النار (قَالَ لِأَهْلِهِ) ما قال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قضى موسى الأجل ، سار بأهله فضلّ الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورُفعت لهم نار ؛ فلما رآها ظنّ أنها نار ، وكانت من نور الله (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه النيماني ، قال : لما قضى موسى الأجل ، خرج ومعه غنم له ، ومعه زنده له ، وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهاراً ، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غداً بأهله وغنمه ، فتوكأ على عصاه ؛ فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته ، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه ، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه ، فأخرج زنده ليقتدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد زنده فلا يورى له ناراً ، فقدح حتى أعياه ، لاحت النار فرآها ، (فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) . وعنى بقوله : (آنَسْتُ نَارًا) وجدت ، ومن أمثال العرب بعد اطلاع إيناس ، ويقال أيضاً : بعد طلوع إيناس ، وهو مأخوذ من الأنس .

وقوله (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) يقول : لعلّي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة والقَبَسُ : هو النار في طرف العود أو القصبه ، يقول القائل لصاحبه : أقبسنى ناراً ، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبه . وإنما أراد موسى بقوله لأهله (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) لعلّي آتاكم بذلك لتصطلوا به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) قال : بقبس تصطَلون .

وقوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه ، إما من خبر هاد يهدينا إليه ، وإما من بيان وعلم نبيينه به ونعرفه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) يقول : من يدلّ على الطريق .

(١) المقام يقتضى أن يقول : حتى إذا أعياه ، لاحت . . . الخ أو : فلاح ، ثم لاحت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : هاديا يهديه الطريق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) : أى هداة يهدونه الطريق .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن صاحب له ، عن حديث ابن عباس ، أنه زعم أنها أيلة (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) وقال أبي ، وزعم قتادة أنه هدى الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : من يهدينى إلى الطريق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : هدى عن علم الطريق الذى أضللتنا بنعت من خبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : كانوا أضلوا عن الطريق ، فقال : لعلى أجد من يدلنى على الطريق ، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ۖ ۝١١ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢

❖ يقول تعالى ذكره : فلما أتى النار موسى ، ناداه ربه (يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك) .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : خرج موسى نحوها ، يعنى نحو النار ، فاذا هى فى شجر من العليق ، وبعض أهل الكتاب يقول فى عوسجة ؛ فلما دنا استأخرت عنه ؛ فلما رأى استئخارها رجع عنها ، وأوجس فى نفسه منها خيفة ؛ فلما أراد الرجعة ، دنت منه ثم كلم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله تبارك وتعالى (يا موسى اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) فخلعها فألفاها .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه ، فقال بعضهم : أمره بذلك ، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فكره أن يطأ بهما الوادى المقدس ، وأراد أن يمسه من بركة الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي قلابة ، عن

كعب ، أنه وآهم يخلعون نعالم (اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) فقال : كانت من جلد حمار ميت ، فأراد الله أن يمسه القدس .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد ، عن قتادة ، قال : حدثنا ، أن نعليه كانتا من جلد حمار ، فخلعهما ثم أتاه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقبل له اخلعهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبوسفيان ، عن معمر ، عن جابر الجعفي ، عن علي بن أبي طالب (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقبل له اخلعهما . قال : وقال قتادة مثل ذلك .

وقال آخرون : كانتا من جلد بقر ، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه ، ليصل إليه بركتها . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال الحسن : كانتا ، يعنى نعلي موسى من بقر ، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض ، وكان قد قدس مرتين . قال ابن جريج : وقيل لمجاهد : زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو مبيتة ، قال : لا ، ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعنى ابن عليه ، سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : يقول : أفض بقدميك إلى بركة الوادي .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي ، إذ كان واديا مقدسا .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه لادلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولالنجاستهما ، ولاخبر بذلك عن يلزم بقوله الحجة ، وإن في قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) بعقبه دليلا واضحا ، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا .

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال : ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ، كَانَتْ عَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٍ وَكِسَاءٌ صُوفٍ ، وَسَرَائِيلُ صُوفٍ ، وَتَعْلَانِ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ مُذَكَّتَى » هيجاهم نعه إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة (نُودِيَّ يَا مُوسَى)

أَتَى (بفتح الألف من « أنى » ، فأنّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله : نودى ، فإن معناه : كان عندهم نودى هذا القول . وقرأه بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر : نودى ياموسى إنى ، على الابتداء ، وأن معنى ذلك قيل : يا موسى إنى .

قال أبو جعفر : والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب ، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أن قوله « يا موسى » ، وحظ قوله « نودى » أن يعمل في أن لو كانت قبل قوله « ياموسى » . وذلك أن يقال : نودى أن يا موسى إنى أنا ربك ، ولا حظ لها في « إن » التي بعد موسى .
وأما قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) فإنه يقول : إنك بالوادي المطهر المبارك .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) يقول : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : قدّس بورك مرتين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : بالوادي المبارك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طُوًى) فقال بعضهم : معناه : إنك بالوادي المقدس طويته ، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه ، كأنه قال : طويت الوادي المقدس طوى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) يعني الأرض المقدسة ، وذلك أنه مرّ بواديه ليلا فطواه ، يقال : طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل ، وارتفع إلى أعلى الوادي ، وذلك نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : مرتين ، وقال : ناداه ربه مرتين ؛ فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه ، وذلك أن معناه عندهم : نودى يا موسى مرتين نداءين . وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى ، أنه بمعنى مرتين ، قول عدى بن زيد العبادي :

أَعَاذِلَ إِنْ اللَّوْمَ فِي غَسِيرِ كُنْهِيهِ عَلَى طُوًى مِنْ غَيْكِ الْمُسْتَرْدِدِ
وروى ذلك آخرون : « على ثنى » : أى مرّة بعد أخرى ، وقالوا : طوى وثنى بمعنى واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) كنا نحدث أنه واد قدّس مرتين ، وأن اسمه طوى .

(١) البيت لعدي بن زيد (اللسان : طوى) . قال : وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمها) وهو الشيء المطوى مرتين ، فهو صفة بمنزلة ثنى وثنى (بكسر التاء وضمها) ، وليس بعلم لشيء وهو مصروف لا غير ، كما قال عدى بن زيد : « أعاذل إن اللوم . . . البيت » . ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذى فى شعر عدى : على ثنى من غيك ، أراد اللوم المكرر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه قدس طوى مرتين .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، قال الحسن : كان قد قدس مرتين .

وقال آخرون : بل طوى : اسم الوادى

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله طوى : اسم للوادى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : طوى : اسم الوادى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بالوادِ المُقدَّسِ طوى) قال : ذاك الوادى هو طوى ، حيث كان موسى ، وحيث كان إليه من الله ما كان . قال : وهو نحو الطور .
وقال آخرون : بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادى بقدميه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا صالح بن إسحاق ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تبارك وتعالى (اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طوى) قال : طأ الوادى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (طوى) قال : طأ الوادى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله (طوى) قال : طأ الأرض حافيا ، كما تدخل الكعبة حافيا ، يقول : من بركة الوادى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (طوى) طأ الأرض حافيا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة (طوى) بضم الطاء وترك الثوين ، كأنهم جعلوه اسم الأرض التى بها الوادى ، كما قال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهِمْ وَشَدُّوا أَزْرَهُ
بِحُنَيْنٍ حِينَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان: حن). والشاهد فيه أن حنين غير مصروف ، لأنه جملة اسمها للبلدة ، كما قال المؤلف أولبقة .

فلم يجرّ حنين ، لأنه جعله اسماً للبلدة للوادي : ولو كان جعله اسماً للوادي لأجراه كما قرأت القراء (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) ، وكما قال الآخر :

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحِلًا وَأَعْظَمَهُمْ بَيْطُنَ حِرَاءَ نَارًا

فلم يجرّ حراء ، وهو جبل ، لأنه جعله اسماً للبلدة ، فكذلك (طَوَى) في قراءة من لم يجره جعله اسماً للأرض ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (طَوَى) بضم الطاء والتنوين ، وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل ؛ فأما من أراد به المصدر من طويت ، فلا مؤنة في تنوينه ؛ وأما من أراد أن يجعله اسماً للوادي ، فإنه إنما ينونه لأنه اسم ذكر لامؤنث ، وأن لام الفعل منه ياء ، فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) إذ كان حنين اسم واد ، والوادي مذكر .

❖ قال أبو جعفر : وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين ، لأنه إن يكن اسماً للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك ، وإن كان مصدرًا أو مفسراً ، فكذلك أيضا حكمه التنوين ، وهو عندي اسم الوادي . وإذ كان ذلك كذلك ، فهو في موضع خفض رداً على الوادي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۖ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء الذين قرعوا (وأنا) بتشديد النون ، و (أنا) بفتح الألف من « أنا » رداً على : نودي ياموسى ، كأن معنى الكلام عندهم : نودي ياموسى إني أنا ربك ، وأنا اخترتك ، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة . وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرعوه (وأنا اخترتك) بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره .

❖ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحد منهما قراء أهل العلم بالقرآن ، مع اتفاق معنيهما : فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فيه . وتأويل الكلام : نودي أنا اخترتك ، فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه (فاستمع إلى ما يوحى) يقول : فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه ، واعمل به (إننى أنا الله) يقول تعالى ذكره : إننى أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيرى ، فإنه لا معبود تجوز أو تصاح له العبادة سواى (فاعبُدنى) يقول : فأخلص العبادة لى دون كل ما عبد من دونى (وأقم الصلاة لذكركى) . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك : أقم الصلاة لى فإنك إذا أقمتها ذكرتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن .

(١) البيت في (اللسان : حرى) قال الجوهري : لم يصرف حراء لأنه ذهب به إلى البلدة التي هو بها . وفي الحديث « كان يتحنث بجرها » مصروفاً ، وهو جبل من جبال مكة . وفي رواية اللسان : طرا ، في موضع : رحلا .

قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قوله (أقيم الصلاة لذكرى) قال : إذا صلى ذكر ربه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأقيم الصلاة لذكرى) قال : إذا ذكر عبد ربه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقم الصلاة حين تذكرها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله (وأقيم الصلاة لذكرى) قال : يصلها حين يذكرها .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنى يونس ومالك بن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، قَالَ اللَّهُ (أقيم الصلاة لذكرى) » . وكان الزهري يقرأها : (أقيم الصلاة لذكرى) بمنزلة فعلى .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال : معناه : أقم الصلاة لتذكرني فيها ، لأن ذلك أظهر معنيه ؛ ولو كان معناه : حين تذكرها ، لكان التنزيل : أقم الصلاة لتذكرها . وفي قوله (لذكرى) دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ؛ ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار ، كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى : أقم الصلاة حين تذكرها ، وذلك أن الزهري وجهه بقراءته (أقيم الصلاة لذكرى) بالألف لا بالإضافة ، إلى أقم لتذكرها ، لأن الهاء والألف حذفنا ، وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رءوس الآيات ، إذ كانت بالألف والفتح . ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه ، إنما قصد الزهري بفتحها تصديره الإضافة ألفا للتوفيق بينه وبين رءوس الآيات قبله وبعده ، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة ، وقال : إنما ذلك كقول الشاعر :

أَطَوَّفُ مَا أُطَوَّفُ ثُمَّ آوَى إِلَى أُمَّةٍ وَيُرْوِينِي النَّقِيعُ^٢
وهو يريد : إلى أمي ، وكقول العرب : يا أبا وأما ، وهي تريد : يا أبي وأمى ، كان له بذلك مقال .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِكُجْرِي كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٠﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَأَتَّبَعَهُ هَوْنَهُ فَتَرَدَّى ﴿١١﴾

(١) في الأصل : إذ ، ولعله تحريف عن « إلى » .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٦) قال : والعرب تقول : بيتا وأما ، يريدون : بأبي وأمى ومثله (ياويلتا أعجزت) وإن شئت جعلتها بإضافة ، وإن شئت ياندة . اهـ . والنقيع والنقيعة : المحض من اللبن يبرد ، قال ابن بري : شاهده قول الشاعر : « ويكفيني النقيع » .

﴿ يقول تعالى ذكره : إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ﴾ (أكادُ أُخْفِيهَا) فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرآء أمصار الإسلام ، بمعنى : أكادُ أخفيها من نفسي ، لئلا يطلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أكادُ أُخْفِيهَا) يقول : لا أظهر عليها أحدا غيري .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنّ السّاعة آتية أكادُ أُخْفِيهَا) قال : لاتأتاكم إلا بغتة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إنّ السّاعة آتية أكادُ أُخْفِيهَا) قال : من نفسي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أكادُ أُخْفِيهَا) قال : من نفسي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد . مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (أكادُ أُخْفِيهَا) قال : من نفسي .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (أكادُ أُخْفِيهَا) قال : يخفيها من نفسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أكادُ أُخْفِيهَا) وهي في بعض القراءة : أخفيها من نفسي . ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقرّبين ، ومن الأنبياء المرسلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال في بعض الحروف (إنّ السّاعة آتية أكادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي) .

وقال آخرون : إنما هو (أكادُ أُخْفِيهَا) بفتح الألف من أخفيها بمعنى : أظهرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن سهل . قال : سألتني رجل في المسجد

عن هذا البيت .

دَابَّ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيكَاً بِأَرِيكَينِ يَخْفِيَانِ غَمِيرًا

(١) البيت لكعب (اللسان : والتاج : دمك) قالوا : يقال أقمت عنده شهرا دميكا . أي شهرا تاما ، قال كعب : « داب شهرين ثم شهرا دميكا » . اه . ولم يذكر الشطر الثاني من البيت . وفي (معجم ما استعجم للبكري ص ١٤٤) : قال أبو عبيدة : أريك في بلاد ذبيان . قال : وهما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك الجبل الصغير . ويخفيان : بفتح الياء يخرجان . والغمير : له معان كثيرة ، منها في تاج العروس : الغمير : كأمير : حب البهمي الساقط من سنبله حين يبس ، أو نبات أخضر قد غمره اليبس . . الخ .

فقلت : يظهران ، فقال ورقاء بن إياس وهو خنلي : أقرأنيها سعيد بن جبير (أكادُ أخفِيها) بنصب الألف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا : معناه : أكاد أخفِيها من نفسى .
ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن مجاهد ، قال (إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيها) قالوا : من نفسى .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (أكادُ أُخْفِيها) قال : من نفسى .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية من القول ، قول من قال : معناه : أكاد أخفِيها من نفسى لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء . والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لاستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا .

فإن قال قائل : ولم وجهت تأويل قوله (أكادُ أُخْفِيها) بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفِيها من نفسى ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين : أحدهما الإظهار ، والآخر التكمين ؛ وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه ، إذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيئا هو به عالم ، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية ؟ قيل : الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت ، وإنما وجهنا معنى (أُخْفِيها) بضم الألف إلى معنى : أسترها من نفسى ، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر . يقال : قد أخفيت الشيء : إذا سترته . وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار ، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندي .

حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : أنشدني أبو الخطاب ، عن أهله في بلده :

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِهْ وَإِنْ تَبَعْتُوا الحَرْبَ لَا تَنْقُدُوا

بضم النون من لا تخفه ، ومعناه : لا نظهره ، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت ، على ما وصفت من ضم النون من تخفه . وقد أنشدني الثقة عن القراء :

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِهْ

بفتح النون من تخفه ، من خفيته أخفيه ، وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب . فإذا كان ذلك

(١) البيت لامرئ القيس بن عابس الكندي . استشهد به صاحب (اللسان : خفا) على أن قوله لا تخفه ، بفتح النون أى لا نظهره . وكذا قرئ قوله تعالى : « أكاد أخفِيها » أى أظهرها . حكاه اللحياني ، عن الكسائي ، عن محمد بن سهل ، عن سعيد بن جبير . اه . قال في اللسان : يقال خفيت الشيء : أظهرته واستخرجته ، يقال خفي المطر الفئار : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، أى من جحرتهن . قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب

وخفيت الشيء أخفيه : كتمته ، وهو من الأضداد . وأخفيت الشيء : سترته وكتمته . ورواية المؤلف البيت كما في معاني القرآن للقراء وفي (اللسان ؛ : خفا) : « فان تكتموا السر لا تخفه » .

كذلك ، وكان الفتح في الألف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ، ثبت وضح الوجه الآخر ، وهو أن معنى ذلك : أكاد أسرها من نفسى .

وأما وجه صحة القول في ذلك ، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم ؛ فلما كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسرّ : قد كدت أن أخفى هذا الأمر عن نفسى من شدة استسراى به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته ، مخاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم ، وما قد عرفوه في منطقتهم وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا . وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، إذ كنا لانستجيز الخلاف عليهم ، فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر . فأما الذين قالوا في ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب ، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين ، وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف ، فإنهم اختلفوا في معناه بينهم ، فقال بعضهم : يحتمل معناه : أريد أخفيها ؛ قال : وذلك معروف في اللغة . وذكر أنه حكى عن العرب أنهم يقولون : أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم ، وقال : معناه : لا أنزل إلا عليهم . قال : وحكى : أكاد أبرح منزلى : أى ما أبرح منزلى ، واحتجّ بيت أنشده لبعض الشعراء :

كادت وكدت وتلك خَيْرُ إرادةٍ لو عاد من عهد الصبابة ما مضى^١

وقال : يريد بكادت : أرادت ؛ قال : فيكون المعنى : أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل :

سريع إلى الهياجٍ شكٍ سلاحه فما إن ركاد قرنه يتنفس^٢

وقال : كأنه قال : فما يتنفس قرنه ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وقال ذو الرمة :

إذا غير النأي المحبين لم يكده رسيس الهوى من حب مية يبرح^٣

(١) البيت في (اللسان : كيد) . قال : ويقال : فلان يكيد أهرا ما أدرى ما هو ؟ إذا كان يريغه ، ويحتمل له ، ويسمى له .

وقال : « بلغوا الأمر الذى كادوا » : يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأنشد أبو بكر في كاد بمعنى أراد ، للأفوه :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أراد : الذى أرادوا . وأنشد :

كادت وكدت وتلك خير إرادة لو (كان) من أمر الصبابة ماضى

قال : معناه : ما أرادت . قال : ويحتمله قوله تعالى : « لم يكد يراها » لأن الذى عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليد ، والإبصار إليها . والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد ، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « أكاد أخفيها » .

(٢) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف . واستشهد به صاحب (اللسان : كاد) على أن كاد قد تجيء صلة في الكلام . قال : وتكون كاد صلة للكلام (زائدة) . أجاز ذلك الأخفش وقطرب وأبو حاتم . واحتج قطرب بقول الشاعر : « سريع . . . الخ » . معناه : ما يتنفس قرنه . ولكن أبا جعفر الطبرى جعله شبيها بالشاهد السابق عليه ، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن . وإن التى قبل يكاد : زائدة ، أو نافية مؤكدة لما النافية قبلها .

(٣) هذا البيت من حائية ذى الرمة المشهورة (ديوانه طبعة كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٧٨) قال شارحه : النأي البعد . رسيس الهوى : مسه ، وما خفى منه ، أو أوله ، ويقال : لم يجد رسيس الحمى . واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه : لم يبرح .

قال : وليس المعنى : لم يكذب يبرح : أى بعد يُسر ، ويبرح بعد عُسر ؛ وإنما المعنى : لم يبرح ، أو لم يرد يبرح ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وكذلك قول أبي النجم :

وَإِنْ أَتَاكَ نَعِيٌّ فَاَنْدُبَنَّ أَبَا قَدَّ كَادَ يَضْطَلِعُ الْأَعْدَاءَ وَالْحُطْبَاءَ ١

وقال : يكون المعنى : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ولم يرد يفعل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه : أكاد أن آتى بها ؛ قال : ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : وذلك نظير قول ابن ضابى :

تَهَمَّمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي أَقَارِبُهُ ٢

فقال : كدت ، ومعناه : كدت أفعل .

وقال آخرون : معنى (أخفيها) : أظهرها ، وقالوا : الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى

الإظهار ، واستشهد بعضهم لقليله ذلك بيت الفرزدق :

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجَ جَرَدَ سَيْفَهُ أُسْرَ الْحَرُورِيِّ الَّذِي كَانَ أَضْمَرَ ٣

أو لم يرد يبرح ؛ وعلى هذا يكون الفعل (يكاد) زائدا في الكلام ، وقد جاء في (اللسان : رس) رواية أخرى للبيت ، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف ، من أن المعنى على زيادة (يكاد) ، وهى :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيْسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

وهذه الرواية هى التى عدل إليها الشاعر ، حين خطأه ابن شبرمة قاضى البصرة لما سمعه ينشد القصيدة فى المربد . ولكن المحققين قالوا إن بديهة ذى الرمة فى الرواية الأولى ، كانت أجود من رويته ، (فى الرواية الثانية) . وقد بين العلامة المحقق رضى الله الدبلى الأسترابادى : محمد بن الحسن ، صواب الرواية الأولى ، بأن معنى لم يكذب : لم يقرب وأن نوى مقارنة الشئ . أبلغ من نفى الشئ فيكون معنى البيت : إذا غير البعاد قلوب المحبين ، فبعاد مية عنى لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ولا يقارب أن يذهب به . (وانظر شرح الرضى على كافية ابن الحاحب ، طبعة الآستانة ٢ : ٣٠٦ أفعال المقاربة) . وقد أبطل الرضى زعم من زعم من النجاة أن « نوى كاد إثبات وأن إثباته نوى » وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه .

(١) البيت لأبى النجم كما قال المؤلف ، والشاهد فى قوله « كاد يضطلع » فقد ذهب المؤلف أن معناه : قد اضطلع الأعداء وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل ؛ وعلى هذا التخريج للبيت يكون الفعل (كاد) صلة (زائدة) ، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده . ويضطلع الأعداء : أى يضطلع بهم وبأخطب ، أسقط الباء ، فعدى الفعل بنفسه إلى المعمول الذى كان مجرورا بالباء قبل إسقاطها . يقال اضطلع بحمله ، أى قوى عليه ونهض به . وهو من الضلعة أى القوة . وفى (اللسان : ضلع) : واضطلع الحمل أى احتمله أضلعه . وقال ابن السكيت : يقال : هو مضطلع بحمله ، أى قوى على حمله ، وهو مفتعل مع الضلعة . والنعى : الناعى الذى يخبر بموت من مات .

(٢) البيت لضابى بن الحارث البرجمي ، حبسه الخليفة عثمان ، لأنه كان فحاشا ، هجا قوما فأراد عثمان تأديبه ، فلما دعى ليؤدب ، شد سكيناً فى ساقه ، ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه ، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه . والبيت من مقطوعة لامية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر (رغبة الأمل ، بشرح الكامل للمرصفي ٤ : ٩١) .

فلا تتبعينى إن هلكت ملامة فليس يعار قتل من لا أقاتله

هملت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

والشاهد فى قوله : كدت ، أى كدت أفعل ما هملت به من قتل عثمان . وهو نظير ما فى القرآن : « إن الساعة آتية أكاد » . ذهب قوم إلى أن معناه : أكاد أن آتى بها . ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى والبيت لضابى لا لابنه كما قال المؤلف .

(٣) لم أجد هذا البيت فى ديوان الفرزدق ، وهو من شواهد أبى عبيدة (اللسان : سرر) قال : أسررت الشئ : أخفيته ، وأسررته : أعلنته ، ومن الإظهار قوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » أى أظهروها . وأنشد للفرزدق :

وقال: عَنِّي بقوله: أسراً: أظهر. قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله (وأَسْرُوا النَّدَامَةَ) وأظهروها. قال: وذلك أنهم قالوا: (يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا). وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال: معنى ذلك: أكاد أخفيها من نفسي، أن يكون: أراد أخفيها من قبلى ومن عندي. وكل هذه الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف، وغير جائز توجيه معانى كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به، ففى ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه.

وقوله (لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كل نفس: يقول: لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى: يقول: بما تعمل من خير وشر، وطاعة ومعصية. وقوله (فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا) يقول تعالى ذكره: فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة، من لا يؤمن بها، يعنى: من لا يقرب بقيام الساعة، ولا يصدق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه (فَتَرَدَى) يقول: فهلك إن أنت انصدت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصد من كفر بها. وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله (فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا) كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهى كناية عن الإيمان كما قيل (إِنَّ رَبَّكَ مَنِ بَعْدَهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يذهب إلى الفعلة، ولم يجر الإيمان ذكر في هذا الموضوع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا نِلَّكَ بِيَمِينِكَ يَكُوسَى ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره: وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ فالباء في قوله (بِيَمِينِكَ) من صلة تلك، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذى؛ ومنه قول يزيد بن مفرغ:
عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَالِيكَ إِمَارَةٌ أَمِنْتَ وَهَذَا تَحْمَلِينَ طَلِيقٌ ^١
كأنه قال: والذى تحملين طليق.

* فلما رأى الحجاج جرد سيفه * البيت. قال شمر: ألم أجد هذا البيت للفرزدق وما قال غير أبى عبيدة في قوله «وأسروا الندامة» أى أظهروها. قال: ولم أسمع ذلك لغيره. قال الأزهرى: وأهل اللغة أنكروا قول أبى عبيدة أشد الإنكار. وقيل: أسروا الندامة: يعنى: الرؤساء من المشركين أسروا الندامة في سفلتهم الذين أضلوه، وأسروها: أخفوها وكذلك قال الزجاج، وهو قول المفسرين. والخرورى: الخارجى نسبة إلى حروراء، وهو أول مجتمعاتهم لما نابذوا أمير المؤمنين عليا، وأظهروا التحكيم «لاحكم إلا الله». قسموا المحكمة، والخرورية، والخوارج.

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى، يخاطب بغلته حين هرب من عبيد الله بن زياد وأخيه عباد، وكان ابن مفرغ يهجوها إذا تأخر عليه العطاء، وله قصة مشهورة. وعدس: زجر للبغل، أو اسم له. ويروى نجوت في مكان: أمنت (اللسان: عدس). وهذا: اسم إشارة، وقد وصل بجملة تحملين، فصار من الأسماء الموصولة في قول بعض النحويين. هذا: مبتدأ. وجملة تحملين: صلة؛ وطلّيق: خبر المبتدأ. أى والذى تحملينه طليق، ليس لأحد عليه سلطان.

ولعلّ قائلًا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالماً بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحولها حية تسعى، وهي خشبة، فنبه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرفه قدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حية تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى: قال موسى مجيباً لربه (هي عصاى أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمى) يقول أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمى يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشاً: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها؛ كما قال الراجز:

أهشُّ بالعصا على أغنامى من ناعم الأراك والبشام

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (وأهشُّ بها على غنمى) قال: أخطب بها الشجر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وأهشُّ بها على غنمى) قال: أخطب. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وأهشُّ بها على غنمى) قال: كان نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم يهشّ على غنمه ورق الشجر.

حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى (وأهشُّ بها على غنمى) يقول: أضرب بها الشجر للغم، فيقع الورق.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (هي عصاى أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمى) قال: يتوكأ عليها حين يمشى مع الغنم، ويهشّ بها، يحرّك الشجر حتى يسقط الورق الحبلة وغيرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن عكرمة (وأهشُّ بها على غنمى) قال: أضرب بها الشجر، فيسقط من ورقها على.

(١) فى (اللسان: هش): الهش أن تنثر ورق الشجر بمصا. هش النصف يهش هشاً خبطه فأتى ورقه لغمه، ومنه قوله عز وجل: «وأهش بها غنمى» قال الفراء: أى أضرب بها الشجر اليابس، ليسقط ورقها، وترعاه غنمه. والأراك والبشام: نوعان من الشجر ترتعاه الماشية، وفى أغصانها لبن، وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة يقول (وأهشُّ بها على غنمِي) قال : أضرب بها الشجر ، فيتساقط الورق على غنمي .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وأهشُّ بها على غنمِي) يقول : أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي .
وقوله (ولى فيها مآربٌ أُخرى) يقول : ولى في عصاي هذه حوائج أخرى ، وهي جمع مأربة ، وفيها للعرب لغات ثلاث : مأربة بضم الراء ، ومأربة بفتحها ، ومأربة بكسرها ، وهي مفعلة من قولهم : لأرب لي في هذا الأمر : أى لاحتاجة لي فيه . وقيل أخرى وهن مآرب جمع ، ولم يقل أخر ، كما قيل (لهُ الأسماءُ الحُسنى) وقد بيّنت العلة في توجيه ذلك هنالك .
وبنحو الذى قلنا في معنى المآرب ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حوائج أخرى قد علمتها .
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ولى فيها مآربٌ أُخرى) يقول : حاجة أخرى .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حاجات .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حاجات ومنافع .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حاجات .
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ولى فيها مآربٌ أُخرى) يقول : حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حوائج أخرى .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (ولى فيها مآربٌ أُخرى) قال : حاجات ومنافع أخرى .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (ولى فيها مآربٌ أُخرى) :
أى منافع أخرى :

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلى فِيهَا مَا رَبُّ أُخْرَى)
قال : حوائج أخرى سوى ذلك .

حدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(مَا رَبُّ أُخْرَى) قال : حاجات أخرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ الْقَهَّابُ مُوسَى ۖ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۗ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۗ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
الْأُولَى ۗ

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : ألق عصاك التي بيمينك يا موسى ، يقول الله جل جلاله : فألقاها
موسى . فجعلها الله حية تسعى ، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة ، وعصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه .
فصارت حية بأمر الله .

كما حدثنا أحمد بن عبد الصبي . قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سهاك بن حرب ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس قال : لما قيل لموسى : ألقها يا موسى ، ألقاها (فإذا هي حية تسعى) ولم تكن قبل
ذلك حية ؛ قال : فمُرت بشجرة فأكلتها ، ومُرت بصخرة فابتلعها ؛ قال : فجعل موسى يسمع وقع
الصخرة في جوفها ؛ قال : فولى مدبرا . فنودي أن يا موسى خذها ، فلم يأخذها ؛ ثم نودي الثانية : أن
(خذها ولا تخف) ، فلم يأخذها ؛ فقيل له في الثالثة : (إنك من الآمنين) فأخذها .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال له ، يعنى
لموسى ربه (ألقها يا موسى) يعنى (فألقاها فإذا هي حية تسعى) فلما رآها تهتز كأنها جان
وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) فنودي (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، (قال ألقها يا موسى ،
فألقاها فإذا هي حية تسعى) تهتز . لما أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون ، فرأى أمرا فظيعا ، فولى
مدبرا . ولم يعقب . فناداه ربه : (يا موسى أقبل ولا تخف - سنعيد لها سيرتها الأولى) .

وقوله (قال خذها ولا تخف) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى : خذ الحية والهاء والألف من
ذكر الحية (ولا تخف) يقول : ولا تخف من هذه الحية (سنعيد لها سيرتها الأولى) يقول :
فإنا سنعيد لها سيرتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية . ونردّها عصا كما كانت . يقال لكل
من كان على أمر فتركه . وتحوّل عنه ثم راجعه : عاد فلان سيرته الأولى ، وعاد لسيرته الأولى ، وعاد إلى
سيرته الأولى .

وينحو الذي قلنا في ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سيرتها الأولى) يقول : حالتها الأولى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سيرتها الأولى) قال : هيئتها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (سننعيدها سيرتها الأولى)

أي سزدها عصا كما كانت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سننعيدها سيرتها الأولى) قال : إلى

هيئتها الأولى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ الْجَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : واضمم يديك ، فضعها تحت عضدك ، والجناحان هما اليدان ، كذلك روى الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحبار . وأما أهل العربية ، فإنهم يقولون : هما الجنبان . وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز :

أَضْمَهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى جناحك) قال : كفه تحت عضده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده

في جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء ، من غير برص ، مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت

على لونه .

(١) (في اللسان : جنح) : وجناحا الطائر : يده . وجناح الإنسان يده . ويذا الإنسان : جناحاه . وقال الزجاج : الجناح :

العضد ، ويقال : اليد كلها جناح . اهـ . وجناحا العسكر جانباه ، وجناحا الوادي : مجريان عن يمينه وشماله . اهـ . ولم أقف على

قائل الرجز .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه .
حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس : في قوله (تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَيِّضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قره ، عن الحسن في قول الله (بَيِّضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : أخرجها الله من غير سوء ، من غير برص ، فعلم موسى أنه لقي ربه .
وقوله (آيَةٌ أُخْرَى) يقول : وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه ، ونصب آية على اتصالها بالفعل ، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي . وقوله (لِنُرِيكَ مِّنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : واضمم يدك ياموسى إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء ، كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا ، وقال الكبرى فوحده ، وقد قال (مِّنْ آيَاتِنَا) كما قال (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وقد بينا ذلك هنالك . وكان بعض أهل البصرة يقول : إنما قيل الكبرى ، لأنه أريد بها التقديم ، كأن معناها : عنده لنريك الكبرى من آياتنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١١﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٢﴾ وَأَخْلَعْ عُقْبَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿١٣﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٤﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿١٥﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿١٦﴾

✽ يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه : . (اذْهَبْ) ياموسى (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) يقول : إنه تجاوز قدره ، وتمرد على ربه : وقد بيننا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته : في هذا

الموضع ، وفي الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه ، وهو قوله (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) فادعه إلى توحيد الله وطاعته ، وإرسال بنى إسرائيل معك (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) يقول رب اشرح لي صدري ، لأعني عنك ما تودعه من وحيك ، وأجترى به على خطاب فرعون (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) يقول : وسهل علي القيام بما تكلفني من الرسالة ، وتحملني من الطاعة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) قال : جرأة لي .

وقوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي) يقول : وأطلق لساني بالمنطق ، وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه بالحجارة إلى فيه يوم هم فرعون بقتله .
ذكر الرواية بذلك عن قاله

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي) قال : عجمة بالحجارة نار أدخلها في فيه عن امرأته فرعون ، ترد به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدو لي ، فقالت له : إنه لا يعقل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي) بالحجارة نار أدخلها في فيه عن امرأته فرعون ، تدرأ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدو لي ، فقالت له : إنه لا يعقل ، هذا قول سعيد بن جبير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي) قال : عجمة بالحجارة نار أدخلها في فيه ، عن امرأته فرعون ترد به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما تحرك الغلام ، يعني موسى أورته أمه آسية صبيا ، فبينما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه ؛ فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : على بالذباحين ، قالت آسية : (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت ، وأضع له جمرا ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ووضعته له طستا من جمر ، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فطرح في يده جمرة ، فطرحها موسى في فيه ، فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) ، فزالت عن موسى من أجل ذلك .

وقوله (يَفْقَهُوا قَوْلِي) يقول : يفقهوا عني ما أحاط بهم وأراجعهم به من الكلام (وَاجْعَلْ لِي

(١) في النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية : فزاللت ، ولعله : فزالت ، أي العقدة .

وَزَيْرًا مِّنْ أَهْلِى) يقول : واجعلى لى عوناً من أهل بيتى (هَارُونَ أَخِي) وفى نصب هارون وجهان : أحدهما أن يكون هارون منصوباً على الترجمة عن الوزير .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال ابن عباس : كان هارون أكبر من موسى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۖ كَى نَسَبَحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ

يقول تعالى ذكره : مخبراً عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون . وإنما يعنى بقوله (أشدُّدُ بِهِ أَزْرِي) قوّ ظهري ، وأعنى به ، يقال منه : قد أزر فلان فلاناً : إذا أعانه وشدّ ظهره .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (أشدُّدُ بِهِ أَزْرِي) يقول : أشدد به ظهري .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أشدُّدُ بِهِ أَزْرِي) يقول : أشدد به أمرى ، وقوّنى به ، فإن لى به قوّة .

وقوله (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) يقول : واجعله نبياً مثل ما جعلتنى نبياً ، وأرسله معى إلى فرعون (كَى نَسَبَحَكَ كَثِيرًا) يقول : كى نعظمك بالتسبيح لك كثيراً (وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) فنحمدك (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) يقول : إنك كنت ذا بصر بنا لا ينجى عليك من أفعالنا شىء .
وذكر عن عبد الله بن أبى إسحاق أنه كان يقرأ (أَشَدُّدُ بِهِ أَزْرِي) بفتح الألف من أشدد (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) بضم الألف من أشركه ، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه ، أنه يفعل ذلك ، لاعلى وجه الدعاء ، وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء ، أو جواب الدعاء ، وذلك قراءة لأرى القراءة بها ، وإن كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التى لا يجوز خلافها .
القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۖ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ

(١) لم يبين المؤلف الوجه الثانى فى نصب هارون ، وقد بينه الشوكانى فى تفسيره فى « فتح القدير » طبعه الحلبي . ٣ : ٣٥١ قال : وانتصاب « وزيراً » و « هارون » : على أنهما مفعولاً اجمل . وقيل مفعولاً : « لى وزيراً » ، ويكون هارون عطف بيان للوزير . اهـ . قلت : وعنى المؤلف بالترجمة : البدل . وهو أخو عطف البيان .

❖ يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم : قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك ، وحل عقدة لسانك ، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك ، وشد أزرك به ، وإشراكه في الرسالة معك (وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى) يقول تعالى ذكره : ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى ، وذلك حين أوحينا إلى أمك ، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها ؛ ثم فسّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه ، فقال : هو أن اقدفيه في التابوت ، فإن في موضع نصب رداً على « ما » التي في قوله (ما يوحى) ، وترجمة عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا إلى أمك ، أن اقدفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت (فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ) يعني باليم : النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) يقول : فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ ، يلقه اليم بالساحل ، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر ، كأن اليم هو المأمور ، كما قال جل ثناؤه : (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ، وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يعني : اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمشرفة آل فرعون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ولدت موسى أمه أرضعته ، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه ، فصنعت به ما أمرها الله تعالى ، جعلته في تابوت صغير ، ومهدت له فيه ، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه ، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة ، فبينما هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مزارح امرأته جالسة إلى جنبه ، فقال : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه . وعنى جل ثناؤه بقوله (يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلَهُ) فرعون هو العدو ، كان لله ولموسى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ) وهو البحر ، وهو النيل .

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) فقال بعضهم : عني بذلك أنه حبه إلى عباده .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي والعباس بن محمد الدوري ، قالا : ثنا حسين الجعفي عن موسى بن

قبس الحضرمي ، عن سلمة بن كهيل ، في قول الله (وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي) قال عباس : حبيبتك إلى عبادي ، وقال الصدائى : حبيبتك إلى خلقى .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أى حسنت خلقك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إبراهيم بن مهدي ، عن رجل ، عن الحكم بن لبان ، عن عكرمة ، قوله (وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي) قال : حسنا وملاحة .
قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى ، كما قال جل ثناؤه (وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي) فحبيه إلى آسية امرأة فرعون ، حتى تبنته وغذته وربته ، وإلى فرعون ، حتى كف عنه عاديته وشره . وقد قيل : إنما قيل : وألقيت عليك محبة مني : لأنه حبه إلى كل من رآه . (و) معنى (الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي) حبيبتك إليهم ؛ يقول الرجل لآخر إذا أحبه : ألقىت عليك رحمتي : أى محبتي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿١٠١﴾ إِذْ تَمْشِي أُخُنُكُ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَأَبَيْتَ لِسَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠١﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) فقال بعضهم : معناه : ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) قال : هو غذاؤه ولتغذى على عيني .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) قال جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة ؛
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت بعيني في أحوالك كلها ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) قال : أنت بعيني إذ جعلتك أمك في الثابوت ، ثم في البحر ، (إِذْ تَمْشِي أُخُنُكُ) ، ودرأ ابن نهيك (وَلِتُصْنَعَ) بفتح التاء . وتأوله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) فسألته عن ذلك ، فقال : ولتعمل على عيني .

قال أبو جعفر : والقراءة التي لأستجيز القراءة غيرها (وَلِتُصْنَعَ) بضم التاء ، لإجماع الحجة من القراءة عليها . وإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به ، التأويل الذي تأوله قنادة ، وهو (وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) ولتغذى على عيني ، أقيت عليك المحبة مني . وعنى بقوله (على عيني) بمراى مني ومحبة وإرادة .

وقوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ) يقول تعالى ذكره : حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ، ثم تأتي من يطلب المراضع لك ، فتقول : هل أدلكم على من يكفله ؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ) استغناء بدلالة الكلام عليه .

وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ألقته أمه في اليم (قَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ) فلما التقطه آل فرعون ، وأرادوا له المروضات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ فقالت أخته : (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ؟ فأخذوها وقالوا : بل قد عرفت هذا العلام ، فدلينا على أهله ، قالت : ما أعرفه ، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت : يعني أم موسى لأخته : قصبه فانظري ماذا يفعلون به ، فخرجت في ذلك (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدي ، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه ، فلا يؤتى بامرأة ، فيقبل ثديها ، فيمرضهم ذلك ، فيؤتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئا منهم ، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك . وعنى بقوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ) هل أدلكم على من يضمه إليه فيحفظه ويرضعه ويربيه . وقيل : معنى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها .

وقوله (فَدَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) يقول تعالى ذكره : فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون ، كما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم ، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قالت أخت موسى لهم ما قالت ، قالوا : هات فأتت أمه فأخبرتها ، فانطلقت معها حتى أتتهم ، فناولوها إياه ، فلما وضعت في حجرها أخذ ثديها ، وسرّوا بذلك منه ، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها ، ولا تحزن ، فبلغ لطف الله لها واه ، أن ردّها عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمانة من القتل الذي يتخوف على غيره ، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة ، فكان على فرش فرعون وسرره .

وقوله (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) يعني جلّ ثناؤه بذلك : قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي ، فوكزه موسى . وقوله (فَسَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) يقول تعالى ذكره : فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي

قتلت : إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم ، حتى هربت إلى أهل مدين ، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك . وكان قتله إياه فيها ذكراً خطأ ، كما حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ (وَوَقَتَلْتَ نَفْسًا ، فَانجَبَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) . »

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَانجَبَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) قال : من قتل النفس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَانجَبَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) النفس التي قتل . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) فقال بعضهم : ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختباراً . ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) يقول : اختبرناك اختباراً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) قال : ابتليت بلاء .

حدثني العباس بن الوليد الأملي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني ، قال : أخبرنا القاسم بن أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن قول الله لموسى (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) فسأله على الفتون ماهي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثاً طويلاً ، قال : فلو أصبحت غدوت على ابن عباس لأنجز منه ما وعدني ، قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ؛ فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم ، فقال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفاريطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم ، وأن الصغار يذبحون ؛ قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدعة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فيقتل أبناؤهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ، فتشبه الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم ، فتخافون مكائدهم إياكم ، ولن يقلوا بمن تقتلون ، فأجمعوا أمرهم على ذلك ، فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله

إليها (ألا تخافي ولا تحزني إننا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) ، وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم ؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به ، حتى إذا توارى عنها ابنها أنها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني لو ذبح عندي ، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيطان البحر ودوابه ، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون ، فرأينه فأخذنه ، فهمن أن يفتح الباب ، فقال بعضهم لبعض : إن في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحلمنه كهيشته لم يحرر كن منه شيئا ، حتى دفعنه إليها ؛ فلما فتحت رأت فيه الغلام ، فألقى عليه منها حبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) من كل شيء إلا من ذكر موسى ؛ فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه ، وذلك من الفتون يابن جبير ؛ فقالت للذباحين : انصرفوا عني ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم أملككم ؛ فلما أتت به فرعون قالت : (قرة عين لي ولك) قال فرعون : يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه فقال : والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به ، لهداه الله به كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك ، فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن ، لتختار له ظئرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها ، حتى أشفت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى ، فقالت لأختها : قصيه واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا ، أحيى ابني ، أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه ، ونسيت الذي كان الله وعدا ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فأخذوها وقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ؛ فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه ، رغبتهم في ظؤورة الملك ، ورجاء منفعتهم ، فتركوها ؛ فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت ؛ فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا ، فأرسلت إليها ، فأتيت بها وبه ؛ فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئا قط ؛ قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي ، فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينه ، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدا ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنيته الله نباتا حسنا ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخررة التي كانت فيهم ؛ فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أزيروني ابني ، فوعدها يوما تزيروا إياه فيه ، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليري ذلك ، وأنا باعثة أمينة تحصى كل ما يصنع كل إنسان منكم ؛

فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ؛ فلما دخل عليها نخلته وأكرمته ، وفرحت به ، وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت : الطلقن به إلى فرعون ، فلينخله ، وليكرمه ، فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مداها فقال عدو من أعداء الله : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير ، بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به ، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدالك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي ؟ قال : ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلونني ، فقالت : اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل ؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه ، فتناول الجمرتين ، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به ، وكان الله بالغا فيه أمره .

فلما بلغ أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كل امتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان ، أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى واشتد غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبيل الرضاغة غير أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ؛ فوكز موسى الفرعوني فقتله ، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) ثم قال (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ - فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) الأخبار ، فأتى فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك ، فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بيينة ولا ثبت ، فطلبوا له ذلك ؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبنا ، إذ مر موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم (إِنَّكَ لَتَعْوِيٌّ مُبِينٌ) فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال ، فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إِنَّكَ لَتَعْوِيٌّ مُبِينٌ) أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراد ، وإنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي ، فحاجز الفرعوني فقال (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتاركا ؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ؟ فأرسل فرعون الذباحين ، فسلك

موسى الطريق الأعظم ، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم . وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر ، وذلك من الفنون يا ابن جبير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فُتُونَا) قال : بلاء إلقاءه في التابوت ، ثم في البحر ، ثم التقاط آل فرعون إياه ، ثم خروجه خائفا .

قال محمد بن عمرو ، وقال أبو عاصم : خائفا ، أوجائعا « شكّ أبو عاصم » ، وقال الحارث : خائفا يترقب ، ولم يشكّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله (وقال : خائفا يترقب) ، ولم يشكّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) يقول : ابتليناك بلاء حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) هو البلاء على إثر البلاء .
وقال آخرون : معنى ذلك : أخلصناك .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) أخلصناك إخلاصا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، قال : سمعت سعيد ابن جبير ، يفسر هذا الحرف (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) قال : أخلصناك إخلاصا .
قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة ، وأنها الإبتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الإعادة في هذا الموضع .

وقوله (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف . ومعنى الكلام : وفتنناك فتونا ، فخرجت خائفا إلى أهل مدين ، فلبثت سنين فيهم .
وقوله (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ) يقول جل ثناؤه : ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولقذاره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ) يقول : لقد جئت لميقات ياموسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن مجاهد ، قال (على قدر يا موسى) قال : موعده .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : علي ذي موعده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (على قدر يا موسى) قال : قدر الرسالة والنبوة . والعرب تقول : جاء فلان على قدر : إذا جاء لميقات الحاجة إليه ؛ ومنه قول الشاعر :

نال الخِلافةَ أو كانتَ لهُ قدرًا كما أتى رَبَّهُ موسىَ على قدرٍ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْطَنَعُكَ لِنَفْسِي ﴿١٤﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ﴿١٥﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ، ومنذت عليك هذه المن ، اجتناء مني لك ، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني ، والقيام بأمرى ونهيي (أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ) هارون (بآياتي) يقول : بأدلتى وحججى ، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرد في ضلاله وغيه ، فأبلغاه رسالتي (وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما ، فإن ذكركما إيتاي يقوى عزائمكما ، ويثبت أقدامكما ، لأنكما إذا ذكرتماني ، ذكرتما مني عليكما نعمة جمّة ، ومننا لانحصى كثرة . يقال منه : وتي فلان في هذا الأمر ، وعن هذا الأمر : إذا ضعف ، وهو يتي وتي ، كما قال العجاج :

فَمَا وَتَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ^٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَنبِيَا)

يقول : لا تبطنًا .

(١) هذا البيت لجرير ، من قصيدة عدة أبياتها تسعة وعشرون بيتا في ديوانه (طبعة الصاوي بالقاهرة ٢٧٤ - ٢٧٦) والرواية فيه : « نال الخِلافة » كرواية المؤلف . وفي بعض كتب الشواهد : « جاء الخِلافة » . وفي هامش الديوان : ويروي : « عز الخِلافة » البيت . ومحل الشاهد في البيت ، قوله : « على قدر » فإن معناه : القضاء الموافق . قال في (اللسان : قدر) : يقال : قدر الإله كذا تقديرا ؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت جاء قدره . وقال ابن سيده : القدر والقدر (يسكون الدال وتحريكها) : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز (١٤ ، ١٥) من أرجوزة للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) وألوانا ، كما في (اللسان : وفي) الفترة في الأعمال والأمور ، وقدوني يني ونياء وونيا (على فعول) . أي ضعف ، وتواني في حاجته قصر . وفي حديث عائشة تصف أباهما ، رضي الله عنهما : « سبق إذ ونيتم » : أي قصرتم . فترتم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : ولا تضعفا في ذكري ۝

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) قال : لا تضعفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (تَنْبِيَا) تضعفا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : لا تضعفا في ذكري .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) قال : لا تضعفا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : لا تضعفا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي) قال : الواني : هو الغافل المفرط ذلك الواني .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون : فقولا لفرعون قولا لئنا ، ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولا له ، هو أن يكنياه .

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفي ، قال : ثنا علي بن صالح ، عن السدي (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا) قال : كنياه .

وقوله (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) اختلف في معنى قوله (لَعَلَّهُ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : فقولا له قولا لئنا ، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) يقول : هل يتذكر أو يخشى .

وقال آخرون : معنى لعل ههنا كى . ووجهوا معنى الكلام إلى (اذهبنا إلى فيرعون لأنه طغى) فادعوا وعظه ليتذكر أو يخشى ، كما يقول القائل : اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك ، بمعنى : لتأخذ أجرك ، وافرغ

من عملك لعلنا نتعدى، بمعنى : لتتعدى ، أو حتى نتعدى ، ولكلا هذين القولين وجه حسن ، ومذهب صحيح .

وقراءه (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهارون : ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعونا إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه ، أن يعجل علينا بالعقوبة ، وهو من قولهم : فرط منى إلى فلان أمر : إذا سبق منه ذلك إليه ، ومنه : فارط القوم وهو المتعجل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز :

قَدَّ فَرَطُ الْعِلْجِ عَلَيْنَا وَعَجِلٌ^١

وأما الإفراط : فهو الإسراف والإشطاط والتعدى . يقال منه : أفرطت في قولك : إذا أسرف فيه وتعدى . وأما التفريط : فإنه التواني . يقال منه : فرطت في هذا الأمر حتى فات : إذا تواني فيه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أن يفرط علينا) قال : عقوبة منه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إننا نخاف أن يفرط علينا ، أو أن يطغى) قال : نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك ، يفرط ويعجل . وقرأ (لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٠﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّن آتَبَعِ الْهُدَى ﴿١١﴾

يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون (لا تخافا) فرعون (إننى معكما) أعينكما عليه ، وأبصركما (أسمع) ، أى يجرى بينكما وبينه . فأفهمكما ما تحاورانه به (وأرى) ما تفعلان ويفعل ، لا يخفى على من ذلك شيء (فأنباهه) فقولا (إننا رسولا ربك) له (إننا رسولا ربك) . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج (قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) ما يحاوركما ، فأوحى إليكما فتجاوبانه .

(١) فى (اللسان : فرط) عليه يفرط : عجل عليه وعدا وآذاه . وقال الفراء فى قوله تعالى : « إننا نخاف أن يفرط علينا » قال : يعجل إلى عقوبتنا . والعلاج : الرجل القوى الضخم . ولم أعرف قائل الرجز .

وقوله (فَأْتِيَاهُ فَفَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل ، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) معجزة (مِنْ رَبِّكَ) على أنه أرسلنا إليك بذلك ، إن أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أرينا كماها ، (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) يقول : والسلامة لمن اتبع هدى الله ، وهو بيانه ، يقال : السلام على من اتبع الهدى ، ولمن اتبع بمعنى واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون : قولاً لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لانفاد له ، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته ، وإجابة رسله (وَتَوَلَّى) يقول : وأدبر معرضاً عما جئناه به من الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) في هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو قوله (فَأْتِيَاهُ) فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته ، فقال فرعون لهما (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) فخاطب موسى وحده بقوله : يا موسى ، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لامن الجميع ، وذلك نظير قوله (نَسِيًا حُوتَهُمَا) وكان الذي يحمل الحوت واحد ، وهو فتى موسى ، يدل على ذلك قوله (إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)

وقوله (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول تعالى ذكره : قال موسى له مجيباً : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ، يعني : نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم ، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً ، وكالذكور من البهائم ، أعطاهم نظير خلقها ، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً ، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه ، فيزوج به بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هداهم للمأتى الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه ، ولسائر منافعهم من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَعْطَى

كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول : خلق لكل شيء زوجة ، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو . قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قال رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول : أعطى كل دابة خلقها زوجا ، ثم هدى للنكاح .
وقال آخرون : معنى قوله (ثُمَّ هَدَى) أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) يعني : هدى بعضهم إلى بعض ، أَلَّفَ بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوج بعضهم بعضا .
وقال آخرون : معنى ذلك : أعطى كل شيء صورته ، وهي خلقه الذي خلقه به ، ثم هداه لما يُصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : أعطى كل شيء صورته ثم هدى كل شيء إلى معيشته .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : سوى خلق كل دابة ، ثم هداهما لما يُصلحها ، فعلمها إياه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : سوى خلق كل دابة ثم هداهما لما يُصلحها وعلمها إياه ، ولم يجعل الناس في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الناس ، ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديرا .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد عن مجاهد (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : هداه إلى حيلته ومعيشته .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعطى كل شيء ما يُصلحه ، ثم هداه له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) قال : أعطى كل شيء ما يُصلحه . ثم هداه له .
قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شيء خلقه ، ولا يعطى المعطى نفسه ، بل إنما يعطى ما هو غيره ، لأن العطية تقتضي المعطى المعطى والعطية ، ولا تكون العطية هي المعطى ، وإذا لم تكن هي هو ، وكانت غيره ، وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه ، كان معلوما أنه إذا قيل : أعطى الإنسان صورته ، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع

غيره دعى إنسانا ، فكأن قائله قال : أعطى كلّ خلق نفسه ، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية ، وإن كان قد يحتمله الكلام . فإذا كان ذلك كذلك ، فالأصوب من معانيه أن يكون موجهها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه ، فوجه به ، ثم هداه لما بيننا ، ثم ترك ذكر مثل ، وقيل (أعطى كلّ شيءٍ خلقه) كما يقال : عبد الله مثل الأسد ، ثم يحذف مثل ، فيقول : عبد الله الأسد

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿١٠١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لموسى ، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان ، وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول ، ولم تصدق بما تدعو إليه ، ولم تخلص له العبادة ، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه ، وأنها في نعمه تتقلب ، وفي ميسرته تتصرف ، فأجابه موسى فقال : علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك ، عند ربّي في كتاب : يعني في أم الكتاب ، لا أعلم لي بأمرها ، وما كان سبب ضلال من ضلّ منهم فذهب عن دين الله (لا يَضِلُّ رَبِّي) يقول : لا يخطئ ربّي في تدبيره وأفعاله ، فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل ، وعجل هلاكها ، فالصواب ما فعل ، وإن كان آخر عقابها إلى القيامة ، فالحق ما فعل ، هو أعلم بما يفعل ، لا يخطئ ربّي (وَلَا يَنْسَى) فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) يقول : لا يخطئ ربّي ولا ينسى . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) يقول فما أعمى القرون الأولى ، فوكّلها نبي الله موكلًا فقال : (عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) . . . الآية يقول : أي أعمارها وآجالها .

وقال آخرون : معنى قوله (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) قال : هما شيء واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والعرب تقول : ضلّ فلان منزله : إذا أخطأه ، يضاهه بغير ألف ، وكذلك ذلك في كلّ ما كان من

شيء ثابت لا يبرح ، فأخطأه مريده ، فإنها تقول : أضله ، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب ، فإنها تقول : أضل فلان بغيره أو شاته أو ناقته يضلّه بالألف . وقد بينا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٢٠﴾

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله (مَهْدًا) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) بكسر الميم من الميهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء ، وكذلك عملهم ذلك في كل القرآن . وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك ، أنه إنما اختاره من أجل أن الميهاد : اسم للموضع ، وأن المهد الفعل ؛ قال : وهو مثل الفرش والفراش . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (مَهْدًا) بمعنى : الذي مهد لكم الأرض مهداً .

✽ والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مشهورتان ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها .

وقوله (وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا) يقول : وأنهج لكم في الأرض طرقاً ، والهاء في قوله فيها : من ذكر الأرض .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا) : أي طرقاً .

وقوله (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يقول : وأنزل من السماء مطراً (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثناؤه على ربه بما هو أهله ، يقول جل ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما نزل من السماء من ماء أزواجاً ، يعني ألواناً من نبات شتى ، يعني مختلفة الطعوم ، والأرايب والمنظر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى) يقول : مختلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه ، وما هو من أقواتكم وغذائكم ، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم (إن في ذلك آيات) يقول : إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم ، وعظيم سلطانه آيات : يعني لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم ، وأن لا إله لكم غيره (أولي النهى) يعني : أهل الحجى والعقول . والنهى : جمع نهي ، كما الكشى : جمع كشيبة .

قال أبو جعفر : والكشى : شحمة تكون في جوف الضب ، شبيهة بالسرّة ، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النهى ، لأنهم أهل التفكير والاعتبار ، وأهل التدبر والاتعاظ .

القول في تأويل قوله تعالى :

* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : من الأرض خلقناكم أيها الناس ، فأنشأناكم أجساما ناطقة (وفيها نُعِيدُكُمْ) يقول : وفي الأرض نُعِيدُكُمْ بعد مماتكم ، فنصيركم ترابا ، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) يقول : ومن الأرض نُخْرِجُكُمْ كما كنتم قبل مماتكم أحياء ، فتنشئكم منها ، كما أنشأناكم أول مرة . . . وقوله (تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرة أخرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرة أخرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَارَةً أُخْرَى) قال : مرة أخرى الخلق الآخر .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا ، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى ، كما أخرجناكم منها أول مرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد رأينا فرعون آياتنا ، يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا ، موسى وهارون إليه كلها (فَكَذَّبَ وَأَبَى) أن يقبل من موسى وهارون ما جاء به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَجِئْتُنَا بِسِحْرٍ مُّجَسَّمٍ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا لَيْتَنَّاكَ بِسِحْرٍ مُّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى . أجنثنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بهحرك هذا الذي جنثنا به (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ . فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لا تتعداه ، انجىء بسحر مثل الذي جنثت به . فننظر أين يغلب صاحبه . لا تخلف ذلك الموعد (نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوءِي) يقول : بمكان عدل بيننا وبينك ونصاف .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك . فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (مَكَانًا سُوءِي) بكسر السين . وقراءته عامة قراء الكوفة (مَكَانًا سُوءِي) بضمها .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا . أنهما لغتان ، أعني الكسر والضم في السين من « سوى » مشهورتان في العرب . وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء ، مع اتفاق معنيهما ، فأبتهما قرأ القارئ فمصيب . وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح . كما قال جل ثناؤه (تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) وإذا فتح السين منه مد . وإذا كسرت أو ضمت قصر ، كما قال الشاعر :

فإن أبانا كان حلالاً ببلدة سوي بين قيس قيس عيلان والفزرا

ونظير ذلك من الأسماء : طوي . وطوي : وثني وثني ؛ وعدي ، وعدي .

وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَكَانًا سُوءِي) قال : منصفاً بينهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَكَانًا سُوءِي) : أي عادلاً بيننا وبينك . حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (مَكَانًا سُوءِي) قال : نصفاً بيننا وبينك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو . قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لا تخلفه نحنُ ولا أنتَ مكاناً سُوءِي) قال : يقول : عدلاً .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مَكَانًا سُوءِي) قال : مكاناً مستويًا يتبين للناس مافيه ، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى .

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفي (اللبان : سوى) قال : قال الأخفش : سوى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضمت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعاً ، وإن فتحت مددت . تقول : مكان سوى وسوى وسواء : أي عدل ووسط بين الفريقين ، قال موسى بن جابر : « وجدنا أبانا . . . البيت » . والفزر : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٤١﴾ فَنَوَّلَىٰ فِرْعَوْنَ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون ، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع : موعدكم للاجتماع (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) يعني يوم عيد كان لهم ، أو سوق كانوا يتزينون فيه (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ) يقول وأن يُساق الناس من كل فج وناحية (ضُحَى) فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ، وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ) قال : يوم زينة لهم ، ويوم عيد لهم (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) إلى عيد لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) قال : يوم السوق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) مواعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قال : موسى « مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) وذلك يوم عيد لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ) يوم

عيد كان لهم . وقوله (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه .

حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ

الزَّيْنَةِ) قال : يوم العيد ، يوم يتفرغ الناس من الأعمال ، ويشهدون ويحضرون ويرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ) يوم عيد كان

فرعون يخرج له (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) حتى يحضروا أمرى وأمرى ، وأن من قوله (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) رفع بالعطف على قوله (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) .

وذكر عن أبي نهيك في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ،

قال : سمعت أبا نهيك يقول : (وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحَى) يعني فرعون يحشر قومه .

وقوله (فَتَوَاتَىٰ فِرْعَوْنَ) يقول تعالى ذكره : فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق (فجمع كَيْدَهُ) يقول : فجمع مكره ، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه ، (ثُمَّ آتَى) يقول ، ثم جاء للموعد الذي وعده موسى ، وجاء بسحرته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَنَبِيِّكُمْ لَا نَفْتَرُ وَاعْلَىٰ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَىٰ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : (قَالَ مُوسَىٰ) للسحرة لما جاء بهم فرعون (وَيَبْلُكُكُمْ) لا تفتروا على الله كذبا ، ولا تتقولوه (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم . وللعرب فيه لغتان : سَحَتَ ، وَأَسَحَتَ ، وَاسْحَتَ ، وَاسْحَتْ ، أَكْثَرُ مِنْ اسْحَتَ ، يُقَالُ مِنْهُ : سَحَتِ الدَّهْرُ ، وَأَسَحَتِ مَالُ فُلَانٍ : إِذَا أَهْلَكَهُ فَهُوَ يَسْحَتُهُ سَحْتًا ، وَأَسَحَتْهُ يُسْحِتُهُ اسْحَاتًا . وَمِنْ الْإِسْحَاتِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
وَعَضُّ زَمَانَ يَا بَنَ مَرَّوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحِتًا أَوْ مُجْلَفًا
ويُروى : إِلا مسحت أو مجلف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) يقول : فيهلككم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) يقول : يستأصلكم بعذاب .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) قال : يستأصلكم بعذاب فيهلككم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ) قال : يهلككم هلاكا ليس فيه بقيّة ، قال : والذي يسحت ليس فيه بقيّة .

(١) هذا البيت للفَرَزْدَقِ من نقيضته التي مطلعها « عزفت بأعشاش وما كدت تعزف » وقبل بيت الشاهد قوله (انظر ديوانه طبعة الصاوي ص ٥٦٥) :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْنَا بِنَا
هُمُومُ الْمُسْتَىٰ وَالهُوَ جِلُّ الْمُسْتَعْسَفِ

ورواية الشاهد عند المؤلف موافقة لرواية (اللسان : جلف) . قال : قال أبو الغوث : المسحت : الملك . والمجلف : الذي بقيت منه بقيّة . أو هو الذي أخذ من جوانبه . والمجلف أيضا : الرجل الذي جلفته السنون ، أي أذبت أمواله . وفي (اللسان : سحت) وقوله عز وجل « فيسحتكم بعذاب » : قرئ : فيسحتكم بعذاب ، ويسحتكم . بفتح الياء والحاء ، ويسحت (بضم الياء) أكثر . فيسحتكم (بفتح الياء والحاء) : يقشركم . ويسحتكم (بضم الياء) يستأصلكم ، وأسحت ماله : استأصله وأفسده ، قال الفَرَزْدَقُ :
« وعض زمان . . . أو مجلف » . أما رفع مجلف ، فهو على تقدير ضمير مبتدأ ، كأنه قال : أو هو مجلف . والبيت شاهد عند الطبري ، على أن معنى قوله تعالى : فيسحتكم : يستأصلكم .

حدثنا موسى قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَيُسْحِتْكُمْ بِعَدَابٍ) يقول يهلككم بعذاب .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (فَيُسْحِتْكُمْ) .
بفتح الياء من سحت يسحت . وقرأته عامة قراء الكوفة (فَيُسْحِتْكُمْ) بضم الياء من أسحت يسحت .
قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ
القارئ فمصيب ، غير أن الفتح فيها أعجب إلى لأنها لغة أهل العالية . وهي أفصح ، والأخرى وهي الضم في نجد .
وقوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) يقول : ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله ، بكذبه ذلك ، بحاجته
التي طلبها به ، ورجا إدراكها به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿١٧٩﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقِكُمُ الْمُثَلَى ﴿١٨٠﴾

يقول تعالى ذكره : فتنازع السحرة أمرهم بينهم .

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال :
ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى) قال : السحرة بينهم : إن
كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه ، وإن كان من السماء فله أمر .

وقال آخرون : بل هو أن بعضهم قال لبعض : ما هذا القول بقول ساحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع
كل ساحر حباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكى على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون في مجلسه ،
معه أشراف أهل مملكته ، قد استكف له الناس ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم (وَيَلِدْكُمْ لَاتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَدَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) فتراد السحرة بينهم ، وقال بعضهم
لبعض : ما هذا بقول ساحر .

وقوله (وَأَسْرُوا النَّجْوَى) يقول تعالى ذكره : وأسروا السحرة المناجاة بينهم .

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه ، فقال بعضهم : هو قول بعضهم لبعض : إن كان هذا ساحرا
فإننا سنغلبه ، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب
ابن منبه ، قال : أشار بعضهم إلى بعض بتناج (إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا

(النَّجْوَى) من دون موسى و هارون ، قالوا في نجواهم : (إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قالوا : إن هذان لساحران ، يَعْنُونَ بقولهم : إن هذان موسى و هارون ، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) موسى و هارون صلى الله عليهما .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فقراءته عامة قراء الأمصار (إِنَّ هَذَانِ) بتشديد إن وبالألف في هذان ، وقالوا : قرأنا ذلك كذلك . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : « إن » خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . وقال بعض نحوي الكوفة : ذلك على وجهين : أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، يجعلون الاثني في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف . وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث ابن كعب :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغَا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

قال : وحكى عنه أيضا : هذا خط يدا أخي أعرفه ، قال : وذلك وإن كان قليلا أقيس ، لأن العرب قالوا : مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ، لأنها لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ؛ قالوا : فلما رأوا الياء من الاثني لايمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحا ، تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان في كل حال . قال : وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين ، في الرفع والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلا بني كنانة ، فإنهم يقولون : رأيت كِلَيْهِ الرجلين ، ومررت بكلي الرجلين ، وهي قبيحة قليلة مَضَوَا على القياس . قال : والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من هذا دعامة ، وليست بلام « فعلى » ؛ فلما بنيت زدت عليها نونا ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لاتزول بكل حال ، كما قالت العرب الذي ، ثم زادوا نونا تدل على الجمع ، فقالوا : الذين في رفعهم ونصبهم

(١) البيت للمتلمس : جرير بن عبد العزى ، وقيل جرير بن عبد المسيح ، من كلمة له رواها ابن الشجري (انظر كتاب الأشموني في النحو بشرح الأستاذ محيي الدين عبد الحميد طبعة الحلبي ١ : ٤٧) . قال : أطرق : سكت فلم يتكلم وأرخص عينيه ينظر إلى الأرض . والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها . أو هو الحية العظيمة تثب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها ، وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون في الصحارى . ومساعا : اسم مكان من ساع يسوغ : إذا دخل ونفذ . وصمم عض ونيب . والبيت جار على لغة بني الحارث بن كعب ومن لف لفهم ، والشاهد فيه أن قوله لناياه مثنى مجرور باللام ، وقد جاء بالألف ، وهي لغة بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزبيد وخشم وهمدان وعذرة . ويخرج بعض النحويين على هذه اللغة قوله تعالى : « إن هذان لساحران » وقوله صلى الله عليه وسلم « لا وتران في ليلة » . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٩٨ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فقراءتنا بتشديد إن ، وبالألف على وجهين : إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثني في رفعهما وخفضهما بالألف ، أنشدني رجل من الأسد عنهم « فأطرق إطراق الشجاع » البيت . وحكى هذا الرجل عنهم : هذا خط يدا أخي ، أعرفه بعينه . وذلك وإن كان قليلا أقيس . (وساق المؤلف كلام الفراء إلى آخره) .

وخفضهم ، كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه . قال : وكان القياس أن يقولوا : الذُّون . وقال آخر منهم : ذلك من الجزم المرسل ، ولو نصب لخرج إلى الانبساط .

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس : إن هذين لساحران في اللفظ ، وكتب « هذان » كما يريدون الكتاب ، واللفظ صواب . قال : وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بنى كنانة وغيرهم ، يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب . قال : وقال بشر بن هلال : إن بمعنى الابتداء والإيجاب . ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها ، فترفع الخبر ولا تنصبه ، كما نصبت الاسم ، فكان مجاز « إن هذان لساحران » ، مجاز كلامين ، مخترجه : إنه : إى نَعَم ، ثم قلت : هذان ساحران . ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فِإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ

وقوله :

إِنَّ السُّيُوفَ غُدُوها وَرَوَّاحِها تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْضَبِ^٢

قال : ويقول بعضهم : إن الله وملائكته يصلون على النبي ، فيرفعون على شركة الابتداء ، ولا يعملون فيه إن . قال : وقد سمعت الفصحاء من المخرمين يقولون : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . قال : وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها . قال : ويجوز ؛ لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل ، قال :

أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجْوزٍ شَهْرَبَه^٣

(١) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي ، وهو أول أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة ، في زمن عثمان بن عفان . وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد في الكامل (خزنة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٢٣ - ٣٢٨) واستشهد به النحاة على أن قوله (قيار) مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، والتقدير : فإنى ، وقيار كذلك لغريب . وإنما لم يجعل الخبر لقيار ، ويكون خبر إن محذوفا ؛ لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم ، نحو لقائم زيد . وهذا تخريج له خلاف مذهب سيويه ، فإن الجملة عنده في نية التأخير ، وهي معطوفة لا معترضة . وزعم الكسائى والفراء أن نصب إن ضعيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن إن قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل ، إلا فيما لم يسم فاعله . وكيف يكون نصب إن ضعيفا وهي تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها ، نحو « إن فيها قوما جبارين » ، ونصب إن من أقوى المنصوبات . ٥١ .

(٢) البيت للأخطل (خزنة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٧٢) من قصيدة له ستة عشر بيتا مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثانى ، أى يعتبر المبدل منه في اللفظ ، دون البديل ، فإن قوله « غدوها » بدل من السيوف ، قال المبرد في الكامل : هو بدل اشتال ، وقد روعى المبدل منه في اللفظ ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يراع البديل ولو روعى لقليل « تركا » بالثنية . وهو ازن : أبو قبيلة ، وهو هو ازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . والأعضب : الذى انكسر أحد قرنيه . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أنهم قد يرفعون المشترك ، أى المعطوف على اسم إن ، وليس في البيت عطف على اسم إن ، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبو على الفارسي في إيضاح الشعر .

(٣) هذا بيت من مشطور الرجز نسبة الصاغاني في العباب إلى عنرة بن عروش بالشين في آخره ، وقيل بالسين ، مولى ثقيف . (خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٣٢٨ - ٣٣٠) . وهو شاهد على أنه شذ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر ، مجردا من إن . وقدر بعضهم : لى عجوز ، لتكون في التقدير داخلة على المبتدأ . قال ابن السراج في الأصول : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جبير (إلا أنهم لياكلون الطعام) : فتح أن ، وجعل اللام زائدة كما زيدت في قوله :

أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجْوزٍ شَهْرَبَه تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بَعْظَمَ الرَّقَبِ

قال : وزعم قوم أنه لا يجوز . لأنه إذا خفف نون « إن » فلا بد له من أن يدخل « إلا » فيقول : إن هذا إلا ساحران .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا (إن) بتشديد نونها . وهذان بالألف لإجماع الحجة من القراء عليه . وأنه كذلك هو في خط المصحف . ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذي النون . وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة : فكذلك (إن همدان) زيدت على هذا نون وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حال واحدة . وهي لغة بلحريث بن كعب . وخشم : وزبيد ، ومن وليهم من قبائل اليمن .

وقواه (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) يقول : ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم . يقال : هو طريقة قومه ونظرة قومه ، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه . يقال ذلك للواحد والجمع ، وربما جمعوا ، فقالوا : هؤلاء طرائق قومهم ؛ ومنه قول الله تبارك وتعالى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) وهؤلاء نظائر قومهم . وأما قوله (الْمُثَلَّى) فإنها تأنيث الأمثل . يقال للمؤنث : خذ المثلئ منها . وفي المذكر : خذ الأمثل منها ، ووحدت المثلئ ، وهي صفة ونعت للجماعة ، كما قيل (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ، وقد يحتمل أن يكون المثلئ أنثى لتأنيث الطريقة .

وبنحو ما قلنا في معنى قوله (بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) يقول : أمثلكم وهم بنو إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء . جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قال : أولى العemel والشرف والأنساب .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قال : أولى العقول والأشراف والأنساب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب . قالوا : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَذْهَبًا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) وطريقتهم المثلئ يومئذ كانت بنو إسرائيل ، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا . قال عدو الله : إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبدالرزاق . قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قال : ببني إسرائيل .

= انتهى . وعند ابن جني غير زائدة ، لكنها في البيت ضرورة . قال في سر الصناعة : وأما الضرورة التي تدخلها اللام في غير خبر إن فن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها ؛ والوجه أن يقال : لأم الخليلين عجوز شهيرة ، كما يقال لزيد قائم . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أن اللام في « وقيارها لغريب » هي لام ابتداء أخرجت إلى الخبر ، كما في قول الرازي : أم الخليلين لعجوز ، وأصله : لأم الخليلين عجوز .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) يقول : يذهبا بأشرف قومكم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وبغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه ، من قولهم : فلان حسن الطريقة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قال : يذهبا بالذي أنتم عليه ، بغير ما أنتم عليه . وقرأ (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) قال : هذا قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) وقال : يقول طريقتم اليوم طريقة حسنة ، فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة .
وروي عن علي في معنى قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم ، عن علي بن أبي طالب ، قال : يصرفان وجوه الناس إليهما .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام ، فإن تأويل أهل التأويل خلافه ، فلا أستجيز لذلك القول به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿١٠٠﴾

❦ اختلفت القراء في قراءة قوله (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) بهمز الألف من (فَأَجْمِعُوا) ، ووجهها معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه ؛ من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ؛ ومنه قول الشاعر :
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَعْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي يُجْمَعُ
يعنى بقوله : « أجمع » : قد أحكم وعزم عليه ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ » .

(١) البيت في (اللسان : جمع) ولم ينسبه . قال : وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له ، والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا وقال آخر : « ياليت شعري . . . البيت » . وقوله تعالى : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) أي : وادعوا شركاءكم . قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله ؛ لأنه لا يقال : أجمعت شركائي ، إنما يقال : أجمعت . وقال الفراء : الإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصب شركائي بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أَمْرَكُمْ ، وادعوا شركاءكم . قال أبو إسحاق : الذي قاله الفراء غلط في إضماره : « وادعوا شركاءكم » ، لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أَمْرَكُمْ مع شركائكم ؛ وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه . قالوا : والواو : بمعنى مع ، كقولك : « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » . المعنى : لو تركت الناقة مع فصيلها . قال ومن قرأ : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أَمْرَكُمْ . قال : ويجوز : فأجمعوا أَمْرَكُمْ مع شركائكم .

وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة (فاجتمعوا كَيْدَ كُمْ) بوصل الألف ، وترك همزها ، من جمعت الشيء . كأنه وجهه إلى معنى : فلا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به . وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتل فيما ذكرى لقراءته ذلك كذلك بقوله (فَتَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ) .
قال أبو جعفر : والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين ، فلا وجه لأن يقال لهم : اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون ، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده ، ولم يكن ذلك يوم تزيد فى علمهم بما كانوا يعملونه من السحر ، بل كان يوم إظهاره . أو كان متفرقا مما هو عنده ، بعضه إلى بعض ، ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجده عنونه . وأما قوله (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) فغير شبيه المعنى بقوله (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً ، فقيل : فتولى فرعون فجمع كيدَهُ .

وقوله (ثُمَّ اثْتُوا صَفًّا) يقول : احضروا وجيئوا صفاً ؛ والصف ههنا مصدر ، ولذلك وحده ، ومعناه : ثم اثتوا صفوفاً ، وللصف فى كلام العرب موضع آخر ، وهو قول العرب : أتيت الصف اليوم يعنى به المصلى الذى يصلى فيه .

وقوله (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى) يقول : قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع فرعون الناس لذلك الجمع ، ثم أمر السحرة فقال : (ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى) أى قد أفلح من أفاج اليوم على صاحبه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَسُوْسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰى مَنْ أَلْقَىٰ ۗ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۗ

يقول تعالى ذكره : فأجمعت السحرة كيدهم ، ثم أتوا صفاً فقالوا لموسى : (يا موسى إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰى مَنْ أَلْقَىٰ) وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاءً بدلالة الكلام عليه .
واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفاً ، فقال بعضهم : كانوا سبعين ألف ساحر ، مع كل ساحر منهم حبل وعصا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عاينة ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بزرة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ؛ فألقى موسى عصاه ، فإذا هى ثعبان مبين فاغر به فاه ، فابتلع حبالهم وعصيتهم ، (فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا) عند ذلك ،

فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها، فعند ذلك (قالوا لئن نُؤثِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ) .

وقال آخرون : بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : (قالوا يا موسى إماماً أن تُلْسِقِيَّ وَإِمَاماً أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْتَقِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى) : ألقوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا .

وقال آخرون : بل كانوا خمسة عشر ألفاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه .

وقال آخرون : كانوا تسع مئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان السحرة ثلاث مئة من العريش ، وثلاث مئة من فيوم ، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية ؛ فقالوا لموسى : إما أن تلقى مامعك قبلنا ، وإما أن تلقى مامعنا قبلك ، وذلك قواه (وإماماً أن نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى) وأن في قواه (إماماً أن) في موضع نصب ، وذلك أن معنى الكلام : اختر يا موسى أحد هذين الأمرين : إما أن تلقى قبلنا ، وإما أن نكون أول من ألقى ، ولو قال قائل : هو رفع كان مذهبا ، كأنه وجهه إلى أنه خبر كقول القائل : فَسِيرًا فِيمَا حَاجَةً تَقْضِيَانِيهَا وَإِمَامًا مَقِيلًا صَالِحًا وَصَدِيقًا

وقوله (قال بَلْ أَلْقُوا) يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة : بل ألقوا أتم ما معكم قبلي . وقوله (فإذا حبالهم وعصيهم يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسْعَى) ، وفي هذا الكلام متروك ، وهو : فألقوا ما معهم من الحبال والعصى ، فإذا حبالهم ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه . وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم ، فخييل حينئذ إلى موسى أنها تسعى .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مضورة الجامعة ، الورقة ١٩٨) قال : وقوله «إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى» : أن وأن : في موضع نصب ، والمعنى : اختر إحدى هاتين ؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل ، كان صوابا ، كأنه خبر ، كقول الشاعر : «فسيرا . . . البيت» . ولو رفع «فإما منا بعد وإما فداء» كان أيضا صوابا . ومذهبه كذهب قوله : «فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان» والنصب في قوله «إما أن تلقى» وفي قوله «فإما منا بعد وإما فداء» : أجود من الرفع ، لأنه شيء ليس بعام ، مثل ما ترى من معنى قوله «فإمسك» و «فصيام ثلاثة أيام» لما كان المعنى يعم الناس في الإمساك بالمعروف وفي صيام الثلاثة الأيام في كفارة الجن ، كذلك كالبزاة ، فرغ لذلك ، والاختيار إنما هي فعلة واحدة .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : قالوا يا موسى (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرموسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم أتى كل رجل منهم ما فى يده من العصى والحبال ، فإذا هى حبات كأثال الحبال ، قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضها .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله (يُخَيَّلُ لِيَه) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار (يُخَيَّلُ لِيَه) بالياء بمعنى : يخيل لإيهم سعيها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كانت « أن » فى موضع رفع . وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه (تُخَيَّلُ) بالتاء ، بمعنى : تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى . ومن قرأ ذلك كذلك ، كانت « أن » فى موضع نصب لتعلق تخيل بها . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه (تُخَيَّلُ لِيَه) بمعنى : تتخيل لإيه . وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا فـ « أن » فى موضع نصب بمعنى : تتخيل بالسعى لهم . والقراءة التى لا يجوز عندى فى ذلك غيرها (يُخَيَّلُ) بالياء ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول فى تاويل قوله تعالى :

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَمَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٨﴾ وَالْقِمَامِ فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٩﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : فأوجس فى نفسه خوفا موسى فوجده . وقواه (قَامْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى إذ أوجس فى نفسه خيفة (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) على هؤلاء السحرة ، وعلى فرعون وجنده ، والقاهر لهم (وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا) يقول : وألقى عصاك تبذل حبالهم وعصيهم التى سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى . وقواه (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ) اختلقت القراء فى قراءة قوله ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض قرآء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ) برفع كيد وبالأل فى سحر بمعنى : إن الذى صنعه هؤلاء السحرة كيد من سحر . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ) برفع الكيد وبغير الألف فى السحر بمعنى إن الذى صنعه كيد سحر .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة ، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر ، ومكر السحر وخدعته : تخيله إلى المسحور ، على خلاف ما هو به فى حقيقته ، فالساحر كائد بالسحر ، والسحر كائد بالتخييل ، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ (كَيْدَ سِحْرٍ) بنصب كيد . ومن قرأ ذلك كذلك ، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا فى كيد .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافها . وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) يقول : ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان .

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول : معنى ذلك : أن الساحر يُقتل حيث وجد . وذكر بعض نحوي البصرة ، أن ذلك في حرف ابن مسعود (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ إِنْ آتَى) وقال : العرب تقول : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم . وقال غيره من أهل العربية الأول : جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال : وأما قول العرب : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم ، فإنما هو جواب لم يفهم ، فاستفهم كما قالوا : أين الماء والعشب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو : فألقى موسى عصاه ، فتلقفت ما صنعوا (فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا ، فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصى .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر ، (خيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين قال : فتحت فمها مثل الدحل ، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر ، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر ، ثم جاء إليها فقبض عليها ، فإذا هي عصا ، فخر السحرة سجدا (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ) قال : فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون (وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) قال : فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون . حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى) فأوحى الله إليه (لَا تَخَفْ - وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ - تَلْقَفْ مَا يَأْفِكُونَ - فَأَلْقَى عَصَاهُ) فأكلت كل حية لهم ؛ فلما رأوا ذلك سجدوا (قَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى) لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصى وخيل إليه أنها تسعى ، وقال : والله إن كانت لعصيا في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاي هذه ، أو كما حدثت نفسه ، فأوحى الله

إليه أن (أتى) ما في يمينك تلتفت ما صنعوا ، إنما صنعوا كسند ساحير ، ولا يفلح الساحير حيث أتى) وفرح موسى فالتى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من جبالهم وعصبيهم ، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى بالوادي قايل ولا كثير مما ألقوا . ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا ، قالوا : آمنا برب هارون وموسى ، لو كان هذا سحر ما غابنا .

وقواه (قال آمنتم أنه قبل أن آذن لكم) يقول جل ثناؤه : وقال فرعون للسحرة : أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إياه من قبل أن أطاق ذلك لكم (إنته لكبيركم) يقول : إن موسى لعظيمكم (الذي علمكم السحر) .

كما حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : لما قالت السحرة : (آمنا برب هارون وموسى) قال لهم فرعون . وأسف ورأى الغلبة والبينة : (آمنتم أنه قبل أن آذن لكم . إنته لكبيركم الذي علمكم السحر) : أي اعظم السحار الذي علمكم . وقوله (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يقول : فلا قطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يميني اليدين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليدين ، ويمنى الرجلين ، فيكون ذلك قطعا من خلاف ، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون ، وقد ذكرنا الرواية بذلك . وقوله (ولأصلبنكم في جذوع النخل) يقول : ولأصلبنكم على جذوع النخل ، كما قال الشاعر :
هم صلبوا العبدى في جذع نخلة
فلا عطست شيبان إلا بأجدعا
يعنى على جذع نخلة ، وإنما قيل : في جذوع ، لأن المصابوب على الخشبة يرفع في طولها ، ثم يصير عايبا ، فيقال : صلب عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قواه (ولأصلبنكم في جذوع النخل) لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخرؤا سجدا ، وآمنوا عند ذلك ، قال عدو الله :
(فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) . . . الآية .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال فرعون :
(لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف . ولأصلبنكم في جذوع النخل) فقتلهم وقطعهم ، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وقال كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري (اللسان : عبد) قال : قال سيويه : النسبة إلى عبد القيس عدى ، وهو من القيس الذي أضيف فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسى ، لا لتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه ، قال سويد بن أبي كاهل : « وهم صلبوا . . . البيت » . قال ابن بري : قوله بأجدعا ، أى بأنف أجدع ، فحذف الموصوف ، وأقام صفته مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العبدى في جذع نخلة أى على جذع نخلة ، كقول القرآن : « ولأصلبنكم في جذوع النخل » . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف (في) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، بجامع التمكن في كل منهما .

وقوله (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) يقول : ولتعلمنَّ أيها السحرة أينا أشدُّ عذابا لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٧٦﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به (لَنْ نُؤْتِرَكَ) فنتبعك ونكذب من أجلك موسى (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) يعنى من الحجج والأدلة على حقيقة مادعاهم إليه موسى . (وَالَّذِي فَطَرَنَا) يقول : قالوا لن نُؤْتِرَكَ على الذى جاءنا من البيّنات ، وعلى الذى فطرنا ، ويعنى بقوله (فَطَرَنَا) خلقنا ، فالذى من قوله (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خفض على قوله (ما جاءنا) ، وقد يحتمل أن يكون قوله (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خفضا على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نُؤْتِرَكَ على ما جاءنا من البيّنات والله . وقوله (فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) يقول : فاصنع ما أنت صانع ، واعمل بنا ما بدا لك (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول : إنما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التى تفتى ، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه (لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا) أى على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة (فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) : أى اصنع ما بدا لك (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أى ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لاسيطان لك بعده .

وقوله (إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا) يقول تعالى ذكره : إنا أقررنا بتوحيد ربنا ، وصدقنا بوعدده وووعيده . وأن ما جاء به موسى حقّ (لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا) يقول : ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) يقول : ليغفر لنا ذنوبنا ، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر ، وعملنا به الذى أكرهتنا على تعلمه والعمل به . وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعيد ، عن

عكرمة . عن ابن عباس . في قول الله تبارك وتعالى (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة : تعلمهم السحر بالقرآن .

حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : أمرهم بتعلم السحر . قال : تركوا كتاب الله ، وأمروا قومهم بتعليم السحر . (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : أمرتنا أن نتعلمه .

وقوله (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) يقول : والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه ، وأبى عذابا لمن عصاه وخالف أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) : خير منك ثوابا ، وأبى عذابا .

حدثنا القاسم : قال : ثنا الحسين : قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، ومحمد بن قيس في قول الله (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) قالا : خيرا منك أن أطيع ، وأبى منك عذابا إن عصى .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٦٥﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدِ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٦٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون : (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ) من خلقه (مُجْرِمًا) يقول مكنسبا الكفر به (فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ) يقول : فإن له جهنم مأوى ومسكنا ، جزاء له على كفره (لَا يَمُوتُ فِيهَا) فتخرج نفسه (وَلَا يَحْيَى) فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ، ولكنها تتعلق بالخناجر منهم (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا) موحدا لا يشرك به (قَدِ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) يقول : قد عمل ما أمره به ربه ، وانتهى عما نهاه عنه (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) يقول : فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدِ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) . ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي ، فقال : هن (جَنَّاتُ عَدْنٍ) يعنى : جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاذ لها ولا فناء (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : تجري من تحت أشجارها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كثرين فيها إلى غير غاية محدودة ، فالجنات من قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) مرفوعة بالرد على الدرجات : كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدِ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ، فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) قال : عدن .

وقوله (وَأَذْكَاءُ مَنْ تَزَكَّى) يقول : وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى ، يعنى : من تطهر من الذنوب ، فأطاع الله فيما أمره ، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ) نبينا (مُوسَىٰ) إذ تابعنا له الحجاج على فرعون : فأبى أن يستجيب لأمر ربه ، وطغى وتمادى في طغيانه (أَنْ أَسْرِ) ايلا (بِعِبَادِي) يعنى بعبادى من بنى إسرائيل (فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) يقول : فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا . واليَبَسُ واليَبْسُ : يجمع أيباس ، تقول : وقفوا في أيباس من الأرض . واليَبْسُ المخفف : يجمع ييوس . وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَبَسًا) قال : يابسا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثاه . وأما قوله (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) فإنه يعنى : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا . وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) يقول : (لَا تَخَفْ) من آل فرعون (دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) من الْبَحْرِ غرقا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) يقول : لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أملك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر قد غشيننا ، فأنزل الله (لَا تَخَفْ دَرَكًا) أصحاب فرعون (وَلَا تَخْشَىٰ) من البحر وحلا .

حدثني أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، في قوله (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) قال : الوَحَل .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لا تخافُ دَرَكًا) فقراءه عامة قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة : (لا تخافُ دَرَكًا) على الاستئناف بلا كما قال (وَاَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لِنَسَأَلُكَ رِزْقًا) فرفع ، وأكثر ما جاء في هذا الأمر الجواب مع « لا » . وقرأ ذلك الأعمش وحمزة (لا تخفُ دَرَكًا) فجزم ما لا تخاف على الجزاء ، ورفعا (وَاَلَا تَخْشَى) على الاستئناف ، كما قال جل ثناؤه (يُولُّوْكُمْ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ) فاستأنف ثم ، ولو نوى بقوله (وَاَلَا تَخْشَى) الجزم . وفيه الياء كان جائزا . كما قال الراجز :

هَزَى اِلَيْكَ الْجِدْعَ يَجْنِيكَ الْجَنَى

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (لا تخافُ) على وجه الرفع ، لأن ذلك أفصح اللغتين ، وإن كانت الأخرى جائزة . وكان بعض نحوي البصرة يقول : معنى قوله (لا تخافُ دَرَكًا) اضرب لهم طريقا لا تخاف فيه دَرَكًا ، قال : وحذف فيه كما تقول : زيد أكرمت وأنت تريد أكرمته ، وكما تقول (وَاَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) أي لا تجزي فيه . وأما نحويو الكوفة فإنهم ينكرون حذف فيه إلا في المواقيت ، لأنه يصلح فيها أن يقال : قمت اليوم وفي اليوم ، ولا يجوزون ذلك في الأسماء .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره : فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسربهم ، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر : فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشيهم ، فغرقوا جميعا (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى) يقول جل ثناؤه : وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل ، وأخذ بهم على غير استقامة ، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار ، بأمرهم بالكفر بالله ، وتكذيب رسله (وَمَاهَدَى) يقول : وما سلك بهم الطريق المستقيم ، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى ، والتصديق به ، فأطاعوه ، فلم يهدم بأمره إياهم بذلك ، ولم يهتدوا باتباعهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَلْبِسْ إِسْرَائِيلَ قَدًا بُجِينًا ۚ مِّنْ عَدُوِّكُمْ ۖ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي

يقول تعالى ذكره : فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغشيت فرعون قومه من اليم ما غشيتهم، قلنا لقوم موسى (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عند وكم) فرعون (وواعدناكم جانب الطور الأيمن، ونزلنا عليكم المن والسلوى) وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن . وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما، وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلفت القراء في قراءة قوله (قد أنجيناكم) فكانت عامة قراء المدينة والبصرة يقرءونه (قد أنجيناكم) بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (قد أنجيتكم) بالتاء ، وكذلك سائر الحروف الأخر، إلا قوله (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فإنهم وافقوا الآخرين في ذلك وقرءوه بالنون والألف .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى ذلك فمصيب .

وقوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم) يقول تعالى ذكره لهم : كماوا يا بني إسرائيل من شهيوات رزقنا الذي رزقناكم ، وحلاله الذي طيبناه لكم (ولا تطغوا فيه) يقول : ولا تعتدوا فيه، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (ولا تطغوا فيه) يقول : ولا تظلموا .

وقوله (فيحبل عليكم غضبي) يقول : فينزل عليكم عقوبي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (فيحبل عليكم غضبي)

يقول : فينزل عليكم غضبي .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (فيحبل عليكم) بكسر الحاء (ومن يحبل) بكسر اللام . ووجهوا معناه إلى : فيجب عليكم غضبي . وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة (فيحبل عليكم) بضم الحاء، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم غضبي .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء، وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه ، وخوفهم وجوبه لهم ، فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوفوا المعينين كليهما .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَجْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴿٨٢﴾ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يجب عليه غضبي ، فينزل به . فقد هوى ، يقول فقد تردى فشتى . كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَقَدَ هَوَىٰ) يقول : فقد شتمى .

وقوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) يقول : وإني لذو غفر لمن تاب من شركه ، فرجع منه إلى الإيمان لي وآمن ، يقول : وأخلص لي الألوهة ، ولم يشرك في عبادته إياي غيري . (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : وأدى فرائض التي افترضها عليه ، واجتنب معاصي . (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) يقول : ثم لزم ذلك ، فاستقام ولم يضيع شيئا منه .

وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) يقول : وحّد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : أدى فرائض . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) من ذنبه (وَآمَنَ) به (وَعَمِلَ صَالِحًا) فيما بينه وبين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) يقول : وأخلص لله ، وعمل في إخلاصه . واختلفوا في معنى قوله (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) فقال بعضهم : معناه : لم يشكك في إيمانه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) يقول : لم يشكك .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم لزم الإيمان والعمل الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة (ثُمَّ اهْتَدَىٰ) يقول : ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تم استقام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس (ثُمَّ اهْتَدَى) قال : أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : بل معناه : أصاب العمل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَاعْمَلْ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال : أصاب العمل .
وقال آخرون : معنى ذلك : عرف أمر مثيبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبي (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ) من الذنب (وَآمَنَ) من الشرك (وَاعْمَلْ صَالِحًا) أدى ما افترضت عليه (ثُمَّ اهْتَدَى) عرف مثيبه إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشيئا .

وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاکر ، قال : سمعت ثابتا البُناني يقول في قوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَاعْمَلْ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال : إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة ، فمن فعل ذلك وثبت عليه ، فلا شك في اهتدائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴿٤٦﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : وما أعجلك ؟ وأى شيء أعجلك عن قومك يا موسى ، فتقدمتهم وخلفتهم ورائك ، ولم تكن معهم ؟ (قال : هم أولاء علي أتري) يقول : قومي على أتري يتأخرون بي . (وعاجلت إليك رب لترضى) يقول : وعجلت أنا فسبقتهم رب ، كما ترضى عني .

ولما قال الله تعالى ذكره لموسى : ما أعجلك عن قومك ؟ لأنه جل ثناؤه فيما بلغنا ، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه ، وقطع بهم البحر ، وعداهم جانب الطور الأيمن ، فتعجل موسى إلى ربه ، وأقام هارون في بني إسرائيل ، يسير بهم على أثر موسى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وعد الله موسى حين أملاك فرعون

وقومه ونجاه وقومه . ثلاثين ليلة ، ثم أتمها بعشر : فتم ميقات ربه أربعين ليلة : تاقاه فيها بما شاء ، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل ، ومعه السامري ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به ، فلما كلم الله موسى ، قال له (ما أعجبتك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى) .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وعجلت إليك رب لترضى) قال : لأرضيك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَلْقَوْمِ لِمَ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى : فإننا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل ، وذلك كان فتنهم من بعد موسى . ويعنى بقوله (من بعدك) : من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى (وأضلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) وكان إضلال السامري إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل .

وقوله (فرجع موسى إلى قومه) يقول : فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة (غضبان أسفا) متغيظا على قومه ، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (غضبان أسفا) يقول : حزينا . وقال في الزخرف (فلما آسفونا) يقول : أغضبونا ، والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (غضبان أسفا) يقول : حزينا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) : أي حزينا على ما صنع قومه من بعده .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أسفا) قال : حزينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) يقول : ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، ويعدكم جانب الطور الأيمن ، وينزل عليكم المن والسلوى ، فذلك وعد الله الحسن بنى إسرائيل الذي قال لهم موسى : ألم يعدكم ربكم . وقوله (أفطال عليكم العهد ، أم أردتم)

أَنْ يَحِيلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ) يقول : أفضال عايكم العهد بي ، وبجميل نعم الله عندكم ، وأياديه لديكم ، أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم : يقول : أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل ، وكفركم بالله ، فأخلفتم موعدي ، وكان إخلافهم موعده ، عكوفهم على العجل ، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم ، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل ، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى (لَنْ نَسْبِرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) .
القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ
أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى : ما أخلفنا موعداك يعنون بموعده عهده الذي كان عهده إليهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَوْعِدِي) قال : عهدي ، وذلك العهد والموعد هو ما بيّناه قبل .

وقوله (بِمَلِكِنَا) يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ ، وقالوا : إننا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة .
وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة (بِمَلِكِنَا) بفتح الميم ، وقراءته عامة قراء الكوفة (بِمَلِكِنَا) بضم الميم . وقراءه بعض أهل البصرة (بِمَلِكِنَا) بالكسر . فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد ، وهما بقدرتنا وطاقتنا ، غير أن أحدهما مصدر ، والآخر اسم . وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك .

واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما أخلفنا موعداك بأمرنا .
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا) يقول : بأمرنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَلِكِنَا) قال : بأمرنا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معناه : بطاقتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا) :

أى بطاقتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ

بِمَلَكِنَا) يقول : بطاقتنا .

وقال آخرون : معناه : ما أخلفنا موعدهك بهوانا ، ولكننا لم نملك أنفسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما أخلفنا موعدهك

بِمَلَكِنَا) قال : يقول بهوانا ، قال ولكنه جاءت ثلاثة ، قال ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون ، وثياب :

قال أبو جعفر : وكل هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى ، لأن من لم يهلك نفسه ، لغلبة هواه

على ما أمر ، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول : فعل فلان هذا الأمر ، وهو لا يملك نفسه وفعله ، وهو لا يضبطها

وفعله وهو لا يطيق تركه . فإذا كان ذلك كذلك ، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ، وذلك أن

من كسر الميم من الملك ، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدهك ، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا

على خلافه ، وجعله من قول القائل : هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات ، وأن من فتحها ، فإنه يوجه

معنى الكلام إلى نحو ذلك ، غير أنه يجعاه مصدرا من قول القائل : ملكت الشيء أملكه ملكا وملكة ،

كما يقال : غلبت فلانا أغلبه غلبا وغمابة ، وأن من ضمها فانه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدهك بسلطاننا

وقدرتنا ، أى ونحن نقدر أن نمتنع منه ، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه . وقد أنكر بعض

الناس قراءة من قرأه بالضم ، فقال : أى ملك كان يومئذ لبنى إسرائيل ، وإنما كانوا بمصر مستضعفين ،

فأغفل معنى القوم وذهب غير رادهم ذهابا بعيدا ، وقارنوا ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا

المنكر عليهم ذلك ، وإنما قصدوا إلى أن معناه : ما أخلفنا موعدهك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردّها

عما أتت ، لأن هواها غابنا على إخلافك الموعد .

وقوله (وَآكِنَّاُ حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) يقول : ولكننا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم

يعنون من حلي آل فرعون ، وذلك أن بنى إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه

بذلك ، أمرهم أن يستعبروا من أمتعة آل فرعون وحليهم ، وقال إن الله غنمكم ذلك ، ففعلوا ، واستعاروا

من حلي نساءهم وأمتعتهم ، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم (أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ

يَحِيلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي . قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ،

وَآكِنَّاُ حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) فهو ما كان مع بني إسرائيل من حلّي آل فرعون ، يقول : خطئونا بما أصبنا من حلّي عدوتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُوزَارًا) قال : أثقالا . وقوله (مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : هي الحلّي التي استعاروا من آل فرعون ، فهي الأثقال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا) قال : أثقالا (مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : حايهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) يقول : من حلّي القبط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : الحلّي الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء ، أو كانت الذنوب كانت حمالها ، فليست من الذنوب في شيء .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأت عمامة قراء المدينة وبعض المكيين (حَمَلْنَا) بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك . وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين (حَمَلْنَا) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما ، بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد .

قال أبو جعفر : والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأن القوم حملوا ، وأن موسى قد أمرهم بحمله ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

وقوله (فَتَقَدَّفْنَاها) يقول : فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة (فَكَذَّلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) يقول : فكما قدفنا نحن تلك الأثقال ، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (فَتَقَدَّفْنَاها) قال : فألقيناها (فَكَذَّلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) : كذلك صنع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَتَقَدَّفْنَاها) قال : فألقيناها (فَكَذَّلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) فكذلك صنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَقَدَّفْنَاها) : أي فنبذناها .

وقوله (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا) يقول: فأخرج لهم السامري مما قذفوه وما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعنى بالحوار: الصوت، وهو صوت البقر. ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامري العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فيه فخار.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر: قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَكَذَّبَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) قال: كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر؛ فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصورها صورة بقرة، وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل، فمذفها مع الحلي والصورة (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا) فجعل يخور خوار البقر، فقال (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحلي، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامري فصاغ منه عجلا، ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك فنبذها في جوفه، فاذا هو عجل جسده له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم. وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أخذ السامري من تربة الحافر، حافر فرس جبرئيل؛ فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحضروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكوه فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة فجاء السامري بتلك القبضة فمذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما؛ فلما كان لعشرين خرج لهم العجل؛ فلما رأوه قال لهم السامري (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَنَسِي) فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي (فَكَذَّبَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ذلك حين قال لهم هارون: احضروا لهذا الحلي حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فمذف السامري تربته. وقوله (فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى. وقوله (فَتَنَسِي) يقول: فضل وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله (فَتَنَسِي) من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامري، والسامري هو الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

(١) لعله: تعوروها؛ أي استعاروها، كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلامة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقول الله (فَنَسِيَ) : أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، يعنى السامرى . وقال آخرون : بل هذا خبر من الله عن السامرى ، أنه قال لبنى إسرائيل ، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه ، فأضلّ موضعه ، وهو هذا العجل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن أبيه ، عن ابن عباس (فَنَسِيَ) يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام ، فألقى القبض على حاييم فصارع عجلا جسدا له حوار (فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) الذى انطلق يطلبه (فَنَسِيَ) يعنى : نسي موسى ، ضلّ عنه فلم يهتد له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَسِيَ) يقول : طلب هذا موسى فخالفه الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَنَسِيَ) يقول : قال السامرى : موسى نسي ربه عندكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَنَسِيَ) موسى ، قال : هم يقولونه : أخطأ الربّ العجل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَنَسِيَ) قال : نسي موسى أخطأ الربّ العجل قوم موسى يقولونه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَنَسِيَ) يقول : ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) قال : يقول : فنى حيث وعده ربه ههنا ، ولكنه نسى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) يقول : نسي موسى ربه فأخطأه ، وهذا العجل إله موسى .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء ، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامرى أنه وصف موسى بأنه نسي ربه ، وأن ربه الذى ذهب يريد هو العجل الذى أخرجه السامرى لإجماع الحجّة من أهل التأويل عليه ، وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك أشبه من غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَلَا يَرْفُونَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَتَقَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَى ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل، والقائلين له (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) : وعابهم بذلك : وسفّه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه : أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم : وإن كلّموه لم يردّ عليهم جوابا . ولا يقدر على ضرر ولا نفع ، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إذا ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث : قال : ثنا الحسن : قال : ثنا ورقاء جميعا : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا) العجل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا) قال : العجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ) ذلك العجل الذي اتخذوه (قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) . وقوله (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ) يقول : لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون ، من قبل رجوع موسى إليهم ، وقيله لهم ما قال ، مما أخبر الله عنه (إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ) يقول : إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل ، الذي أحدث فيهم الخوار ، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب ، الشاك في دينه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لهم هارون (إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ) يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) : يقول : وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه ، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ، وترك عبادة العجل ، وأطيعوا أمرى فيما أمركم به من طاعة الله ، وإخلاص العبادة له . وقوله (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَاكِفِينَ) يقول : قال عبدة العجل من قوم موسى : لن نزال على العجل مقيمين نعبده ، حتى يرجع إلينا موسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَاهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٣﴾ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴿١٤﴾ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٥﴾

قَالَ بِبَنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعاهم: يا هارون أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عدل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبیر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال ، لما قال القوم (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يفتتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى (فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) وكان له هائبا مطيعا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ) قال : تدعهم .

وقال آخرون : بل عدله على تركه أن يصاح ما كان من فساد القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ) قال : أمر موسى هارون أن يصاح ، ولا يتبع سبيل المفسدين ، فذلك قوله (أَنْ لَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) بذلك ، وقواه (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) وفي هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه ، وهو : ثم أخذ موسى بالحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه ، فقال هارون (يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) .

وقواه (إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم ، الذي خشيه هارون ، فقال بعضهم : كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه ، وأقام على دينه في أثر موسى ، ويخلف عبدة العجل ، وقد (قالوا) له (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) فيقول له موسى (فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) بسيرك بطائفة ، وتركك منهم طائفة ورائك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى (مَا مَنَعَكَ إِذْ

رَأَيْتَهُمْ ضَالُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) قال (خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلَّمَ تَرْقُبُ قَوْلِي) قال : خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : خشيت أن تقتل فيقتل بعضنا بعضا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (لَأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلَّمَ تَرْقُبُ قَوْلِي) قال : كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى انتفاني .
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان ، فقال له هارون : إني خشيت أن تقول ، فرقت بين جماعتهم ، فتركت بعضهم وراءك ، وجئت ببعضهم ، وذلك بين في قول هارون للقوم (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ . وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) وفي جواب القوم له وقيلهم (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) .
وقوله (وَكَلَّمَ تَرْقُبُ قَوْلِي) يقول : ولم تنظر قولي وتحفظه . من مراقبة الرجل الشيء ، وهي مناظرته بحفظه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَكَلَّمَ تَرْقُبُ قَوْلِي) قال : لم تحفظ قولي .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿١٠٠﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِي نَفْسِي ﴿١٠١﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) قال موسى للسامري : فما شأنك يا سامري ، وما الذى دعاك إلى ما فعلته .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) قال : ما أمرك ؟ ما شأنك ؟ ما هذا الذى أدخلك فيما دخات فيه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) قال : مالك يا سامري .

وقوله (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) يقول : قال السامري : علمت ما لم يعلموه ، وهو فعلت من البصيرة : أى صرت بما عملت بصيرا عالما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما قتل فرعون الولدان

قالت أم السامريّ : لو نحيته عنى حتى لا أراه ، ولا أدرى قتله ، فجعاته في غار ، فأتى جبرئيل ، فجعل كف نفسه في فيه ، فجعل يرضعه العسل واللبن ، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه ، فن تم معرفته إياه حين قال (فَتَبَبَّضْتُ قَبَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) .

وقال آخرون : هي بمعنى : أبصرت ما لم يبصروه ، وقالوا : يقال : بصرت بالشئ وأبصرته ، كما يقال : أسرعت وأسرت ما شئت .

ذكر من قال : هو بمعنى أبصرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ)

يعنى فرس جبرئيل عليه السلام :

وقوله (فَتَبَبَّضْتُ قَبَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) يقول : قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار ، وتكسرت ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار فلقفه فيها . وقال : كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال قبض قبضة منه من أثر جبرئيل ، فألقى القبضة على حايهم فصار عجلاً جسداً له خوار . فقال : هذا إلهكم وإله موسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فَتَبَبَّضْتُ قَبَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَتَبَبَّضْتُ) قال : من تحت حافر فرس جبرئيل نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلاً جسداً له خوار ، حفيف الريح فيه فهو خواره ، والعجل : ولد البقرة .

واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء ، بمعنى : قال السامريّ : بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بمعنى : قال السامريّ لموسى : بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنى كل واحدة منهما ، وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل ، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك ، أو بغير ذلك من الأسباب ، أن تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه

في جوف العجل . ولم يكن علم ذلك عند موسى ، ولا عند أصحابه من بني إسرائيل ، فالدلك قال لموسى : (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) : أي علمت بما لم تعلموا به . وأما إذا قرئ (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء . فلا مؤنة فيه ، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب .
وأما قوله (فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) فإن قرآء الأمصار على قراءته بالضاد ، بمعنى : فأخذت بكنفي ترابا من تراب أثر فرس الرسول .

وروى عن الحسن البصرى وقتادة ما حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن عوف : عن الحسن أنه قرأها (فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً) بالصاد .
وحدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد ، عن قتادة مثل ذلك بالصاد .
بمعنى : أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول ، والقبضة عند العرب : الأخذ بالكف كلها ،
والقبضة : الأخذ بأطراف الأصابع .

وقواه (فَتَنَبَّذْنَاهَا) يقول : فألقيتها (وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي) يقول : وكما فعلت من إلقاء القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحاية التي أوقد عليها حتى انبكت فصارت عجلا جسدا له خوار .
(سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي) يقول : زينت لي نفسي أنه يكون ذلك كذلك .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي)
قال : كذلك حدثني نفسي .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْ حَرَّقْنَاهُ أَشْمًا لَّنَنَسِفْنَاهُ فِي إِلِيمٍ نَّسْفًا ﴿٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٨﴾

﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره : قال موسى للسامري : فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول : لا مساس : أي لا أمس ، ولا أمس .. وذكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ، ولا يخالطوه ، ولا يباعدوه ، فلذلك قال له : إن لك في الحياة أن تقول لا مساس ، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان والله السامري عظيما من عظماء بني إسرائيل ، من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل .
قوله (فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ) فبقاياهم اليوم يقولون لا مساس .
وقوله (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قرآء أهل المدينة والكوفة (لَّنْ يُخْلَفَهُ) بضم التاء وفتح اللام بمعنى : وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من

إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن يخلفك الله ، ولكن يذيقك . وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نعيم (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ) بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لن تخلفه أنت ياسامري ، وتأولوه بمعنى : لن تغيب عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نعيم يقرأ (لَنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ) يقول : لن تغيب عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ) يقول لن تغيب عنه .

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأنه لا شك أن الله موف وعده لخلقهم بمحشرهم لموقف الحساب ، وأن الخلق موافون ذلك اليوم ، فلا الله مخلفهم ذلك ، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك .

وقوله (وَأَنْظُرُ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يقول : وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقبلا تعبده .

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس . قوله : (ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) الذي أقمت عليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال له موسى (أَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يقول : الذي أقمت عليه . وللعرب في ظالت لغتان : الفتح في الظاء ، وبها قرأ قراء الأمصار والكسر فيها ، وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظالت إليها ، ومن فتحها أقر حركتها التي كانت لها قبل أن يحذف منها شيء ، والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذاك ، فيقولون في مَسِسْت مَسَيْت وَمَسَيْت وفي هممت بذلك : همت به ، وهل أحست فلانا وأحسسته ، كما قال الشاعر :

نَحَلَا أَنْ الْعَيْتَاقَ مِينَ الْمَطَابَا أَحْسِنَ بِهِ فَمَهْنُ إِلَيْهِ شُوسُ^١

(١) البيت لأبي زبيد الطائي (اللسان : حسن) . ورواية الشطر الثاني فيه : « حسين به فهن إليه شوس » . قال : حس بالشيء يحس (كيقتل) حسا (بالفتح) وحسا (بالكسر) وحسيسا ، وأحسن به ، وأحسه : شعر به . وأما قولهم « أحست بالشيء » فعلى الحذف كراهية التقاء المثلين . قال سيبويه : وكذلك يفعل في كل بناء يبني اللام من الفعل منه على السكون ، ولا تصل إليه الحركة ، شبهوها بأقمت الأزهرى : ويقال : هل أحست : بمعنى أحسست . ويقال : حست بالشيء إذا علمته وعرفته . قال : ويقال : أحسست الخبر وأحسته وحسيت وحست : إذا عرفت منه طرفا وتقول ما أحسست بالخبر وما أحست وما حسيت وما حسيت : أي لم أعرف منه شيئا . . . وربما قالوا : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يبدلون من السين ياء ، قال أبو زبيد : « خلا أن . . . البيت » . قال الجوهري وأبو عبيدة يروى بيت أبي زبيد ؛ « أحسن به فهن إليه شوس » . وأصله أحسن . اه . ويقال في ظل وما أشبهه من كل مضعف مكسور العين في الماضي : ظللت أفعل كذا ، بلامين ، وظلت أفعل كذا يحذف اللام الأولى ، وبفتح الفاء . وظلت أفعل كذا ، يحذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء .

وقوله (لَنْحَرَّقَنَّهُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك : فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (لَنْحَرَّقَنَّهُ) بضم النون وتشديد الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالانار قطعة قطعة . وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك (لَنْحَرَّقَنَّهُ) بضم الزون ، وتخفيف الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالانار إحراقاً واحداً ، وقرأه أبو جعفر القارى (لَنْحَرَّقَنَّهُ) بفتح الزون وضم الراء بمعنى : لنبردنه بالمبارد من حرقة أحرقه وأحرقه ، كما قال الشاعر :

بِذِي فِرْقَتَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ نِيُوبِهِمْ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا

والصواب في ذلك عندنا من القراءة (لَنْحَرَّقَنَّهُ) بضم الزون وتشديد الراء ، من الإحراق بالنار . كما حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : (لَنْحَرَّقَنَّهُ) يقول : بالنار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَنْحَرَّقَنَّهُ) فحرقه ثم ذراه في اليم ، وإنما اخترت هذه القراءة لإجمال الحجة من القراء عليها .

وأما أبو جعفر ، فإني أحسبه ذهب إلى ما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرَّقَنَّهُ) ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ثم أخذه فذبجه ، ثم حرقه بالمبرد ، ثم ذراه في اليم ، فلم يبق بحر يؤمئذ إلا وقع فيه شيء منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرَّقَنَّهُ) ، ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) قال : وفي بعض القراءة لنذبجنه ثم لنحرقنه ، ثم لنسفه في اليم نسفاً .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرَّقَنَّهُ) ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا . وقوله (ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) يقول : ثم لنذرينه في البحر تذريرة ، يقال منه : نسف فلان الطعام بالمنسف : إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت أنشده المفضل الضبي ونسبه لعامر بن شقيق (اللسان : حرق ، ومعجم ما استعجم للبكري ٢١٠) وذو فرقين - أو ذات فرقين كما في معجم ما استعجم : هضبة ببلاد بني تميم ، بين طريق البصرة والكوفة ، وهي إلى البصرة أقرب . هـ . وفي شرح الحماسة للبريزي (٦٧ : ٢) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك . وقبل البيت :

فإفك لو رأيت ولن تريبه أكف القوم تحرق بالقنينا

قال : وذو فرقين : هضبة في بلاد بني أسد ، من ناحية الفرات . وقوله « بنى فرقين » : يجوز أن يتعلق بقوله : « لو رأيت » ، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا . وكذلك قوله « يوم بني حبيب » : ويجوز أن يكون ظرفاً لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان : أحدهما للزمان والآخر للمكان ، وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده . لأن الأزمئة تضاف إلى الحمل ، من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، تيينا لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض تهديداً ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أي يصرف بأنياه تغيظاً . ويقال : حرقه بالمبرد : إذا برده . وحكى أبو حاتم : فلان يحرق نابه على ، برفع الباء ، لأن هو الذي يحرق . وقال أبو العلاء قوله « بنى فرقين » : أراد : ذات فرقين ، فذكر على معنى الموضع أو الجبل وهي التي ذكرها عبيد في قوله « ذات فرقين فالقليب » قيل : هي ثنية كسنام الفالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَتَنَسِفَنَّهٗ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) يقول : لنذرينه في البحر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : ذراه في اليمّ ، واليمّ : البحر .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ذراه في اليمّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في اليمّ ، قال : في البحر .

وقوله (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : ما لكم أيها القوم معبود، إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصاح العبادة لغيره ، ولا تنبغي أن تكون إلا له (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : أحاط بكل شيء علما فعلمه ، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك ، يقال منه : فلان يسع لهذا الأمر : إذا أطاقه وقوى عليه ، ولا يسع له : إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : ملأ كل شيء علما تبارك وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٥﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) يقول : كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك ، فلم تشاهدها ولم تعانها . وقوله (وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يستدكر به ، ويتنظ به أهل العقل والفهم ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ، فجعله ذكرى للعالمين . وقوله (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) يقول تعالى ذكره : من ولي عنه فأدبر فام يصدق به ولم يقر ، (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) يقول : فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا ، وذلك الإثم العظيم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) قال : إثم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرجان . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تاويل قوله تعالى :

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٤﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا
﴿١٥﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : خالدون في وزرهم ، فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم ، والمعنى : أنهم خالدون في النار بأوزارهم ، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفى بما ذكر عمالم يذكر .

وقوله (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) يقول تعالى ذكره : وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا ، وحق لهم أن يسوءهم ذلك ، وقد أوردتهم مهلكة لا منجى منها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) يقول : بشما حملوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) يعني بذلك : ذنوبهم .

وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) يقول تعالى ذكره : وساء لهم يوم القيامة ، يوم ينفخ في الصور ، فقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) رد على يوم القيامة . وقد بينا معنى النفخ في الصور ، وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور ، والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله ، بمعنى : يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك (يَوْمَ نَنفَخُ فِي الصُّورِ) بالنون بمعنى : يوم ننفخ نحن في الصور ، كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) إذ كان لاختلاف بين القراء في نحش أنها بالنون .

قال أبو جعفر : والذي أختار في ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسم فاعله ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد .

وقوله (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) يقول تعالى ذكره : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا ، فقيل : عنى بالزرق في هذا الموضع : ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق . وقيل : أريد بذلك أنهم يحشرون عميا ، كالذي قال الله (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا) . وقوله (يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا)

يقول تعالى ذكره : يتهامسون بينهم ، ويسر بعضهم إلى بعض : إن لبثتم في الدنيا ، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض : ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَسَخَفْتُونَ بَيْنَهُمْ) يقول : يتسارون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَتَسَخَفْتُونَ بَيْنَهُمْ) : أي يتسارون بينهم (إن لبثتم إلا عشرا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم منهم عند أسرارهم وتخافتهم بينهم بقبلهم (إن لبثتم إلا عشرا) بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء (إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا) يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا ، وأعلمهم فيهم : إن لبثتم في الدنيا إلا يوما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، في قوله (إذ يقول أمثلهم طريقة) أوفاهم عقلا . وإنما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قبلهم هذا القول يومئذ ، لإعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة ، وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات ، ومبالغ ما عاشوا فيها من الأزمان ، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم ، وأذكركم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ويسألك يا محمد قومك عن الجبال ، فقل لهم : يذريها ربي تدرية ، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ، وذلك بعضها على بعض ، وتصويره إياها هباء منبثا (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) يقول تعالى ذكره : فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا ، قاعا : يعني : أرضا ملساء ، صفصفا : يعني مستويا لا نبات فيه ، ولا نشز ، ولا ارتفاع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قاعا صَفْصَفًا) يقول : مستويا لانبات فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيَسْذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) قال : مستويا ، الصفصيف : المستوي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا عبد الله بن لهيعة ، قال : ثنا أبو الأسود ، عن عروة ، قال : كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب : إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة ، فقال : كذب كعب ، إنما الصخرة جبل من الجبال ، إن الله يقول (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) فسكت عبد الملك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَفْصَفًا) قال : مستويا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال أبو جعفر : وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول : القاع : مستنقع الماء ، والصفصيف : الذي لانبات فيه .

وقوله (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) يقول : لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا . واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت ، فقال بعضهم : عنى بالعوج في هذا الموضع : الأودية ، وبالأمم : الروابي والنشوز .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) يقول : رابية .

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان ، قال : سمعت عكرمة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) قال : هي الأرض البيضاء ، أو قال : الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) قال : ارتفاعا ، ولا انخفاضاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) قال : لاتعادي ، الأمت : التعادي .

وقال آخرون : بل عنى بالعوج فى هذا الموضع : الصدوع ، وبالأمّت : الارتفاع من الآكام وأشباهاها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله :
(لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) قال : صدعا (ولا أمتا) يقول : ولا أكمة .
وقال آخرون : عنى بالعوج : الميل ، وبالأمّت : الأثر .
ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أمتا) يقول : لا ترى فيها ميلا ، والأمّت : الأثر مثل الشرك .
وقال آخرون : الأمّت : المحانى والأحداب :
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأمّت : الحدب .
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى بالعوج : الميل ، وذلك أن ذلك هو
المعروف فى كلام العرب :

فإن قال قائل : وهل فى الأرض اليوم من عوج ، فيقال : لا ترى فيها يومئذ عوجا . قيل : إن معنى
ذلك : ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة . كما يحتاج اليوم من أخذ
فى بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا ، وأحيانا شمالا ، لما فيها من الجبال والأودية والبحار . وأما الأمّت
فإنه عند العرب : الانثناء والضعف : مسموع منهم ، مدّ حبله حتى ماترك فيه أمتا : أى انثناء ؛ وملا سقاه
حتى ماترك فيه أمتا ؛ ومنه قول الراجز :

ما فى انجداب سسيه مین أمتا

يعنى : من وهن وضعف ، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمّت عندهم أن يكون أصوب الأقوال فى تأويله
ولا ارتفاع ولا انخفاض ، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام :
لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ، ولا ارتفاعا ، ولا انخفاضا ، ولكنها مستوية ماساء ، كما قال جل ثناؤه
(قاعا صفتصفا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ لِعِوَجٍ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسًا ﴿١٠٠﴾

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما فى (اللسان : أمت) والرواية فيه : « ما فى انطلاق ركبته من أمت » قال :
وفى حديث أبي سعيد الخدرى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم حرم الخمر ، فلا أمت فيها ، وأنا أنهى عن السكر والمسكر » . قال
أبو منصور : معنى قول أبي سعيد عن النبى : أراد أنه حرمها تحريما لا هوادة فيه ولا لين ، لكنه شدد فى تحريمها ؛ وهو من قولك :
سرت سيرا لا أمت فيه : أى لا وهن فيه ولا ضعف . وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريما لا شك فيه . وأصله من الأمّت بمعنى الحزر
والتقدير ، لأن الشك يدخلها . قال العجاج : ما فى انطلاق ركبته من أمت * أى من فتور واسترخاء . اهـ .

يَقُولُ تَعَانَى ذَكَرَهُ : يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ النَّاسُ صَوْتَ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَوْعِنَةِ الْقِيَامَةِ ، فَيُحْشَرُهُمْ إِلَيْهِ (لَا عِوَجَ لَهُ) يَقُولُ : لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ وَلَا انْحِرَافَ . وَلَكِنَّهُمْ سَرَّاعًا إِلَيْهِ يَنْحَشِرُونَ . رَقِيبٌ : لَا عِوَجَ لَهُ . وَالْمَعْنَى : لَا عِوَجَ لَهُمْ عَنْهُ . لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ لَا يَعْوِجُونَ لَهُ وَلَا عَنْهُ . وَلَكِنَّهُمْ يُؤْمُونُ بِهِ وَيَأْتُونَهُ . كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ : دَعَانِي فَلَانَ دَعْوَةً لَا عِوَجَ لِي عَنْهَا : أَي لَا أَعْوِجُ عَنْهَا . وَقَوْلُهُ (وَأَخَشَّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) يَقُولُ تَعَانَى ذَكَرَهُ : وَسَكَنَتِ أَصْوَاتُ الْخَلَائِقِ لِلرَّحْمَنِ فَوَصَفَ الْأَصْوَاتَ بِالْخُشُوعِ . وَالْمَعْنَى لِأَنَّهَا لَهَا خُضُوعٌ جَمِيعًا لِرَبِّهِمْ . فَلَا تَسْمَعُ لِنَاطِقٍ مِنْهُمْ مِنْطِقًا إِلَّا مِنْ أُذُنِ لِهَ الرَّحْمَنِ .

كَمَا حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو صَالِحٍ . قَالَ : ثَنَا مَعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (وَأَخَشَّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) يَقُولُ : سَكَنَتْ . وَقَوْلُهُ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يَقُولُ : إِنَّهُ وَطِئَ الْأَقْدَامَ إِلَى الْمُحْشَرِ . وَأَصْلُهُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ ، يَقَالُ هَمَسَ فَلَانٌ إِلَى فَلَانَ بِحَدِيثِهِ إِذَا أَسْرَهُ إِلَيْهِ وَأَخْفَاهُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

وَهَنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا إِنَّ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِيْكُ لَمِيْسًا

يَعْنِي بِالْهَمْسِ : صَوْتُ أَخْفَافِ الْإِبْلِ فِي سِيرْدَا .

وَمِنْهُ وَالَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَجْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيْبٍ . قَالَ : ثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قَالَ : وَطِئَ الْأَقْدَامَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي . قَالَ : ثَنَا عَمِي ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَوْلُهُ (وَأَخَشَّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يَعْنِي : هَمْسُ الْأَقْدَامِ ، وَهُوَ الْوَطِئُ . حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : ثَنَا مَعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يَقُولُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ .

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ هَوْسَى السُّدِّيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شَرِيْكٌ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قَالَ : وَطِئَ الْأَقْدَامَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا سُلَيْمَانٌ ، قَالَ : ثَنَا حَمَادٌ ، عَنْ حَمِيدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قَالَ : هَمْسُ الْأَقْدَامِ .

(١) الْبَيْتُ مِمَّا أَنْشَدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ نَقَلَهُ عَنْهُ السُّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ ، وَمِنْهُمْ الْمُؤَلِّفُ ، وَنَقَلَ صَاحِبُ (اللسان هَمْسًا) شَطْرَهُ الْأَوَّلُ . وَهُوَ * وَهْنٌ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا * قَالَ : وَهُوَ صَوْتُ نَقْلِ أَخْفَافِ الْإِبْلِ . أَه . وَقَالَ فِي أَوَّلِ الْمَادَّةِ : الْهَمْسُ : الْخَفِيُّ مِنَ الصَّوْتِ وَالْوَطِئُ وَالْأَكْلُ . وَفِي التَّنْزِيلِ : « فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » . فِي التَّهْذِيبِ : يَعْنِي بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : خَفَقَ الْأَقْدَامَ عَلَى الْأَرْضِ . وَقَالَ الْفَرَّاءُ : يَقَالُ إِنَّهُ نَقَلَ الْأَقْدَامَ إِلَى الْمُحْشَرِ . وَيُقَالُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ . وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَثَّلَ فَأَنْشَدَ : * وَهْنٌ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قال قتادة : كان الحسن يقول : وقع أقدام القوم :
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قال : تهافتا ، وقال : تخافت الكلام .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَمْسًا) قال : خفض الصوت .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : خفض الصوت ، قال : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كلام الإنسان لا تسمع تحرك شفتيه ولسانه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يقول : لا تسمع إلا مشيا ، قال : المشي الهمس : وطء الأقدام .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) وأدخل في الكلام له دليلا على إضافة القول إلى كناية «مَنْ» وذلك كقول القائل الآخر : رضيت لك عملك ، ورضيته منك ، وموضع مَنْ من قوله (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ) نصب لأنه خلاف الشناعة . وقوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول تعالى ذكره : يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة ، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب (وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الساعة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الدنيا .

وقوله (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) يقول تعالى ذكره : ولا يحيط خلقه به علما . ومعنى الكلام : أنه محيط بعباده علما ، ولا يحيط بعباده به علما . وقد زعم بعضهم : أن معنى ذلك : أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم ، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم ، وقال : إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة ، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها ، وبخبرهم بذلك ومقرعهم بأن من كان كذلك ، فكيف يعبد ، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٢١﴾

يقول تعالى ذكره : استسمرت وجوه الخلق ، واستسلمت للحَيِّ الْقَيُّومِ الذي لا يموت ، القيوم على خلقه

بتدبيره إياهم ، وتصريفهم لما شاءوا . وأصل العنو الذل يقال منه : عنا وجهه لربه يعنو عنوا ، يعنى خضع له وذل ، وكذلك قيل للأسير : عان للذلة الأسر . فأما قولهم : أخذت الشيء عنوة ، فإنه يكون وإن كان معناه يثول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة ، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة ، كما قال الشاعر :

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّهَا الْقَلْبُ عَنُوءَةً وَلَمْ تَلَسَّحْ نَفْسٌ لَمْ تَلْمُ فِي اخْتِيَابِهَا
وقال آخر :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنُوءَةً عَنِ مَوَدَّةٍ وَلَكِنَّ بِحَدِّ الْمَشْرِفِي اسْتَقَالَهَا^٢
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَسَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) يقول : ذلت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَسَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) يعني بهنت : استسلموا لي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَعَسَنْتِ الْوُجُوهَ) قال : خشعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَسَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أي ذلت الوجوه للحَيِّ القيوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَعَسَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : ذلت الوجوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال طلق : إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه ، أو قال : عنا .

(١) لم أقف على قائل البيت . وعنوة : قال في اللسان (عنو) في حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة : أي قهرا وغلبة . قال ابن الأثير : هو من عنا يعنو : إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل . وأخذت البلاد عنوة : بالقهر والإذلال . ابن الأعرابي : عنا يعنو : إذا أخذ الشيء قهرا . وعنا يعنو عنوة : إذا أخذ الشيء صلحا ، بإكرام ورفق . والعنوة أيضا المودة . قال الأزهرى : أخذت الشيء عنوة : يكون غلبة ، ويكون عن تسلیم وطاعة من يؤخذ منه الشيء . وأنشد الفراء لكثير :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنُوءَةً عَنِ مَوَدَّةٍ وَلَكِنَّ ضَرْبَ الْمَشْرِفِي اسْتَقَالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال . وقال الأخفش في قوله تعالى : « وَعَسَتْ الْوُجُوهَ » : استأسرت . قال : والعاني : الأسير . وقال أبو الهيثم : العاني : الخاضع .

(٢) البيت لكثير عزة ، كما في (اللسان : عنا) وقد تقدم القول في معناه في الشاهد السابق عليه . والمشرقي : السيف منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو باليمن . واستقالها : أخذها وانزاعها .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد : قال : ثنا عبث : قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب ، في هذه الآية (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو وضع الرجل رأسه وبديه وأطراف قدميه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث . عن عمرو بن مرة . عن طلق بن حبيب في قوله (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتك وأطراف قدميك في السجود . حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا محمد بن فضيل . عن حصين . عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب في قوله (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : وضع الجبهة والأنف على الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب . في قوله (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . في قوله (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : استأسرت الوجوه للحَيِّ القيوم ، صاروا أسارى كلهم له . قال : والعاني : الأسير . وقد بينا معنى الحَيِّ القيوم فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ها هنا . وقوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) يقول تعالى ذكره : ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيامة شركا بالله ، وكفرا به ، وعملا بمعصيته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر . عن قتادة . في قوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) قال : من حمل شركا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) قال : من حمل شركا ، الظلم ها هنا : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه : ومن يعمل من صالحات الأعمال . وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) يقول : وهو مصدق بالله ، وأنه مجازي أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) يقول : فلا يخاف من الله أن يظلمه ، فيحمل عليه سيئات غيره . فيعاقبه عليها (وَلَا هَضْمًا) يقول : لا يخاف أن يهضمه حسناته ، فينقصه ثوابها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : زعموا أنها الفرائض .

ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا)

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار ، قالوا : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : هضمًا : غصبا .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قال : (لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم ، فيزاد عليه في سيئاته ، ولا يظلم فيهم في حسناته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) يقول : أنا قاهر لكم اليوم ، آخذكم بقوتي وشدتي ، وأنا قادر على قهركم وهضمكم ، وإنما بيني وبينكم العدل ، وذلك يوم القيامة .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) أما هضمًا فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته ، يقول الله يوم القيامة : لا آخذكم بقوتي وشدتي ، ولكن العدل بيني وبينكم ، ولا ظلم عليكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَضْمًا) قال : انتقاص شيء من حق عمله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال : سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله (وَلَا هَضْمًا) قال : الهضم : الانتقاص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : ظلما أن يزاد في سيئاته ، ولا يُهضم من حسناته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : لا يخاف أن يظلم ، فلا يجزى بعمله ، ولا يخاف أن ينتقص من حقه ، فلا يوفى عمله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن ميمون بن سيابة ، عن الحسن ، في قول الله تعالى (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : لا ينتقص الله من حسناته شيئا ، ولا يحمل عليه

ذنب مسيء . وأصل الهضم : النقص ، يقال : هضمي فلان حتى ، ومنه امرأة هضم : أي ضامرة البطن ، ومنه قولهم : قد هضم الطعام : إذا ذهب . وهَضَمْتُ لك من حَقِّكَ : أي حططتك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ

يقول تعالى ذكره : كما رغبتنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال ، بوعدناهم ما وعدناهم ، كذلك حذرنا بالوعد أهل الكفر بالمقام على معاصينا ، وكفرهم بآياتنا ، فأنزلنا هذا القرآن عربيا ، إذ كانوا عربيا (وصرّفنا فيه من الوعيد) فبيناه : يقول : وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد (لعلّهم يتّقون) يقول : كي يتقونا ، بتصرفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد (أو يُحدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا) يقول : أو يحدث لهم هذا القرآن تذكّرا ، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذّبت الرسل قبلها ، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا . وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون) ما حذّروا به من أمر الله وعقابه ، وورقائه بالأمم قبلهم (أو يُحدِّثُ لَهُمْ) القرآن (ذِكْرًا) : أي جيدا وورعا .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أو يُحدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا) قال : جيدا وورعا . وقد قال بعضهم في (أو يُحدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا) أن معناه : أو يحدث لهم شرفا ، بإيمانهم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝

يقول تعالى ذكره : فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه ، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار . الحقّ عما يصفه به المشركون من خلقه (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) : يقول جلّ ثناؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجل يا محمد بالقرآن ، فتقرئه أصحابك ، أو تقرأه عليهم . من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه ، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يُكْتَبُ ذَلِكَ ، من قبل أن يبين له معانيه ، وقيل : لانتله على أحد ، ولا تملّه عليه ، حتى تبينه لك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد : قوله (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) قال : لانتله على أحد حتى نبينه لك .
 حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جرير . قال : يقول : لانتله على أحد حتى نسمه لك هكذا قال القاسم : حتى نتمه .
 حدثني محمد بن سعد . قال : ثنا أبي : قال : ثنا عمي . قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) يعني : لاتعجل حتى نبينه لك .
 حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) : أي بيانه .
 حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) قال : تبيانه .
 حدثنا ابن المثنى وابن بشار ، قالوا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) من قبل أن يبين لك بيانه .
 وقوله (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد : رب زدني علما إلى ما علمتني ، أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ۗ

يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدى ، ويخالفوا أمرى . ويتركوا طاعى . ويتبعوا أمر عدوهم إبليس . ويطيعوه في خلاف أمرى ، فقد بما ما فعل ذلك أبوهم آدم (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَيْهِ) يقول : ولقد وصينا آدم وقلنا له : (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ . فَلَا تُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ) فوسوس إليه الشيطان فأطاعه ، وخالف أمرى ، فحلّ به من عقوبتى ما حلّ .

وعنى جلّ ثناؤه بقوله (مِنْ قَبْلِ) هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد في هذا القرآن ، وقوله (فَنَسَى) يقول : فترك عهدى .

كما حدثني عليّ . قال : ثنا أبو صالح . قال : ثنا معاوية . عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى) يقول : فترك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَنَسَى) قال : ترك أمر ربه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . في قوله (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ)

مِنْ قَبْلُ فَتَسِيَّ ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : قال له (يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ . فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) فقرأ حتى بلغ (لَا تَنْظَمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى) ، وقرأ حتى بلغ (وَمَمْلُوكٍ لَا يَسْلَى) قال : ففسى ما عهد إليه في ذلك ، قال : وهذا عهد الله إليه . قال : ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي جسده ، وأبى أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبليس ، وعصى الله الذي كرمه وشرفه : وأمر ملائكته فسجدوا له :

حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ، ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه ففسى .

وقوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) اختلف أهل التأويل في معنى العزم هاهنا ، فقال بعضهم : معناه الصبر . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) أي صبرا . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) ، قال : صبرا .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، مثله . وقال آخرون : بل معناه : الحفظ ، قالوا : ومعناه : ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا لما أمرته .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، في قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا .

حدثنا عباد بن محمد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، في قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا لما أمرته به .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) . يقول : لم نجد له حفظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : العزم : المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه ، والتمسك به .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) يقول : لم نجعل له عزمًا .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة

قال : لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة . ووضعت في كفة ميزان . ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى ، لرجح حلمه بأحلامهم ، وقد قال الله تعالى (وَاَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) . قال أبو جعفر : وأصل العزم : اعتقاد القلب على الشيء ، يقال منه : عزم فلان على كذا : إذا اعتقد عليه ونواه ؛ ومن اعتقاد القلب : حفظ الشيء ؛ ومنه الصبر على الشيء ، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا معنى لذلك مما بينه الله تبارك وتعالى ، وهو قوله (وَاَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) فيكون تأويله : ولم نجد له عزم قلب ، على الوفاء لله بعهده ، ولا على حفظ ما عهد إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۖ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ما كان من تضييع آدم عهده ، ومعرفة بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه ، إلا من عصمه الله منهم ، واذكر يا محمد (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد له (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) ولذلك من شأنه لم يسجد لك ، وخالف أمرى في ذلك وعصاني ، فلا تطيعاه فيما يأمر كما به . فيخرجكما بعصيتكما ربكما ، وطاعتكما له (من الجنة فتشقى) يقول : فيكون عيشك من كد يدك ، فذلك شقاؤه الذي حذر به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق من جبينه ، فهو الذي قال الله تعالى ذكره (فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) فكان ذلك شقاءه ، وقال تعالى ذكره (فَتَشْقَى) ولم يقل : فتشقى ، وقد قال : (فَلَا يُخْرِجَنَّكَ) لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام ، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه ، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة ، الكفاية من ذكر المرأة ، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه ، كما قال (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) اجتزى بمعرفة السامعين معناه ، من ذكر فعل صاحبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ لَكَ الْأَلْتَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۗ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٨﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره ، نخبرا عن قبلة لآدم حين أسكنه الجنة : (إن لك) يا آدم (أن لا تجوع فيها ولا تعرى) . و « أن » في قوله (ألا تجوع فيها) في موضع نصب بيان التي في قوله (إن لك) .

وقوله (وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا) اختلفت القراء في قراءتها ، فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر ، وإنك على العطف على قوله (إِنَّ لَكَ) . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنتك بفتح ألفها عطفاً بها على « أن » التي في قوله (أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا) . ووجهها تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا ، فهذه القراءة أعجب القراءتين إلى ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة ، فكون ذلك بأن يكون عطفاً على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدأ ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب . وعنى بقواه (لَا تَنْظُمًا فِيهَا) لا تعطش في الجنة مادمت فيها (وَلَا تَضْحَى) ، يقول : لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها ، كما قال ابن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَسْخَرُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى) يقول : لا يصيبك فيها عطش ولا حر .

حدثني محمد بن سعد ، قال ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى) يقول : لا يصيبك حر ولا أذى .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : ثني أبي ، عن خصيف عن سعيد بن جبير (لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى) قال : لا تصيبك الشمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَضْحَى) قال : لا تصيبك الشمس ، وقوله (فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) يقول : فألقى إلى آدم الشيطان وحدثه (فَقَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ) يقول : قال له : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت ، وملكت ملكاً لا ينقض فيبلى .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) فلا تموتان أبداً .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة القرشي المخزومي . وقد أورده صاحب اللسان في (ضحا) ولم ينسبه . قال : وضحا الرجل ضحوا (على فعل) وضحوا (على فعول) وضحيا : برز للشمس وضحي بكسر الحاء يضحى في اللغتين معه ضحوا وضحيا : أصابته الشمس قال الله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى » قال : لا يؤذيك حر الشمس . وقال الفراء : لا تضحى : لا تصيبك شمس مؤذية . قال : وفي بعض التفسير : ولا تضحى : لاتعرق . قال الأزهرى : والأول أشبه بالصواب ، وأنشد : « رأت رجلاً ... البيت » . اهـ . وقوله « ينحصر » : هو من الحصر بالتحريك ، وهو البرد يجده الإنسان في أطرافه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ أَنَّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٠٠﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهيَا عن الأكل منها ، وأطاعا أمر إبليس ، وخالفا أمر ربهما (فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ أَنَّهُمَا) يقول : فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورة عن أعينهما .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إنما أراد ، يعني إبليس بقوله (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) ليبدى لهما ما توارى عنهما من سواتهما ، بهتك لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء ، فأكلت ثم قالت : يا آدم كل ، فإني قد أكلت ، فلم يضرني ، فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما .

وقوله (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول : أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة . كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول : أقبلا يغطيان عليهما بورق التين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول : يوصلان عليهما من ورق الجنة .

وقوله (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) يقول : وخالف أمر ربه ، فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه ، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها . وقوله (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه ، والعمل بطاعته ، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه . وقوله (وَهَدَى) يقول : وهداه للتوبة ، فوفقه لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله تعالى لآدم وحواء (اهْبِطَا جَمِيعًا) إلى الأرض (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) يقول : أنما عدو إبليس وذريته ، وإبليس عدو كما وعدو ذريته كما .

وقوله (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) يقول : فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى : يقول : بيان لسبيلي ، وما أختره لخلق من دين (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) يقول : فمن اتبع بياني ذلك وعمل به ، ولم

يزغ عنه (فَلَا يَضِلُّ) يقول : فلا يزول عن محجة الحق ، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي (وَلَا يَشْقَى) في الآخرة بعقاب الله ، لأن الله يدخاه الجنة ، وينجيه من عذابه .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : تضمن الله لمن قرأ القرآن ، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم تلا هذه الآية (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب بن موسى ، عن مروث الملائي عن ابن عباس أنه قال : إن الله قد ضمن ... فذكر نحوه .
حدثنا ابن خميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن يسار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا أحمد بن محمد النسائي ، عن أبي سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ، ووقاه ، أظنه أنا قال : من هول يوم القيامة ، وذلك أنه قال (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) في الآخرة .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقباه ولم يستجب له ، ولم يتعظ به فينجزر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) يقول : فإن له معيشة ضيقة . والضنك من المنازل والأماكن والمعاش : الشديد . يقال : هذا منزل ضنك : إذا كان ضيقا ، وعيش ضنك : الذكر والأنثى والواحد والاثنتان والجمع بلفظ واحد ؛ ومنه قول عنزة :
وإن نزلوا بضنك أنزل

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذا جزء من عجز بيت لعنزة بن عمرو بن شداد العبسي (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي شرح مصطفى السقا ص ٢٨٨)

والبيت بتمامه هو :

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُّ وَإِنْ يُلْفُوا بِضَنْكَ أَنْزِلِ
وفي (اللسان : ضنك) : الضنك : الضيق من كل شيء ، الذكر والأنثى فيه سواء . ومعيشة ضنك : ضيقة . وفي التذييل « فإن له

معيشته ضنكا » أي غير حلال .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا) يقول : الشقاء .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَنْكًا) قال : ضيقة .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : الضنك : الضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، في قوله (فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا) يقول : ضيقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك ، والحال التي جعلهم فيها ، فقال بعضهم : جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم ، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ بن مقدم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : في جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) فقرا حتى بلغ (وَلمْ يُؤْمِنِ بِآيَاتِ رَبِّهِ) قال : هؤلاء أهل الكفر ،

قال : ومعيشة ضنك في النار شوك من نار وزقوم وغسلين ، والضريع : شوك من نار ، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

قال : لمعيشتي ؛ قال : والغسلين والزقوم : شيء لا يعرّنه أهل الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (فإنّ له مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : في النار

وقال آخرون : بل عنى بذلك : فإن له معيشة في الدنيا حراما قال : ووصف الله جلّ وعزّ مغيشتهم

بالضنك ، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة

في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام .

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجلي ، عن إسماعيل

ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم في قول الله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : رزقا في معصيته .

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال : ثنا يعلى بن عبيد، قال : ثنا أبو بسطام ، عن الضحاك (فإن له معيشة ضنكا) قال : الكسب الخبيث .
حدثني محمد بن إسماعيل الصراري ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد ، عن هارون بن محمد التيمي ، عن الضحاك ، في قوله (فإن له معيشة ضنكا) قال : العمل الخبيث ، والرزق السيئ .

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا ، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة ، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أهولهم على تكذيب منهم بالخلف من الله ، وإياس من فضل الله ، وسوء ظن منهم بربههم ، فتشتد لذلك عليهم معيشتهم وتضيق .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) يقول : كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أوكثر ، لا يتقيني فيه ، لاخير فيه ، وهو الضنك في المعيشة . ويقال : إن قوما ضللا لا أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين ، فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عز وجل ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله ، والتكذيب به ، فإذا كان العبد يكذب بالله ، ويسبى الظن به ، اشتدت عليه معيسته ، فذلك الضنك .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : أن ذلك لهم في البرزخ ، وهو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يزيد بن مخلد الواسطي ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، قال في قول الله (معيشة ضنكا) قال : عذاب القبر .
حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : إن المعيشة الضنك ، التي قال الله : عذاب القبر .

حدثني حوثره بن محمد المنقري ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري (فإن له معيشة ضنكا) قال : يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن زيد ، عن ابن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن أبي سعيد ، أنه كان يقول : المعيشة الضنك : عذاب القبر ، إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تدينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث . وكان يقال : لو أن تننا منها نفخ الأرض لم تنبت زرعا .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ،

قال : يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهي المعيشة الضنك التي قال الله (مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح والسدي في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : عذاب القبر .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : عذاب القبر .

حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو عميس ، عن عبد الله بن محارق عن أبيه ، عن عبد الله ، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : عذاب القبر .

حدثني عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم ، قالا : ثنا أبو حازم ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال : عذاب القبر .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن ابن حنبل عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنزِلَتْ هَذِهِ آيَةُ (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضنك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده ، إِنَّهُ لَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ تَنِينًا ، أَتَدْرُونَ مَا التَّنِينُ : تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً ، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةٌ رُءُوسٍ ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة ، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله : (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) معنى مفهوم ، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة ، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه ، بطل معنى قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا ، أو في قبورهم قبل البعث ، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا ، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا ، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار ، فإن معيشته فيها ضنك ، وفي وجودنا كثيراً منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى ، القائلين له المؤمنون في ذلك ، بما يدل على أن ذلك ليس كذلك ، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث ، وهو أن ذلك في البرزخ .

وقوله (وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية ، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به ، فقال بعضهم : ذلك عمى عن الحجية ، لا عمى عن البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال : ليس له حجة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال : عن الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقيل : يحشر أعمى البصر .

❦ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره ، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة وروية الشيء كما أخبر جل ثناؤه ، فعم ولم يخصص .

وقوله (قال : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم في ذلك ، ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى) لاحجة لي .

وقوله (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وقد كنت بصيرا بحجتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) قال : عالما بحجتي .

وقال آخرون : بل معناه : وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) قال : كان بعيد البصر ، قصير النظر ، أعمى عن الحق .

❦ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله عز شأنه ، وجل ثناؤه ، عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ، ولم يخصص منه معنى دون معنى ، فذلك على ما علمه ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية ، قال : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى عن حجتي وروية الأشياء ، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله .

فإن قال قائل : وكيف قال هذا لربه (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى) مع معاينته عظيم سلطانه ، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء ، أم ما وجه ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه مسألة لربه يعرفه الجرم الذي

استحقّ به ذلك ، إذ كان قد جهله ، وظنّ أن لا جرم له ، استحق ذلك به منه ، فقال : ربّ لأىّ ذنب ولأىّ جرم حشرتنى أعمى ، وقد كنت من قبل فى الدنيا بصيرا وأنت لاتأقّب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب .

وقوله (قال كذالك أنتك آياتنا فنسيتها) يقول تعالى ذكره ، قال الله حينئذ للمقاتل له : (لمّ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فعلت ذلك بك ، فحشرتك أعمى كما أنتك آياتى وهى حججه وأدله وبيانه الذى بيّنه فى كتابه ، فنسيتها : يقول : فتركها وأعرضت عنها ، ولم تؤمن بها ، ولم تعمل . وعنى بقوله (كذالك أنتك) هكذا أنتك . وقوله (وكذالك اليوم تنسى) يقول : فكما نسيت آياتنا فى الدنيا ، فتركها وأعرضت عنها ، فكذلك اليوم نساك ، فتركك فى النار . وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قواه (وكذالك اليوم تنسى) فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فى ذلك . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، فى قوله (وكذالك اليوم تنسى) قال : فى النار .

حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كذالك آياتنا فنسيتها) قال : فتركها (وكذالك اليوم تنسى) وكذلك اليوم ترك فى النار .

وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال كذالك أنتك آياتنا فنسيتها وكذالك اليوم تنسى) قال : نسي من الخير ، ولم ينس من الشر . وهذا القول الذى قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد ، لأن تركه إياهم فى النار أعظم الشرّ لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وهكذا نجزي : أى نثيب من أسرف فعصى ربه ، ولم يؤمن برسائه وكتبه ، فنجعل له معيشة ضنكا فى البرزخ كما قد بيّنا قبل (ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى) يقول جل ثناؤه : ولعذاب فى الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم فى القبر من المعيشة الضنك وأبقى : يقول : وأدوم منها ، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين . يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم ، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا ، ويتعظوا بهم ، ويعتبروا ، وينيبوا إلى الإذعان ، ويؤمنوا بالله ورسوله ، خوفاً أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما صابهم . وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَسِمَ أَهْلُكُنَا قَبْلَهُمْ مِمَّنِ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ) لأن قريشا كانت تتجر إلى الشام ، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم ، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم ، فلذلك قال لهم : أفلم يحدّ رهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم ، وهم على مثل فعلهم مقيمون . وكان الفراء يقول : لا يجوز فى كم فى هذا الموضع أن يكون إلا نصبا بأهلكنا ؛ وكان يقول : وهو وإن لم يكن إلا نصبا ، فان جملة الكلام رفع بقوله (يَهْدِ لَهُمْ) ويقول : ذلك مثل قول القائل : قد تبين لى أقام عمرو أم زيد فى الاستفهام ، وكقوله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدَعَوْتَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) ويزعم أن فيه شيئا يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام ، قال : ولو قلت : سواء عليكم صمتكم ودعائكم تبين ذلك الرفع الذى فى الجملة ، وليس الذى قال الفراء من ذلك ، كما قال : لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل فى هذا الموضع للاستفهام ، بل هى واقعة موقع الأسماء الموصوفة . ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو : أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التى يمشون فى مساكنهم ، أو أفلم تهدم القرون الهالكة . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مِمَّنْ أَهْلَكْنَا) فكم واقعة موقع من فى قراءة عبد الله ، هى فى موضع رفع بقوله (يَهْدِ لَهُمْ) وهو أظهر وجوهه ، وأصبح معانيه ، وإن كان الذى قاله وجه ومذهب على بعد .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى) يقول تعالى ذكره : إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذبة رسالها قبلهم ، وحاول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله (آيَاتٍ) يقول : لدلالات وعبراً وعظات (لِلأُولَى النَّهَى) يعنى : لأهل الحجى والعقول ، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن واقعة ما يضره . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (لِلأُولَى النَّهَى) يقول : التوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى) أهل الورع .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٦٦﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يا محمد أن كل من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) يقول : ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أم الكتاب وخطه فيه : هم بالغوه ومستوفوه (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : للازمهم الهلاك عاجلا ، وهو صدره من قول القائل : لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما : إذا لم يفارقه ، وقد تم قوله (لَكَانَ لِزَامًا) قبل قوله (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما ، فاصبر على ما يقولون . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) الأجل المسمى : الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) وهذه من مقادير الكلام ، يقول : لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما ، والأجل المسمى : الساعة ، لأن الله تعالى يقول (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) قال : هذا مقدم ومؤخر ، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما .

واختلاف أهل التأويل في معنى قوله (لَكَانَ لِزَامًا) فقال بعضهم : معناه : لكان . وتا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : موتا .

وقال آخرون : معناه لكان قتلا .

(١) لعله يريد : لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى . ويجوز أن تكون « إلى » وضمت في موضع واو العطف

سها من النسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (لَمَّا كَانَ لِيَزَامَا) والِلزام : القتل .
 وقوله (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) يقول جل ثناؤه لنبيه : فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذَّبون
 بآيات الله من قومك لك إنك ساحر ، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)
 يقول : وصل بثنائك على ربك ، وقال : بحمد ربك . والمعنى : بحمد ربك ، كما تقول : أعجبني ضرب
 زيد ، والمعنى : ضربني زيدا . وقوله (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) وذلك صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)
 وهي العصر (وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ) وهي ساعات الليل ، واحداها : إني ، على تقدير حمل ؛ ومنه قول
 المنخل السعدي :

حَلَوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ فِي كُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ^١

ويعنى بقوله (وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) صلاة العشاء الآخرة ، لأنها تصلى بعد مضي آتاء من الليل .
 وقوله (وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) : يعنى صلاة الظهر والمغرب ؛ وقيل : أطراف النهار ؛ والمراد بذلك الصلاتان
 اللتان ذكرنا ، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول ، وفي أول طرف النهار الآخر ، فهى في طرفين
 منه ، والطرف الثالث : غروب الشمس ، وعند ذلك تصلى المغرب ، فلذلك قيل أطراف ، وقد يحمل أن
 يقال : أريد به طرفا النهار . وقيل : أطراف ، كما قيل (صَغَتَ قَلُوبُكُمَا) فجمع ، والمراد : قلبان ،
 فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر ، وآخر طرفه الأول^٢ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبي زيد ، عن
 ابن عباس (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال : الصلاة المكتوبة .
 حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن
 أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : كنا جوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر
 ليلة البدر فقال : « إِنَّكُمْ رَأَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ ، فَانِ
 اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ تَلَا
 (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) » .

(١) فى (اللسان : أنى) لأنى : واحد آتاء الليل ، وهى ساعاته ، وفى التنزيل العزيز : « ومن آتاء الليل » . قال أهل اللغة :
 منهم الزجاج : آتاء الليل : ساعاته ، واحداها : إني وإنى ؛ فن قال : إني ، فهو مثل نحى وأنحاء ؛ ومن قال : إني فهو مثل معى وأمعاء ؛
 قال الهذلى المنخل :

السَّالِكُ الثَّغْرِ تَحْتَشِيًّا مَوَارِدُهُ بِكُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

قال الأزهري : كذا رواه ابن الأنباري ، وأنشد الجوهري : « حلو ومر . . . البيت » و أيضا المنخل ؛ فإما أن يكون هو
 البيت يعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

(٢) فى الأصل : الآخر ؟ وهو سهو من الكاتب ، كما تبين من عبارة المؤلف .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج (فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال ابن جريج : العصر . وأطراف النهار قال : المكتوبة .
 حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق . عن معمر . عن قتادة بن قولة (فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) قال : هي صلاة النجر (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال : صلاة العصر . (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : صلاة المغرب والعشاء . (وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) قال : صلاة الظهر .
 حدثني يونس : قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد : في قوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) : قال : من آناء الليل : العتمة . وأطراف النهار : المغرب والصبح . ونصب قوله (وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) عطفا على قوله (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) ، لأن معنى ذلك : فسبح بحمد ربك آخر الليل ، وأطراف النهار .

وبنحو الذي قلنا في معنى (آنَاءِ اللَّيْلِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : المصلي من الليل كله .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن قرأ (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : من أوله ، وأوسطه ، وآخره .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : في قوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ) قال : آناء الليل : جوف الليل .
 وقوله (لَعَلَّكَ تَرْضَى) يقول : كي ترضى .
 وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق (لَعَلَّكَ تَرْضَى) بفتح التاء . وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك (لَعَلَّكَ تُرْضَى) بضم التاء ، ورؤي ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمى ، وكان الذين قرءوا ذلك بالفتح ، ذهبوا إلى معنى : إن الله يعطيك ، حتى ترضى عطيته وثوابه إياك ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَعَلَّكَ تَرْضَى) قال : الثواب ، ترضى بما يثيبك الله على ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (لَعَلَّكَ تُرْضَى) قال : بما تُعْطَى ، وكان الذين قرءوا ذلك بالضم ، وجهوا معنى الكلام إلى لعل الله يرضيك من عبادتك إياه ، وطاعتك له .
 والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ؛ وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه ،

فلا شك أنه يرضى ، وأنه إذا رضى فقد أرضاه الله ، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم ، مُتَّعَةً في حياتهم الدنيا ، يتمتعون بها ، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها (لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ) يقول : لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ، ونبتليهم ، فإن ذلك فان زائل ، وغرور وخداع تضمحل (وَرِزْقُ رَبِّكَ) الذي وعدك أن يرزقك في الآخرة حتى ترضى ، وهو ثوابه إياه (خَيْرٌ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا . (وَأَبْقَى) يقول : وأدوم ، لأنه لا انقطاع له ولا نفاذ ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى يهودى يستسلف منه طعاما ، فأبى أن يستسلفه إلا برهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي رافع ، قال : « أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى يستسلفه ، فأبى أن يعطيه إلا برهن ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن أبي رافع ، قال : « نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فأرسلنى إلى يهودى بالمدينة يستسلفه ، فأبى ، فقال : لأسلفه إلا برهن ، فأخبرته بذلك ، فقال : إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض ، فأحمِلْ دِرْعِي إِلَيْهِ - فزلت (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ) . وقوله (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى قوله (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) » ويعنى بقوله (أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) رجلا منهم أشكالا ، وبزهرة الحياة الدنيا : زينة الحياة الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : أى زينة الحياة الدنيا ، ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الماء التي في قوله به من (مَتَّعْنَا بِهِ) كما يقال : مررت به الشريف الكريم ، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت ، وكذلك قوله (إلى

مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (تنصب على الفعل بمعنى : متعنهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة لم فيها . وذكر الفراء أن بعض بني فقعس أنشده :
أَبْعَدَ الَّذِي بِالسَّفْحِ سَفْحٌ كَوَاكِبٍ رَهِينَةٌ رَمَسٌ مِّنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ
فنصب رهينة على الفعل من قوله : « أبعد الذي بالسفح » ، وهذا لاشك أنه أضعف في العمل نصبا من قوله (مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) لأن العامل في الاسم وهو رهينة ، حرف خافض لا ناصب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم فيه (وَرَزَقُ رَبِّكَ حَسِيرٌ وَأَبْقَى) مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَنْ نَسْأَلَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأْمُرْ) يا محمد (أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) يقول : واصطبر على القيام بها ، وأدائها بحدودها أنت (لَنْ نَسْأَلَكَ رِزْقًا) يقول : لانسئلك مالا ، بل نكافئك عملا ببدنك ، نوئتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلًا (نَحْنُ نَرْزُقُكَ) يقول : نحن نعطيك المال ونكسبكه ، ولانسألكه . وقواه (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) يقول : والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ، ولا يرجو له ثوابا .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، قال : كان عروة إذا رأى

(١) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقعس ، كما قال المؤلف . وكواكب ، بضم الكاف : جبل بعينه ، ورهينة الرسم الذي نزل واستقر به لا يبرحه . والرسم : القبر . أو التراب والصخور يوارى بها الميت في حده . والجندل : الصخر . والشاهد في البيت : نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف ، كما نصبت « زهرة الحياة الدنيا » . قال صاحب تاج العروس : والخروج عند أئمة النحو : هو النصب على المفعولية ، وهو عبارة البصريين ، لأنهم يقولون في المفعول : هو منصوب على الخروج : أي خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته ، وهو كقولهم له (فضلة) . اهـ . أراد المؤلف أن رهينة منصوب على البدل من محل المجرور وهو قوله (بالسفح) ، لأنه محل النصب على المفعولية . وقد بين أبو البقاء العكبري في « إعراب القرآن » وجوه نصب « زهرة الحياة » قال (٢ : ٦٨) في نصبه أوجه : (أحدها) أن يكون منصوبا بفعل محذوف ، دل عليه « متعنا » . أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا . (والثاني) : أن يكون بدلا من موضع (به) . و (الثالث) أن يكون بدلا من أزواج . والتقدير : ذوى زهرة ؛ فحذف المضاف . ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة . ولا يجوز أن يكون صفة ، لأنه معرفة ، وأزواج : نكرة . و (الرابع) : أن يكون على الظم ، أي أدم أو أعنى . و (الخامس) : أن يكون بدلا من (ما) . اختاره بعضهم . وقال آخرون : لا يجوز ؛ لأن قوله تعالى « لنفتنهم » من صلة « متعنا » ، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي . و (السادس) : أن يكون حالا من الهاء ، أو من (ما) ، وحذف التنوين لا لتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البدل . ومن اختاره مكى (لعله أبو الحرم مكى بن ريان الماكيني الضرير) ، وفيه نظر . و (السابع) : أنه تمييز لما ، أو للهاء في (به) ، حكى عن الفراء ، وهو غلط ، لأنه معرفة . اهـ .

ما عند السلاطين دخل داره، فقال (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ، وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ، وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا، لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا، نَحْنُ نَرْزُقُكَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان إذا رأى شيئاً من الدنيا جاء إلى أهله، فقال الصلاة (وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا).

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلماننا أنا ويريفا، وكانت له من الليل ساعة يصليها، فإذا قاننا لا يقوم من الليل كان قياماً، وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية (وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) . . . الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ نَأْتِهِم بِبَيِّنَةٍ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى، وإبراهيم الأكمة والأبرص، يقول الله جل ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكتهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجبنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (أَوَلَمْ تَأْتِهِم بِبَيِّنَةٍ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) قال: التوراة والإنجيل.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَوَلَمْ تَأْتِهِم بِبَيِّنَةٍ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) الكتب التي نزلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّا لَوَاقِلٌ لِّمَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا سُوًّا فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي﴾

(١) لعله يريد: كان يقوم قياماً، أي قياماً طويلاً، والتفسير في كان راجع إلى «عمر» رضى الله عنه.

يقول تعالى ذكره : ولو أنا أهلكننا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعداب ننزله بهم بكفرهم بالله ، لقالوا يوم القيامة إذ وردوا علينا ، فأردنا عقابهم : ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك ، فنتبع آياتك : يقول : فنتبع حجتك وأدلتك وما ننزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزي به .

كما حدثني الفضل بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ ، وَالْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ ، وَالصَّغِيرُ الصَّغِيرُ ، فَيَقُولُ الْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ لَمْ يَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَنْتَفِعَ بِهِ ، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ : لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ ، وَلَوْ أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطُوعُ خَلْقِكَ لَكَ وَقَرَأَ (لَوْ لَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) وَيَقُولُ الصَّغِيرُ الصَّغِيرُ : كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ ، قَالَ : فَتَرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ وَيُقَالُ لَهُمْ : رُدُّوْهَا قَالَ : فَمِرْدُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ ، فَيَقُولُ : إِيَّايَ عَصَيْتُمْ ، فَكَيْفَ بَرُسْتِي لَوْ أَتَيْتُكُمْ ؟ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الصِّرَاطُ السَّوِيُّ وَمَنِ الْهُدَى ۝١٣٥

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربصين : يقول : منتظر لمن يكون الفلاح ، وإلى ما يثول أمرى وأمركم متوقف ينتظرون أثر الزمان ، فتربصوا : يقول : فترقبوا وانتظروا ، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذى لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة ، أنحن أم أنتم ؟ ومن اهتدى : يقول : وستعلمون حينئذ من المهتدى الذى هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم . وفى « من » من قوله (فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الصِّرَاطُ السَّوِيُّ) ، والثانية من قوله (وَمَنِ اهْتَدَى وَجْهَانِ) الرفع ، وترك أعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه (لَنَعْلَمَ أَىَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى) والنصب على أعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) .

تم الجزء السادس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى ،

ويليه الجزء السابع عشر

وأوله : سورة الأنبياء

